

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

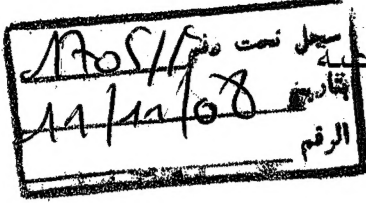
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

شعبة الفنون الشعبية



قبيلة حميان

من القرن 5-8 هـ / 11 إلى 14م

دراسة تاريخية وثقافية

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

اسم الطالب الباحث

قوراري عيسى

اسم الاستاذ المشرف

أ.د حاجيات عبد الحميد

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة تلمسان	أ.د محمد سعدي
مشرفا	جامعة تلمسان	أ.د عبد الحميد حاجيات
عضوا	جامعة تلمسان	د عبد الحق زريوح
عضوا	جامعة وهران	د.ة نور الهدى بوخالفة
عضوا	جامعة الجزائر	د جمال قنان
عضوا	جامعة الجزائر	د الزبير يقده



السنة الجامعية 2005-2006

التشكرات

إن ما أقدمه من بحث هو ثمرة جهود، فعسى أن يكون هذا البحث قد فتح باباً للمزيد من التنقيب والبحث خدمة للحقيقة التاريخية والثقافية في منطقة النعامة. هذه المنطقة التي لم تنل حظها من الدراسة والبحث وإنني أعترف إن هذا البحث لم يخرج بهذا الشكل إلا بفضل جهود مشتركة، وهكذا لا يسعني إلا أن أقدم شكري لكل من مد يد العون من قريب أو من بعيد، وأخص بالذكر أستاذي المشرف الدكتور عبد الحميد حاجيات الذي لم يبخل علي بالنصح والتوجيه، كما أشكر الدكتور مبخوت بوداوية والدكتور بكري عبد الحميد والدكتور مونسى الحبيب والدكتور معروف بلحاج الذين لم يبخلوا علي بنصائحهم وتوجيهاتهم، وإلى زملائي الأساتذة بالمركز الجامعي د يحي فارس بالمدينة وكذلك زملائي الأساتذة بالمركز الجامعي مصطفى اسطمبولي بمعسكر على تشجيعهم لي قصد إنجاز هذا البحث، وأخص بالذكر الأستاذ سرقمة عاشور وخشاب الصادق وخالدي هشام والأستاذ قندسي عبد القادر بجامعة ابن خلدون بتيارت كما أتقدم بشكري إلى كل القائمين على مكتبة المتحف البلدي بوهران والمكتبة الوطنية فرانز فانون بالعاصمة، ومكتبة المركز الجامعي بالمدينة، وإلى الذين وقفوا إلى جانبي في عملية الحصول على المصادر والمراجع.

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى روح أمي الطاهرة وكذلك إلى جدتي الحاجة غنية الزكية كما أهدي إلى أبي العزيز الذي يعود الفضل لله واليه في تربيته وتعليمي وتكويني وقد يسر لي ذلك في صغري وكبري وإلى عمي الحاج خلف الله وإلى عمتي وأخوالي محمد والميلود ومسعود خاصة إلى روح خالي الطاهرة عبد الحكيم وإلى الشقيقتين فاطمة وخيرة التي لاتزال مفقودة إلى اليوم وإلى زوجتي وأبنائي: غنية وبو جمعة وأحمد وهواري والياس محمد الأمين وأخيرا إلى إخواني وأخواتي وجميع أفراد العائلة دون تمييز.

التعريف بالموضوع

يعد موضوع القبائل العربية الهلالية موضوعا تاريخيا هاما، ولا يزال رغم ما كتب حوله من دراسات في حاجة إلى مزيد من العناية والبحث. وإذا كان المؤرخون والباحثون قد تناولوا موضوع القبائل العربية الهلالية منذ دخولها إلى المغرب الإسلامي بنوع من التعميم دون تحديد دور كل بطن من بطونها في التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عرفها المغرب الإسلامي، وإذا كانت حميان تمثل بطن من بطون بني يزيد بن زغبة بن هلال قد استقرت بصحراء تلمسان نتيجة ظروف سياسية، فإنها ساهمت في تغير هذه المنطقة، بحيث استطاعت أن تدخل اللغة العربية، وتقوم بتعريب السكان وهم زناتة البدو وهم سكان قصور الأطلس الصحراوي الغربي، ونشر الثقافة الشعبية الهلالية، كما أنها ساهمت في الحركة الاقتصادية. وإذا كان معظم المؤرخين والباحثين يعتقدون أن دور بطون بني هلال كان سلبيا، فإن ذلك لم يخلو من الإيجابيات.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد اخترت هذا الموضوع؛ لأن قبيلة حميان كان لها وزنها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ولا يزال بين قبائل المنطقة وهي العمور وأولاد سيدي الشيخ والرزائية، بالإضافة إلى ذلك قبيلة حميان لا تزال مجهولة لدى كثير من الباحثين والدارسين، ولم يسبق لأي باحث التطرق إلى دراسة هذه القبيلة، وفي غياب الدراسات رأيت من الضروري البحث في هذا الموضوع.

إشكالية البحث:

هناك تساؤلات مطروحة حول هذا الموضوع أهمها مايلي: هل وفدت قبيلة حميان إلى صحراء تلمسان ضمن مسيرة بني هلال؟ وهل تأثرت بكل الأحداث السياسية التي واجهت قبائل بنو هلال منذ دخولها إلى المغرب الإسلامي؟

كيف جاءت قبيلة حميان إلى صحراء تلمسان؟ وماهي أسباب وجودها في هذه المنطقة؟ وما دورها في ظل الدولة الزيانية؟ رغم صعوبة تتبع مسيرة قبيلة حميان ودورها في الفترة ما بين القرن الخامس الهجري والثامن الهجري، أي ما بين القرن الحادي عشر الميلادي والرابع عشر الميلادي؛ إلا أن النتائج المشجعة كانت خير حافز لي على الصمود. وينبغي أن أجد جواباً تؤيده الدراسة لسؤال هو كيف جاءت حميان إلى صحراء تلمسان التي استقرت بها منذ القرن السابع الهجري؟ وما شكل العلاقة التي كانت تربط حميان بزناطة القاطنة بالمنطقة؟ وعلى الرغم من أن هناك العديد من المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ المغرب الإسلامي من مختلف أبعاده؛ إلا أن تاريخ وثقافة القبائل العربية الهلالية لم يعالج كموضوع مستقل عن الأحداث والوقائع التي عرفها المغرب الإسلامي.

منهج البحث:

لقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي تارة والمنهج التحليلي تارة أخرى. وكذلك المنهج الإحصائي لأن طبيعة موضوع الدراسة تتطلب ذلك، إن الدراسات التي تناولت موضوع القبائل الهلالية، ومن بينها قبيلة حميان قد عالجتها بنوع من القسوة، وغابت فيها الموضوعية بذاته، ولم تسلط عليه الأضواء بدرجة كافية، وهذا ما جعلني أعكف على دراسته رغم المصاعب الكثيرة التي واجهتني في جمع مادته، فغالبيت المصادر تناولت التاريخ السياسي لبلاد المغرب، وأهملت دور القبائل الهلالية، لذلك كان لزاماً علي أن أبحث وأنقب بين ثنايا السطور عن ما كتب عن بلاد المغرب، وقد حاولت جاهداً أن أجمع كل شاردة عن دور قبيلة حميان ضمن مسيرة بني هلال في المغرب الإسلامي. وقبل أن يخرج هذا البحث بالصورة التي هي عليها، كانت قد اعترضتني صعوبات ولكنها لم تضعف من عزيمة الإصرار على مواصلة البحث، لكنها حالت دون إنجازها بشكل أفضل، لكن هذه العقبة أو الصعوبات ذلت بفضل إرشادات وتوجيهات.

أستاذي المشرف الدكتور حاجيات عبد الحميد، والتي كان يسدها بين الحين والآخر فأولى الصعوبات التي واجهتني وأهمها قلة المصادر والمراجع التي تناول الموضوع بصورة مباشرة، ومع الإطلاع فقد ظلت المصادر عقبة قائمة، ومع ذلك تمكنت من إتمام البحث.

خطة البحث:

وقد قسمت بحثي إلى مقدمة اشتملت على خطة البحث والمنهج المتبع في معالجة الموضوع، وأرفقتها بدراسة المصادر والمراجع، ثم بمدخل تناولت فيه لمحة جغرافية عن موطن حميان، ثم بابين رئيسيين، فالباب الأول يعالج الجانب التاريخي لحميان، وعنوانه حميان من جملة بني زغبة بن هلال، وقسمته إلى أربعة فصول، وكل فصل إلى ثلاث مباحث، وتناولت في الفصل الأول نسب وأصل حميان، والفصل الثاني ظروف حميان من جملة بني زغبة في صعيد مصر، ثم أسباب هجرهم من جموع بني هلال إلى المغرب الإسلامي، ودورهم في إفريقية أي تونس منذ سنة 442هـ إلى غاية انعزالهم عن بني يزيد سنة 633هـ. ثم دورهم في الدولة الزيانية إلى غاية وفاة أبي حمو موسى الثاني. أما في الباب الثاني وقد عاجلت الموروث الشعبي حميان وبني عامر والحياة الاجتماعية وقد قسمت هذا الباب إلى فصلين، حيث تناولت في الفصل الأول الفنون التقليدية والأدب الشعبي، أما في الفصل الثاني، فقد تطرقت إلى الحياة الاجتماعية عند حميان، وفي الخاتمة تحدثت عن النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث وأرفقت هذا البحث كذلك بملاحق لها صلة بموضوع

دراسة المصادر والمراجع:

اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر، كما استفدت من المراجع الحديثة التي تناولت موضوع البحث من بعيد أو قريب وسوف أقصر حديثي على تلك التي لها أهمية خاصة في استيفاء مادة البحث مراعيًا ترتيبها تاريخيًا وهي: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر طبع هذا المصدر في بولاق سنة 1867م في سبعة أجزاء، والجزء الأول منه هو

المقدمة التي ينظر فيها للتاريخ على أنه فرع من الحكمة أي الفلسفة، وفي نفس الوقت تتضمن نظرية العمران عند عبدالرحمان بن خلدون، وقد تناولت المقدمة نظرية العمران البدوي التي كانت نتيجة العينة التي اختارها ابن خلدون والمتمثلة في قبائل الهضاب العليا الغربية ومن بينها حميان وبني عامر؟ والتي صنفها ضمن البداوة الجزئية وليست الخالصة، وتتناول الأجزاء الأخرى خاصة الجزء السادس والسابع القبائل العربية، ومن بينها حميان وبني عامر، ويعد مصدر ابن خلدون المصدر الوحيد الذي تعرض إلى ذكر حميان، كما تعرض في هذه الأجزاء إلى دور القبائل العربية السلي في المناطق التي انتقلت فيها خصوصا المغرب كما أنها تحتوي على معلومات هامة تتعلق بدور القبائل الهلالية الحضاري في المغرب والأندلس، وعن هذه القبائل الاجتماعية، ومعتقداتها وطريقة حياتها وأسلوب حربها وكما يعد هذا المصدر الوحيد الذي ذكر فيه اسم حميان وكذلك بدورها العسكري والسياسي من جملة بني عامر في الدولة الزيانية. أما بغية الرواد لأبي زكرياء يحيى بن خلدون في ذكر ملوك بني عبدالواد نشره ألفرد بل في ثلاثة أجزاء في مجلدين بالجزائر سنة 1904م و1911م و1913م، وبدأت حياة يحيى بن خلدون السياسية 1378م، ورغم أن حياته السياسية كانت أقصر من أخيه عبدالرحمان بن خلدون. وأقل خطرا ولكنها مع ذلك أتاحت فرصة كتابة مؤلف غزير المادة في التاريخ، اعتمد عليه كل من كتب عن تلمسان والمغرب الأوسط في تناوله فترة حكم أبي حمو موسى الثاني، وصلته بالقبائل العربية خاصة بني عامر وحميان، وعلاقتها بالدولة الزيانية ودوره في العلاقات بين دولة بني عبدالواد وبني حفص بإفريقية وبني مرين بالمغرب الأقصى، حيث استطاع يحيى بن خلدون بحكم منصبه ككاتب سر أبي حمو أن يطلع على الوثائق الرسمية.

بل وأن يذكر بعضها كاملا في مصنفه ومع أن يحيى لم يتناول في كتابه موضوعا متشعبا كموضوع أخوه عبدالرحمان، إلا أنه ترك مصدرا يفيد التاريخ السياسي للمغرب الأوسط، وأورد كذلك في هذا الكتاب كثيرا، من قصائد شعراء البلاط الذين عاصروه

والتي كثيرا ما احتوت على مادة تفوق في قيمتها التاريخية الصريحة سواء في تأكيدها لإدعاء نسب بني عبدالواد إلى الأدارسة ووجوب خلافتهم شرعا أو التنويه بدور بني عامر محالفي بني عبدالواد في مناصرة الدولة، ورغم أن يحيى لم يذكر حميان، إلا أنه بين دور بني عامر في دولة بني زيان، التي كانت جزءا من بني عامر، فما أشار إليه عن بني عامر معناه ذكر بصورة غير مباشرة عن دور حميان في دولة بني عبدالواد، أما كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد بن علي المراكشي، فهو يتناول بعض أخبار المغرب وهيئاته وحدود أقطاره، وشيئا من سير ملوكه، وخصوصا خلفاء الموحدين من بني عبد المؤمن من ابتداء دولتهم إلى غاية 621هـ، والكتاب يمتاز بسهولة عبارته وبساطة أسلوبه، وكتبه مؤرخ محقق جدير بالثقة والاعتماد على أحكامه واحترام آرائه، وقد أفاد البحث فيما يتعلق بادعاء انتساب الموحدين للعرب واستغلال هذه الدعاية في اصطناع القبائل العربية المقيمة بافريقية للاشتراك معهم في جهاد المسيحيين بالأندلس وحماية المدن الأندلسية عن طريق الاستقرار بنواحي قرطبة وأشبيلية وشريش حتى انتشرت القبائل العربية في جنوب الأندلس، وإذا كان المصدر لم يشير إلى حميان بصورة مباشرة إلا أنه ذكر القبائل العربية التي تعد حميان فرعا من فروعها، أما كتاب البيان في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي كان حيا حتى سنة 712هـ، وكتاب البيان له أهمية خاصة لأنه يتضمن أجزاء من مصنفات مفقودة، ويحتوي على معلومات جديدة خاصة فيما يتعلق بتحركات القبائل العربية وهجرتها من المشرق إلى المغرب أيام الدولة الأموية، كذلك يشرح السياسة التغريبية التي لجأ إليها الموحدون نحو القبائل العربية للاستعانة بهم في حروب الأندلس، ويوضح كذلك إتباع أبي يعقوب يوسف لموحدي لسياسة أبيه تجاه القبائل العربية والتي كانت ترمي إلى اصطناع العرب والاستعانة بهم في حروب الأندلس، كما يفيد هذا المصدر في إبراز نقل أبي يعقوب المنصور لبني يزيد إلى المغرب الأوسط، ودور بني يزيد في مقاومة بني غانية، كما ينفرد الكتاب بمعلومات هامة



توضح مكانة المرأة العربية في القبيلة بالمغرب والجوار عند العرب، واختيار شيخ القبيلة وما يجب أن يمتاز به من صفات، ومكانة زعماء العرب كأهل مشورة للسلطان، وتسلطهم عليه حتى اتخذ منهم الموحدون بعض وزرائهم، ويتعرض ابن عذارى لحب العرب للقتال وطريقتهم في الحروب وأسلحتهم من السيوف الهندية والرق اللطية والقسي الخطية والمنجنيق، ثم تنظيم الجيش الموحد على أساس قبلي. أمارحلة التيجاني لأبي محمد عبدالله بن محمد التيجاني، فحياته لا يعرف عنها شيئاً، إلا أنه رحل مع مولاه الأمير إلى إفريقية الشمالية، وهذه الرحلة هي التي وصفها في كتابه المعروف بالرحلة، وتبدأ الرحلة من تونس في أواخر جمادي الأولى سنة 706هـ - أول ديسمبر 1306م في ركب الحج؛ إلا أن التيجاني اضطر في أول محرم سنة 709هـ - يونيو 1309م إلى التخلف عن الركب لمرض ألزمه العودة، وكان الركب لم يتجاوز بعد طرابلس، ومع ذلك فقد طال مقامه في كل موضع من مواضع هذه الرحلة وفواته ذلك كل المؤاتاه، فاستطاع أن يفيض وصفا وبيانا لكل طريف يلفت النظر في بلاد تعد بالقياس إلى غيرها ضيقة الرقعة محدودة الأطراف كانت مجالات لاستقرار القبائل العربية خصوصا سليم والمقل والاثنج ورياح. فجاء كتاب الرحلة معينا فياذا يزخر بالمعلومات بمناطق استقرار هذه القبائل وحياتها الاجتماعية ومعتقداتها، تعتبر هذه الرحلة الوحيدة من نوعها في وصف إفريقية في أوائل القرن الثامن الهجري أحد القرون الغامضة في تاريخ تونس الاجتماعي والسياسي واعتمد عليها ابن خلدون في كتابه العبر في نقل أسماء الأوطان والنواحي.

ومن استقرها من القبائل العربية، وما يتفرع عن كل قبيلة من بطون وأفخاذ من البدو الرحل ومجاورهم من البربر وأهل الذمة، كما تحتوي الرحلة على معلومات جديدة فيما يتعلق بانتقال الممالك الغز من مصر إلى بلاد المغرب، ودورهم في صراع الموحدين وبني غانية والقبائل العربية، وإذا كان التيجاني لم يذكر حميان وبني عامر بشكل محدد، فإنه ذكرها ضمن قبائل بني زغبة وبني يزيد، ويستكمل التيجاني معلومات ابن عذارى فيما

يخص بمساعدي شيخ القبيلة العربية ببلاد المغرب، فيعرف بالمفتي أو الفريض واختصاصاته وكاهن القبيلة، ويوضح كذلك تأثير العرب بمعتقدات الجاهلية في عاداتهم رغم مرور القرون العديدة على انتقاهم، فاعتقدوا في شجر العشر ونجم سهيل والكرم الحاتمي حيث اشتهر بإفريقية مثيله ابن عيسى أشهر كرماء العرب، وظهور نزعات التصوف والإصلاح. أما كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. لقد اختلف المؤرخون حول هذا الكتاب. فالبعض ينسبه إلى أبي العباس أحمد بن أبي زرع، والبعض الآخر ينسبه إلى صالح بن عبد الحليم الغرناطي وكلا المؤرخين عاشا وماتا بالمغرب في النصف الأول من الثامن الهجري (14م)، ويزعم رينيه باسيه أن لاسمين للمؤرخ واحد، والكتاب يتناول تاريخ المغرب الأقصى من سنة 145هـ إلى 724هـ، وفي بعض المصادر الأخرى إلى سنة 726هـ، وهو الأرجح، واعتمد ابن أبي زرع كثيرا فيما كتب على عدة مصادر أغفل ذكر معظمها كما اعتمد فيما يظهر على وثائق رسمية وخاصة عند كلامه على حكم بني مرين، ويستفاد بالكتاب في تأكيد المعلومات الخاصة بإدعاء انتساب الموحدين إلى الرسول (صلع) عن طريق الأدارسة، واتخاذهم اللون الأخضر شعارا لهم متفقا مع البيذق وابن صاحب الصلاة كما يتفق مع ابن عذارى في تنظيم الموحدين لإفريقية ووضع الخراج على من بها من القبائل العربية، مما أدى إلى ثورة العرب ونقل الموحدين لبعض هذه القبائل في سنة 754هـ إلى بلاد المغرب لاستغلالهم في الأندلس، ويعالج الكتاب بتفصيل لا يوجد عند غيره دور القبائل العربية في معركة الأرك الظافرة ثم هزيمة العقاب ودورهم في انقاد الخليفة بعد وقوع الهزيمة، أما عن المعلومات التي أوردها ابن أبي زرع عن مساهمة هذه القبائل في النواحي الحضارية لبلاد المغرب فلها قيمة كبيرة في توضيح تأثير القبائل البربرية بطريقة العرب في الشعر والغناء والإنشاد، وإذا كان المصدر لم يتعرض لحميان بشكل دقيق إلا أن أفاد البحث في إبراز جوانب من دور بني زغبة وبني يزيد في دولة الموحدين. أما عن كتاب تاريخ المن بالإمامة

على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين وظهور المهدي بالموحدين لعبد الملك بن أحمد الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة. ويبدو أن كتاب المن بالإمامة يقع في ثلاثة أجزاء، ولكن ما وصل من هذه الأجزاء الثلاثة هو الجزء الثاني فقط الذي يبتدىء بأحداث سنة 554هـ - 1159م، وينتهي بأحداث سنة 568هـ - 1173م، ويفيد هذا الكتاب البحث في إبراز دور قبيلة زغبة العسكري في دولة الموحدين، وكذلك دور القبائل العربية في النواحي الحضارية، وقد انفرد هذا المصدر بمعلومات قيمة عن دور القبائل العربية مع الموحدين في الحرب المقدسة بالأندلس والقيام بحماية مدنه خاصة خلال عصر أبي يعقوب يوسف الموحي، وما أظهره العرب من ضروب الشجاعة واليسالة، مما جعل ابن صاحب الصلاة يشبه قتالهم بقتال المؤمنين الأوائل. ورغم ذلك لم يمنع هذا المديح ابن صاحب الصلاة من انتقادهم في حالة ثانية بسبب موقفهم المتخاذل في موقعة قونكة سنة 577هـ - كما أمد ابن صاحب الصلاة بمادة جديدة العرب وفرسانهم وشيوخهم وكذلك تعبئتهم، وتمييز فرقهم واحتفالات عرض قواهم. أما كتاب تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية لأبي عبدالله محمد بن إبراهيم الزركشي تحقيق محمد قاضوربتونس 1966م، وأهمية الكتاب ترجع إلى أن المؤلف شاهد عيان لما عاصره من أحداث كما أنه ناقل أمين لما سبقه من أخبار، ويغطي الكتاب الأحداث خلال الدولتين الموحدية ثم الحفصية حتى سنة 886هـ - 1481م تلك الحقبة الزمنية الأكثر غموضاً وشحاً بالأخبار في الدولة الحفصية وعلاقتها بالقبائل العربية المستقرة بها، وكذا الإمارات العربية ببسكرة وبلاد الجريد فالقرن التاسع الهجري الذي يأتي بعد نهاية تاريخ ابن خلدون لم يأت من يؤرخه، بمثل تحقيقه وربط أجزائه. وكذلك ما جاء في الرسالة من المعلومات عن هذه الفترة مستمد من هذا الكتاب، كما اعتمد البحث كذلك على بعض المصادر مثل كتاب نهاية الإرب ومعرفة أنساب للقلقشندي، وعلى عبدالقادر المشرفي في كتابه بهجة الناظرو عبدالرحمان بن أحمد الشقراني الراشدي في كتابه القول الأوسط، وابن عبودة

المزاري في كتابه سعد السعود الذي حققه الدكتور يحي بوعزيز، والذي يحتوي على جزئين إلا إن هذه المصادر يبدو لم تكن نزيهة في معلومتها عن قبيلة حميان وبني عامر، وقد تضمنت بعض الأحكام المسبقة القاسية على هذه القبائل. كما اعتمدت على بعض المراجع الهامة التي أفادت البحث منها القبائل العربية في المغرب لمصطفى أبوضيف أحمد عمر، الذي تناول هذه القبائل وأشار إلى قبيلة حميان وبني عامر، ولأن المرجع اعتمد في معظم معلوماته على ابن خلدون إلا أنه أفاد البحث، كذلك اعتمدت على مرجع لا يقل أهمية في تناوله لموضوع البحث وهو كتاب أبو حمو موسى الزياتي حميد حاجيات الذي تناول فيه حياة أبي حمو موسى الثاني وفترة حكمه وعلاقة حميان وبني عامر بدولة أبي حمو الثاني، ودور هذه القبائل العسكري والسياسي، منذ قيام دولة بني زيان وإلى غاية وفاة أبي حمو موسى الثاني. كما استعنت ببعض المراجع التي تطرقت إلى موضوع النسب وبعض المراجع العامة التي تناولت قبيلة حميان وبني عامر كتاريخ الجزائر لتوفيق المدني الذي تناول فيه قبائل بني هلال ومن بينها قبيلة حميان وبني عامر وتوزيعها في الجزائر وإلى حياتها الاجتماعية والاقتصادية، وكذلك اعتمدت على المرجع الوجود الهلالي السليمي لعبد الحميد خالدي الذي تعرض فيه إلى القبائل الهلالية التي استقرت بالمغرب الأوسط ومنها حميان وبني عامر، ويبدو أن هذا المرجع قد عالج موضوع القبائل الهلالية بنوع من التفصيل، حيث تناول نسب وأصل قبائل بني هلال وسليم، وأعطى لمحة تاريخية عن حياة هذه القبائل قبل الإسلام ودورها في نشر الدعوة الإسلامية ثم نزوح وهجرة القبائل من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام إلى صعيد مصر، ثم إلى إفريقيا، ثم دور هذه القبائل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في المغرب الأوسط، وتأثيرها على الحياة السياسية والاجتماعية في المغرب الأوسط. وكذلك اعتمدت على كتاب تاريخ الجزائر لمبارك بن محمد الملي خاصة في الجزء الثاني الذي تعرض فيه إلى القبائل الهلالية، وأشار إلى قبيلة حميان وبني عامر، الذي اعتمدت في جل معلوماته على مصدر عبد الرحمان بن خلدون

المعروف بكتاب العبر، واستعنت أيضا على بعض المراجع الأجنبية ومنها مرجع القبائل العربية لجورج مارسيه، وعلى مصادر الضباط الفرنسيين وخاصة كتاب وثائق لمعرفة تاريخ حميان لنوال الذي كان نقيبا، وكان يشغل يمثل قائد المكتب الشؤون الأهلية بسبدو، الذي تناول تاريخ حميان معتمدا على المصادر التاريخية وعلى المصادر الشفاهية تارة أخرى، وهو الوحيد الذي تناول موضوع البحث بصورة مباشرة، ولكنه يتحوي على أخطاء علمية تحتاج إلى تصحيحها. كما استندت على بعض الدوريات والمجلات التي تناولت موضوع الدراسة، والتي تعرضت إلى أنساب قبائل بني هلال، ونزوحها إلى المغرب الإسلامي، ثم التي تناولت الموروث الشعبي عند بني هلال والحياة الاجتماعية،

المـدـخل

لمحة جغرافية عن موطن حميان:

صحراء تلمسان (خلال ق 8 هـ - ق 14م)

أولاً: لمحة جغرافية عن المغرب الإسلامي

ثانياً: لمحة جغرافية عن موطن حميان (صحراء تلمسان)

ثالثاً: الموقع الجغرافي والفلكي

أ- تضاريس موطن حميان

ب- مناخ موطن حميان

ج- الغطاء النباتي في موطن حميان

أولاً: لمحة جغرافية المغرب الإسلامي:

لم تستقر حميان من جملة بني يزيد بن زغبة بن هلال في موطن واحد منذ نزوحها من صعيد مصر إلى بلاد المغرب بل كانت تتحرك من موطن إلى موطن آخر، بحكم طبيعة حياتها البدوية التي كانت تفرض عليها الترحال سعيًا وراء الكلاء والماء وكذلك الظروف السياسية والاقتصادية المتغيرة التي كانت تدفعها إلى التزوح وعدم الاستقرار لمدة طويلة في موطن واحد، ولذا يصعب دراسة جغرافية موطن حميان وتتبعها بدءًا من صعيد مصر إلى صحراء تلمسان، لماذا صحراء تلمسان؟ لأن ابن خلدون ذكر أن حميان تبعّت بني عامر في عهد يغمراسن إلى صحراء تلمسان⁽¹⁾، وربما كان يقصد الهضاب العليا الغربية بالمصطلح الجغرافي الحالي والتي تمتد من سبدو والعريشة إلى الأطلس الصحراوي الغربي، وفي موضع آخر يقول عن زغبة أنها نزلت إلى المغرب الأوسط، واستقرت ما بين المسيلة إلى قبلة تلمسان في القفار⁽²⁾، فهل كانت صحراء تلمسان ضمن مناطق القفار؟ والغالب على الظن أن صحراء تلمسان كانت من ضمن مناطق القفار الذي أشار إليها ابن خلدون، حيث يجب على ذلك بقوله قبلة تلمسان في القفار، فماذا كان يقصد ابن خلدون بالقفار؟ ربما كان يقصد منها المنطقة الخالية من السكان أو الفقيرة من الكلاء والماء، أو ربما المنطقة ذات الأمطار القليلة أو المنطقة الفقيرة فلاحيا. فما هي طبيعة تضاريس ومناخ صحراء تلمسان في القرن السابع الهجري الموافق للثالث عشر الميلادي؟ من المعلوم أن حميان من جملة بني يزيد بن زغبة عند دخولها إلى بلاد المغرب، كانت من قسمتها المنطقة الواقعة ما بين طرابلس وقابس.

(1) ابن خلدون: العبر - ج 6 - دار العلم للملايين - بيروت - 1981 - ص 41 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج 2 - تقديم وتصحيح محمد الميلي - المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر - 1989 - ص 200 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب - في عصري الموحيدي وبني مرين - ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 - ص 225

(2) العبر: ص 42 - مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق - ص 200

وكان ذلك في منتصف القرن الخامس الهجري الموافق للحادي عشر الميلادي. وعندما هاجرت إلى المغرب الأوسط استقرت من جموع بني يزيد ببلاد حمزة والدهوس من أقاليم بجاية. وبالتالي فقد استقرت حميان من جملة بني يزيد بن زغبة في عدة مناطق متفرقة من المغرب الإسلامي، ومن ثمة ينبغي إعطاء لمحة جغرافية عن بلاد المغرب.

فالمغرب مصطلح يقصد به الجغرافيون العرب كل الأقاليم الواقعة غرب مصر، ويقول عنه ابن خلدون "أن لفظ المغرب في أصل موضعه اسم إضافي، يدل على مكان من الأمكنة بإضافته على جهة المشرق، ومشرق بالإضافة إلى جهة المغرب، لأن العرف قد يخصص هذه الأسماء بجهات معينة، وأقطارها مخصوصة، وعرف أهل الجغرافية المعنيين بمعرفة هيئة الأرض وقسمتها بأقليمها ومعمورها وخرابها وجبالها، وبحارها ومسكن أهلها مثل بطليموس ورجاوز صاحب صقلية المنسوب له الكتاب المشهور بين الناس لهذا العهد في هيئة الأرض والبلدان، وأمثالهم أن المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار فحده من جهة المغرب بحر المحيط وهو عنصر الماء، وسمي محيطا لإحاطته بما انكشف من الأرض، ويسمى أيضا البحر الأخضر(1)*. أو هي المنطقة التي تشمل شمال القارة الإفريقية، وتتضمن حاليا البلاد الليبية بولاياتها الثلاث برقة وطرابلس وفزان، وتونس والجزائر بصحرائها المتراصة إلى تخوم السودان والمغرب الأقصى، الذي كان يعرف إلى عهد قريب باسم مراکش نسبة إلى عاصمته الجنوبية، ويمتد طبيعيا نحو الجنوب إلى تخوم السنغال والنيجر(2).

(1) ينظر إلى العبر: ج 6-ص 98

* لقد اعتمد ابن خلدون في كتاباته عن الأقاليم الجغرافية على البكري، حيث تأثر بكتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك.

(2) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي-الإسكندرية-1964-ص 3-محمد الفاسي: التعريف بالمغرب-معهد الدراسات العربية-الجامعة العربية-1916-ص 7.

ففي بداية الفتوحات الإسلامية أطلق العرب الأجزاء الشرقية من المغرب بأسمائها السياسية. أو الإدارية المعروفة في التنظيم الروماني. فالإقليم المتاخم لمصر هو انطابلس أي المدن الخمسة باللغة الإغريقية(1)، وتلي انطابلس غربا طرابلس واسمها طربليطه، ومعناها باليونانية المدن الثلاث، وهي أياس موضه مدينة طرابلس الحالية، ولندة في شرقها، وصبره أوسبرت سبراته الحالية في غربها، وطرابلس بإقليم جبل نفوسة الذي يعتبره الجغرافيون العرب ذراعا هي امتداد لسلاسل جبال الأطلس المعروفة بجبال درن في المغرب الأقصى. وجبل نفوسة يحيط بمنطقة طرابلس الساحلية كاهلال، ويفصل بينها وبين الصحراء في فزان وما وراءها(2). ثم إفريقية وهو أول أقاليم المغرب الحقيقي(3)، وأخذ العرب الاسم عن الرومان كما نقلوا أسماء انطابلس وأطرابلس(4)، وأطلقوه على ما يلي طرابلس غربا حتى ساحل المحيط الأطلسي(5)، ثم أخذ لفظ إفريقية يضيق حتى اقتصرت حدودها على مايلي مصر غربا حتى بجاية، ثم يليه المغرب حتى المحيط(6). وابتداء من القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، ميز الجغرافيون العرب الأقاليم الغربية البعيدة من هذا المغرب، فأطلقوا اسم المغرب الأوسط على المنطقة الممتدة من بجاية حتى وادي ملوية والمغرب الأقصى على مايلي ذلك إلى المحيط، وواجهته الشمالية المطلة على البحر الأبيض المتوسط تعرف ببلاد غمارة، وهي بلاد الريف حاليا(7).

(1) البكري: المغرب في ذكر بلاد المغرب والمغرب-نشر دوسلان-الجزائر-1911-ص4-مؤلف مجهول: الاستبصار في

عجائب الأمصار-نشر وترجمة سعد زغلول-الإسكندرية-1958-ص143

(2) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي-ص.ص8-9

(3) نفسه: ص.ص8-9

(4) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب-نشر عبد المنعم عامر-القاهرة-1961-ص172

(5) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب-القاهرة-1947-ص2

(6) البلاذري: فتوح البلدان-القاهرة-1932-ص225-ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب-ص229

(7) ياقوت الحموي: معجم البلدان-القاهرة-1233هـ-مادة إفريقية.

وواجهته الغربية المطلة على المحيط تعرف بالسوس الأدنى، وتضم منخفض وادي سبو والسوس الأقصى، ويضم منخفض وادي سبو. ووادي سوس عدد من الأودية مثل وادي أبي الرقراق الذي يفصل بين مدينتي سلا والرباط، ويصب عندهما في المحيط، ووادي أم الربيع، وينبع من درن في إقليم تادلا، ويصب قرب أزموور، ووادي تنسفت وتقع عليه مدينة مراكش (1). رغم التسميات والتقسيمات المختلفة للمغرب، فإن البلاد جميعا من حدود مصر إلى المحيط تحمل في ثناياها معنى وحدة البلاد، فهي تنقسم إلى ثلاثة أقاليم طبيعية: وهي الإقليم الساحلي الذي يمتد على ساحل البحر المحيط من الإسكندرية إلى طنجة، ثم من طنجة على ساحل البحر المحيط إلى مدينة نول في السوس (2). فالبحر هنا قد ربط بين أقاليمه ومدنه البحرية، وأعطاهما الشكل الطبيعي الموحد المتجانس، وإلى جانب البحر الذي ربط الطريق التاريخي برا بين برزخ السويس إلى تازا وفاس بين مختلف المناطق الساحلية (3)، والإقليم الثاني هو المناطق الصحراوية التي تمتد من غرب مصر إلى جنوب المغرب الأقصى، ورغم ما يوصف به هذا الإقليم من أنه صحراوي موحش (4) إلا أن منابع المياه تتخلله وتنتشر الواحات في وسطه، وبفضلها أمكن للقوافل أن تخترقه من أدناه إلى أقصاه في طريق أقصر من الطريق الشمالي بحوالي ثلث المسافة (5). والإقليم الثالث بعضه يعرف باسم التل، يمتد بين الإقليمين السابقين، وله مميزاته الخاصة التي تتراوح في بعض الأحيان ما بين صفات الإقليم البحري، والإقليم الصحراوي.

(1) ابن خلدون: العبر - ج 6 - مطبعة جمال للنشر - بيروت - 1979 - ص 98 و 102 - السلاوي: الاستقصا ج 1 ص 33 - 34

مؤلف مجهول: الاستبصار - ص 185 و 209 - سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي - ص 13 - 14

(2) الاصطخري: كتاب المسالك والممالك - نشر محمد جابر عبدالعال - القاهرة - 1961 - ص 37 - 38 - العبر - ج 6 - ص 98 -

سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي - ص 14 - 16

(3) الاصطخري: المصدر السابق - ص 37 - 38 - سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي - ص 16

(4) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي - ص 20 - عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب - ج 1 - الرباط - 1965 - ص 1

(5) نفسه: ص 20 - عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب - ص 1



وهذا من حيث المناخ وفي بعض المظاهر التضاريسية، وهي الجبال التي تمتد في سلاسل أفقية محاذية للسواحل البحرية (1)، ساعدت على الربط بين البلاد، وإلى جانب ذلك فبفضل الوديان المحاذية لها والتي تحويها بين ضلوعها (2). عملت على وصل الأقاليم الشرقية بالأقاليم الغربية، وإن كانت قد جعلت المواصلات صعبة بين المناطق الساحلية والبلاد الداخلية، كما أنها كانت عددا من المناطق المنعزلة (3). ولكن وديان الأنهار التي تتجه في معظمها من الأقاليم الداخلية المرتفعة نحو البحر خففت من حدة صعوبة المواصلات بين الدواخل والسواحل، وكذلك عملت طرق القوافل الرأسية الموصلة بين المراكز الصحراوية والمدن الساحلية على الربط بين الأقاليم الخصبة والصحراوية (4).

ثانيا: لمحة جغرافية عن صحراء تلمسان:

إذا كان الجغرافيون العرب القدماء قد تعرضوا في مصادرهم إلى وصف تلمسان وتضاريسها ومناخها، فإنهم أغفلوا عن ذكر إقليم صحراء تلمسان، ويلاحظ ذلك من خلال خريطة ابن حوقل في كتابه صورة الأرض التي أشار فيها إلى المدن والمراسي والقرى المعروفة على نحو بحر العرب حد برقة إلى بحر المحيط، ولم يبين فيها منطقة صحراء تلمسان وقد اعتمد عليه الإدريسي ودل على هذا قوله حكى الحوقلي والقلقشندي في كتابه صبح الأعشى، ولكنه مع ذلك لم يتعرض الإدريسي والقلقشندي وحتى أبو عبيد البكري الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي الذي اعتمد هو الآخر على الأوراق وعلى ملاحظات وأقوال المسافرين والتجار.

(1) سعد زغلول: المرجع السابق - ص 20 - عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب - ص 1

(2) نفسه: ص 21 - عبد الوهاب بن منصور: نفسه - ص 1

(3) د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مريني ديوان المطبوعات

الجامعية 1982 ص 30

(4) عبد العزيز بن عبد الله: معطيات الحضارة - ج 1 - المغرب - 1957 - ص 07

الذين زاروا بلاد المغرب والسودان في كتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب الذي استقرت به حميان رفقة بني عامر منذ هجرتهما من صعيد مصر إلى بلاد المغرب. تمثل صحراء تلمسان جزء من الهضاب العليا الغربية، أو منطقة الشطوط أو السهوب. وفي غياب المصادر الجغرافية التي تعالج فترة موضوع الدراسة فقد حاولت استخلاص ما ذكره ابن خلدون عن منطقة صحراء تلمسان كآخر موطن يمتد موطن بني عامروحميان بالتحديد بين حافة الوادي الشمالي للشطوط والأطلس الصحراوي(1). اختلفت تسمية إقليم الهضاب العليا أو النجود بين الدارسين، فالبعض يطلق عليها الهضاب العليا، والبعض الآخر يسميها النجود، أو هضبة الشطوط، ولكن المصطلح الأكثر استعمالاً وشيوعاً هو الهضاب العليا، ويعود الاختلاف في التسمية إلى درجة الارتفاع والاستواء، وبالتالي إلى مدى صلاحيته للزراعة والاستقرار البشري(2). تمتد الهضاب العليا من المغرب الأقصى إلى جبال الحضنة تنحصر بين الأطلسين التلي والصحراوي، ويشتمل على جبال القصور وجبال العمور وجبال أولاد نايل، ويقل ارتفاع هذه الجبال شرقاً(3)، وهي أكثر اتساعاً وأقل ارتفاعاً منهما، ويبلغ ارتفاعها في المتوسط ألف متر، وهي جزء من كتلة الجزائر القديمة(4)، وتكاد تكون ذات سطح مستو تتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، ويلاحظ أنها أكثر اتساعاً في الغرب عنها في الشرق، ويبلغ طولها 700 كلم والانحدار العام لها من الشرق إلى الغرب، وهي بذلك تتبع سلسلة الأطلس التلي(5).

Jacquot Félix: expédition du Général cavignac dans le Sahara (1)
algérien, en avril et mai 1847, Paris Gide et Badry 1849, p282

(2) السعيد مريعي: التغيرات السكانية في الجزائر (1936-1956) - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1984 - ص 18

د. إبراهيم مياسي: ثورة أولاد سيدي الشيخ - مقالة - مجلة الذاكرة - العدد 02 - الجزائر - 1997 - ص 192

(3) د. محمد محمود السياد: معالم جغرافية الوطن العربي المجلد الأول دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت 1972 - ص 194

(4) السعيد مريعي: التغيرات السكانية - ص 19

(5) د. محمد محمود السياد: المرجع السابق - ص 194

تتميز هذه السهوب بتقطع سطحها، إذ تتخللها بعض المنخفضات والتحدرات التي تعد امتداداً لبنية الجبال الإلتوائية الأطلسية الجنوبية (1). وقد أدى هذا التقطع في سطحها إلى عدم وصول المياه إلى البحر، مما أدى إلى ركودها وتكوين شطوط مغلقة، وهي عبارة عن بحيرات ضحلة مالحة، وقد تكونت الشطوط في مناطق الشايا الخفيفة التي أصابت الكتلة الجزائرية القديمة، عندما حدثت حركة الالتواء (2)، وهي في امتدادها البالغ 800 كلم، تمثل حائطاً مرتفعاً شديداً الانحدار سواء نحو الجنوب أو الشمال (3). ومن هذه الظاهرة اكتسبت الهضبة اسمها تتجمع فيها المياه الآتية من الأطلسين، ولكن عندما تتوقف الأمطار عن التساقط، ترتفع درجة الحرارة في فصل الصيف وتحدث عملية التبخر، مما يؤدي إلى ضيق الشطوط وجفافها في الفصول الجافة وهي الخريف والصيف، ولكن أثرها على توزيع السكان والحياة الاقتصادية يكاد لا يذكر (4). وهذه الشطوط هي: شط الحضنة، والشط الشرقي والغربي وشط تقري وأهمها الشط الشرقي الذي يتغذى على المياه المنحدرة من السفوح الجنوبية لجبال الضاية والشط الغربي الواقع على الحدود المغربية (5) الذي يمتد لمسافة 225 كلم، ويحد هذه السهول العليا من الجنوب سلسلة الأطلس الصحراوي التي تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي (6).

(1) السعيد مربي: التغيرات السكانية - ص 19

(2) د. محمد محمود الصياد: المرجع السابق - ص 1994 - د. محمد سعودي: الوطن العربي - دراسة لملامحه الجغرافية - دار النهضة العربية - بيروت - 1968 - ص 579

(3) د. محمد سعودي: نفسه - ص 579

(4) د. إبراهيم مياسي: ثورة أولاد سيدي الشيخ - ص 193

(5) السعيد مربي: التغيرات السكانية - ص 19 - د. إبراهيم مياسي: المرجع السابق - ص 192 - مقالة حول جغرافية الجزائر - من شبكة الإمام الرضا - من موقع أنترنيت: <http://www.imamreza.net/arb/imamereza.php?id=2377,p01>

(6) د. محمد سعودي: المرجع السابق - ص 579

والتي يظهر عليها عوامل التعرية قد نحتتها مدة طويلة (1). هذا وتتراوح درجة ارتفاع الجهات الغربية من الهضاب العليا بين 1000م و1200م فوق سطح البحر، ويبلغ عرض الهضاب العليا في الغرب 150 كلم، وتضيق في الشرق إلى 50 كلم. أما بالنسبة للبنية التضاريسية لمنطقة الهضاب العليا، فإنها تدين بشكلها إلى بنيتها التي ارتفعت في نهاية الزمن الجيولوجي الثالث، مكونة بذلك ما يعرف بالسهب يبلغ مساحة السهب 172 ألف كلم مربع، وتمتد في الجهة الغربية شمالا، بحيث تعتدي على التل بحوالي 134 ألف كلم مربع (2).

ثالثا: الموقع الجغرافي والفلكي:

يمتد موطن بني عامروحميان بين ثنية الساسي من الشمال الغربي، وجنوب العريشة ورأس الماء وحيات البل، ثم يتجه على يمين سيدي الناصر، وتأخذ هذه الحدود اتجاه الجنوب بضواحي تولالة وتخرق الميال، وتتبع حيناً ضفة وادي الحيقن، ثم تتجه مباشرة نحو الجنوب إلى غاية حاسي الفليس (3). مكونة شكلاً دائرياً في اتجاه الشمال محاذية لوادي الفليس إلى غاية حاسي باربوا. وتنحني هذه الحدود متخذة تقريباً خطاً مستقيماً في اتجاه الجنوب الغربي إلى بئر تاقمين، أما من الجهة الغربية فتحده الحدود الجزائرية المغربية * وتنحني هذه الحدود متخذة تقريباً خطاً مستقيماً في اتجاه الجنوب الغربي، إلى بئر تاقمين أما فلكياً فيقع ما بين دائرتي عرض 30° و 38° شمالاً وبين خطي طول 1° و 6° غرباً، يتميز هذا الموطن بانعدام الحواجز الطبيعية، وهو في الأصل يشكل حدوداً إدارية.

Mensier:op.Cit.p.23(1)

Ibid.P.23(2)

* وحسب مونسيه فالحدود الجزائرية المغربية لم تحدد بين فرنسا والمغرب الأقصى وفي معاهدة لالامغنية تم تحديد سوى الحدود البحرية وفي الجهة الشمالية الغربية عند ثنية الساسي، فالمادة الرابعة من المعاهدة تنص على أنه لا توجد حدود ترابية لضبطها

ما دام أنها لم تفلح. ينظر إلى: Mensier:op.cit.p.23

(3) ينظر إلى مخطط التنمية لولاية النعامة - 1995 - ص 05

تبلغ مساحته 4.434 ملايين هكتار (ينظر إلى الخريطة ش 1 ص 489). يقع موطن وبني عامر حميان بين الأطلسين التلي والصحراوي أما حدوده الإدارية فإنه يقع بين أربع ولايات. ففي الشمال تحده تلمسان وسيدي بلعباس، ومن الشرق البيض ومن الجنوب بشار ومن الغرب المغرب الأقصى (1) يبدو أن هذا الموقع هو الذي كان يقصده ابن خلدون

١- التضاريس: لقد ذكر ابن خلدون "... أن العدو الشمالية من العرق * مجالات البادية من الأعراب الظواغن بالمغرب، وكانت قبلهم مجالات للبربر، وقال بعد هذا حد المغرب من جهة الجنوب، ومن دون هذا العرق سياج آخر على المغرب مما يلي التلول منه، وهي الجبال التي هي تخوم تلك التلول ممتد من لدن البحر المحيط في القرب على برنيق من بلاد برقة، وهناك تنقطع هذه الجبال ويسمى مبدؤها من المغرب جبال درن، وما بين هذه الجبال المحيطة بالتلول وبين العرق الذي وصفه ابن خلدون بسائط وقفار وأكثر نباتها الشجر وفيما يلي التلول، وفي قبلة تلمسان قصور متعددة ذات نخل وأنهار..." (2). وفي موضع آخر يقول: "وما بين بلاد هذه أي العرق والجبال التي سياج التلول بسائط متلون مزاجها تارة بمزاج التلول، وتارة بمزاج الصحراء بهوائها ومياهاها ومنابتها، وفيها القيروان وجبل أوراس معترض وسطها وبلاد الحضنة، حيث كانت طبنة ما بين الزاب والتل وفيها مغراوة والمسيلة وفيها السرسو وقبلة تلمسان، حيث تاهرت فيها جبل دير وقبلة فاس، معترض في تلك البسائط هذا الحد المغرب" (3)

(1) مخطط التنمية لولاية النعامة: ص 05

(2) ينظر إلى العبر: ج 6- دار جمال للطباعة والنشر- بيروت- 1979- ص 100

* العرق: وهي الكثبان الرملية التي تغطي مساحات كبيرة من الصحراء

(3) نفسه: ص 101

يفهم من النص الأول لابن خلدون أن شمال الصحراء كان مجالا للعرب البدو، ومكانا لممارسة الرعي، وقد سبق العرب في ذلك البربر، وربما كان ابن خلدون يقصد بربر زناتة، ويشير أن العرق يعتبر حد الجنوب، ويفصل بين العرق والتل جبال المتخامة للتل، تمتد من المحيط الأطلس إلى برقة (1)، وربما يقصد بها جبال الأطلس الصحراوي، ثم يضيف ابن خلدون أن هذه الجبال تتميز بالتقطع، وجبال درن هي بداية هذه الجبال، ويفصل بين الصحراء وهذه الجبال أراضي منبسطة وقفار، لكنها تتميز بكثرة الأشجار، وتضم عددا من القصور التي تقع قبلة تلمسان، وربما كان يقصد بها قصور بني عامر التي تقع محاذية لجبال الأطلس الصحراوي، ويقول أن هذه القصور كانت تشتمل على نخيل ومياه، كما يستنتج من نص ابن خلدون أن موطن بني عامر وحميان هو صحراء تلمسان كان يتميز بقلة الجبال، لأنه يشير إلى أنه عبارة عن بسائط؛ أي أن أراضيها منبسطة وهذه خاصية من خصائص الهضاب العليا، وقفار بمعنى أنه كان خاليا من القرى والمدن، بسبب طبيعة مناخه الذي كان يتميز بشدة البرودة شتاء وحارا في فصل الصيف. أما في النص الثاني فيبدو أن ابن خلدون قد تعرض إلى ذكر الهضاب العليا، ولو أنه لم يذكر بالتحديد مصطلح الهضاب العليا بقوله أن ما بين العرق والجبال التي هي سياج التل بسائط تتميز بتضاريس متنوعة، بقوله بسائط متلون مزاجها أي أنها تجمع في خصائصها التضاريسية بين تضاريس التل والصحراء، (2). ومن ثمة يمكن القول أن موطن بني عامر وحميان ينقسم تضاريسيا إلى ثلاث مناطق: منطقة السهوب في الشمال وجبال الأطلس الصحراوي، وهو عبارة عن سلاسل جبلية قصيرة، يتخللها مسلكا متساويا (3)

(1) العبر: ج 6-ص 101

(2) نفسه: ص 101

(3) نفسه: ص 101

تفصله ممرات واسعة، ومنطقة شبه صحراوية في الجنوب*، والتي تسمح بسهولة الاتصال، إن الأطلس الصحراوي بتنوعاته الضيقة الحادة قد حافظت على اتجاهه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وهو شديد الانحدار كالأطلس التلي (1). تنحصر السهوب بين الشط الشرقي، وكتلة جبل مكشر، وفي هذه المنطقة فإن مظاهر السطح الكبرى لا تظهر إلا في شكل قمم رقيقة، غير مترابطة وتنبثق من خلال الطمي الأفقي للسهل (2). ويلاحظ أن هناك خط متصل وبارز مكون من جبل العرعار وجبل بوشبكة وجبل عيسى (3). تتخللها هذه الكتلة الجبلية بحيرة كبيرة والجزء العميق منها تسمى عند الأهالي بالبحر ويبلغ عرضها 50 كلم (4) يقسم جبل مرغاد هذه البحيرة إلى قسمين، ويمر الطريق الرابط بين المشرية والفرطاسة، عبر عين بن خليل غربها، بينما يمر الطريق الرابط بين المشرية وعين الصفراء، وطريق السكك الحديدية عبر النعامة ومكاليس* وفي شرقها تنحصر فايحة البتوم والتي يبلغ عرضها 10 كلم تقريبا (5) بين جبل مرغاد وجبل عيسى إلى غاية الحوافي الجنوبية للشط الشرقي..

* ينقسم موطن بني عامروحميان إلى ثلاث فضاءات جغرافية وهي: المنطقة الشمالية وهي عبارة عن سهول مرتفعة أو ماتسمى بمنطقة السهوب، تقدر مساحتها بـ 20081 كلم مربع ما يعادل نسبة 74%. ومنطقة جبلية تقدر مساحتها بـ 3257 كلم مربع، أي ما يعادل 12%، وهي تمثل الجزء الغربي من الأطلس الصحراوي ومنطقة جنوبية شبه صحراوية وهي متاخمة للصحراء، تمتد على مساحة تقدر بـ 3733 كلم مربع ما يعادل 14%. ينظر إلى: (2) Mensier:op.Cit.p24

(1) مخطط التنمية للولاية-المرجع السابق-ص05- Amar Bouzenoune:état de la biodiversité de la wilaya de Naama-colloque les perspectives de développement de la wilaya de Naama-décembre 2004-p44

Mensier :op.cit.p23E.Daumas : Mœurs et coutumes de l'Algérie-(2)

introduction d'A.Djeghloul-Sindbad-paris-1988-p184

Jacquot Félix :op.cit.p282(3)

Mensier:op.Cit.p24(4)

* مكاليس: هي قرية صغيرة، تقع شمال عين الصفراء بنحو 30 كلم على الطريق الرابط بين بشار وهران

Mensier :op.cit.p24(5)

يتميز سطح الهضاب العليا بالتقطع والتمزق التضاريسي، وكانت تسمى هذه الهضاب عند الأهالي بالمكنن؛ أي موطن الكمائن (1)، ويبلغ طول جبل مرغاد حوالي 24 كلم، ويمتد شمالا في السهل عبر خواصر جبال كثيرة أهمها ضلعة العفرة والحجر الطوال وجبل حرازة، وفي اتجاه سفيسفة جنوبا تنتهي فجأة ببرز جبل الطويل (2). ويدور في اتجاه الشرق، يتميز جبل بوعمود بالتعرية والجفاف، وخالي من أي غطاء نباتي، يبلغ متوسط ارتفاعه 1650م تقريبا، وفي شرق موطن بني عامر وحميان يقع جبل الحيرش الذي ينفصل عن جبل مرغاد بشية الغزالة، ويتصل بسهل فليجة البيتوم والخبزن (3)، الذي يعتبر جبلا ضخما ويقع في وسط سهل من الحلفاء (4). توجد هضاب تتميز بالتعرية، يغطيها نبات طبيعي يسمى بالتيم (Thym) أو ما يعرف عند بني عامر وحميان بالشيخ (5)، والحلفاء التي تمتد من الشمال إلى غاية الأطلس الأوسط وجبل مكيدو وجبل العبد بين رأس الماء وبرقنت، وغربا إلى غاية وادي الشارف، وجنوبا إلى غاية جبل دوق وجبل الكلخ، وجبل لخضر (6) قسم الشط الغربي التقري هذه الهضاب إلى قسمين. ما جبل عيسى وحسب ما جاء في كتابات ضباط مكتب الشؤون العربية فإنه يحمل اسم رئيس أهلي يسمى عيسى ابن عبد القادر وفدمن الساقية الحمراء سنة 1200م، ليستولي على قصر تيوت (7).

(1) Mensier:op.cit. P24

(2) Ibid :p25

(3) E.Daumas :op.cit.p184-Mensier:op.cit.p25

* سفيسفة: هي قصر من قصور بني عامر، يقع غرب عين الصفراء يبعد بنحو 15 كلم.

(4) Guillaume(It):conquête du sud.La colonne d'igli en1900extrait du spectateur militaire paris 1931p25

(5) ينظر إلى مخطط التنمية لولاية النعامة:ص05

(6) Mensier:op.Cit.p25

(7) Ibid, p.25

وعلى منطقة تيوت* يوجد ضريحه في مدخل القصر، يمتد جبل عيسى على طول 32 كلم تقريبا(1). يبدأ من ثنية* الرمل على الطريق البري الرابط بين المشرية وعين الصفراء. يبلغ متوسط ارتفاعه حوالي 1950م(2)، ويصل إلى 2250م عند قمة عين عيسى، يتميز بغطاء نباتي وغني بالمراعي. وفي المنطقة ينحصر جبل عيسى بين ثنية الرمل ومراح العلندة، بمعنى أنه يمتد على طول 20 كلم، تتميز بغطاء نباتي قليل، وتبدو منفصلة عن جبل بوعمود عبر ثنية البقرة يمتد جبل بوعمود على طول 13 كلم ومن ثنية البقرة إلى سفيسة* (3)، وهو على شكل قوس، يمتد جبل عيسى في اتجاه الشمال الشرقي بدءا من ثنية الرمل عبر ربوات صخرية التي تحمل اسم جبل السويقة وجبل الطوارف وجبل المالحه. فجبل المالحه يتميز بالنعرية، وهو محاذي لسبخة النعامة، ويبلغ متوسط ارتفاعه 1200م تقريبا(4). ولا يحتوي على نقاط ماء وممره الوحيد هو ثنية البحرية وفي غرب جبل بوشبكة وتنحصر فائجة الحيرزن بين جبل مرغاد وجبل بوعمود، وتسقى من وادي بومبتا(5)، وتغطي جبل الحيرش بعض الأشجار وهي قليلة على واجهته الشمالية، يبلغ متوسط ارتفاعه 1650م. وجبل عنتر(6) ومن خلال وصف جاكو فليكس لتضاريس منطقة الهضاب العليا والأطلس الصحراوي يمكن استنتاج طبيعة تضاريس المنطقة(7).

* قصر تيوت: هو قصر من قصور بني عامر، يقع شرق قصر عين الصفراء، يبعد عنها بنحو 14 كلم

Mensier:op.cit p25(1)

* ثنية: معناه الأرض المتموجة، فالمنطقة تعرضت للحركة الأرضية، أدت إلى انثناء سطح الأرض

(2) ينظر إلى: Expédition du Général cavnac; op.cit.p.p 112-113

Ibid:p26 (3)

* سفيسة: هي قصر من قصور بني عامر، وهو محاذي للحدود الجزائرية المغربية، ويقع غرب قصر عين الصفراء، ويبعد عنه بنحو 30 كلم

Mensier:op.Cit. p.26(4)

Jacquot Félix :op.Cit.p.p112-113(5)

Ibid.p.p112-113(6)

Mensier:op.cit.p27(7)

حيث يقول: "إن جبال الأطلس الصحراوي تغطيها صخور كلسية وحجرية رملية، لونها أحمر بسبب أكسدة الحديد، ويتراوح ارتفاعها ما بين 1000م و1300م عن سطح البحر من خلال قياس ارتفاعها من طرف دوموريو (Demerieux) وفورنال (Fournel) اللذين استخدما جهاز البرومتر، ويقول أن هذه الملاحظات مطابقة للمعلومات التي قدمها لنا العرب الذين جابوا المنطقة من الشرق إلى الغرب" (1)، ويقل ارتفاع هذه الجبال كلما اتجهنا نحو فقيق، تتميز بطول قاعدة هذه الجبال تتشكل من حواجز صغيرة من التلال تفصلها أودية (2) خلاصة القول يستنتج من خلال الموقع الجغرافي، والتضاريس أن مناخ موطن بني عامر وحميان الذي تستقر فيه هو مزيج من المؤثرات المناخية الصحراوية بسبب انفتاحه على الصحراء عبر ممرات جبال القصور ومؤثرات البحر المتوسط.

ب- المناخ: يفهم من نصوص ابن خلدون أن مناخ موطن بني عامر وحميان خلال القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلاد، كان يجمع في خصائصه المناخية بين مناخ التل والصحراء (3) أو كان عبارة عن مزيج من المؤثرات المناخية للبحر المتوسط والمؤثرات المناخية الصحراوية، وكان نبات موطن بني عامر وحميان هو خليط من نبات التل والصحراء. أما من حيث طبيعة مناخه ربما كان يتميز بفصلين متناقضين هما فصل الشتاء والصيف، حيث يذكر ابن خلدون أن بني عامر وحميان كانوا يرحلون في فصل الصيف إلى التل، ويعودون إلى موطنهم في فصل الشتاء، وهذا ما يبين أن فصل الصيف كان حارا وجافا وكان يقل فيه العشب في موطن بني عامر وحميان.

(1) Djillali sari: l'insurrection de 1881-1882; sned; 1981. p22

De Foulques: de Géryville à Féguig – Bsgo – t11 – 1891p.p66-67

Djillali Sari : op.cit.p22 – Mensier : op.cit.p.26(2)

(3) العبر: ج6-ص101

مما يضطرون إلى الارتحال نحو التل في موسم الحصاد، وعندما تسقط الأمطار في فصل الشتاء يعودون إلى موطنهم الذي يكون قد استرجع غطاءه النباتي خاصة العشب (1). يبدو أن الظاهرة المناخية التي كان يتميز بها موطن بني عامروحميان في القرن الثامن الهجري لم تتغير بل بقيت تتميز بنفس الخصائص المناخية كالتناقضات الحرارية، والمدى الحراري الواسع، والشتاء الطويل البارد الذي غالباً ما تكون درجة حرارته أقل من الصفر، والصيف الحار والجاف الذي يعود سبب ارتفاع درجة حرارته إلى جفاف الهواء (2)، وانعدام الرطوبة وبهبوب الرياح القوية والتي لا تطاق عبر كامل مناطق التعرية، محدثة زوابع رملية (3)، بالإضافة إلى انفتاح المنطقة على المؤثرات المناخية للبحر المتوسط. والمؤثرات المناخية الصحراوية التي تمر عبر الفتحات الموجودة بين سلسلة الأطلس الصحراوي الغربي.

ج- الغطاء النباتي: يستخلص من نصوص ابن خلدون أن موطن بني عامروحميان كان عبارة عن مراعي طبيعية، تحتوي على نباتات تجمع في خصائصها نبات التل والصحراء، وذكر من بين النباتات الأشجار، ولكن لم يحدد ابن خلدون نوع هذه الأشجار والنخيل (4)، ولا شك أن النبات الطبيعي الذي كان سائداً في هذه المنطقة هو نبات الحلفاء والسونغا*، والسرو والشيخ والشبرق والرتم، والعرجار والأزيروالألال وهي كلها نباتات تشكل غذاء للحيوان خاصة المواشي، وإذا كان ابن خلدون لم يذكر أسماء أنواع هذه النباتات، فالغالب على الظن أن هذه النباتات التي تم ذكرها هي نفسها التي كانت موجودة في عهده.

(1) Djillali Sari :op.cit.p22

(2) Jacquot Félix:op.cit.p113

(3) De Foulques:op.cit.p67

(4) العبر: ج 6-ص 52

* ينظر إلى الملاحق ص 456

الباب الأول: الدراسة التاريخية
حميان من جملة بني زغبة بن هلال
ومراحل هجرتها من صحيف مصر
إلى صحراء تلمسان

الفصل الأول:

نسب وأصل حمياؤ وبنو عامر

المبحث الأول: النسابة المؤرخين العرب

المبحث الثاني: مصادر الضباط الفرنسيين

المبحث الثالث: المصادر الشفهية

ذهب بعض النسابة المؤرخين العرب القدماء أن المعرفة بعلم الأنساب من الأمور المطلوبة، والمعارف المندوبة لما يترتب عليه من الأحكام الشرعية والمعامل الدينية⁽¹⁾، بحيث ذكر الله تعالى ذلك في قوله "يا أيها الناس إن خلقتكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"^{*}. وقد أكد الإسلام ضرورة قيام علم الأنساب فمن قول ابن حزم في مقدمة كتابه النسب "فمن ذلك أن يعلم أن محمدا رسول الله (صلع) هو ابن عبد الله الهاشمي، فمن زعم أنه لم يكن هاشميا، فهو كافر، فإن يعلم أن الخليفة من قريش، وأنه يعرف من يلقاه بنسب في رحم محرمة ليتجنب تزوج ما يحرم عليه منهم، وأن يعرف من يتصل به ممن يرتد أو يجب عليه من وصلة أو نفقة أو معاونة، وأن يعرف الصحابة، وأن حبهم مطلوب، وأن يعرف الأنصار ليحسن إليهم لثبوت الوصية، ولأن حبهم إيمان وبغضهم نفاق"⁽²⁾، فقد وردت في الشريعة الإسلامية العلم، أنه النبي القريشي الذي كان بمكة، وهاجر إلى المدينة، فإنه لا بد لصحة الإيمان من معرفة ذلك، ولا يعذر سلم في الجهل به وناهيك بذلك⁽³⁾. وقد رتب الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية أنساب العرب ست مراتب، فجعل طبقات أنسابهم وهي: شعب، قبيلة، عمارة، بطن، فخذ، فصيلة، فالشعب النسب الأبعد، وسمي شعب لأن القبائل منه تشعبت⁽⁴⁾.

^{*} سورة الحجرات مدنية 49 - الآية 13

(1) ابن خلدون: المقدمة ج 1 - نشر المكتبة التجارية - القاهرة - 1951 - ص 85 - القلقشندي: نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب - نشر إبراهيم الأبياري - القاهرة 1959 - ص 250 - أبو الفوز محمد أمين المعروف بالسويدي: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب - المكتبة العلمية السنة التاسعة من العقد الثالث من القرن 13 الهجري - ص 05

(2) القلقشندي: نهاية الإرب - ص 250 - د. أحمد الخشاب: التفكير الاجتماعي - دار النهضة العربية - بيروت - 1970 -

ص. ص 223-224

(3) ابن خلدون: المقدمة - ج 1 - ص 85 - القلقشندي: نهاية الإرب - ص 250 - أبو الفوز محمد أمين: سبائك الذهب - ص 05

(4) القلقشندي: نهاية الإرب - ص 251 - د. أحمد الخشاب: التفكير الاجتماعي - ص 224

ثم القبيلة وهي ما انقسم فيه أنساب الشعب، وسميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها، ثم العمارة وهي ما انقسم فيه أنساب القبائل، ثم البطن وهو ما انقسم فيه أنساب العمارة، ثم الفخذ وهو ما انقسم أنساب البطن، ثم الفصيلة وهي ما انقسم فيه أنساب الفخذ⁽¹⁾ وتجلى أهمية النسب في ما يلي: التعارف بين الناس حتى لا يعتري أحد إلى غير آبائه، ولا ينسب إلى سوى أجداده، وكذلك يترتب على ذلك أحكام الورثة، فيحجب بعضهم بعضاً وأحكام الأولياء في النكاح، فيقدم بعضهم على بعض وأحكام الوقف إذا خص الواقف بعض أقاربه، أو بعض الطبقات دون بعض، وأحكام العاقلة في الدية على بعض العصابة دون بعض، وما يجري مجرى ذلك، فلولا معرفة الأنساب، لفات إدراك هذه الأمور، وتعذر الوصول إليه⁽²⁾. وإذا كان النسب بهذه المتزلة من الألفة، فقد تعرض حال له عوارض تمنع منها، وتبعث على الفرقة المنافية لها، فلزم أن يصف حال الإنسان، وما يعرض لها من الأسباب، فجملة النسب أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم والدون، وقسم مولودون، وقسم مناسيون⁽³⁾. وقد ركز ابن خلدون على الناحية القرابية للقبيلة حيث يؤكد على العصبية الواحدة والنسب الواحد، وما يؤدي ذلك إلى الإخلاص في سبيل الدفاع عن القبيلة ومصالحها، وصد العدوان الذي يقع عليها، وأن اختلاط الأنساب كدخول المولى والأرقاء فقد لا يهتمون بمصالح القبيلة⁽⁴⁾ وأن النسب المتصل هو الأساس في الوحدة والالتحام بين أفراد القبيلة الواحدة، حيث يشعر كل فرد أن أي إعتداء على أي فرد من القبيلة هو إعتداء على القبيلة كلها.

(1) القلقشندي: نهاية الإرب - ص 251 - د. أحمد الخشاب: التفكير الاجتماعي - ص 224

(2) المقدمة: ج 1 - ص 85 - القلقشندي: نهاية الإرب - ص 251

(3) د. أحمد الخشاب: التفكير الاجتماعي - ص 224

(4) ينظر إلى المقدمة ج 1 - ص 86 - دة. سهير عبدالعزيز محمد: الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي في البادية العربية - دراسة ميدانية

في علم الاجتماع البدوي - ط 1 - دار المعارف - القاهرة - 1991 - ص 38

ويوضح ابن خلدون أن النسب الصريح يأتي من عدم الاختلاط والعزلة والبعد عن القبائل الأخرى (1). يستخلص من خلال الدراسة التاريخية أن بني عامر وحميان من خلال التطور التاريخي أنهم حافظوا على نقاوة نسبهم إلى حد ما خلال فترة الدراسة، لأن هجرتهم كانت جماعية رفقة بني زغبة وبني هلال منذ نزوحهم من بلاد الشام والحجاز إلى صعيد مصر وإفريقية والمغرب، والغالب على الظن أنهم لم يختلطوا كثيرا بقبائل البربر سواء زناتة أو صنهاجة لأنهم كانوا ناجعة أي بدو رحل قلما يحدث الاختلاط والمصاهرة بينهم وبين القبائل البربرية، باستثناء البطون التي نزلت قرى بجاية، وأربما بعدما تمت العلاقات بينهم وسكان قصور بني عامر خلال العهد الزياني. ويشير ابن خلدون أيضا إلى التدرج في النسب، وعصبية كل نسب بالنسبة للنسب العام، وتكون عصبية النسب الخاص أشد إلحاما من النسب العام. مثل المعشر أو أهل بيت واحد، أو خوة من بني أب واحد (2) فمثلا عن حميان، حيث كانت السندان بالنسبة لحميان تشكل نسب خاص بالنسبة لذوي حسن، وكانت للسندان عصبية النسب الخاص بالنسبة لذوي حسن، ولكن العصبية الخاصة بالنسب الخاص تشارك العصبية الأخرى في النسب العام، مثل عصبية أولاد مهري وأولاد زيان وذوي حسن والوزانية بالنسبة للنسب العام حميان، وكانت المدافعة والتعاون تقع من أهل النسب الخاص، ومن أهل النسب العام، إلا أنها في النسب الخاص أشد لقرب اللحم، لماذا الاهتمام بالنسب أو كانت عصبية النسب عند بني عامر وحميان؟ لقد أوجب النظام القبلي الخاص أن يرتبط أفراد القبيلة بعضهم ببعض برباط النسب والعصبية الشديدة للقبيلة، وهي عصبية فرضتها الحياة في البادية، وأصبحت عندهم أساس المجتمع القبلي، وترتبط هذه العصبية أو الولاء.

(1) ينظر إلى المقدمة - ج 1 - ص 85 - د. حسن الساعني: علم الاجتماع الخلدوني - دار المعارف - مصر - 1971 - ص 182

(2) المقدمة - ج 1 - ص 85 - دة سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 38

أشد بمصالح ومنفعتاتها، وقد أصبح لها مدلول خلقي واجتماعي وسياسي وفلسفي، بحيث تركزت الحياة في البادية في جميع مناحيها على أسس قبلية، وتقيدت نظمهم الأخلاقية والأدبية والسياسية والاجتماعية بنظم هذه العصبية، وما تفرضه على الفرد والجماعة، وذابت المصلحة الفردية أمام مصلحة القبيلة، وترك للقبيلة مسؤولية الفرد أي تحقق للفرد مصلحته وحقه (1). وشبه ابن خلدون الأنساب بساق الشجرة، فهو الأصل والأغصان هي الفروع، فذكر أن "الأنساب تتشعب دائما فالرجل قد يكون له من الولد ثلاثة أو أربعة أو أكثر. ويكون لكل واحد منهم كذلك، وكل واحد منهم فرع ناشيء عن الأصل أو فرع، أو عن فرع فرع، فصارت مثل الأغصان للشجرة، وتكون على ساق واحدة هي أصلها، والفروع فروع أخرى إلى أن تنتهي إلى الغاية" (2). وقد ذهب كثير من الأئمة والفقهاء كالبخاري وابن اسحق والطبري إلى جواز الرفع في الأنساب، ولم يكرهوه محتجين بعمل السلف، فقد كان أبوبكر الصديق رضي الله عنه في علم النسب بالمقام الأرفع والجانب الأعلى، وهذا ما يبين أهمية علم الأنساب (3)، وقد اعترف بهذا العلم ابن عباس وجبير بن مطعم وعقيل بن أبي طالب، وكان من بعدهم ابن شهاب والزهري وابن سيرين وكثير من التابعين أما عرب الحواضر لا يولون أهمية للنسب، بسبب اختلاطهم بالعجم في الحواضر، بالإضافة إلى أن الحياة الاجتماعية في الحواضر تصبح معقدة، بسبب تشابك العلاقات الاجتماعية، ويحدث الاختلاط بين الأنساب بين العرب والعجم، والعجم لا يحافظون على النسب في بيوتهم (4).

(1) دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 38

(2) ابن خلدون: المقدمة ص - 85 - د. ألير نصري نادر: من مقدمة ابن خلدون - ط 2 - دار المشرق - بيروت 1986 - ص 28

(3) القلقشندي: نهاية الإرب - ص 250 - مونكرمي وات: البدو - ترجمة لجنة دائرة المعارف الإسلامية - إبراهيم خورشيد -

د. عبد الحميد يونس، حسن عثمان: - ط 1 - دار الكتاب اللبناني - بيروت - 1981 - ص 18

(4) ابن خلدون: المقدمة - ص 85 - ألير نصري نادر: من مقدمة ابن خلدون - ص 28

فاندثرت العصبية في الحواضر وبقيت في البدو(1). وفي موضع آخر يقول ابن خلدون: "...إذ النسب أمر وهمي لا حقيقة له ونفعه إنما هو في هذه الوصلة والالتحام، فإذا كان ظاهراً واضحاً حمل النفوس على طبيعتها من النعرة..."(2) إن النسب إذا خرج عن الوضوح، وصار من قبيل العلوم ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس(3). وانتفعت النعرة التي تحمل عليها العصبية لا منفعة فيه حينئذ(4). وإذا كان بنو عامر وحميان من عرب البدو والرحل، فما هو نسبهم وأصلهم من خلال ما ورد عن النسابة المؤرخين العرب؟ وإلى أي عرب تنتسب حميان وبنو عامر هل إلى العرب العاربة أو العرب المستعربة؟ هل إلى العرب العدنانية أم العرب القحطانية؟ يبدو أن بني عامر وحميان تنتسب إلى العرب المستعربة؛ لأن العرب العاربة التي قال عنها المؤرخون أنها انقرضت كعاد وثمود وجرهم وغيرها، بينما العرب المستعربة فيقال أنها من نسل عدنان بن سيدنا إسماعيل عليه السلام، وبالتالي فبنو عامر وحميان ربما تنتسب إلى عدنان.

خلاصة القول: إن النسب هو المعيار الحقيقي للتنظيمات الاجتماعية عند بدو حميان وبني عامر، بل يعتبر قيمة اجتماعية، لذا كان السلم الاجتماعي في البداية يعتمد على المعايير الاجتماعية فيها(5). وأنه أحد أسباب الألفة والتناصر، فحفظوا أنسابهم ليكونوا متطافرين به من حقوقهم، ومتناصرين على شاققتهم وعادهم؛ إنه تعاطف الأرحام الأقارب يعيشان على التناصر والألفة، ويمنعان من التخاذل والفرقة(6).

(1) المقدمة - ج 1 - ص 85

* تستعمل كلمة عرش عند بني عامر وحميان بدل القبيلة

(2) ينظر إلى: المقدمة - ص 86 - القلقشندي: نهاية الإرب - ص 250 - د. البيرنصري: من مقدمة ابن خلدون - ص 29

(3) المقدمة: ص 86 - القلقشندي: نهاية الإرب - ص 250 - د. البيرنصري: من مقدمة ابن خلدون - ص 29

(4) دة: سهير عبدالعزيز محمد يوسف: الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي - ص 74

(5) د. أحمد الخشاب: التفكير الاجتماعي - ص. ص 222-223

(6) نفسه: ص. ص 222-223

1-النسابة المؤرخون العرب:

أول من ذكر كلمة حميان أو حميدان من النسابة المؤرخين العرب هو عبدالرحمن بن خلدون في كتابه العبروديان المبتدأ والخبر بقوله "... حميان هو بن عقبة بن يزيد بن عيسى بن زغبة..." (1) (ينظر إلى الملاحق الجدول رقم 01 ص 444). وفي نسخ أخرى عبس بدلا من عيسى، وبالتالي فحميان هو إسم علم وليست كلمة مشتقة من فعل حمى، أو من الحماية أو الحمية، كما تعتقد بطون حميان. أما الحميان المعرفة فهم بطن من المجابلة من الصلته من شمر طوقة، ينقسم إلى الأفخاذ التالية: الرواضي السلامة الحليفة (2). إن كلمة حميان ليست مشكّلة، اختلف المؤرخون والباحثون في نطق كلمة حميان، فالبعض ينطقها بفتح الحاء وسكون الميم وفتح الباء، والبعض الآخر ينطقها بضم الحاء وفتح الميم، ولكن في لغة حميان تنطق بالحاء المفتوحة وتشديد الياء بينما تنطق كلمة حميان عند عبد القادر المشرفي بضم الحاء وتشديد الياء (3). ويبدو من خلال المصادر التاريخية أن المؤرخين تعرضوا إلى ذكر حميان وبني عامر في سياق الأحداث التاريخية التي وقعت في المغرب الأوسط. ولم يسبق للمؤرخين العرب القدماء أن تعرضوا إلى ذكر هذا الاسم وإنما كانت حميان تمثل بطنا من بطون بني يزيد بن زغبة بن هلال.

(1) ينظر إلى العبر: ج 6- ص 41- عند عبد القادر المشرفي: حميان قبيلة عظيمة بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهرا من الأعراب بني عامر- تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم- الجزائر 1943- ص 26- أحمد بن عبدالرحمن الشقراني الراشدي: القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط- تحقيق د. ناصر الدين سعيدتي- ط 1- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1991- ص 39. د. مصطفى أبو ضيف عمر: القبائل العربية- ص 225- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر- المطبعة العربية- الجزائر 1928- ص 130- عبدالرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام- ج 1- دار الثقافة- بيروت- 1980- ص 261 عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة- ج 1- ط 2- دار العلم للملايين- بيروت 1968- ص 303- ص 200

(2) عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب- ج 1- ص 303

(3) ينظر إلى بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهرا من الأعراب بني عامر- ص 26

أوفخذنا من أفخاذ زغبة وبالتالي فوجود حميان وبني عامر في المغرب الأوسط كان ضمن التزوح الجماعي لبني زغبة بن هلال من الحجاز والشام إلى المغرب الأوسط. يتفرع عن حميان بطون ذكرها ابن خلدون في كتابه العبر وهي ابن مهري، وأولاد زيان والوزانية، وذوي حسن الذي ينحدر منه بطن السندان* (1). وأشار النسابة المؤرخون والباحثون أن لعقبة إخوة، وهم جواب وبنوكرز وبنوموسى والمراعبة*، ومنهم حي كان ينتجع بضواحي تونس في أواخر القرن الثامن الهجري (2). ثم الخشنة* وبنوسعد وكانت لسعد بن مالك بن عبد القوي بن عبدالله بن مهدي بن يزيد بن زغبة. الرياسة، وشملت الظعون والحلول. وهم ثلاثة بطون بنوماض بن رزق بن سعد، وبنو منصور بن رزق بن سعد وبنو زغلي بن رزق بن سعد، وأولاد معافي وأولاد لاحق، ومعانس (3)،

(1) ينظر إلى: العبر: ج 6-ص 41-عبد القادر المشرفي: بهجة الناظر-ص 25-أحمد بن عبدالرحمان الشقراني: القول الأوسط-ص 39-مبارك بن محمد المليبي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج 2-ص 200-د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: القبائل العربية-ص 225-أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر-ص 38

*السندان: تفرع إلى: بني أغا وبني هزيل وأبي عزة وبني دحمان وبني رغيوة وبلخماي، وهم يشكلون النسب الحقيقي لحميان في المنطقة، انتقل أغلبهم من حياة البداوة والترحال، إلى حياة الحاضرة، وربما يعود سبب جهل حميان اليوم بطون حميان الأخرى إلى أن هذه البطون قد اندمجت في بطون بني يزيد، أو بني هلال نتيجة الاختلاط والمصاهرة، أو احتمالا استقرت بمنطقة حمزة والدهوس أو نزلت بقراها، ولم تهاجر إلى منطقة صحراء تلمسان رفقة بطن ذوي حسن، وأخذ تتعاطى الفلح بدل الرعي، وهذا ما حدث لكثير من بطون بني هلال، وتوجد عقلة تحمل اسم السندان، وهي عبارة عن مورد مائي، أو بئر يقع شرق المشرية، ويبعد عنها بنحو 6 كلم كانت السندان تستغله في جلب الماء، قصد الشرب، وفي شرب الغنم، وكان بمثابة المكان الذي يجمع أفراد بطن السندان. ويلاحظ أن حتى أماكن المورد كان تسمى باسم القبائل.

*المراعبة: يوجد بطن من بطون الرزانية يسمى بالمراعبة، وهو يستقر حاليا بالبيوض، التي تقع شمال المشرية، وتبعد بنحو ثلاثين كيلومتر، فاحتمالا أنه ينتمي إلى بني يزيد بن عيسى بن زغبة.

(2) العبر: ص 6-ص 40 - عبد القادر: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبانيين بوهرا من الأعراب بني عامر ص 26-د. مصطفى أبوضيف: المرجع السابق-ص 225-أحمد توفيق المدني: تاريخ الجزائر-ص 13 عمر رضا كحالة: معجم القبائل العربية القديمة ج 1 ص 303 رايح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته ط 3 دار الهدى عين مليلة 2000-ص 293

*يوجد بمنطقة بومرداس، مدينة تسمى بخميس الخشنة، ربما تسمى بهذا الفرع الذي ينتمي على بني يزيد

(3) العبر: ج 6-ص 41-عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام-ج 1-ص 261

وهم يزعمون أنهم من المهدي بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (1). وربما نسبهم آخرون إلى سلول في بني مرة بن صعصعة أخي عامر بن صعصعة*، ويقال أن سلولا وبني يزيد إخوة ويقال لهم جميعا أولاد فاطمة (2). وربما سمي هؤلاء بأولاد فاطمة لأنهم إخوة من الأم؛ لأن من طبيعة العربي أنه ينتسب لأبيه وليس لأمه، والنظام الاجتماعي الذي كان موجودا في المجتمع العربي هو النظام الأبوي، وليس النظام الأموي ولا يزال هذا التنظيم الاجتماعي يسود المجتمعات العربية لأن الانتساب والسلطة فيها للأب، لم يتعرض المؤرخون والباحثون إلى ذكر إخوة حميان، وإنما إلى إخوة أبيه عقبة، بينما أشاروا أن من بين إخوة يزيد عكرمة بن عيسى بن زغبة، وبالتالي فعكرمة يعد من بين أجداد حميان. وحسب ما جاء في العبر أنه يوجد فرع. من عكرمة* من بني يزيد نزل مع بني عامر بمنطقة السرسو في عهد إمارة بني زيان (3).

(1) العبر: ج 6 - ص 41 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر - ج 2 - ص 189 - عمر رضا كحالة: المرجع السابق - ج 1 - ص 708 - د. مصطفى أبوضيف: المرجع السابق - ص 22

* عامر بن صعصعة: بطن من هوازن بن قيس عيلان من العدنانية، وكانت منازلهم في الجاهلية كلهم بنجد، ثم نزلوا ناحية الطائف مجاورين لعدوان أصهارهم، فزلوا حولهم، وكانوا بذلك زمنا، ووقعت بين عدوان حرب، وتشتت أمرهم، فطمعت فيهم بنوعامر وأخرجتهم من الطائف، فكانت بنوعامر يتصفون الطائف لطيبها وثمارها، ويتشتون بلادهم من أرض نجد لسعتها وكثرة مراعيها ويختارونها على الطائف، وهناك عامر ومنهم بنو الأخضر، وهم يزعمون أنهم من ولد خضر بن عامر، وليس عامر بن صعصعة، ولعله عامر بن زيد بن مرداس من رياح، ورياستهم في أولاد تامر بن عامر بن تمام بن عمار بن رياح، وحالف بنو مري من منهم أولاد تامر بن عامر بن صالح بن عامر بن عطية بن تامر ومنهم زيادة بن تمام بن عمار ينظر إلى: العبر: ج 6 - ص 35 و 53، مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر - ج 2 - ص 163 - عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب - ج 2 - ص 708 - 709

(2) العبر: ج 6 - ص 41 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 189

* عكرمة: تستقر عكرمة حاليا بالمشربة وعين بن خليل، وقد تعرضت إلى التقسيم من طرف الاستعمار الفرنسي إلى: عكرمة الشراقة والغرابية، وكان يستهدف تفتيت العرش في إطار سياسية فرق تسد التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، تستقر عكرمة الشراقة بمنطقة البيض وأربوات والبحرة، وبلهجان، والغالب على الظن أنهم أبناء عمومة حميان.

(3) العبر: ج 6 - ص 52 - مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق - ج 2 - ص 189

وإذا كان أبو حميان يسمى عقبة*، فهناك أيضا بنو عقبة بطن من جذام ديارهم من الكرك إلى الأزلم من برية الحجاز، وعليهم درك الطريق ما بين مصر والمدينة إلى حدود غزة من بلاد الشام، وقال في مسالك الأنصار وعليهم درك الحجيج مصر من العقبة إلى الداما، وقال لهم وفرقة منهم بالحجاز من بني واصل بن عقبة. وقال في العبر وإفريقيا من بلاد المغرب منهم فرق كثيرة (1) فاحتمالا أن بني عقبة التي ذكرت في العبر لها صلة قرابة بحميان بن عقبة، رغم أن حميان كانت تمثل بطنا من بطون بني يزيد بن زغبة، إلا أن الرئاسة كانت في أولاد لاحق ثم انتقلت إلى أولاد معافي، ثم انتهت في بيت سعد بن مالك، وكان بنو سعد يمثلون مجرد فخذ وكانت رياستهم في بني زغلي (2). وكانت الرياسة لزيان بن زغلي، ثم انتقلت إلى أخيه ديفل، ثم تولى من بعدهم أخوهم أبي بكر، ثم انتقلت إلى ابنه ساسي (3)، ثم إلى ابنه معتوق بن أبي بكر، ثم تولى الرياسة موسى من بعدهم وهو ابن عمهم أبي الفضل بن زغلي ثم أحمد بن أبي الفضل. ثم لأخيهما علي ابن أبي الفضل. ثم انتقلت إلى أبي الليل بن أبي موسى ابن أبي الفضل وهو رئيسهم حتى أواخر القرن الثامن الهجري (4). لماذا كانت الرئاسة في أولاد معافي وأولاد لاحق وبني سعد، ولم تكن في حميان؟ ربما كانت حميان أضعف من البطون الأخرى؛ ولم تكن تملك من القوة والعصبية.

(1) القلقشندي: نهاية الإرب - ص 255 - أبو الفوز المعروف بالسويدي: سبائك الذهب لمعرفة قبائل العرب - ص 32

* يستقر حاليا بالنعامة بطن بزعم أنه ينتسب إلى حميان يسمى ببني عقبة، ومن المحتمل أنهم من عمومة حميان

(2) العبر: ج 6 - ص 66 - مبارك بن محمد المليي: المرجع السابق - ج 2 - ص 178

(3) العبر: ج 6 - ص 42 - د. مصطفى أبو ضيف عمر: القبائل العربية - ص 225 - عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب -

ص 422 - مبارك بن محمد المليي: تاريخ الجزائر - ج 2 - ص 163

(4) العبر: ج 6 - ص 41 - المليي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج 2 - ص 200 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل

العربية - ص 225 - عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب - ج 1 - ص 707 - محمد المليي: المرجع السابق ص 200 - د. مصطفى

أبو ضيف أحمد عمر: المرجع السابق ص 225

ما يجعلها تتولى رئاسة بني يزيد؛ لأن ابن خلدون يبين شروط الرئاسة "أن الرئاسة تكون بالغلبة فمن كانت عصبية أقوى من سائر العصبيات تمت له الرئاسة، وتنتقل من فرع إلى الفروع الأقوى منه" (1). ومن خصائص البدو العرب الصراع والتزاع على الرئاسة، وهذا الصراع هو الذي كان عاملاً من عوامل التي لم تسمح للبدو العرب أن يؤسسوا ملكاً (2)، بالإضافة إلى عدم انقياد العرب لنظام أو رئيس معين. يضيف ابن خلدون أنه ليس بالضرورة أن تكون الرئاسة بين بطون القبيلة الواحدة أو من نفس النسب، بل يمكن أن تكون من خارج القبيلة؛ أي يمكن لشخص جاء لاحقاً يطلب من قبيلة الحماية والنجدة، أن يصبح رئيساً لهذه القبيلة بالرغم أنه لا ينتمي لها بصلة الدم أو الرحم والرئاسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم (3). إذ قد يصادف أن يأخذ الدخيل اسم العصبية التي لجأ إليها والتصق بها، ويطمع في الرئاسة على قومها، رغم ما يقع فيه نفسه من القدح في رياسته (4). بينما أشار أحد الباحثين أن شروط الرئاسة في القبيلة العربية تتمثل في الشجاعة والكرم والحلم، أو قل أن الامتياز في هذه الصفات يفرض صاحبه ليكون سيداً للقبيلة، وقد يجيء لرئيس القبيلة بن يعد له الشرف والسؤدد، وحينئذ يستطيع أن يرث مكانة أبيه (5).

(1) ينظر إلى المقدمة ص 86 - د. ألير ناصر نادر: من مقدمة ابن خلدون - المرجع السابق - ص 28

(2) نفسه: ص 86 - د. ألير ناصر نادر: من مقدمة ابن خلدون - ص 28

(3) ابن خلدون: المقدمة - ص 87

(4) د. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - ج 1 - ط 6 - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - 1974 - ص 96-97

(5) د. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي - ج 1 - ص 96-97

* بنو عامر: تستقر بمكمن بن عمار والمشرية بعض بطون بني عامر بن شافع تحمل بعض أسماء بني عامر في عهد ابن خلدون ولكنها محرفة قليلاً، كحجاش إلى حجاج، وحجوش إلى حجوج، وكذلك لقب عبيد. ولكن يبدو أن المصادر الفرنسية قد وقعت في الخطأ. بحيث ذكرت حميان الشفاعة بدل من بني عامر الشفاعة. تستقر معظم بطون بني عامر خاصة بني يعقوب وبني حميد رفقة قسم من حميان بنواحي سيدي بلعباس ووهران.

وإذا تكررت رئاسة القبيلة في بيت من بيوتها، عرف هذا البيت بالجد والجاه(1). وكان من أحلاف بني يزيد التي تنتسب إليهم حميان، بني عامر بن زغبة من هم بنو عامر*؟ بنو عامر هم من بني زغبة، وكانت مواطنهم آخر مواطن زغبة بالمغرب الأوسط شرقا مع بني يزيد، وسيطروا معهم على بلاد حمزة للحصول على ميرتهم في الصيف بجانب أتائهم المتعارف عليها على بني يزيد(2). وحينما أراد يغمراسن أن يقاوم فساد المعقل، نقل بني عامر بجوار تلمسان ليتولوا ذلك، واستقروا هناك يرحلون إلى قفارها في الشتاء، ويعودون إلى التلول في الربيع والصيف(3) وكانت فيهم ثلاثة بطون بنو يعقوب بن عامر بنو حميد بن عامر وبنو شافع بن عامر، ومن بني شافع بنو شقارة وبنو مطرف، ولكل واحد من البطنين الأخيرين عمائر وأفخاذ(4)، ومن بني حميد بنو عبيد وبنو عقيل (العقلة) بن عبيد، وبنو محرز (المحارزة) بن حمزة بن عبيد، وتولوا رئاسة حميد وبنو حجاز بن عبيد (الحجز)، ومنهم حجوش وهجيش أو حجيش، ومن حجوش حامد ومحمد ورباب، ومن محمد بنو ولاد بن محمد (الولالدة) بنو عمر بن زيان بن مسعود بن شداد بن محمد(5)، ومن حامد بنو رباب المعروفون في القرن الثامن الهجري، والذين خلفوا علاق من المحارزة في رئاسة بني حميد بن عامر، ومن رباب بنو علي بن عثمان بن سلطان بن وانودين بن عبد الله بن رباب(6) (ينظر إلى الملاحق الجدول رقم 02 ص 447).

(1) العبر: ج 6-ص 52- عبد القادر المشرفي: بهجة الناظر-ص 26- عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب-ج 1-ص 707-

مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج 2 ص 178 د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: المرجع السابق-ص 225

(2) العبر: ج 6-ص 52 د. مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية في المغرب ص 225 مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم

والحديث ج 2 ص 200 أحمد توفيق المديني: كتاب الجزائر ص 130 عبد الرحمن الجليلي: تاريخ الجزائر العام ج 1-ص 261

(3) العبر: ج 6-ص 51- الميلي: المرجع السابق-ج 2-ص 165

(4) نفسه: ص 52- عبد القادر المشرفي: بهجة الناظر-ص 26- عمر رضا كحالة: قبائل العرب-ج 1-ص 707

(5) نفسه: ص 52- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر-ج 2-ص 178

(6) نفسه: ص 52- عمر رضا كحالة: قبائل العرب-ج 1-ص 708

لبنى يعقوب شيخ بني يعقوب وهوداود بن هلال بن عطف بن رداد بن ركيش بن عياد ابن منيع بن يعقوب، وكان من أشهر زعمائهم بمنافسة معرف بن سعيد بن رباب بن حامد بن هجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد، وكان ذلك في عهد يغمراسن بن زيان (1). بينما كان بنو حميد برئيسهم وشيوخهم رديفا*، ويصنف الحسن الوزاني المعروف بليون الإفريقي بني عامر كرهط من بني هلال ويقول "... أنهم كانوا مقيمين بتخوم مملكة تلمسان، ويرحلون إلى صحراء تيكورارين، ويستأجرهم ملك تلمسان، وهم ذوو شجاعة فائقة، وثروة طائلة وعددهم نحو ستة آلاف من أحسن الفرسان وأقواهم عتادا..." (2). بينما ذكر أحمد توفيق المدني بقوله: "... وأما بعمالة وهران فتستقربنو عامرو الزمول والدوائر أما بنو عامر بن شافع فبقيت مستقرة رفقة حميان بالهضاب العليا الغربية..." (3). (ينظر إلى الجدول رقم 02 ص 41) وإذا كانت حميان تنتسب إلى زغبة فمن هو زغبة؟ هو ابن أبي ربيعة بن نميك بن هلال* (4)، ولزغبة أبناء وهم عروة وعامر ومالك، وعيسى بدل يزيد وحصين، وقد نزلوا عند دخولهم إفريقية بنواحي طرابلس وقابس (5)، وعند دخولهم إلى المغرب الأوسط قاموا بتقسيمه فيما بينهم (6) وإذا كان لزغبة خمسة أبناء، فمعناه أن بطون وفصائل بني زغبة المستقرة بالمغرب الأوسط تمثل أبناء عمومة؛ لأنهم يشتركون في واحد وهو زغبة، وبالتالي فحميان هم أبناء عمومة بني عامر وبني حصين وبني مالك، وبني عروة. لقد أشار النسابة المؤرخون أن زغبة

* الرديف: معناه المساعد لرئيس القبيلة أو العرش، وعادة ما تستخدم هذه الكلمة عندما يريد شخصا ما ركوب الحصان أو الفرس، ويريد شخصا آخر الركوب معه فيقول له أردفني.

(1) العبر: ج 6 - ص 52 - مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق - ج 2 ص 200 د. مصطفى أبوضيف: المرجع السابق ص 225

(2) ينظر إلى: وصف إفريقية - ص 50

(3) ينظر إلى: كتاب الجزائر - ص 139

(4) العبر: ج 6 - ص 40 - عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام - ج 1 - ص 236

(5) نفسه: ص 40 - عبد القادر المشرفي: بهجة الناظر - ص 26

(6) نفسه: ص 40 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر - ج 2 - ص 179

هم إخوة رياح، وهم أبناء أبي ربيعة بن فھيك بن هلال بن عامر، ويزعمون أن عبد الله بكسر اللدال كان يجمعهم وكان عبد الله من أبناء هلال، ولعل انتساب زغبة ورياح إلى عبد الله ربما يعود إلى تكفل عبد الله بزغبة ورياح، وكثيراً ما يقع مثل هذا في أنساب العرب، بمعنى انتساب الأبناء لعمهم أو كافلهم (1). وإذا كانت حميان تنسب إلى زغبة، فهي بذلك كانت تشكل فخذاً من أفخاذ هلال، أو فصيلة من فصائل هلال أو رهطاً من بني هلال. فمن هو هلال*؟ هو ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن معد نزار بن عدنان (1)، وبنو عامر يقال لهم الأحامس، وقد وصفهم دغفل النسابة فقال: أعناق ظباء وأعجاز نساء، ويجهل لماذا نعتهم دغفل النسابة بهذا الاسم (2). وينقسمون إلى أربعة أفخاذ خمير وربيعه وسواة وهلال (3).

* حسب ما جاء عن النسابة العرب القدماء، لا يوجد اسم واحد لهلال، وإنما هناك أسماء لقبائل تسمى بهلال، منها هلال من عشائر شرق الأردن، موقعها الجنية والبويضة بلواء السلط، وهلال قبيلة تمتد منازلها من حدود ربيعة التهم، وأهل حلي ومحايل إلى قرب البرك على ساحل البحر، وتنقسم إلى الأفخاذ التالية: أهل البرك والأخرش وأل مسجر، وأل أم جمعة، ثم هلال فرقة تعرف بأبي هلال من أبي ليل بدير الزور إحدى محافظات سوريا، وهلال بطن يعرف ببوهلال من الحمد لله من عشيرة القراغول الملحقة بالصلته من شمر طوقه، والهلال فرع من العريف من الصمدة من عشيرة الظفي التي تنتقل في منطقتي الدبدبة والحجرة. ينظر إلى: عمر رضا كحالة: المرجع السابق - ج 3 - ص 1220-1221

(1) ابن الكلبي: جبهة أنساب العرب - بغداد - 1959 - ص 120 - العبر: ج 6 - ص 41 - ابن حزم: جبهة أنساب العرب - تحقيق

وتعليق عبد السلام محمد هارون - ط 3 - دار المعارف - مصر - 1971 - ص 273

(2) ابن الكلبي: جبهة أنساب العرب - ص 120 العبر: ج 4 - ص 62 - ابن حزم: جبهة الأنساب - ص 273 - القلقشندي: نهاية

الإرب - ص 272 - التويري: نهاية الإرب في فنون الأدب - ج 2 - دار الكتب القاهرة - 1954 - أبو الفوز المعروف

بالسويدي: سبائك الذهب - ص 33 - العبر: ج 6 - مؤسسة جمال للطباعة والنشر - 1979 - ص 02-03 - د. روزلين ليلي

قريش: سيرة بنو هلال - ج 1 - سلسلة أدبية تحت إشراف محمد بلقايد - موفم للنشر - الجزائر - 1988 - ص 01

(3) العبر: ج 6 - ص 40 - أبو الفوز المعروف بالسويدي: سبائك الذهب - ص 32 - ابن حزم: جبهة الأنساب - ص 273 - عمر

رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة - ج 1 - ص 70



ومن ولد هلال بن عامر بن صعصعة شعثة أو شعبة، ومن ولده بنو عبد الله. وربما هو عبد الله الذي ذكره ابن الكلبي وابن حزم وابن خلدون، الذي كان يكفل زغبة ورياح، ثم ناشرة بن هلال ومن ولده بنو عمر وظالم (1)، ثم عبد مناف ومن ولده مسعر بن كدام الفقيه وأم المؤمنين زينب بنت خزيمة، والزال بن صحبة له صحبة وحيد بن ثور الأرقط الشاعر، ثم فهيك بن هلال (2)، ومن بني فهيك قبيصة بن المخارق بن عبد الله بن شداد ابن معاوية بن أبي ربيعة بن فهيك بن هلال له صحبة ورواية، وابنه قطن بن قبيصة، وأبو جامع بن المخرق بن عبد الله بن شداد، ومن ولد عبد الله بن هلال أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هزم بن رؤيبة بن عبد الله بن هلال، ولبابة الصغرى أم عبد الله ابن العباس ولبابة الكبرى أم خالد ابن الوليد (3)، وهي بنت الحارث بن حزن رضي الله عنهما، وصفية بنت حزن أخت الحارث بن حزن عمة أم المؤمنين ميمونة، وهي أم أبي سفيان بن حرب بن أمية (4). ومن بطون بني هلال حسب ما ذكره ابن حزم هم: بنو فروة بنو بعة، الذين كانوا مستقرين بين مصر وإفريقية، وبنو حرب الذين كانوا مستقرين بالحجاز وبنو رياح الذين أفسدوا إفريقية (5)، بينما ذكر بعض النسابة والمؤرخين العرب أن بطون بني هلال

(1) ابن حزم: جهرة الأنساب - ص 273 - عمر رضا كحالة: معجم القبائل - ج 1 - ص 708

(2) ابن الكلبي: جهرة أنساب العرب - ص 121 - ابن حزم: جهرة الأنساب: ص 273 - عمر رضا كحالة: معجم القبائل - ج 1 - ص 707 - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولة المرابطية والموحدية) -

تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري - مطبعة دار الكتاب - الدار البيضاء - 1954 - ص 163

(3) ينظر إلى جهرة أنساب العرب: ص 275 - مؤلف مجهول: القبائل العربية - ج 1 - موقع

أنترنت: <http://www.bawazir.com/arab-tribes-1.htm.p.03>

(4) العبر: ج 6 - ص 40 - ابن الأثير: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان - تقديم وتحقيق هاني سلامة - ط 1 - مكتبة الثقافة

الدينية للنشر والتوزيع، بورسعيد 2001 - ص 05 - محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين، ط 1 - القاهرة، 1964 - ص 297 - عمر رضا كحالة: معجم قبائل القديمة والحديثة - ج 1 - ص 707.

(5) عبد الله بن علي بن حميد: الجزيرة العربية قديما - مقالة - مجلة الإمامة - العدد 7 - السعودية - 1967 - ص 08 أحمد حسن

الزيات: العرب ومواطنهم وطبقاتهم وقبائلهم المشهورة - ط 6 - دار المعرفة - بيروت - 2000 - ص 16.

هم زغبة ورياح والأثبج وجشم وربيعه، والبعض الآخر أضاف عدي، ومن أحلافهم المعقل والخلط وسفیان في حين أشار بعض الباحثين أن بني هلال ينقسمون إلى الأثبج وجشم ورياح وزغبة، أما القبائل التابعة لها وهي المعقل وعدي (1). يطلق ابن خلدون على عرب بني هلال التي نزلت إلى بلاد المغرب بالعرب المستعجمة، بسبب أنها فقدت اللسان العربي الفصيح نتيجة اختلاطها ببربرناتة وصنهاجة (2)، ويرى كثير من النسابة المؤرخين في نسب بني هلال على قوم أبي زيد الهلالي الفارس المعروف في الأدب الشعبي، وهناك من ادعى الاختلاف في نسب بني هلال فمنهم من أقر انتسابهم إلى هلال بن عامر من منطلق الناس مأمونون على أنسابهم (3)، وإن لكل شيء أصلاً نشأ منه، بمعنى أن إدعاء بني هلال أنهم من هلال بن عامر، لا بد أن يكون له مستند يعتمد عليه. وجرت العادة أن العرب متعصبون لأنسابهم؛ إلا أن هناك من نفى صحة هذا النسب واعتبر أن ذلك مجرد تشابه في الأسماء (4)، وهناك آراء لبعض الباحثين حول نسب بني هلال تذهب إلى أن نسب بني هلال يعود إلى هلال بن عامر غير واحد، وقد استند هؤلاء الباحثون أن هذا النسب توارثه بنو هلال خلفاً عن سلف، وأنهم من بني هلال بن عامر، وأن لهم بقايا اليوم تسكن في البرك والمناطق المحيطة به، وهي قبيلة كبيرة منها الحاضرة والبادية (5). وقد راجع أحمد الجاسر نسب بني هلال وقال: "...إن نسب الهلاليين حقيقي، ومجرد الجزم يبين له أن المنطقة التي يسكنها الهلاليون تدل اليوم على مدى توافقهم (6)

(1) عبدالله بن علي بن حميد: الجزيرة العربية - ص 08 - أحمد حسن الزيات: العرب ومواطنهم - ص 16

(2) ينظر إلى العبر: ج 6 - ص 13

(3) أحمد الجاسر: أنساب العرب - مقالة - مجلة اليمامة - العدد 7 - السعودية - 1967 - ص 27 - عبدالله بن علي بن

حميد: الجزيرة العربية - ص 08 - عمر رضا كحالة: معجم القبائل - ج 3 - ص 1220 1221

(4) عبدالله بن علي: الجزيرة العربية - ص 08 - أحمد الجاسر: أنساب العرب - ص 27

(5) نفسه: ص 08 - أحمد الجاسر: أنساب العرب - ص 27

(6) ينظر إلى: أنساب العرب - ص 27

الاجتماعي والحضاري، بداية من شبه الجزيرة العربية ونهاية بالمغرب العربي..."(1). يبدو أن اسم هلال ليس مقتصرًا على هلال بن عامر، وذكر الباحثون أن مجرد الجزم بخلو الجزيرة من بني هلال أمر توعزه الدقة إذ أن بني هلال لا يزالون يسكنون منطقة واسعة(2)، في تهامة في سواحل البحر الأحمر، والشرق في جبال الحجاز ومن بطونهم آل يحيى و آل مقاري وآل جابر، وآل علي(3). إن قبائل بني هلال كانت تسكن في الجاهلية، وكذلك في صدر الإسلام بمكة ونواحيها، ويروي مؤرخو العرب أنهم كانوا نازلين في الحجاز فكانت توجد اثنتا عشر دارًا لهم هنالك، وأن الغالب منهم على نواحي مكة(4)، فهناك أودية عرفت بأنها لهم مثل وادي جلدان في شرقي الطائف، ثم أسفل وادي تربة وكذلك ببشة أو بيصة وظهر تبالة على محجة اليمن من مكة، فأول موطن بني هلال عرف عبر التاريخ هو نجد الحجاز، أو كما يسميه الهلاليون بأنفسهم في سيرتهم نجد العديّة(5). لقد أطلق النسابون المؤرخون على العرب اسم الساميين نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام، وقسموا العرب إلى عرب عاربة بائدة، وعرب مستعربة باقية، فقالوا: العرب العاربة هم العرب الأولى الذين فهمهم الله سبحانه وتعالى اللغة العربية ابتداءً، فتكلموا بها فقليل لهم عاربة، أو بمعنى الراسخة في العروبية، أو بمعنى الفاعلة للعروبية والمبدعة لها، لما كانت أول من تكلم بها(6).

(1) ينظر إلى أنساب العرب -ص 27

(2) نفسه: ص 27 - أحمد حسن الزيات: العرب ومواطنهم وطبقاتهم -ص 16

(3) أبو الفوز المعروف بالسويدي: سبائك الذهب -ص 31 - أحمد الجاسر: أنساب العرب -ص 27 - أحمد حسن الزيات: المرجع السابق -ص 16

(4) أحمد الجاسر: أنساب العرب -ص 27 - أحمد حسن الزيات: المرجع السابق -ص 17 - د. رزولين ليلي قريش: سيرة بني هلال - ج 1 -ص 02

(5) عبد الله بن علي: الجزيرة العربية -ص 08

(6) أبو الفوز المعروف بالسويدي: سبائك الذهب -ص 33 - أحمد حسن الزيات: المرجع السابق -ص 16

ونقلا عن الجوهري الذي قال: وقد يقال فيهم العرب العرباء والمستعربة الداخلون في العروبية من بعد العجمية، وهم بنوقحطان بن عابر بن إسماعيل عليه السلام (1)؛ لأن لغة عابر وإسماعيل كانت أعجمية إما سريانية أو عبرانية (2)، فتعلم بنوقحطان العربية من العاربة ممن كان في زمنهم، وتعلم بنوإسماعيل العربية من جرهم ومن بني قحطان حين نزلوا عليه وعلى أمه بمكة (3). فالعرب المستعربة هم بنوإسماعيل عليه السلام الذي نزل بالحجاز حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ثم صاهر ملوك جرهم فكان له بنون وأعقاب، فلم يعرف لهم التاريخ منهم على التحقيق إلا عدنان، وإليه ينتهي عمود النسب العربي الصحيح (4)، وفي هذا الشأن ذكر الحسن الوزان "... أن حكيما وهلالا من عرب نجد وينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ويعتبر المسلمون آل إسماعيل أشرف من السبئيين، ولذلك فإنه لما كانت القبائل لا تنقطع عن التنافر ونظم شعراء كل فريق قصائد منافرة يذكرون فيها مفاخر قومهم وفضائلهم وأمجادهم..." (5). وأما الذين جاءوا إلى إفريقية فيدعون بالعرب المستعجمة. أو العرب المتبربرة؛ لأن لغتهم فسدت مع طول الزمن لمساكتهم أمة أجنبية فأصبحوا برابرة (6). ومن أشهر القبائل العدنانية ربيعة ومضر ومن مضر تشعبت قيس عيلان (7)

(1) أبو الفوز: سبائك الذهب - ص 33 - أحمد حسن الزيات: العرب ومواطنهم - ص 42

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ - ج 2 - ط 6 - دار صادر - بيروت - 1995 - ص 32

أحمد حسن الزيات: العرب ومواطنهم - ص 42 -

(3) أحمد حسن الزيات: العرب ومواطنهم - ص 42 - أبو الفوز البغدادي: سبائك الذهب - ص 33

(4) ينظر إلى: وصف إفريقية - ص 57

(5) نفسه: ص 57 السلاوي: الاستقصا ج 2 - ص 16

(6) أبو الفوز المعروف بالسويدي: سبائك الذهب - ص 31 - 32 -

(7) مؤلف مجهول: قبائل بني هلال من حضرموت إلى نجد ثم فلسطين ثم المغرب العربي - من موقع

أنترنت: <http://www.Hdramut.net/vb/showthread.php.p02> - أحمد الجاسر: أنساب العرب -

ص 27 - القبائل العربية - من موقع الأنترنت: فوازير (bawazir) - ص 03

ومن أشهر بطونها هوازن*، التي تنتسب إليها حميان وبنو عامر وبطونها. والغالب على الظن أن يكون لحميان وبنو عامر امتدادات إثنية في شبه الجزيرة العربية. ومن خلال امتداد نسب حميان وبنو عامر وبطونها إلى عدنان، فمعنى ذلك أن حميان وبنو عامر تنتسب إلى عرب بني هلال العدنانية، وبالتالي فهي من العرب المستعربة، وليست العرب العاربة. بينما تشير بعض الدراسات التاريخية أن هناك قبائل هلالية ليست عدنانية، وإنما قحطانية تسكن حضرموت، وهي بطن من مذحج، وبالتحديد من النخع(1)، والنخع ومذحج هما من قبائل شبة التاريخية، وليست لها علاقة بهجرة بني هلال العدنانية(2)، وكان بين مذحج وبين بنو هلال حلف، وكان قدومهم إلى هينين في القرن الرابع أو الخامس الهجري(3)، وكانت هينين قبل ذلك لتجيب من كندة، وأما انتساب بعض أهل المغرب الإسلامي لقبيلة حضرموت، فهذه هجرات قديمة إلى المغرب إبان الفتوحات الإسلامية ولا علاقة بين تسمية الحضرمي في المغرب ووجود بني هلال(4)، وأنه لا يثبت تاريخياً أية هجرة لبني هلال من حضرموت إلى المغرب(5). وإذا كانت مضر من عدنان.

*هوازن: يجمع المؤرخون وأصحاب المعاجم أن هوازن من أعظم القبائل العربية، وأكثرها خطراً في الجزيرة العربية، فهي تنتسب إلى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهوازن أجنحة كثيرة جداً، ومن أهم هذه الأجنحة ثقيل سكان الطائف وما حولها، وكعب وكراب، وبنو هلال وبنو عامر بن صعصعة، وبنو جشم وبنو نصر، وتجمع هوازن أجرام رئيسية ثلاثة كلهم لبكر بن هوازن وهم: بنو سعد بن بكر، وبنو معاوية بن بكر، وبنو منبه بن بكر، وهوازن من حيث القوة والعدد يضاهون قبائل غطفان النجدية الشهيرة التي حاربت الرسول (صلى الله عليه وسلم) في عدة مواطن، وحاصرت المدينة مع قريش عام الأحزاب، أما مواطن هوازن فهم يحتلون مساحات شاسعة في الجزيرة العربية. ينظر إلى: محمد أحمد باشميل: غزوة حنين - ط3 - دار الفكر للطباعة - بيروت - 1983 - ص. ص 41-42

(1) مؤلف مجهول: القبائل العربية - ص 03

(2) أبو القوز المعروف بالسويدي: سبائك الذهب - ص 33

(3) مؤلف مجهول: القبائل العربية - ص 03

(4) أحمد حسن الزيات: العرب ومواطنهم - ص 42

(5) مؤلف مجهول: القبائل العربية - ص 03

فإن حميان وبنو عامر إذا تنتسب إلى العرب المستعربة، وبالتالي فهي من عرب شمال الجزيرة، التي لم يظهر لها مجد ذوبال إلا في ظل الإسلام، وكانت العرب المستعربة تكون بدو الجزيرة(1)، وفي هذا الشأن تقول روزلين ليلي قريش "...وأنساب بنو هلال طويلة، تشهد بأنهم ينحدرون من عدنان جد القبائل العربية الساكنة شمال جزيرة العرب في غابر الزمان والتميزة عن القبائل القحطانية في جنوبها، وذلك منذ بدء تاريخ الحضارة العربية..."(2) ويقال من أخلاق بني هلال أن معارفهم هي معارف الجاهلية من عناية بالأنساب(3)، ويبدو أن حميان وبنو عامر قد ورثوا رابطة النسب عن أسلافهم عرب بني هلال، لأن النظام القبلي الخاص بالبدواة أوجب أن يرتبط أفراد القبيلة بعضهم بعض برباط النسب والعصبية الشديدة للقبيلة(4)، والعرب في الجاهلية كان لهم فريد اعتناء بضبط النسب ومعرفته بأنه أحد أسباب الألفة والتناصر، وهم كانوا أحوج شيء إلى ذلك حيث كانوا قبائل متفرقين وأحزابا مختلفين لم يوجد من يقهرهم ويكف الأذى عنهم فحفظوا أنسابهم ليكونوا متظافرين به من حقوقهم(5)، وعندما احتل الاستعمار الفرنسي الجزائر ولأغراض استعمارية بحتة، انكب ضباط مكاتب الشؤون العربية على تدوين تاريخ حميان وبنو عامر، وحاولوا تحديد نسب وأصل حميان وبنو عامر معتمدين على المصادر التاريخية العربية، وعلى مادونه النسابة والمؤرخين، وعلى المصادر الشفاهية التي ساهم فيها الشيوخ وكبار السن والقياد والمتعاونين مع الاحتلال الفرنسي.

(1) د. أحمد شلبي: نفس المرجع السابق - ص 93

(2) ينظر إلى سيرة بني هلال - ج 1 - ص 1 - ص 2

(3) نفسه: ص 93 - مبارك بن محمد المليي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 188 - أحمد توفيق المدني: المرجع السابق -

ص 138

(4) دة سهير عبدالعزيز محمد يوسف: الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي - 38

(5) د. أحمد الحشاش: التفكير الاجتماعي - ص 222

ب- كتابات ضباط شؤون المكاتب العربية:

في سنة 1837م أنشأت وزارة الحربية الفرنسية لجنة باسم اكتشاف الجزائر العلمي، وقد قامت بنشر دراسات هامة في التاريخ وعلم السلالات، وكذلك قام العديد من الأفراد ببحثون وينشرون أعمالهم في التاريخ المحلي، وعن اللهجات والطرق والنظم وطبائع السكان والزوايا والحياة القبلية والمدن (1). وبعد أن توجت انتصارات المارشال بوجو (Bugeaud) على القوات المغربية في موقعة إيسلي بالحدود المغربية خلال صيف 1844م (2)، بمعاهدة طنجة في 10 سبتمبر 1844م (3) التي نصت على محاصرة ثورة الأمير عبد القادر بالحدود الجزائرية المغربية غربا، والقضاء عليها ثم بعد ذلك إنهاء الخلاف المغربي الفرنسي، فكانت نتيجة الخلاف التوقيع على معاهدة للامغنية بين الدولة الفرنسية والمملكة المغربية لرسم الحدود بين الدولتين في 18 مارس/ 1845م، وبموجب هذه المعاهدة رسمت الحدود بينهما، وحدد معها مصير بعض القبائل المتاخمة أو المنتشرة على خط الحدود، ومن بينها قبيلة حميان وأولاد سيدي الشيخ (4). ونصت المعاهدة كذلك على أن الشرط الرابع أن الحدود هي مرعى فقط لعرب الإيالتين التي تزل فيها وتنفع بخصبها ومائها، ولكلا السلطتين الحق في التصرف في رعيته كيف ماشاء من غير معارض. وإلا فمن أراد إحداث أمر في رعيته حالة اختلاطها برعية غيره، فليكلف عن غير رعيته، ويحدث في رعيته ما يشاء، فالأعراب الغربية هم المهاية وبنو غيل.

(1) د. أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر - القسم الأول - ط2 - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1981 - ص14

(2) Fery: Bugeaud d'Isly; lettres inédites du Maréchal Bugeaud. Duc d'isly 1809-1849; paris; 1922; pp.276-283

(3) د. إبراهيم مياسي: من تاريخ أولاد سيدي الشيخ (الثورة الأولى 1864م/ 1881م) - مقالة، مجلة الثقافة، العدد 114 - الجزائر 1997، ص118

(4) د. إبراهيم مياسي: من تاريخ أولاد سيدي الشيخ - ص118 - د. يحيى بوعزيز: ثورات الجزائر - ج1 - ص180

وأولاد سيد الشيخ الغرابية، وعمور الصحراء وحميان الجنبية، أما الأعراب الشرقية هم أولاد سيد الشيخ وكافة حميان من غير حميان الجنبية(1)، ويبدو أن من نص المعاهدة أن فرنسا كانت تريد الحد من تحركات حميان وترحالها في اتجاه المغرب الأقصى حتى لا تشكل خطراً يهدد أمنها في الجزائر، وفي نفس الوقت إقحام ودفع حميان إلى الدخول في نزاع بينها والقبائل المغربية المجاورة لها، ولم يكن الغرض من هذه المعاهدة هو تنظيم حميان كما كانت تدعى في تقاريرها الرسمية، وإنما كان هدفها هو التحكم في قبيلة حميان، أو تفكيكها إلى أجزاء متناحرة، ولم تستثن هذه المعاهدة كذلك القصور المتاخمة للحدود المغربية، بل شملت القصور الداخلية الواقعة في التراب الجزائري حيث جاء في نصها أن قصور فقيق وسفيسفة وعين الصفراء، وتيوت ومغراور وبوسمغون والشلالة، هي قصور تابعة للدولة الفرنسية(2). وبعد أن حلت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال كفيناك ورونو بمنطقة الهضاب العليا الغربية في أبريل سنة 1847م(3) في مهمة استطلاعية، قررت فرنسا الاستعمارية إحتلال الصحراء الجزائرية؛ لأن الهضاب العليا الغربية الجزائرية في نظر الإستراتيجية الفرنسية هي بوابة الصحراء التي تسمح بالاحتلال الكامل للجزائر وبالتالي ربط الجزائر بمستعمراتها التي تقع في جنوب الصحراء الكبرى، وهي الدول الإفريقية. الواقعة في غرب ووسط إفريقيا كالسنغال ومالي والنيجر وتشاد(4).

(1) د. إبراهيم مياسي: تاريخ أولاد سيد الشيخ - ص 118 - د. يحي بو عزيز: ثورات الجزائر - ج 1 - ص 288 - د. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900م) - ج 1 - ط 1 - دار الغرب الإسلامي - بيروت - 2000 - ص 155 -

E.Graulle(c) : l'insurrection de bouamama ;
Avril 1881-paris-1905-pp05-09

(2) د. إبراهيم مياسي: تاريخ أولاد سيد الشيخ - ص 118

Noël: Documents pour servir à l'histoire de hamyans et la région (3)
qui'ils occupent bsgo;t35;1915-1916;p134

(4) د. إبراهيم مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881م 1912م) - مطبعة الرويبة - الجزائر -

1996 - ص 33 - د. يحي بو عزيز: ثورات الجزائر - ج 1 - ص 278

لقد جاء في المراسلات الرسمية الفرنسية أن قبيلة حميان تستقر بمنطقة المشرية، تتميز بكثيرة العدد وتنقسم إلى قسمين: حميان الغرابية وهي الشفاعة، والرزاينة* وحميان الشراقة وهي الطرافي التي تستقر بمنطقة البيض. كما نصت هذه المراسلات على أن تقسيم حميان يعد ضرورة ملحة فرضتها الظروف السياسية والإستراتيجية(1). ولمعرفة واقع حميان وظروف معيشتها جندت فرنسا لهذا الغرض مجموعة من ضباط الاستطلاع والاستكشاف* من أجل كتابة تقارير مفصلة عن قبائل منطقة الهضاب العليا الغربية الجزائرية، وأطلقت فرنسا على هذه المنطقة تسمية الجنوب الوهراني(2) والغالب على الظن أن الغرض من هذه التقارير لم يكن من أجل كتابة تاريخ قبائل المنطقة كتابة علمية، وإنما كان هدف الإدارة الفرنسية ووزارة الحربية الوقوف على مواطن ضعف وقوة هذه القبائل في تنظيمها الاجتماعي والاقتصادي، والتعرف كذلك على عاداتها وتقاليدها ولهجاتها ونمط معيشتها ومعتقداتها، ثم علاقات القبائل فيما بينها، وذلك من أجل وضع مخطط لاختراقها. يستنتج من خلال تقارير الإدارة الفرنسية، أن فرنسا كانت تنوي احتلال الهضاب العليا الغربية حيث جاء في هذه التقارير أنه لمن الضروري أن تكون المعلومات والتي سبقت، وربما كان نوال (Noël) يقصد المعلومات المتعلقة بقبيلة حميان، التي كان يعرفها الجنرال دولاري (De la rue) المكلف بالتفاوض في سنة 1845م حول الاتفاق القاضي بتشييت الحدود(3)، ولكن يضيف نوال أن دولاري انتقل في ظروف غير مشجعة، ومع ذلك نجح في مهمته، وكان إطلاعه على الوثائق الخاصة بقبيلة حميان ضعيفا مما جعله يتعرض لصعوبات

* لم تكن قبيلة الرزاينة مستقرة بمنطقة المشرية سنة 1847م، وإنما نزحت إليها ابتداء من سنة 1906م

(1) د. إبراهيم مياي: توسع الإستعمار الفرنسي - ص 33

(2) Noël :op.cit.p134

* من بين ضباط الاستطلاع الفرنسي الذين ألفوا كتباً عن حميان أو جان دوما في مؤلفه الصحراء الجزائرية

(3) Djillali sari:op.cit.p24

خاصة فيما يتعلق بموضوع صلاحيات فرنسا على مجموع حميان الغرابة، وفي الوقت الذي طالبت فيه السلطات المغربية بضم حميان الجنبية، حدث سوء التفاهم بين فرنسا والمغرب حول مصير حميان خاصة بطونها المتخامة للحدود المغربية الجزائرية (1) كتب الجنرال لامورسير (Lamoricière) تقريراً إلى وزارة الحربية الفرنسية في 04/01/1846م دون أن يميز بين حميان الشفاعة والجنبية بقوله: "...إن قبيلة حميان لم تخضع لنا ولكنها قبيلة جزائرية، ولم ننوي بعد إحتلال الهضاب العليا في الوقت الراهن، ورغم التوقيع على معاهدة لالا مغنية، إلا أن ذلك كان في حدود الضيافة، ومن أجل تحديد قبائل الجنوب التي من حقنا أن ندافع عنها كون أنها جزائرية، وليس الاعتراف بها كقبائل مغربية..." (2). والسبب الذي دفع لامورسير أن يكتب هذا التقرير وذلك بناء على المعلومات التي قدمها أعيان الأهالي مثل قايد تلمسان حمدي كسال وأغا جبل الغرب العربي بن عبد الله، ومن السهل على المفاوضين المغاربة تضليل وبنية حسنة المفاوضين الفرنسيين (3) ويلاحظ أن تقرير لامورسير قد شمل حميان الشفاعة والجنبية معاً دون تمييز، واعتبرها قبيلة جزائرية وليست مغربية (4)، وربما كان هدف فرنسا من هذا التقرير هو ضم قبيلة حميان لغرض اقتصادي وسياسي. وكذلك استغلال وضع حميان على الحدود الجزائرية المغربية كورقة ضغط ضد المغرب الأقصى، والحد من تعاون حميان مع الأمير عبد القادر. لقد تعرضت معاهدة لالا مغنية إلى أن حميان الجنبية تبقى تابعة للمغرب الأقصى، بينما تبقى حميان الشفاعة تبقى تحت سلطة فرنسا. وربما قد يحدث هذا التمييز وضعاً صعباً.

Noël:op.cit.p194(1)

Ibid:p195(2)

Noël:op.Cit: p195(3)

Ibid :p195 (4)

وفي الواقع فإن المادة السابعة من المعاهدة تعتبر مادة مهدئة(1)، وفرنسا على استعداد لتقبل أي عدد من حميان الجنبية، إن الدولة المجاورة قد اعتدت على السلطة الفرنسية، ويستهدف هذا التحفظ خاصة حميان الجنبية، وفي هذا الأمر كتب الجنرال بليسيه (Pélissier) "...إن معاهدة 1845م قد تركت في المناطق الصحراوية عدة خروقات، فحميان الجنبية هم فرع من حميان الغرابة، تحل بالمغرب وفي نفس الوقت تخيم بالجزائر، وكانت حميان الشفاعة تقوم بالتموين من الشرق؛ أي من الجزائر في العهد التركي، وكذلك في عهد الأمير عبد القادر، وكانت حميان الشفاعة تدفع الزكاة للجزائر الضريبة لتلمسان..."(2). يستنتج من نص بليسيه أن معاهدة 1845م حاولت أن تتغاضى عن حميان على أساس أنها قبيلة جزائرية. وقد جاء بليسيه بأدلة تاريخية يريد من خلالها يؤكد أن حميان قبيلة ليست مغربية وإنما هي جزائرية، كلفت الإدارة الاستعمارية الفرنسية ضباط المكاتب الشؤون العربية بكتابة تاريخ حميان وكل ما يتعلق بثقافتها الشعبية، ووضعها السياسي والاجتماعي والاقتصادي؛ لأن فرنسا كانت تدرك وزن حميان السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المنطقة، فكانت حميان من بين القبائل الثلاثة الكبيرة التي كانت تؤثر سياسيا واقتصاديا في منطقة الهضاب العليا الغربية الجزائرية(3)، ومن بين الضباط الفرنسيين الذين كتبوا عن قبيلة حميان نوال (Noël)* الذي قام بدراسة مونوغرافية، معتمدا في كتاباته على المصادر التاريخية العربية

(1) Noël :op.cit.p1985

(2) Ibid:p195

(3) Djillali sari:op.Cit.p24- Noël: op.cit.p13

* نوال (Noël): كان ضابطا في الجيش الفرنسي برتبة نقيب، كان يشغل منصب قائد مكتب الشؤون العربية بسببدو، وكلف بكتابة تاريخ حميان، أن قبيلة حميان كان مجالها الجغرافي يتجاوز حدود الجزائر، إلى الأراضي المغربية، وقد استعان حسب قول نوال في كتاباته بالقياد، وشيوخ قبيلة حميان، وعلى المصادر التاريخية، وقد تناول نوال هذه المعلومات في كتابه، ينظر

إلى: Documents p138

والمصادر الشفاهية، وكذلك الضباط الفرنسيين الذين توافدوا على المنطقة خاصة بعد ثورة أولاد سيد الشيخ سنة 1864م وثورة الشيخ بوعمامة سنة 1881م. وذكر في كتابه أن بني هلال ينقسمون إلى خمسة فروع: الاثنج وجشم ورياح وزغبة والمعل، وقال: "...إن حميان تنتسب إلى بني يزيد بن عبس بن زغبة..." (1). التي تشكل الفرع والعائلة الكبيرة من بين فروع زغبة، وأشار نوال في كتابه أنه اقتبس هذه المعلومات من مصدر ابن خلدون، واستعان كذلك بمحمد أبوراس بن أحمد بن عبد القادر الناصري صاحب كتاب أخبار تاريخية عن إفريقية الشمالية، وكذلك على كتاب أوجان دوما (E. Daumas) الذي يحمل عنوان الصحراء الجزائرية، وعلى فليكس جاكو (Jacquot Félix) وثرولي (Trumelet)، وغيرهم من الضباط سنة 1881م. وعلى المراسلات الرسمية. ورغم أن كتابات وتقارير ضباط مكتب الشؤون العربية* كانت تهدف إلى تحقيق أغراض استعمارية وكانت في مجملها كتابات وصفية، تتقي ما يخدم السياسة الاستعمارية الفرنسية، إلا أنها ألقت الضوء على واقع حميان التاريخي والاجتماعي والاقتصادي والاثني، وبالتالي يمكن الاستفادة منها واستنباط ما يخدم موضوع الدراسة، ويبدو من كتابات نوال (2) أنه كان يجهل قبيلة حميان وتاريخها، من خلال السؤال الذي طرحه ماهو تاريخ حميان بن عقبة بن عبس بن زغبة؟ وفي إجابته عن هذا السؤال يبدو أن نوال اعتمد في كتابه طريقة الجمع بين ماجاء في المصادر.

(1) Noël: op. cit. p132 - وهي نفس شجرة النسب التي ذكرها ابن خلدون في كتابه ديوان المبتدأ والخبر.

* كانت مكاتب الشؤون العربية وسيط بين السلطة الفرنسية وزعماء الأهالي، تأسست هذه المكاتب بموجب قرار وزاري صدر بتاريخ فبراير 1844م، وأنشئت مكاتب عربية في كل مقاطعة وخاصة في إقليم الجنوب وعلى رأس هذه المكاتب ضباط برتبة رائد أو نقيب، يساعد نائبان برتبة نقيب أو ملازم، مع كاتب ومترجم وقائد من الأهالي، ينظر إلى: J. Duval - 1869 - bureaux arabes et colons paris - p122. وكذلك إلى د. إبراهيم

مياشي: من تاريخ أولاد سيدي الشيخ - ص 123.

Noël : op. cit. p132 (2)

التاريخية والمصادر الشفاهية التي تناولت بني هلال، بقوله: "...لقد تمسكت برأي أشخاص أهل ثقة ومودع أمانة، وكان هؤلاء على علم بتقاليد وعادات حميان..." (1). ولكن لم يذكر نوال مكانة هؤلاء الذين وضع فيهم الثقة في قبيلة حميان ومركزهم الاجتماعي، ربما كان هؤلاء يمثلون شيوخ فروع قبيلة حميان أو القياد. تعرض نوال (Noël) في كتابه إلى مجموعة من المصادر الشفاهية التي لا يزال بعضها يتردد على ألسنة عامة الناس، وبعضها الآخر تعرض للنسيان بسبب غياب الجمع والكتابة والتدوين وقلة البحث (2)، وبالتالي تبقى المنطقة مجهولة تاريخيا، ومن ثمة فإن كتابات ضباط المكاتب الشؤون العربية التي تناولت قبيلة حميان تعتبر إسهامات في ميدان التاريخ المحلي، رغم أنها لم تعالج قبيلة حميان وبنو عامر في فترة موضوع الدراسة، وما يلاحظ على هذه الكتابات من وجود بعض النقائص كالربط بين الحلقات التاريخية منذ نزوح حميان وبني عامر من الحجاز وبلاد الشام إلى غاية صحراء تلمسان، ولم تفرق بين الموطن والنسب، ولم تتعرض إلى الأسباب السياسية أو الاقتصادية والاجتماعية التي أدت إلى نزوح قبيلة حميان وبني عامر إلى صحراء تلمسان. عمدت السلطة العسكرية الفرنسية إلى تقسيم حميان الغرابة إلى قسمين: حميان الشفاعة وهم: عكرمة، أولاد منصور وأولاد خليف البكاكرة وبني مطرف (3). أما حميان الجنبية هي: أولاد سرور والمغاولية والسندان، المقان وأولاد مبارك وبنو عقبة (4)، ويتفرع بنو عقبة بدورهم إلى أولاد تومي وأولاد فارس والفراحدة والغيائرة، وهم بدورهم ينقسمون إلى أولاد مسعود وأولاد أحمد (5).

(1) ينظر إلى: Documents pour servir à l'histoire de hamyans-p139.

(2) Noël :op.cit.p139.

(3) Ibid.p139.

(4) Ibid.p140.

(5) Ibid:p140.

ب1-حميان الغرابة:

ب 1.1 حميان الشفاعة*: عكرمة التي قيل عنها أنها كانت تشكل قبيلة واحدة قبل الوجود العثماني في الجزائر وذلك قبل سنة 1554م(1)، ثم انقسمت إلى ثلاث فروع خلال الحكم العثماني في الجزائر وكان ذلك ما بين 1554م - 1830م. فالفرع الأول استقر بضواحي فاس، والفرع الثاني استقر بمعية حميان الشراقة الطرافي بالبيض(2). وقيل أن عكرمة كان من بين فرسان سيدي معمر بلعالية، واستقر بأربوات*، والفرع الثالث انضم إلى حميان الغرابة بمقاطعة المشرية(3). يخلص صاحب المصدر الشفهي الذي نقل عنه ضباط مكتب الشؤون العربية إلى أن عكرمة تنتسب إلى عكرمة منطقة البيض(4)، وأن نسبهم يختلف عن بني مطرف، ولا ينتسبون إلى حميان الشفاعة، وكانت زغبة تستقر ما بين عنابة ووجدة في السهوب والسهول، فكانت حميان الشفاعة تستوطن في شرق عنابة(5)، وفي غربها كانت تستوطن بطون بني يزيد. ويبدو من المصدر الشفهي أن الجنبية هي حميان التي تمثل السندان وعكرمة والتي تنتسب إلى جد واحد وهو عقبة بن يزيد بن عيسى أو عبس بن يزيد في بعض نسخ ابن خلدون. وتشترك بنو عامر وبنو علي في جد واحد.

* يعود نسب بطون حميان الشفاعة إلى بني عامر الشفاعة، ولكن يبدو أن الضباط الفرنسيين أخلطوا بين بني عامر بن شافع وحميان؛ لأن ابن خلدون في كتابه العبر لم يذكر أن حميان هو بن شافع، وإنما قال عامر بن شافع، ومن ثمة لا يوجد ما يسمى بـحميان الشفاعة. ينظر إلى العبر: ج6-ص41 و51

(1) نفسه: ص134

(2) Jacquot Félix: op.cit.p282; Noèl: op.cit.p134

* أربوات: هي جمع لقصرين من قصور بني عامر، وهما: أربا الفوقاني وأربا التحتاني، يقعان بمنطقة البيض، وتعتبر أربوات من أقدم قصور المنطقة، وقد ذكرها ابن عذارى في البيان الفتح الإسلامي الأول للمغرب الأوسط، وأثناء الصراع الفاطمي الزناتي، حينما لجأت زناتة إلى أربا للاحتماء من الفاطميين. ينظر إلى البيان- ج1-ص156

(3) Noèl: op.cit.p139

Ibid :p139(4)

Ibid:p139 (5)

وهو ناهيك بن هلال(1). ويخرج صاحب المصدر الشفهي بنتيجة أن عكرمة هم إخوة الجنبه والسندان، ويقول أنهم لا ينتسبون إلى حميان الشفاعة، وكانت حميان في حرب ضد جيرانها بني رياح قبل أن تستوطن منطقة عنابة، فاستنجدت رياح ببني عامر، وانتصرت رياح على حميان، مقابل أن تدفع رياح لبني عامر خفارة سنوية والتي قدرت بألف غرارة(2)، ويلاحظ أن صاحب المصدر الشفهي قد ذكر عكس ماجاء به ابن خلدون أن حميان من جملة بني يزيد هي التي استنجدت ببني عامر عندما أرادت رياح السيطرة عليها، وكانت تريد موطن حميان عندما كانت متجاوزة مع بني يزيد؛ أوربما كانت ترجمة ضباط مكتب الشؤون العربية للمصادر الشفاهية غير دقيقة. وتذهب بعض المصادر الشفاهية التي دونها الضباط الفرنسيون أن دوار أولاد علي قدموا من فقيق* أما الرماضنة فقد جاءوا من قصر قصبي بواحة قورارة*(3). أما بالنسبة لأولاد سالم أو بوسالم ويطلق عليهم أيضا اسم أولاد عامر فإنهم ينقسمون إلى فرعين: فرع أولاد سالم وينسبون إلى عكرمة الأحرار أو الحقيقيين، وقيل أن أصلهم قريشي. والذي استوطن الهضاب العليا الغربية سنة 1032م(4)، بينما دوار القنادزة فينحدرون من أولاد سيدي يحي بمنطقة البيض، ويروى أن يحي خرج عن قبيلته بسبب أنه ارتكب جريمة قتل، ولجأ إلى قبيلة عكرمة طالبا الحماية. يستخلص من هذه المصادر التاريخية التي دونها ضباط المكاتب العربية أن عكرمة هي مزيج من عدة قبائل وفدت من عدة مناطق من المغرب الأوسط.

(1) Noèl :op.cit.p:140

(2) Ibid.p144

(3) Ibid:p144

* فقيق: هو مجموعة قصور تقع في الجنوب الشرقي من المغرب الأقصى، وهي متاخمة للحدود الجزائرية المغربية، وهي قرية من قصر بني ونيف، بحيث تبعد عنه بحوالي عشرة كلم. وكان من بين مواطن مطغرة الزناتية في القديم ينظر إلى العبر: ج 6 ص 45
* قورارة: قصر من قصور منطقة توات بالصحراء الجزائرية، وكان لهذا القصر علاقة تجارية مع قبيلة حميان

(4) Noèl:op.cit.p145

أما أصل أولاد همو فيعود إلى الجعافرة*الذين يقطنون منطقة سعيدة(1). وتشير مصادر الضباط الفرنسيين أن دوار الدهاليز هم في الواقع رعاة جاءوا من زاوية القنادسة التي تقع قرب بشار، مارسوا حرفة الرعي عند قبيلة عكرمة، وقيل أن فرد من الدهاليز قد وجد قطعة من حديد على شكل هلال قيل أنها سقطت من السماء(2).

ب1. 2 أولاد منصور: يتشكلون من أولاد منصور والخلاخيل الذين جاءوا من منطقة الساقية الحمراء*، ينتسبون إلى عرب موشة، بينما يعود نسب النقاقرة إلى أولاد الطريفة، والصحابة إلى قبيلة الجعافرة التي تسكن منطقة سعيدة، أما أولاد بلاغ فينحدرون من عرش أولاد بلاغ الذين استقروا بسعيدة(3)، في حين ينتسب البرانية أو البراني إلى أولاد سيدي محمد بن سليمان الذين استقروا بمنطقة البيض، وكذلك إلى أولاد سيدي موسى الذين استوطنوا بوجدة، ويعيش رفقة دوار الشوارب بعض الخيام من قبيلة الرزاينة ومهايا وبنو قيل(4). يلاحظ من خلال هذا المصدر التاريخي أن أولاد منصور،

*الجعافرة: بطن من بني الحسن السبط من بني هاشم من العدنانية وهم بنو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين من الحسين السبط وجعفر هذا من الأئمة الإثني عشر عند الإثني عشرية وهم أبناء علي بن أبي طالب (ض) ثم ابنه الحسن السبط ثم أخوه الحسين السبط ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر وابن جعفر الصادق ثم ابنه موسى الكاظم ثم ابنه ع الرضا ثم ابنه محمد الجواد وابن عبي الهادي ثم ابنه الحسن العسكري ثم ابنه محمد المهدي وهو الثاني عشر، وهم يعتقدون أنه حي ومنتظرون خروجه، وكان له من الولد موسى الكاظم ومحمد الديباجة، فأم موسى فكان على زي الأعراب ميلا إلى السواد. *الجعافرة: فهم بطن من الطالبين من بني هشام العدنانية وهم بنو جعفر الطيار بن أبي طالب وهو الذي قطعت يده يوم موته فأخبر الرسول (صلى الله تعالى) جعل منهما جناحين ليطير بهما إلى الجنة ولذلك قيل له الطيار. *الجعافرة: وهم بطن من بني عامر بن صعصعة من العدنانية وهم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهم أبناء عمومة حميان وقد ذكرهم الجوهري في الصحاح. ينظر إلى العبر: ج6 ص. ص 45-46 القلقشندي: نهاية الأرب وأنساب العرب-ص 07

Noël :op.cit.p145(1)

*الساقية الحمراء: وهي منطقة تقع جنوب المغرب الأقصى، والتي تسمى اليوم بالصحراء الغربية.

Noël.op.cit:p146(2)

Ibid:p146(3)

Ibid:p146(4)

لا ينتسبون إلى حميان، وإنما هم مزيج من عدة قبائل وفدت من مناطق مختلفة من بلاد المغرب، وقد سبق لابن خلدون أن أشار إلى حدوث الاختلاط في الأنساب.

ب1. 3 أولاد خليف: يعود نسب دوار بني سليمان وأولاد عمر إلى أولاد الخروبي الشراقة، بينما دوار العباددة فيرجع نسبهم إلى أولاد معلى الذين يستقرون بمنطقة البيض، أما أولاد الطاهر فينتسبون إلى أهل أنقاد الذين يسكنون منطقة العريشة ويسمى أحد فروع هذه الدواوير بالبكاكرة، الذي ينتسب إلى أولاد الحاج القاطنين بالمغرب (1).

ب1. 4: بنو مطرف: فيعود نسب دوار* المعاشت إلى أولاد داود وهم بطن من الجعافرة المستقرين بسعيدة، بينما يرجع نسب المسعادات إلى الساقبة الحمراء. عكس ما ذكره ابن خلدون الذي تناول نسب بني مطرف كما جاء في المصادر التاريخية حيث نص المصدر على أن بني عامر هم الشفاعة (2). ولم يذكر أن حميان هم الشفاعة، وجاء كذلك في مصدر الضباط الفرنسيين أن حميان جاءوا رفقة بني عامر وكانوا دائما إلى جانبهم، ولذا سميت حميان بالجنية، وهذا ما ذكره ابن خلدون أن حميان تبعت بني عامر وأصبحت في تعدادهم (3)، وتذهب المصادر الشفاهية أن دوار القطيط يرجع نسبه إلى هواره التي تستقر بشرق المغرب الأقصى، وقيل أنه سمي بالقطيط؛ لأن جدهم كان يتميز بالقطاية، وهي ترك جزء من الشعر بعد أن يتم حلقه مصادر الضباط الفرنسيين أن بني مطرف ينتسبون إلى الشفاعة الحقيقيين وهم بنو عامر وليس إلى حميان ويعرفون بأبناء الشفاعة، حيث يعود نسبهم إلى عامر بن زغبة بن علي بن فنيك بن زغبة (4).

(1) Noèl :op.cit.p147

*دوار: معناه مجموعة عائلات تنتسب إلى جد واحد سواء كان حقيقي أو وهمي، أو ما يطلق عليها أيضا العشيرة أو القبيلة

(2) Ibid:p190 ج6-ص51 ينظر إلى العبر-

(3) Noèl:op.cit. p190

(4) العبر: ج6-ص51- Ibid:p190

يبدو أن هذا المصدر هو أقرب إلى الصحة بالنسبة لرواية ابن خلدون، وزبدة القول أن بني مطرف هم بطن من بني عامر الشفاعة، وليست من حميان الشفاعة.

ب1. 5 أولاد عطية: فقد وفدوا من منطقة بني سنوس* أما دوار العواشير فينسب إلى أولاد الحاج المستقرين بالمغرب الأقصى، وبالتحديد بمنطقة دبدو* وكان ذلك قبل الحكم العثماني للجزائر، ربما كان أثناء الحملات العسكرية للسلطان المغربي مولاي إسماعيل. وكان أولاد عطية يرتحلون في كثير من الأحيان إلى وادي الناموس*(1). إلا أن هذا يختلف عن ماجاء في العبر أن أولاد عطية هم من دريد من الأثبج، وبالتالي فإن أولاد عطية لا علاقة لهم بحميان من حيث الانتساب إلى بني يزيد.

ب1. 1 البكاكرة: نسبة إلى جدهم بكار، وتتكون من مجموعة دواوير أو عشائروهي أولاد سالم والموالك الذين وفدوا من الساقية الحمراء، وسمي هؤلاء بالموالك نسبة إلى جدهم مالك الذي جاء إلى منطقة الهضاب العليا الغربية، واتصل بكار وامتحن عنده حرفة الرعي، بالإضافة إلى دوار دعماش أو الدعامشة* الذين وفدوا من قصر دعماش الذي يقع بمنطقة قورارة، ولقب جدهم بهذا الاسم لأن عيناه كانت رميصة، ودوار رزازقة الذي يعود نسبه إلى مراکش، وكان يسمى جدهم الأول برزوق، ثم أولاد رحمة وجاءوا كذلك من مراکش، وكان جدهم يسمى بعلي وعندما توفي ترك أبناءه صغارا.

* بنو سنوس: منطقة جبلية تسكنها قبائل زناتية تقع بإقليم تلمسان.

* دبدو: منطقة تقع بالمغرب الأقصى

Noël:op.cit.p191(1)

* واد الناموس: منطقة تقع شمال شرق قصر بني وئيف، تنتمي إداريا إلى ولاية بشار، وقد اتخذها الاستعمار الفرنسي كمركز

عسكري إبان الاحتلال الفرنسي، وكان أيضا سجنا من السجون الفرنسية

* وجاء في رواية ابن عودة المزاري فإن الدعامشة ينسبون إلى هبرة، وهبرة هؤلاء هم على الصحيح أولاد المقداد بن مهاجر بن سويد بن عمارة بن مالك بن منصور بن زغبة، فهم عرب هلاليون مضيرون خلافا لابن الخطيب الحكيم التلمساني القائل بأنهم ملتقطون وبطونهم تسعة وهم الدعامشة أولاد دعماش بن هبرة. ينظر إلى: ينظر إلى طلوع سعد السعود-ج1-ص215

وتكفلت أمهم رحمة بتربيتهم ورعايتهم ولذا لقبوا باسم أمهم وقيل أن أولاد دحو* أوبني دحو فينحدرون من معلم كان يدرس عند أولاد سيدي دحو* بمعسكر، أما أولاد الحاج مسعود فقدموا من قصر ودغير بقيق(1). وتضيف هذه المصادر أن المراهيط يرجع أصلهم إلى قبيلة بني عامر التي استوطنت بمنطقة تسالة في النل الوهراني، وتناولت نفس المصادر أن البكاكرة كانوا مستقرين سابقا على ضفاف وادي غير الأعلى، ولا يزال قصرهم اليوم شاهدا على ذلك والمعروف بقصر بوعنان ويقال أن أهالي قصر بوعنان لا يزالون على اتصال بأقاربهم المستقرين بمكن بن عمار والنعامة(2)

ب2- حميان الجنبية: تتمثل حميان الجنبية في بني عقبة السندان والمقان، وأولاد سرور وأولاد مبارك والغيثرة وهم يتفرعون إلى أولاد مسعود.

ب2-1- بنو عقبة*: كانوا يشكلون قبل سنة 1914م أي قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى ثلاث قبائل التي انفصلت ثم اندمجت، وأسست قبيلة واحدة(3)، تتكون هذه القبائل من أولاد فارس، وقيل أنهم وفدوا من تونس، ومن الحواقين ويمثلون هؤلاء الكساكس والدياما وأولاد مبارك الذين طردوا من تونس، بالفراهدة وأولاد تومي(4).

* وعند ابن عودة المزاري أن سيدي دحو كان واليا من الأولياء الصالحين بمنطقة معسكر، وكان مدرسا للقران الكريم، فاحتمالا أن أحد أبناء هاجر إلى منطقة الهضاب العليا، وأخذ على عاتقه تعليم هذه المنطقة، وربما قد انحدر منه هؤلاء الذين يطلق عليهم إسم بن دحو. ينظر إلى العلماء والأولياء - طلوع سعد السعود - ج1- ص5

(1) Noèl :op.cit.p191

* وعند الحسن الوزاني المعروف بليون الإفريقي فعقبه تسكن ضواحي مليانة، ويمدهم ملك تنس بقليل من المال وهم نحو ألف فارس. ينظر إلى وصف إفريقية - ص50.

* توجد حاليا قرية تقع بين مدينة قديل ووهران تسمى حاسي بني عقبة، بنيت من طرف بني عقبة الذين ينتسبون إلى حميان، التي هاجرت مع بني عامر إلى أحواز ووهران خلال فترة الدولة الزيانية

(2) Noèl:op.cit.p185

(3) Ibid.p186

(4) Ibid.p.186

وأسسوا قبيلة أصبحت تسمى ببني عقبة(1) وتذكر المصادر الشفاهية أن الكساكيس كانوا من جموع أولاد فارس، ويعود نسبهم إلى بني عقبة، وقيل أن هذه القبائل اتحدت فيما بينها عندما استقرت بمنطقة الهضاب العليا الغربية، وكان جدهم يسمى بابن حيقون، أو هيقون ولذا سمي أحفاده بالحواقين، ويطلق عليهم أيضا اسم أولاد فارس(2). وأبناء الفرسان، ونسجت حول كلمة فرسان، حكاية شعبية مفادها أن فردا منهم امتطى فرسه، وذهب بمفرده لتسوية قضية كانت تخصه، فرفض رفقائه أن يذهب لوحده بل مرافقته، وعندما قرروا الذهاب اتفقوا على أساس أنهم يمثلون فارسا واحدا ولذا أطلق عليهم اسم أولاد فارس، وقد اندمج أولاد فارس وكانوا يعيشون في السابق مع أغواط كسال* بمنطقة البيض، وكان الكساكيس يعرفون أيضا بالخواش جاءوا من فصور فقيق(3). أما الزازنة فقد وفدوا من وادي العبد ويسمى حاليا بحاسي العبد(4) الذي يقع قرب تاقرمت بمنطقة سعيدة، بينما يعود نسب أولاد وليد إلى أهل قصر أنوال، أما أولاد سعيد ويطلق عليهم أيضا اسم أولاد مبارك. ويتكون كذلك أولاد قطيب فينتسبون إلى عمور العين الصفراء، والربعات إلى سجاعة الذين يسكنون بمنطقة سيدي ملوك الواقعة شرق المغرب الأقصى، ويتكون أولاد الربعات من أولاد زويد الذين ينتسبون إلى المهايا، ويشكل أولاد الربعات وأولاد زويد معا الربعات، وقدم الدما من الساقية الحمراء، ويعود أصل الحواقين إلى الطرافي وهم حميان الشراقة(5)

*أغواط كسال: ربما يعود نسبهم إلى يقايا بني راشد الزناتة، التي تتمركز في ضواحي ستين والغسول ومشيرة الصغيرة وبريزينة

بمنطقة البيض. ينظر إلى: Félix Jacquot: op.cit.p282

Ibid :p186(1)

Noël :op.cit.p186(2)

Ibid:p186(3)

Ibid:p187(4)

Ibid.p187(5)

وتذكر مصادر الضباط الفرنسيين أن يحيى بن سعيد ينتمي إلى أحمد بن كسكاس الذي تنتسب عشيرته إلى بني عقبة التي تربطها علاقة قرابية بأغواط كسال التي تستقر بمنطقة البيض، ولها أيضا صلة بذوي منيع التي تسكن منطقة بشار، وتتألف الفراهدة من أولاد مسعود وأولاد عبو، وكانوا في السابق يمثلون دوارا واحدا كان يسمى بأولاد غاني، والذي يعود أصلهم إلى بني عقبة، باستثناء بعض العائلات الوافدة من عين سيدي ملوك التي تنتسب إلى سجاعة (1).

ب2-2 أولاد هلال*: فهم ينتسبون إلى بني هلال وقد وفدوا من منطقة قورارة، وكان أولاد تومي والفراهدة وأولاد مسعود يكونون في الماضي كنفدرالية صغيرة تسمى ببني عقبة، كما ذكر سابقا، وقد تم إعادة بناء هذه الكنفدرالية من جديد سنة 1914م، ويرجع نسب ضيف الله إلى أغواط كسال المستقرين بمنطقة البيض، والمنحدرين من أولاد بوزيد من منطقة أفلو، وكان أولاد تومي يتشكلون من ضيف الله والزيادنة وأولاد تومي، ويقال أن نسبهم يعود إلى الأغواط وهو فرع من الأحرار القاطنين بتيارت (2). بينما يرجع نسب أولاد يحيى إلى أغواط كسال المستقرين بمنطقة البيض، وقيل أن بني عقبة يعود نسبهم إلى أولاد العربي وارتبطوا بضيف الله، الذي عين كرئيس من بين أعيان القبيلة، وقد أنجب توأمين ومنه جاء اسم تومي، وأطلق على أحفاده اسم أولاد تومي. وحسبما ذهبت إليه مصادر الضباط الفرنسيين فإن جد أولاد مبارك جاء من منطقة الساقية الحمراء، وكان مرابطا وكان يرافقه خادما وهو أسود البشرة يسمى امبارك (3).

* يوجد بقصر باب اسمه باب هلال، ربما كانت هذه العشيرة تسكن بهذا القصر، ويوجد حاليا بالمشية بطن يسمى بأولاد

هلال، فاحتمالا أنه ينتسب إلى بني هلال

Noël:op.cit.p187(1)

Ibid.p186(3) (2)

Ibid.188(3)

وقد استقر بقصر تيوت، وتزوج وأنجب ثلاثة أبناء وهم راجع وعلال ومحمد، تولى رئاسة القبيلة الراجع، ثم استخلفه قدور بن علال، وتحالف المقان وأولاد مبارك وأسسوا قبيلة واحدة (1). وتولى رئاستها قدور بن علال الذي اشتهر من سكنى القصور، وهاجر بقيلته إلى منطقة النعامة، وفرض على قبيلته حياة البداوة (2).

ب2-3 السندان: تشير مصادر الضباط الفرنسيين أن أسرة القايد الحاج عثمان الذي كان يتولى زعامة السندان في سنة 1915م وفدت من مصر، وهذا صحيح من خلال ماذهبت إليه المصادر التاريخية، وعندما نزحت هذه الأسرة إلى المغرب الأوسط، استقر جدها عبدالرحمن بن عبدالله بأقورت بمنطقة قورارة، وبعدها هاجرت هذه الأسرة إلى الهضاب العليا الغربية، وكانت تمثل نواة عرش السندان (3)، ولكن المصادر الشفاهية لم تبين أسباب هجرة السندان من منطقة قورارة إلى الهضاب العليا، ربما كان من وراء هذه الهجرة أسباب سياسية، وكان على رأس هذه الأسرة أثناء هجرتها إلى الهضاب العليا الغربية عبد الرحمن بن مقتوف، وكان تاجرا وثرى، حيث غادر رفقة أسرته منطقة قورارة متوجها إلى وادي الناموس ثم منطقة النعامة (4)، ونتيجة المصاهرة والتفاعل الاجتماعي مع أسر أخرى أصبحت أسرة القايد الحاج تشكل قبيلة التي تمثل فرعاً من المقاتيف (5)، وبقيت هذه القبيلة على اتصال وعلاقة بأجدادها بمنطقة أقورت بواسطة تجارة القوافل التي كانت تتم بين منطقة النعامة وإقليم توات* (6)،

Noèl :op.cit.p.188(1)

Ibid.p188(2)

*توات: ويضم أربع أقاليم وهي: منطقة قورارة، وتيديكلت، توات الأوسط، قمرزوفت

Noèl :op.cit.p188(3)

Ibid: p194 (4)

Ibid:p195(5)

Ibid :p195(6)

وكذلك عن طريق الزيارات التي كان يقوم بها القايد عثمان إلى إخوته بأقورت، وقد تولى قيادة قبيلة السندان منذ ما قبل الاحتلال الفرنسي قياد كلهم ينتسبون إلى أسرة الحاج عثمان(1)، وقيل أن النواة الأولى التي أسسها عبد الرحمن بن مقتوف انضمت إليها بطون ينزعمها البشير بن يونس الذي قدم من قصر لحر بمنطقة بشار، ويقال أن البشير بن يونس كان يمثل جد المناصير. أما بالنسبة لأولاد بريش فيرجع نسبهم إلى سعد البريشي الذي جاء من وجدة، وأسس أسرة سميت بالبرارشة(2)، بينما يرجع نسب وأصل أولاد بن يحي إلى جدهم محمد بن يحيى الذي قدم من جبال كسال، أما أولاد بلقاسم فيعود نسبهم إلى بلقاسم بن علي، الذي ينتسب إلى أولاد جرير*(3) الذين وفدوا من منطقة بشار.

ب2-4المقان: تتألف المقان من أولاد فقير، ويقال أن جدهم جاء من منطقة قورارة وكان عالما فقيها يعود نسبه إلى أولاد بن سعيد القاطنين بمنطقة تميمون التابعة لأقليم توات(4) وكذلك تتكون المقان من أولاد باقي أوالبواقي، ومن أولاد بهاز، أو البهاهزة والذي قيل عنهم أنهم كانوا فقراء، وفدوا من منطقة تافيلات جنوب المغرب الأقصى(5) وكونوا قبيلة واحدة جمعية أولاد فقير. وذهبت مصادر الضباط الفرنسيين أن أولاد سعد قدموا من الحمير وهي منطقة قريبة من مغنية بإقليم تلمسان، ولهم امتداد إثني وإداري بالشغالة، وكان المقان وأولاد مبارك يشكلون قبيلة واحدة(6).

(1) Noël:op.cit.p194

(2) Ibid:p194

*أولاد جرير: هم بطن من دارم بن حنظلة من العدنانية، نسبة إلى الجريري، كما تنسب إليهم تميم وهم بنو جرير بن دارم. ينظر إلى القلقشندي: نهاية الإرب ومعرفة أنساب العرب-ص10

(3) Ibid :p195

(4) Mensier :op.cit.p47

(5) Noël:op.cit.p195

(6) Ibid:p.196

ب2-5 أولاد سرور: يتألف أولاد سرور من عدة فروع وهم أولاد بن سليمان الذين يقال أن نسبهم حسب مصادر الضباط الفرنسيين يعود إلى أولاد سيدي علي بن سماح من أهل بني وكيل من قصبة سيدي مكراك قرب وجدة(1). وتشير نفس المصادر أن بني سليمان هاجروا إلى الهضاب العليا الغربية من طرف ابن جبار ولقبوا بالشرفة، لأنهم منحدرين من سلالة مرابط وهو سيدي علي ابن سماح الذي دفن بمقام بني بوزقو ودبدو. ولكن بنو سليمان لم يتمكنوا من إثبات شرفهم(2). في حين أن دوار أولاد بن الشيخ فيعتقد أنهم من نسب دوار بن سليمان، ويشكلون فرعا منهم، أما نسب أولاد نقاد فيعود إلى أهل أنقاد فرع المزاوير(3)، وينحدر دوار أولاد حركاتي من بطن ذوي منيع في حين جاء أولاد مبارك ومجموعة من السجاعة من عين سيدي ملوك(4)، أما أولاد معروف وأولاد بوعزة فقد وفدوا من وادي درعة جنوب المغرب الأقصى. وتضيف نفس المصادر أن أولاد سرور كانوا يشكلون أسرة كثيرة العدد، ثم انقسمت إلى بطون وفصائل، وتوزعت عبر مناطق المشربة والبيض والبيوض وتانيرة وفاس.

ب2-6 المغاولية: من خلال ماورد في مصادر الضباط الفرنسيين أن المغاولية جاءوا من منطقة بودنيب والتي يطلق عليها حاليا اسم العقير، حيث تبعد عن وادي غير بسبعة كيلومتر، وقيل أن نسبهم يعود إلى أولاد علي(5)، وكانوا يتميزون بالشجاعة في المعارك وكانوا ييثون الرعب في نفوس أعدائهم، وقيل أنهم طردوا من موطنهم الأصلي من طرف البربر، وأسسوا قصرا بتتارة التي تقع بنحو ثمانين كيلومتر غرب قصر فقيق، وهو منهار.

Noël:op.Cit.p195 (1)

Mensier: op.Cit.p47,lbid: p190 (2)

Mensier:p47,lbid:p191(3)

Mensier:p48,lbid:p191(4)

Noel:op.cit.p192(5)

ويعتبر أولاد علي نواة المغاولية، أما أولاد سبع فيقال أنهم جاءوا من قبيلة أيت سبع وهي قبيلة بربرية، بينما ينتسب أولاد ملوك إلى أولاد سيدي التاج وهم فرع من أولاد سيد الشيخ الذي يستقر بمنطقة العين الصفراء(1). وكان أجدادهم يلقبون بأولاد ملوك ونسجت حول اسم ملوك حكاية شعبية، ربما لا يزال أولاد سيدي التاج والمغاولية يتداولونها في مروياتهم، وتنص هذه الحكاية أن جد أولاد ملوك طلب منه أن يرافق أولاد سيدي التاج في رحلتهم، فرفض مرافقتهم لأنه كان مرتبطاً بحب امرأة كانت تقيم بمنطقة، فقال أولاد سيدي التاج أتركوا هذا المملوك فتركوه ورحلوا لذا سمي بملوك(2).

ب2-7 الغياثة: يتفرع عن الغياثة أولاد مسعود وأولاد أحمد، ويقال أن أولاد مسعود هم عبارة عن مجموعة دواوير مفرد دوار من أولاد خضر وأصلهم من أهل أنقاد وكذلك من دوار القنادسة والخلاليل الذين ارتبطوا بأحفاد سيدي معمر بلعالية وأصبحوا ينتسبون إليهم وكان جدهم يسمى بمسعود(3). أما دوار أولاد رحال فيعود نسبهم إلى الغنامة بوادي الساوره*(4)، وكل هذه الدواوير التفت حول مسعود الذي اختير كشيخ قبيلة، وبعد وفاته انتقلت إلى ابنه أحمد بن خضر وكانت قبيلة أولاد مسعود وأولاد أحمد تشكل قبيلة واحدة كانت تسمى بالغياثة، بينما أولاد مسعود فيقال أنهم كانوا عبارة عن فرسان، ولم يسبق لهم أنهم تحالفوا مع غيرهم، وقيل أن أولاد أحمد ينحدرون من سيدي معمر بلعالية، وبالتالي يعود نسبهم إلى أولاد سيدي الشيخ ومن سلالة الشيخ محمود المشهور الذي كان ذائع الصوت الذي كان يحكم جميع بطون.

Mensier: op.cit.p57-Noël:op.Cit.p191(1)

*وادي الساوره: يقع بمنطقة بشار، وكانت هذه المنطقة تسمى بالساوره نسبة إلى هذا الواد.

Noel:op.cit.p192(2)

Ibid.p192(3)

Mensier :op.cit.p57(4)

حميان، وقد عرف خلال فترة اكتساح القوات المغربية لمنطقة الهضاب العليا الذي اعترف بالسلطان المغربي، أما دوار أولاد ميمون فقد تكون بمنطقة الساقية الحمراء في حين يعود نسب أولاد الشاوي إلى شاوية مكناس(1).

ج-المصادر الشفاهية*:

ج1-المصدر الشفاهي الأول:

لم يخرج في مضمونه عن رواية ابن خلدون، حيث ذكر هذا المصدر أن حميان ينتسبون إلى بني كرز وبني موسى والمراعبة والخشنة، وكلهم من أصل بني يزيد وعكرمة هو بن عبس ابن زغبة وهم إخوة حميان. وكانت الرئاسة لأولاد لاحق، ثم انتقلت إلى أولاد معافي، ثم بعد ذلك إلى بيت بني سعد بن مالك التي تنسب إلى مهدي بن يزيد بن عبس بن زغبة، ويعتقد صاحب المصدر أن مؤسس قبيلة حميان هو مهدي بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، ولكن هذا النسب تأباه بطون بني يزيد(2).

ج2-المصدر الشفاهي الثاني: الذي دونه نوال في عهده فقد جاء فيه أنه خلال الفترة العثمانية في الجزائر، استقرت بعض الأسر من بني عامر بالهضاب العليا الغربية، ووجدت عدد قليل من السكان تتمثل في أسرة سيدي معمر بلعالية الذي هاجر من تونس صحبة فرسانه رزين وعكرم وزباد.

Ibid.p193(1)

*وعن المصادر الشفاهية يقول أبو القاسم سعد الله أن الضباط الفرنسيين اعتمدوا في كتاباتهم على المصادر الأهلية في غالب الأحيان وهذه المصادر على نوعين مكتوبة وشفوية، ومن المصادر المكتوبة وثائق العائلات الكبيرة وعقود الملكية ومذكرات رجال العلم، أما المصادر الشفاهية التي اعتمدوا عليها كانت أكثر من الأولى، فقد جعلتهم يسجلون قصصا وأحداثا من مختلف المشارب والأنواع. ينظر إلى أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر -القسم الأول- ط1- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع -الجزائر- 1981-ص22

(2) العبر: ج6-ص41-42 Noèl:op.cit.p139 مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق-ج2-ص200-د. مصطفى أب

وضيف أحمد: المرجع السابق ص225

ثم توافدت بعد ذلك على المنطقة مجموعات بشرية من مختلف جهات المغرب الأوسط، وكونت تجمعا سكانيا(1). ثم تناول المصدر الشفاهي كذلك نسب الرزاينة وعكرمة وأولاد زياد وأولاد سيد الشيخ، والصراع الذي وقع بين سيدي أحمد المجذوب* وبنو عامر، وهجرة بني عامر إلى تسالة في ظرف يوم واحد.

ج3- المصدر الشفاهي الثالث: الذي سجله نوال (Noël) عن القايد المير ولد الحاج الناصر الذي كان قائدا على قبيلة الرزاينة الغرابة، وأيضا عن أحمد بن محمد الذي كان رئيس مخزن المشرية(2). جاء فيه أنه بعد هجرة بني عامر إلى تسالة وضواحي سيدي بلعباس، بقي شخص واحد من بني عامر اسمه بكار مستقرا بمنطقة الشط الغربي، وقيل أنه كان ثريا وغنيا يملك عددا كبيرا من رؤوس الأغنام، وكان متزوجا بعدة زوجات، وكان معروفا بسخائه وكرمه، وكان البدو يقصدونه لغرض توظيفهم كرعاة ثم زوج بناته لخدمه، فنتج عن هذه المصاهرة أن تأسست قبيلة البكاكرة(3)، وجاء في المصدر أن قبيلة البكاكرة تفرعت إلى عمائر وبطون، قد سبق أن ذكرها ضباط مكتب الشؤون العربية.

ج4- المصدر الشفاهي الرابع: يعتبر هذا المصدر هاما؛ لأنه يستند على رواية ابن خلدون

Noël:op.cit.p140(1)

*الاجاذبة: نسبة إلى سيدي أحمد المجذوب، وسمي بالمجذوب حيث يقال أنه المجذوب أثناء فترة تعبه بخلوة جبل ورقة، وقال عنه أبو القاسم سعد الله فهذا أحمد بن سليمان المجذوب قد دار عليه الفقر، فأقبل على البدعة والحضرة، ويبدو أن المؤلف لا يعرف جيدا أسرة أحمد المجذوب، فهو من السلالة التي تنتسب إلى أبي بكر الصديق، وبالتالي فإن هذا الحكم لا يليق بمقام سيدي أحمد المجذوب ولا بأسرته ذات النسب الشريف وهو بطن من بطون أولاد سيدي الشيخ، ينتمي هذا البطن إلى أولاد سيدي الشيخ الغرابة، ويستقر أغلب أولاد سيدي أحمد المجذوب بقصر عسلة وضواحيه، تقام سنويا قرب ضريحه الوليمة، أو ما يسمى في عرف أهل المنطقة بالوعدة، وعادة ما تكون في شهر منتصف شهر أكتوبر من كل سنة، وهو شهر جني التمور. ينظر إلى د.أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16م-20م) - ج1 - الشركة الوطنية

للنشر والتوزيع - الجزائر - 1981 - ص 493

Noël:op.Cit:p140(2)

Noël:op.cit.p145(3)

في تحديد نسب وأصل حميان(1)، حيث جاء في هذا المصدر أن حميان هو بن عقبة بن يزيد ابن عيسى بن زغبة. ويلاحظ أن هذا المصدر الشفاهي اعتمد على رواية ابن خلدون أنه أقرب إلى الصحة من المصدر الثاني والثالث، الذي لم يستند على أي مصدر تاريخي.

ج5- أما المصدر الشفاهي الخامس: فهو عبارة عن مخطوط كان بحوزة مدرس قران بأحد الكتاتيب القرآنية بسعيدة، وبالتالي لا يمكن تصنيفه ضمن المصادر الشفاهية، جاء في هذا المخطوط أن الجميع يحملون اسم الجد الأول شافع بن عامر(2)، أما الجنبه هذه الكلمة التي تدل على معنى الجانب فيقصد حميان، فحميان منذ هجرتها من بلاد حمزة والدهوس إلى صحراء تلمسان كانت إلى جانب بني عامر ولم تنفصل عنهم، بل كانت تتبعهم أينما حلوا(3)، وشبهه صاحب المخطوط الشفاعة بجمل واحد، بينما الجنبه بالجوانب، وجاء كذلك في المخطوط أنه فيما مضى كانت قبيلة بني عامر وحميان تستقر بالصحراء، ثم انتقلت إلى ضواحي الأبيض سيد الشيخ* رفقة أبي هو الثاني، الذي قام بطرد بني عامر إلى تسالة سنة 762هـ ولحقت بهم مجموعة من قبيلة حميان، بينما بقي القسم الآخر من بني عامر وحميان مستقرا بمنطقة الهضاب العليا الغربية(4). يبدو أن المصدر تطرق إلى هجرة حميان رفقة بني عامر إلى صحراء تلمسان، وأشار أن حميان كانت دائما إلى جانب بني عامر، ولكنه لم يحدد تاريخ الهجرة والظروف السياسية التي هاجرت فيها حميان رفقة بني عامر(5)، ومن ثمة فالمصدر تناول جزءا من الأحداث التاريخية.

Noèl :op.cit.p145(1)

olbid:p146(2)

Ibid:p.146(3)

*الأبيض سيد الشيخ: كان يسمى بالأبيض لنا، وعندما قام سيد الشيخ زاويته من مغرار إلى الأبيض، أصبحت تسمى بهذا الاسم-ينظر إلى محمد مولاي: استمرارية مقاومة الشيخ بوعمامة-بدون تاريخ-ص105

Noèl :op.cit.p146(4)

Ibid.p147(5)

ج6-المصدر الشفاهي السادس: كان يُروى في الجنوب الجزائري وتناول نسب حميان، على أساس أن حميان كانت تتكون من عدة قبائل وهي حميان الشفاعة وحميان الجنبية، وعرب موشة والطرافي وأولاد جرير(1)، وأن الأصل في الكلمة جاءت من الحماية التي تدل على معنى الحماية والتحالف والتلاحم والعصبة والتعاون(2). وربما كان صاحب المصدر يعتقد أن حميان خليط من عدة قبائل، فحميان لم تبقى محافظة على نسبها، بل حدث تغيرا اجتماعيا ويستحيل أن تبقى حميان محافظة على نسبها الحقيقي؛ لأن هناك عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية أدت إلى عملية التغير الاجتماعي، وفي نفس الوقت ذكر المصدر المناطق التي وفدت منها هذه القبائل حيث أشار أن عرب موشة جاءت من المشرق العربي وهم فرسان عسكريون، وأن نزوحهم إلى الهضاب العليا الغربية كان سببه أنهم انهزموا في حرب، وسبب الحرب كان حول امرأة متوسطة الجمال، ثم ينتقل صاحب المصدر إلى ذكر فروع عرب موشة وهم أولاد رحال وأولاد مبارك والشعارب وهم الدراقة، وأولاد عبد الكريم والمقان والرزنة، والققاطيط وهم بنو مطرف والصباحية. وهم الدراقة* الشراقة وأولاد عامر بن عليات وأولاد جرير بن بديار، وكلهم ينسبون إلى زغبة، ويطلق عليهم اسم أعراب موشة، وجاء كذلك في المصدر الشفوي أن الصباحية والمقان وأولاد مبارك يشكلون قبيلة واحدة وهي قبيلة أولاد مبارك، وتعرضت عرب موشة للتفرقة والتشتت، ولم تبقى مجتمعة في قبيلة واحدة، ويضيف نفس المصدر أن حميان تنقسم إلى حين: حميان الشفاعة وحميان الجنبية(3)..

Noël :op.cit. p147(1)

*تستقر الدراقة الغرابية والشراقة والصباحية ببوقطب وضواحيها وكذلك بمنطقة البيض. بينما يستقر أولاد جرير بمنطقة بشار أما أولاد عامر بن عليات بمنطقة تيوت وعين الصفراء.

(2) ينظر إلى: les documents pour servir à l'histoire de hamyan.p145

Noël:op.cit.p145 (3)

وكذلك من عرب موشة وأولاد جرير(1)، دخلت عرب موشة في نزاع داخلي رغم ما أصابها من تمزق، ويعزى أو وليا صالحا حاول أن يصلح بين بطونها، إلا أنها رفضت الصلح فدعى الله أن يفرق شمل عرب موشة، ويقال أن الله استجاب لدعوته فتفرقت عرب موشة، ودخلت في حرب داخلية جديدة أدت إلى تفرقتهم(2)، وقيل أيضا أن عرب موشة أساءت علاقتها مع المرباط سيدي سليمان بن بوسماحة، بسبب ناقة بيضاء كانت ملكا لسيدي سليمان وكان يحبها كثيرا وحدث أن اختفت الناقة، ولما بلغه الخبر أن عرب موشة قد عثرت على الناقة، وقامت بذبحها وتقطيعها إربا إربا، غضب ودعى الله وقال: "يجعلكم ياعرب موشة، في كل دوار عشة والعرش اللي تسكنوه عشة"(3)، وقيل أن الله استجاب لدعوته وتفرق شمل عرب موشة، واختلفت المصادر الشفاهية حول صاحب هذا القول. فالبعض يقول سيدي سليمان، والبعض الآخر يقول الحاج عبد الحاكم بن سيد الشيخ(4).

خلاصة القول: يبدو من خلال ما جاء في مصادر ضباط مكتب الشؤون والمصادر الشفاهية التي كتبها نوال(Noël) أن حميان هي خليط من عدة قبائل نزحت من مناطق مختلفة، حيث التقت في مكان واحد وأطلقت على نفسها اسم حميان(5)، ولو أن بعض المصادر منها قد تعرضت إلى بعض المعطيات التاريخية الصحيحة التي تناولها المؤرخون والنسابة العرب القدماء، وقد وجه نوال لنفسه في كتابه وثائق عن تاريخ حميان انتقادات للمصادر الشفاهية، حيث ذكر أن حميان لا تنتسب إلى قبيلة واحدة.

Noël :op.cit.p1451)

Ibid :p146(2)

Ibid.p146(3)

Ibid :p146(4)

Ibid.p147(5)

ولا تنحدر من نسب واحد، بل هي متعددة النسب، بل كانت هناك أسباب دفعت هذه المجموعات البشرية أن تلتقي في موطن واحد(1)، وهذا أمر طبيعي بحيث لا يمكن أن تبقى بطون حميان التي هاجرت في 1236م إلى صحراء تلمسان محافظة على صفاء نسبها لأنها اختلطت ببني عامر وحدثت بينهم المصاهرة، وكانت حميان في تعدادهم على حد قول ابن خلدون(2)، وبالتالي لا يمكن التمييز بين حميان وبنو عامر، وإذا كان الضباط الفرنسيون قد دونوا هذه المصادر الشفاهية في القرن التاسع عشر الميلادي، فإنه يستحيل تحديد نسب حميان بدقة، بسبب تأثير الظروف السياسية والهجرة الداخلية، وظاهرة الارتحال والاستقرار التي يتميز بها البدو والتي غالباً ما كانت هذه الظاهرة تؤثر على الوضعية الديمغرافية، وبالتالي يصعب على أي باحث أن يحدد نسب حميان بالاعتماد على مصادر شفاهية تفتقر إلى الموضوعية والدقة وهي مجرد روايات انتقلت من جيل إلى جيل، ومن ثمة فإن المصادر الشفاهية تحتاج إلى مراجعة دقيقة، وتصحيحاً لما جاء في مضمونها، ويلاحظ أن بعض بطون حميان بقيت محافظة على اسمها كالسندان وبنو عقبة وعكرمة، ومن قبيلة الأتبج أولاد سرور وأولاد عطية وأولاد عبدالله، ومن قبيلة عامر بن شافع بني مطرف وبعضها تغير اسمها كالبكاكرة والمغاولية وأولاد منصور وأولاد خليف. بينما يجهل نسب بقية فروع التي تدعي النسب إلى حميان كالمقان والغيثرة. فأولاد سرور وأولاد عطية وأولاد عبدالله ينتسبون إلى دريد. (ينظر إلى الجدول رقم 03 ص 447)، التي تولت رئاسة بني هلال عند دخولهم إلى إفريقية، ولعبوا دوراً في استقرار القبائل العربية بإفريقية.

(1) العبر: ج 6-ص 24-السلوي: الاستقصا- ج 2-ص 121-د. مصطفى أحمد أبوضيف: القبائل العربية-ص 208-مبارك ابن

محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث- ج 2-ص 200-201- G.Marçais : les arabes en berbérie du 14siècle-paris-1913-637-638

(2) العبر: ج 6-ص 24-الناصري: الاستقصا- ج 2-ص 121-د. مصطفى أبوضيف: القبائل العربية-ص 208-مبارك بن محمد

الميلي: المرجع السابق- ج 2-ص 189

حتى مدحهم شعراؤهم منوهين بدورهم(1):دريد سراه البدو وللجود منقع كما كل أرض منقع الماء خيار تحن إلى أوطان قره بالفتى لكن معها جملة دريد كان مدارها. وكانت مواطنهم مابين بونة وقسنطينة إلى قرية طارف مصقلة وما يحاذيها من القفر ومن بطونهم أولاد سرور وأولاد عطية وأولاد عبدالله،تنسب دريد إلى الأثبج،التي تزعم أنها من ولد الأثبج بن ربيعة بن فنيك بن هلال(2)،وكانوا من أفر القبائل الداخلة لإفريقيا عددا،واستقروا بعد أن تمكنوا من إخضاع صنهاجة بجبال أوراس الشرقية،ومن بطون الأثبج دريد وكرفة وعياض والعاصم ومقدم ولطيف وقره وعندما ثار بنو غانية على الموحدين أيدهم العاصم ومقدم وقره فنقلهم الموحدون إلى المغرب الأقصى،فاستقروا بتامسنا وزدادت قوة جيرانهم رياح واستولوا على ضواحي قسنطينة، مما اضطر بقايا الأثبج إلى ترك الظعن والاستقرار بقرى الزاب أي منطقة بسكرة حاليا(3).وكانت الأثبج أشرف العرب وأنبههم شأنا فاخترهم المنصور الموحي لسكنى منطقة دكالة وسهول تادلا وكانوا يدفعون الضريبة في القرن الخامس عشر الميلادي لملك البرتغال تارة،ولملك فاس تارة أخرى،وكان عددهم يبلغ نحو مائة ألف مقاتل نصفهم من الفرسان(4).وربما قد هاجرت بعض بطون الأثبج من المغرب الأقصى واستقرت بالمغرب الأوسط بموطن حميان وبنو عامر بعد زوال الدولة الموحدية، أو أثناء الصراع الزياني المريني،بحيث كانت الإمارة المرينية تجند في صفوف جيشها بعض القبائل.

(1) العبر:ج6-ص24-السلامي::المصدر السابق-ج2-ص121-د.مصطفى أبوضيف:المرجع السابق-ص208-مبارك ابن

محمدالي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص200

(2) العبر:ج6-ص24-السلامي:الاستقصا-ج2-ص121-

(3)الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي:وصف إفريقية-ترجمة عن الفرنسية د.محمد حجي ود.محمد الأخضر-

ج1-ط2-دارالعرب الإسلامي-بيروت-1983-ص.ص51-52

(4) الحسن الوزاني: - المصدر السابق-ص55-عبد الوهاب بن منصور:قبائل المغرب-ج1-ص418- G.Marçais :

العربية يبدو أن الحسن بن محمد الوزاني المعروف بليون الإفريقي في وصفه للقبائل العربية ونسبها أنه لم يسير على نمط تقسيم ابن خلدون لقبائل العرب الداخلين إلى المغرب(1)، والعذر للمؤلف في انعدام المراجع المكتوبة لديه أثناء التأليف، بل احتفظت ذاكرته ببعض أصول القبائل وفروعها حسب ما كتبه ابن خلدون(2)؛ إلا أن التحريف الناتج عن الترجمات الأعجمية المتعددة للكتاب أفست كثيرا من أعلام القبائل، وجعلت التعرف على اسمها الحقيقي متعذرا في بعض الأحيان على أن الاختلاف البين عند ابن خلدون والحسن الوزان في تعداد البطون والعمائر والأفخاذ، راجع كذلك إلى تطور الأسماء تبعا لتعاقب الأجيال، واختفاء بعض الأسر وانقراضها وظهور أخرى مكانها على مسرح الأحداث بأسماء رؤسها وأحيائها الجديدة(3)، إذ لم يعتمد الحسن الوزان في معرفته للقبائل العربية على ما قرأه في كتب النسابين والمؤرخين، وإنما انتقل إلى ديارهم وعرفهم عن قرب(4). يعتقد كثير من المؤرخين والباحثين الجزائريين أن سكان الهضاب العليا الغربية ينتسبون كلهم إلى حميان، وربما يعود سبب ذلك إلى اعتمادهم على مصادر الضباط الفرنسيين، أو أن اسم حميان قد طغى على كل القبائل التي تستقر بهذه المنطقة، مثلما طغى اسم بنو هلال عند دخولهم إلى المغرب الإسلامي، وكانوا خليطا من القبائل العربية عدنانية وقحطانية. بالرغم أن عدد عرب بني سليم كان أكثر من عدد بني هلال(5) مثل اسم بني عامر الذي كان ذائعا في عهد الدولة الزيانية، ولكنه اختفى بعد زوالها ولكن الواقع عكس ذلك فهناك قبائل لا تمت بصلة النسب إلى حميان.

(1) الحسن الوزاني: وصف إفريقية-ص.ص 51-52

(2) الحسن الوزاني: المصدر السابق-ص 55-638 G.Marçais :

(3) نفسه:ص 52-638 G.Marçais :

(4) نفسه:ص 52-عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب-ج 1-ص 418

(5) د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي-ج 1-ص 145

وإنما نتيجة الظروف السياسية التي أدت إلى هجرة هذه القبائل فقد تعايشت مع حميان وأصبحت من جملتها، وفي هذا الموضوع يقول مونسيه (Mensier) نقلا عن بيكي (M.Piquet) في كتابه حضارة شمال إفريقية "... إن الأهالي الذين يعيشون في السهوب على حوافي الشطوط كأولاد سيد الشيخ وحميان والعمور وأولاد النهار هم عرب، أما الذين يعيشون في القصور فهم بربر زناتيون الذين تمت إزاحتهم من منطقة تلمسان إلى غاية توات من طرف كتامة وصنهاجة وعرب القرن الحادي عشر الميلادي ..."(2). أو نتيجة الهجرات القصرية التي كانت تفرض على حميان وبني عامر بسبب ولائها إلى الإمارة الزيانية خلال فترة الصراع الزياني المريني خاصة في عهد أبي هو الثاني؛ وأوربما كان ذلك أثناء عودة بني عامر وحميان إلى المضارب العليا الغربية بعد فترة الانفراج التي كانت تحدث بين بني مرين وبني زيان، كانت ترافقها بعض القبائل العربية من الصحراء مثل الخلط وسفيان*. ولهذا فمن خلال المصادر الشفاهية يلاحظ أن بعض بطون حميان لها امتدادات إثنية في الصحراء، وفي كثير من المناطق الأخرى في المغرب الأوسط والأقصى، ولا غرابة أن تذكر المصادر الشفاهية أن دوارا أو عائلة.

(1) الحسن الوزاني: وصف إفريقية-ص55

(2) ينظر إلى: Les territoires Militaires d'ain-sefra; p57

* الخلط: بفتح الحاء وسكون اللام بطن من المنيق بن عامر بن صعصعة من العدنانية، قال علي بن عبدالعزيز الجرجاني النسابة والخلط هم بنوعوف ومعاوية ابنا المنيق، قال في العبر: والخلط إلى الآن في عداد جشم في بلاد المغرب- ينظر إلى: القلقشندي: نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب ص8 من 18 صفحة- من موقع أنترنت: <http://www.al-eman.com/islamlib/viewch.asp?bid=200&cid=7>

* سفيان: ورياستهم في بني جرمون منهم، وكان استقرارهم بأطراف بلاد تامسنا مما يلي أسفي، وحينما ضغطت عليهم الخلط، وملكوا بسائطها قام الحرث والكلابة من أحيائهم بالرحلة إلى أرض السوس وقفاره يهاجمون ضواحي بلاد جاجة من المصامدة، فبقيت فيهم لذلك شدة وبأس واشتهر منهم أولاد مطاوع من الحرث بأنهم مهرة، يعتمد عليهم وفرسان يستقدمهم السلطان للعرض في الحفلات والمناسبات. ينظر إل العبر: ج6-ص27-السلوي: ج2-ص. ص153-154-

G.Marçais : op.cit.p339-342-537-539

وفدت من منطقة ما؛ لأن الظروف السياسية والاقتصادية لعبت إلى حد ما دورا هاما في تغيير كثير من مراكز القبائل العربية الهلالية من بينها قبيلة حميان، أو من عرب المعقل خاصة فرع بني عبيد، ومن أهم القبائل التي كانت تعيش مع قبيلة حميان في صحراء تلمسان البكريون وهم أولاد سيد الشيخ، الرزائية والخلايفة والعمور وبنو عامر الشفاعة الذين أصبحوا يلقبون بحميان الشفاعة، وبعض البطون الهلالية الأخرى التي هاجرت في فترات تاريخية سابقة بالإضافة إلى قبائل أخرى استقرت بمعية حميان ومنهم السود والحراطين وبربرزناتة والأدراسة أو الشرفة*. وبحكم علاقات الجوار حدث الاختلاط والمصاهرة والاندماج الاجتماعي بين هذه القبائل وبين حميان، وأصبح اليوم لا تميز بين هذه القبائل، ومع ذلك لا تزال النعرة القبلية موجودة، وكذلك الانتماء القبلي. فوَقَّعت المصاهرة بين أولاد سيدي الشيخ وأولاد النهار وبين حميان وبربرزناتة القاطنين بالقصور، وبين حميان والرزائية.

١- البكريون: ويطلق عليهم أيضا اسم البوبكرية، وهم بطن من تيم من قريش من العدنانية، وهم بنو ابوبكر الصديق (ض) (1)، واسمه عبدالله وقيل عتيق بن أبي قحافة واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، واسم أمه أم الخير سلمى بنت صخر ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة (2). وكان لأبي بكر الصديق ثلاثة بنين، أحدهم عبدالله وهو أكبر ولده الذكور وأمّه قبيلة وماتت في خلافة أبيه.

* الشرفة: يقال أنهم ينتسبون إلى أدارسة المغرب الأقصى وهاجروا إلى المغرب الأوسط بعدما تعرضوا للقهر والاضطهاد في المغرب الأقصى ويستقر هؤلاء بمنطقة عين ورقة قرب قصر تيوت بمنطقة عين الصفراء، يتميزون بحياة اجتماعية خاصة ويبدو أنهم منزّلين إلى حد ما عن بقية المجتمعات القريبة منهم يعيشون في مساكن تقليدية في أعالي جبال عين ورقة، ونشاطهم الاقتصادي يتمثل في إنتاج مادة الملح من الجبال وعلى السياحة بسبب وجود حمام معدني.

Jacquot Félix: op.cit.p259

(1) القلقشندي: نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب - ص 251

(2) نفسه: ص 251

والابن الثاني واسمه عبدالرحمن وكنيته عبدالله، أسلم في صلح الحديبية، وهاجر وكان شجاعاً له مواقف مشهورة في الجاهلية والإسلام شهد معركة بدر، وفتوح الشام وأمه أم روحان بنت الحارث من بني قراش بن غنم(1)، ومات عبد الرحمن فجأة سنة ثلاث وخمسين للهجرة، وقال الطبري في فصائل العشرة، والابن الثالث محمد ويكنى بأبي القاسم، وكان من نساك قريش وأمه أسماء بنت عيسى وولاه عثمان في خلافته مصر، وولاه علي أيضاً مصر بعد مرجعه من صفين، فوقع بينه وبين عمر بن العاص حرب انتهى به إلى أن هرب محمد بن أبي بكر، فقليل أنه وجد حماراً ميتاً، فدخل في جوفه فأحرق فيه، فمات وقيل قتل ثم جعل فيه وأحرق وذلك سنة ثمان وثلاثين من الهجرة وله عقب أيضاً، قلت وبالديار المصرية جماعة من البكريين من ولد عبد الرحمن بن أبي بكر بعضهم بالفسطاط وبعضهم بناحية دهروط من البهنساوية(2). وقد خرج منهم جماعة من العلماء يتمذهبون بمذهبي مالك والشافعي رضي الله عنهما، وكذلك أولاد محمد بن أبي بكر الصديق. وهناك أيضاً البكريون وهم بطن من بني زيد بن حرام بن جدام، ومساكنهم بالجوف من الأعمال الشرقية من الديار المصرية(3). ويقول القلقشندي "...وفضل أبي بكر وشرفه أشهر من أن يذكر، وأكثر من أن يحصر وناهيك قول حسان بن ثابت إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا خير البرية اتقاها وأعد لها بعد النبي(صلع)، وأوقاها بما حملا والثاني التالي المحمود مشهده فيهم صدق الرسلا..."(4). وذكر بعض المؤرخين والباحثين أن أولاد سيد الشيخ وحسب ما هو شائع ومتواتر من أسرة الخليفة أبي بكر الصديق.

(1) القلقشندي: نهاية الإرب وانساب العرب - ص 252

(2) نفسه: ص 252

(3) نفسه: ص. ص 252-253

(4) نفسه: ص 253

وبالتالي لهم نسب تاريخي، ويسمون كذلك بالبوبكرية أو بالصديقية(1). وفي هذا المجال لهم رابطة بالبكرين والصدقيين الموجودين في مصر والشام، ولهم نسب روحي فقد هاجر أجدادهم الأوائل من المدينة المنورة بالحجاز(2). بينما ذكر أحد الباحثين أن قبيلة أولاد سيدي الشيخ كانت تسكن مكة المكرمة مع بداية الدعوة الإسلامية(3). جاءت عائلة أولاد سيدي الشيخ من المدينة المنورة بالحجاز* في أزمنة غير معروفة، ثم هاجرت إلى مصر ومكثت بمدينة الإسكندرية، ومن هناك انتقلت إلى تونس واستقرت بعض الوقت، فأنحدر منها العالم سيدي محرز الذي مايزال قبره ومسجده موجودا إلى اليوم، يمثل إحدى المعالم المعمارية في مدينة تونس، ونظرا لما تتمتع به هذه العائلة من احترام ونفوذ ديني معتبرين، فإن بعض أفرادها قد احتلوا مناصب هامة في الدولة خلال القرن الرابع عشر الميلادي(4)، وقيل أن جد أولاد سيد الشيخ خرج من تونس غاضبا لأسباب عائلية أو سياسية، ونشد الصحراء والعزلة(5). ومن تونس انتقل البعض من عائلة أولاد سيد الشيخ إلى جرجرة، وربما قد تعرفت بعض بطون حميان بأولاد سيدي محرز عندما كانت حميان تستقر بمنطقة بجاية قبل نزوحها إلى صحراء تلمسان. وأربما رافقت بعض بطون بني يزيد أولاد سيدي الشيخ إلى منطقة البيض.

(1) د. يحيى بوعزيز: ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين - ج1 - ط2 - منشورات المتحف الوطني للمجاهد - الجزائر -

1996 - ص165

(2) Trumelet: Notes pour servir à l'histoire de l'insurrection dans la province d'Alger de 1864; revue africaine; Alger; 1882; pp333-334 - د. إبراهيم

مياسي: من ثورات أولاد سيدي الشيخ - ص115

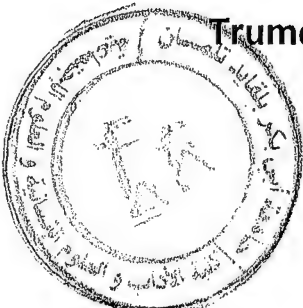
(3) د. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م - ج1 - ط1 - دار الغرب الإسلامي - بيروت - 2000 -

ص179 - د. يحيى بوعزيز: ثورات الجزائر - ص163

* ينظر إلى: إبراهيم مياسي: من ثورات أولاد سيدي الشيخ - ص115

(4) Trumelet: les français dans le désert; 2 édition; paris; 1885; p80

(5) د. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية - ص179



ثم هاجر أولاد سيدي الشيخ إلى تنس وتلمسان وغرناطة بالأندلس، ثم إلى منطقة فقيق ثم استقروا في واحة تانكرت التي تعرف بالأبيض سيدي الشيخ⁽¹⁾ بالهصاب العليا الغربية الجزائرية منذ القرن السادس عشر الميلادي⁽²⁾، وفي رواية أخرى أن أسرة أولاد سيدي الشيخ رحلت من تونس متجهة نحو الغرب في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي⁽³⁾ تحت قيادة سيدي معمر بلعالية الذي اعتبر من الأولياء الصالحين، حيث تزعم هذه الأسرة التي قادها إلى بلاد بني عامر، فحضيت باستقبال حار جدير بأحباب الله وأتباعه حسب اعتقادهم⁽⁴⁾، وقيل أن بني عامر هي التي استقبلت وباركت مجيء سيدي معمر بلعالية⁽⁵⁾. بينما ذكرت مصادر الضباط الفرنسيين والمصادر الشفاهية أن سيدي معمر رافقه ثلاث عبيد سود وهم رزين وعكرم وزياذ الذي ولد في الفترة التي نرح فيها سيدي معمر بلعالية من تونس إلى الجزائر⁽⁶⁾. ويبدو أن الترجمة كانت غير صحيحة، فلم يكن رزين وعكرم عبيدا أي بمعنى أن بشرقهما سوداء، وإنما المقصود من العبيد هم الخدم، وقيل أنهم لم يكونوا خدما أو عبيدا وإنما كانوا فرسانا، وقد استقر سيدي معمر بلعالية في باديء الأمر في منخفض وادي القليته ما يقارب أربعة أجيال، حيث شيدوا قصور وهي عبارة عن قرى بنيت من الحجر والطين⁽⁷⁾.

(1) د. يحيى بوعزيز: ثورات الجزائر - ج 1 - ص 165

(2) نفسه: ص 179 - 181 Trumelet: les français dans le désert. د. إبراهيم مياسي: من ثورات

أولاد سيدي الشيخ - ص 116 د. يحيى بوعزيز: من ثورات القرن التاسع عشر - ص 116 - 117

(3) د. يحيى بوعزيز: نفسه - ص 116 - 117

(4) نفسه: ص 117 - 118 Gendre(F): la région des ksour du sud-oranais-T16-17-117
paris-1909-1910-p57

(5) Gendre(F): op. Cit. p57- د. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية - ص 179

(6) E. daumas: mœurs et Jaquot Félix: op. cit. p286 Noël: op. cit. p150
coutumes en Algérie-

(7) د. إبراهيم مياسي: من ثورات أولاد سيدي الشيخ - ص 117

ومنها قصر أربا التحتاني والفوقاني*، وفي رواية أخرى أن أسرة البوبكرية. استقرت بوادي القليته قرب قصر أربا، الذي كان محل صراع سياسي بين الإباضيين والفاطميين، وبين بني مرين والزيايين(1)، وقد ترك سيدي معمر بلعالية بعد وفاته ابنا كان يسمى عيسى الذي توفي عن عمر يناهز أربعة وعشرين سنة، وقد ترك عيسى ابناسمي ببوليلة وأنجب ببوليلة بولحية وبولحية أنجب بوسماحة، وعن بوسماحة سليمان الذي دفن بقصر بني ونيف، والذي تنسب إليه أسرة أولاد سيدي الشيخ، وأقام أولاد سيدي الشيخ القباب على أضرحة أجدادهم(2) كقبة سيدي معمر بلعالية وسيدي عيسى ببوليلة، وسيدي بوسماحة. وسرعان ما سئم زعماء هذه القبيلة المكوث بنفس المكان، فغادر البعض من أفرادها هذه القصور واتجهوا بقيادة سيدي سليمان ولد بوسماحة غربا نحو واحات فقيق أين توفي هناك واشتاق الابن الأكبر سيدي محمد ولد سيدي سليمان إلى وطن أجداده(3)، فغادر فقيق تاركا إخوته هناك ونزل بالشلالة الظهرانية التي مكث بها حتى وفاته، بينما استقر أخوه سيدي أحمد المجذوب فيما بعد بقصر عسلة غرب الشلالة الظهرانية* وفي رواية مياسي أن سيدي أحمد المجذوب أنجب ولدا رزق الله البركة والتقوى والإحترام والتقديس في بعض الأحيان(4)، واعتبر ولي الله الصالح وهو سيدي عبد القادر الذي شاع اسمه في كامل الجنوب الغربي

*أربا التحتاني والفوقاني: وتسمى أيضا بأربوات، تعد من أقدم قصر من بين قصور بني عامر، وهي كلمة مشتقة من ربلت البلاد أو ربدة البلاد، وقد شهد قصر أربا الصراع الزناتي الفاطمي أيام عبيد الله الفاطمي. ينظر إلى البيان: ج1-ص240-محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي-المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1986-ص228

Gendre:op.cit.p58

(1) د. إبراهيم مياسي: من ثورات أولاد سيدي الشيخ-ص117

(2) نفسه: ص117

(3) د. إبراهيم مياسي: من ثورات أولاد سيدي الشيخ-ص116-د. يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين-ص163

الشلالة الظهرانية والقبيلة: تعد من قصور الأطلس الصحراوي، تقع جنوب شرق قصر عسلة، وهي كذلك تابعة إلى البيض.

(4) إبراهيم مياسي: من ثورات أولاد سيدي الشيخ - ص117

الجزائري والجزء الشرقي من المغرب الأقصى. وأصبح له العديد من الأتباع والإخوان والمريدين، ولد سيدي عبد القادر الملقب بسيد الشيخ سنة 1530م وتوفي سنة 1615م (1). وهو صاحب الطريقة الشيعية التي تعتبر فرعاً من فروع الطريقة اليوسفية الشاذلية، ودفن في الأبيض الذي سمي باسمه أي بالأبيض سيد الشيخ الذي يقع شرق الأبيض (2) ..

ب- الرزاينة: لم يتعرض النسابة المؤرخون العرب في مصادرهم كلمة رزاينة، ويبدو من خلال لغتها وبنائها الاجتماعي ونمط حياتها الاجتماعية أن نسبها يعود إلى عرب بني هلال، بحيث لا تختلف عن حميان في حياتها البدوية، أو احتمالاً أن الرزاينة تنسب إلى عرب عدنانية أو قحطانية، وفي غياب المصادر التاريخية لا يمكن الجزم بنسب الرزاينة ولا يمكن تحديده تحديداً دقيقاً، وحسب مصادر الضباط الفرنسيين والمصادر الشفهية، أن اسم الرزاينة مشتق من كلمة رزين* (3) الذي ربما كان زعيم هذه القبيلة يكنى بهذا الاسم؛ أو ربما كان يتميز بالرزانة ورجاحة العقل. أو كان اسمه رزين وقيل أنه جاء مرافقاً لجد أولاد سيدي الشيخ وهو معمر بلعالية في القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي، وكان يمثل أحد فرسانه ولذلك أطلق عليهم اسم الرزاينة (4)، وحسبما جاء في مصادر الضباط الفرنسيين فإن قبيلة الرزاينة تنقسم إلى قسمين: الرزاينة الغرابية والشراقة (5)، وهذا التقسيم ليس مبني على أساس جغرافي وقد انعكس هذا التقسيم

(1) د. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية - ج 1 - ص 180 - د. إبراهيم مياسي: من ثورات أولاد سيد الشيخ ص 118

(2) د. إبراهيم مياسي: من ثورات أولاد سيد الشيخ - ص 118 - د. يحيى بوعزيز: من ثورات الجزائر - ص 164 - د. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ج 1 - ص 164

* رزين: يوجد بن ورزين وهو ينتسب إلى بربرناتة من بني بادين - ينظر إلى بن عودة المازري - المصدر السابق - ص 161

(3) Noël :op.cit.p191

Ibid.p191(4)

Ibid:p191(5)

الذي كانت فرنسا سببا في وجوده سلبا على تطور القبيلة(1)، استقر رزين مع سيدي معمر بلعالية بقصر أربا، وكان له أربعة أبناء وهم أحمد وعون وهلال وعامر، والغالب إلى الظن أنه من خلال اسم أحد أبنائه هلال، أن قبيلة الرزاينة هي قبيلة هلالية، وتزوج أبناء رزين وأنجبوا أولاد وأحفاد. وتشعبت أسرة رزين وأصبحت تشكل قبيلة، وتذهب مصادر الضباط الفرنسيين والمصادر الشفاهية أن نسب البسايس يعود في الواقع إلى أهل قصر بوسمغون* وبالتالي فهم من بربر زناتة(2)، وتشير هذه المصادر أن العلاقة التي جمعت بين البسايس ورزين وسيدي معمر بلعالية، كانت تتمثل في كون أن سيدي معمر بلعالية كان في حاجة إلى إداريين، وبما أن أهل بوسمغون كانوا يتقنون التسيير الإداري، فإن سيدي معمر بلعالية استدعى جد البسايس لهذا الغرض، فولاه تسيير أملاكه، وكون أن رزين كان أحد فرسانه إلى جانب عكرم وزباد، فقد توطدت العلاقات بين البسايس والرزاينة، وأصبحت البسايس نتيجة الاندماج بطنا من بطون الرزاينة.

ب1- الرزاينة الغرابية: تتكون من المراهيس وأولاد خلف الله وأولاد محمد ابن عيسى، فيسمى أحفاد أحمد بأولاد سعدة، نسبة إلى أمهم التي كانت تسمى سعدة(3). ومن المحتمل أن أبوهم توفي، وتكفلت أمهم سعدة بتربيتهم ورعايتهم. ومن أولاد سعدة.

Noël : op.cit.p192 (4)*

قصر بوسمغون: هو قصر من قصور بني عامر، وحسب الدراسات الأثرية يعد من أقدم القصور، وكذلك من القصور الآهلة بالسكان ويتكلم سكانه اللغة الزناتية المعروفة بالشلحة، وهو القصر الوحيد الذي لا تزال اللغة الزناتية تتداول على مستوى واسع عكس القصور الأخرى التي انحصرت على مستوى العائلات. ينظر إلى: René Basset: le ksar de

boussamghoun-bsgo-1886-p66

Noël:op.cit.p191 (1)

الح ————— Louis Rinn: Maraboutset Khoun; Librairie éditeur; Alger 1884 p351

عبد: الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م) - دار هو مه - الجزائر - 2005 - ص 141

Ibid.p192(2)

Ibid;p192(3)

القريينات والسواريت، بينما توجد بعض العائلات وفدت من قصر لخم وبوكايس بمنطقة بشار، كانت أجدادها مدرسين للقران، فاندجحت هذه العائلات ضمن قبيلة الرزاينة نتيجة المصاهرة، ويقال أن هؤلاء المدرسين شارطوا قبيلة الرزاينة مقابل تدريس أبنائها، وهي الطريقة التي كانت متبعة في تدريس القران بالنسبة للبدو الرحل. أما بالنسبة للطلح فإن نسبهم يعود إلى أهل انقاد، (1)، وينحدر أولاد هلال من هلال ويطلق أيضا اسم البسايس، وينحدر من عامر أولاد عامر من بطون، وهم الجلاغة، المجاديب والكوابي والعيادة والخلويت والعوامر (2).

ب2- الرزاينة الشراقة: تتعدد بطونها إلى أولاد محمد ويقال أن نسبهم يعود إلى أولاد جرير، والخشاع والمربعة وقيل أن نسبهم يرجع إلى زناتة المغرب الأقصى وهم ايت عطة (3)، والذين أنجبهم عون فيطلق عليهم اسم أولاد عون ثم أولاد بلهادي وأولاد العيد والخشافة وهؤلاء هم فخذ من أفخاذ زغبة، والشواوكة وأولاد عون، وهؤلاء يتفرعون إلى أولا قويدر، وقيل أن نسبهم يعود إلى أولاد سيدي علي بن يحيى المستقرين بالبيض (4). والعبس وهم ينتسبون إلى أهل انقاد، ثم النواورة وأولاد بن ديدة والمعانة، ويقال أنهم جاءوا من فرندة. ينقسم أولاد سعدة إلى غرابة وشراقة، بالنسبة لأولاد سعدة الغرابة فقد سبق ذكرهم. بينما أولاد سعدة الشراقة فهم الثردان وأولاد الجيالي والعباسة وأولاد بن شكرو قيل أن نسبهم يرجع إلى الغنامة الذين كانوا مستقرين بوادي الساورة (5). وتشير مصادر الضباط الفرنسيين أن بقية الرزاينة والتي

(1) Rinn:op.cit.p351-Noèl:op.cit.p192- صالح عباد: المرجع السابق-ص141

(2) Ibid.p193- صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي-ص141

Ibid.p193(3)

Ibid.p194(4)

Ibid.p194(5)

لم يتم ذكرها فالراجح أنها تنتسب إلى رزين وهم كإخوة لأولاد زياد(1). وتجهل أسباب هجرة الرزائية من قصر أربا إلى التل الوهراني، وربما قد شاركت في الجهاد ضد الإسبان إلى جانب سيد الشيخ، وكانت الرزائية ولا تزال من أتباع سيد الشيخ ومريديه ومن أتباع الطريقة الشيخية، ومنهم من أتباع سيدي سليمان بوسماحة الذي دفن ببني ونيف أوروبما كان سبب هجرتهم إلى التل الوهراني يتمثل في الترحال الموسمي الذي كانت تقوم به قبائل المنطقة، ثم هاجرت قبيلة الرزائية قبل الاحتلال الفرنسي إلى المنطقة الواقعة بين معسكر وسعيدة، وكانت تابعة لبابلييك الغرب أو اليعقوبية. وخلال فترة الاحتلال الفرنسي ما بين 1830 و1906م ارتحلت قبيلة الرزائية إلى منطقة الواقعة ما بين سعيدة وسفيد وواد فليط، وخضعت للنظام المدني الفرنسي الصادر في سنة 1871م. ثم نزحت بعد سنة 1906م إلى موطن حميان، جنوب الشط الشرقي بسبب رفضها لقانون جونار والتجنيد الإجباري، بينما ذكرت مصادر شفاهية أن سبب نزوح قبيلة الرزائية إلى موطن حميان هو نتيجة كثرة الفتن بينها وبين قبائل منطقة سعيدة، وهي الجعافرة والحساسنة* ولوأن نسبة معتبرة من الرزائية لا تزال تستقر بمنطقة سعيدة(2).

ج-المعقل: من بطون الطبقة الرابعة ينتسبون إلى عرب اليمن كما يقول ابن خلدون(3) وكانت في عهده من أوفر قبائل العرب، وكان نسبهم مجهولا ونسابة العرب من هلال يعدونهم من بطون هلال، ويقول ابن خلدون هذا غير صحيح(4)

Noël:op.cit.p192(1)

Ibid :p192(2)

*تنتسب الحساسنة إلى عرب سويد بن مالك. ينظر إلى:العبر-ج6-ص46

(3)العبر:ج6-ص60- الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي: وصف إفريقيا-ص53-د. مصطفى أحمد

أبوضيف:المرجع السابق-ص232-مبارك بن محمد المليي:المرجع السابق-ج2-ص159

(4)العبر:ج6-ص59-السللاوي:الاستقصا-ج2-ص159-محمد بن ماء العينين:الجأش الربيط في النضال عن مغربية شنحيط

وعربية المغاربة من مركب وبسيط-القاهرة-1957-ص28

ويزعم المعقل أنهم من نسب أهل البيت إلى جعفر بن أبي طالب وليس ذلك بصحيح لأن الطالبين والهاشميين لم يكونوا أهل بادية وتروحال (1)، وربما يعود نسبهم إلى عرب اليمن. دخلت المعقل برفقة الهلالين بعدد قليل، يقال أنهم لم يبلغوا المائتين (2)، وسبب انضمامهم إلى الهلالين أن بني سليم أعجزوهم منذ عهد قديم ونزلوا ممالي ملوية ورمال تافيلات وجاوروا زناتة في القفار (3)، وزاد عددهم في صحاري المغرب الأقصى، فعمروا رماله وتغلبوا على فيافيه وكانوا أحلافا لزناتة، وبقي منهم بإفريقية جمع قليل اندرجوا في جملة بني كعب بن سليم وكانوا وزراء ومعاونين لزعمائهم (4)، فإن فيهم بطنين يسمى كل منهما بالمعقل، ذكرهما ابن الكلبي فأحدهما من قضاة بن مالك بن حمير وهو معقل ابن كعب بن غليم بن خباب بن هبل بن عبدالله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عترة بن زيد ابن اللات بن ربيعة بن ثور بن كعب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة (5)، والبطن الثاني من بني الحرث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد ابن مذحج واسمه مالك بن أدد ابن زيد بن يشجب بن عريب بن زير بن كهلان وهو معقل واسمه ربيعة بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحرث، وهم ينسبون إلى جدهم معقل ومنه سجير ومحمد، وينقسمون إلى ثلاث بطون ذوي عبيدالله، وذوي منصور وذوي حسان. ومن صغير ولد عبيدالله وثلعب (6).

- (1) العبر: ج 6-ص 51-السلوي: الاستقصا-ج 2-ص 161-الحسن بن محمد الوزاني: وصف إفريقية-ص 51
- (2) العبر: ج 6-ص 60-الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي: وصف إفريقية-ص 51-د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: المرجع السابق-ص 232
- (3) العبر: ج 6-ص 60-د. مصطفى أبوضيف عمر: نفسه-ص 232
- (4) العبر: ج 6-ص 60-السلوي: الاستقصا-ج 2-ص 161-محمد مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج 2-ص 15-د. مصطفى أبوضيف القبائل العربية-ص 232
- (5) الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي: المصدر السابق-ص 56
- (6) العبر: ج 6-ص 60-الحسن الوزاني: وصف إفريقية-ص 56

ومن عبيد الله ذوي عبيد الله البطن الكبير، ومن ثعلب الثعالبة الذين بمتيحة بنواحي الجزائر العاصمة (1)، ومن ولد محمد مختار ومنصور وجلال وسالم وعثمان، ومن ولد مختار بن محمد حسان وشبانة، ومن حسان ذوي حسان، وهم أهل السوس فلما استولت زناتة على بلاد المغرب ودخلوا أمصارها. وبقي هؤلاء المعقل في القفار، ملكوا قصور الصحراء التي أسستها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا ثم توات وبودة، وتمنطيت وورقلة وتاسيت وتيكورارين شرقا (2). فجاز عرب المعقل هذه القصور، وفرضوا عليها الأتاوات والضرائب وأصبحت لهم جباية يعتدون فيها ملكا وفي سلطان بني عبدالواد من زناتة (3) ..

ج1- ذوي عبيد الله: كانوا بقفار المغرب الأقصى، ومجاورن لبني عامر من زغبة، وكانت مواطنهم ما بين تلمسان ووجدة إلى مصب وادي ملوية في البحر ومنبعث وادي صا من القبلة وتاوريرت في التل إلى المحيط الأطلسي غربا (4)، وتجاوهم في القفر ينتهي إلى قصور توات وتمنطيت وربما يزيدون إلى تاسيت وتيكورارين وهذه كلها مراكز تجارية (5)، رقاب القفر على حد قول ابن خلدون إلى بلاد السودان، وينقسم ذوو عبيد الله إلى بطنين الخراج والهداج، فالخراج من أولاد خراج بن مطرف بن عبيد الله، رئاستهم في أولاد عبد الملك بن فرج بن علي بن أبي الريش بن مهايا بن عثمان بن خراج لأولاد عيسى بن عبد الملك ويعقوب بن عبد الملك، ويغمر بن عبد الملك (6).

(1) العبر: ج6-ص61- القلقشندي: صبح الأعشى- ج5-ص149- الحسن الوزاني: وصف إفريقية- ص51- محمد بن ماء

العنين: الجأش الربيط- ص28

(2) الحسن الوزان: المصدر السابق - ص56

(3) العبر: ج6-ص61- د. مصطفى أبوضيف عمر: المرجع السابق- ص232

(4) نفسه: ص60- الحسن بن محمد الوزان: ص55- السلاوي: الاستقصا- ج2- ص161

(5) الحسن بن محمد الوزان: نفسه- ص56- السلاوي: الاستقصا- ج2- ص159- أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ

المغرب- ص198

(6) العبر: ج6-ص60- السلاوي: الاستقصا- ج2- ص159- مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق- ج2- ص159

تتقاسم بين رحوبن منصور بن يعقوب وبين طلحة بن يعقوب بن يغمور. وكانت رئاستهم في أواخر القرن الثامن الهجري (1) ومن أشهر بطون خراج جعوان أو الجعاونة، وبنو عثمان أو العثامنة وغاسل أو الغسل، ومطرف أو المطارفة، ومن العثامنة أولاد عبد الملك، وفيهم رئاسة الخراج، ومعهم ناجعة من المهايا ينتسبون تارة إلى مهايا بن عياض وتارة إلى مهايا ابن مطرف، وكانت الخراج تسكن في صحراء بني كومي وهي عبارة عن قصور تقع على ضفاف وادي زورفانة وأهمها قصر تاغيت وفقيق (2)، ولهم أراضي زراعية كثيرة بنوميديا وإعانات مالية يتلقونها من ملك تلمسان الذي لا يكاد يفتر في الحرص على حملهم على أن يعيشوا عيشة مسالمة شريفة، وهم نحو أربعة آلاف فارس من عادتهم أن يرحلوا إلى نواحي تلمسان في فصل الصيف (3). أما من أولاد الهداج بن مهدي بن محمد بن عبد الله، ورئاستهم في أولاد يعقوب بن هبا بن هداج وهم بنو فكرون بن محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب (4). (ينظر الجدول رقم 04 ص 448). ثم أبو يحيى الكبير بن مناد بن عمران ابن رزق بن يعقوب، ثم آلت إلى أبي يحيى الصغير بن موسى بن يوسف بن حريز بن يعقوب يساعده أبو حميدة محمد بن عيسى بن مناد بن عمر بن عمران بن رزق الله بن يعقوب في أواخر القرن الثامن الهجري وهم حلفاء لبني مرين، إقطاعاتهم منهم ومواطنهم من بلادهم، ورجوعهم إلى بني عبدالواد في النادر، وهم كثير التقلب في القفار والغزو القاصية ولأهل الرمال والملثمين (5). وتسكن صحراء مجاورة لتلمسان تدعى أنكاد وليس لهم ممتلكات ولا إعانات وهم نحو خمسمائة فارس.

(1) العبر: ج 6-ص 61-عبدالوهاب بن منصور: قبائل المغرب - ج 1-ص 426

(2) الحسن الوزاني: وصف إفريقية - ص 52

(3) العبر: ج 6-ص 61-عبدالوهاب بن منصور: قبائل المغرب - ج 1-ص 427

(4) نفسه: ص 61-عبدالوهاب بن منصور: قبائل المغرب - ص 427

(5) الحسن الوزاني: وصف إفريقية - ص 52

وكانت العلاقة بين ذوي عبيد الله وبنو عامر ومن بينهم حميان عدائية والحروب مستمرة بينهم في أغلب الأحيان⁽¹⁾، وربما يعود سبب العداء إلى المواقف المختلفة بين بني عامر وذوي عبيد الله، فبنو عامر كانوا دائما إلى جانب بني عبدالوادر خاصة بنو عامر بن حميد وذوي عبيد الله كانوا إلى جانب بني مريـن، وبالتالي اختلفت مصالحهم، وكون أن الطرفين كانوا يستخدمون كجنود في جيوش بني عبدالوادر وبني مريـن، فلا شك أن الطرفين تعرضوا للمواجهة العسكرية، وسقطت بينهم أرواحهم أدت إلى استمرار العداء، وكان ذوي عبيد الله ثائرين على دولة بني عبد الوادر بصفة تكاد تكون مستمرة، حيث كانوا أحلافا لبني مريـن خلال فترة قوتهم⁽²⁾، ونظرا لقرب مواطنهم من حدود الدولة المرينية، فقد أحازوا إليهم في غزوهم للمغرب الأوسط، بل اعتمد المرينيون عليهم كجنود وفرسان ضمن قواتهم⁽³⁾، فأثناء غزو أبي الحسن المريني لتلمسان حالفوه وساعدوه، وأسند إليهم غزو قصور الصحراء الواقعة جنوب وجدة⁽⁴⁾، واحتمالا أن قصور بني عامر تعرضت لهجوم ذوي عبيد الله بحكم معرفتهم بالمنطقة، وكذلك بحكم مجاورتهم لبني عامر.

د- الخلايفة: حسب ما جاء في مصدر ضباط مكتب الشؤون العربية، والمصادر الشفاهية أن اسم الخلايفة نسبة إلى الولي الصالح سيدي خليفة، وهو ولد أحمد الذي قيل أن نسبه يعود إلى أدراسة المغرب الأقصى⁽⁵⁾، وجاء أحمد كما تذكر نفس المصادر من مراکش⁽⁶⁾، وقد استقر بمنطقة الخيش بالشط الشرقي وهاجر بعضهم إلى المشربة.

(1) العبر: ج 6-ص 61- الحسن الوزان: وصف إفريقية-ص 51-السلوي: الاستقصا-ج 2-ص 159-مبارك بن محمد

الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج 2-ص 158-د. مصطفى أحمد أبوضيف: المرجع السابق-ص 45

(2) العبر-ج 6:ص 62-الحسن الوزاني: وصف إفريقية-ص 52-د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: القبائل العربية-ص 232

(3) نفسه:ص 62-الحسن الوزاني: وصف إفريقية-ص 52

(4) الحسن الوزاني: وصف إفريقية-ص 52

(5) Noèl:op.cit.p192

Ibid :p193(6)

وأسسوا قصرا الذي لا تزال آثاره موجودة إلى اليوم داخل الثكنة العسكرية التي تغطي مساحة واسعة وسط مدينة المشرية وكانت في العهد الاستعماري الفرنسي عبارة عن مشتلة تابعة لمكتب الشؤون العربية خلال الفترة الاستعمارية. وربما هاجرت أسرة أحمد بعد ما أصاب دولة الأدارسة منذ تأسيسها سنة 172هـ وإلى غاية انقراضها سنة 375هـ — من أخطار خارجية متمثلة في الأغلبة ومن بعدهم الفاطميين بإفريقيه، والأمويين بالأندلس حتى ضعف أمرها واقتصر سلطان الأدارسة على البصرة وأصيلا وحجر النسر، وأخطار داخلية حيث انتهى الأمر بحصارهم، ومن انضم إليهم من بني عمومته ببلاد الريف من بني عمر بن إدريس في قلعة حجر النسر على يد مكناسة بقيادة موسى بن أبي عافية. وحينما فكر موسى بن أبي عافية في تدميرهم رفض رجال دولته، وقاوموه متسائلين كيف يوافقون على قطع دابر أهل البيت من المغرب، فخرج الأدارسة من القلعة بعد حصار دام أربع سنوات (1) أدت إلى ركود ربح العلويين وتفرق جمعهم، وانقرضت دولتهم بعد حكم قرنين من الزمان وتفرق العلويون في قبائل المغرب ولاذوا بالاختفاء (2)، والغالب على الظن أن بعضهم هاجر إلى المغرب الأوسط عبر قسرققيق بحيث يعيش بين زناتة قصور بني عامر التي تقع بالأطلس الصحراوي الغربي أسر من الأدارسة، تستقر في قصر تيوت ومغراو الشلالة الظهرانية، ربما لها صلة بأسرة أحمد. وتوجد إلى اليوم بقايا الأدارسة شبه منعزلة عن القبائل المجاورة لها بجبال ورقة*، التي تشتهر بحمام معدني يسمى بحمام ورقة يقال أنهم من الشرفاء الأدارسة، يلقبون بمولاي،

(1) العبر: ج 6 - ص. ص. 25-26 - د. مصطفى أحمد أبوضيف: المرجع السابق - ص 45

(2) نفسه: ص. ص. 25-26 - الميلي: ج 2 - ص 162 - عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب - ج 1 - ص

G.Marçais: les arabes en berbérie du 11^{siècle} paris 1913 p.p639 642.41

*عين ورقة: تقع شرق تيوت وتبعد عنها بنحو ثلاثين كيلومتر وكذلك جنوب قصر عسلة، وهي محاطة بجبال التي هي جزء من جبال الأطلس الصحراوي، وتتميز جبال ورقة بالتنوع الجيولوجي.

يعيشون على إنتاج الملح والغازول من جبال ورقة التي هي جزء من جبال الأطلس الصحراوي، ويسكنون بيوتا من الطين والحجر شبيهة بمساكن القصور في أعالي الجبال.

هـ- العمور: ليسوا من الأثبج وإنما يلحقون بهم، والغالب إلى الظن أنهم من ولد عمرو ابن عبدمناف، وليسوا من ولد عمر بن أبي ربيعة بن فهيك بن هلال (1)، نظرا لعدم وجود صلات فيما بين رياح وزغبة والأثبج من ناحية، وبين قرة أشهر بطونهم من ناحية أخرى، في الوقت الذي يوجد بين قرة وغيرهم من بطون هلال صلات، والعمور بطنان قرة أومرة وعبدالله (2)، وهم مستقرون بالضواحي والجبال وفيهم الفرسان وأكثرهم رجالة. موطنهم ما بين جبل أوراس شرقا إلى جبل راشد أو جبل العمور، حيث الفقر والجذب، وبنو قرة بطن متسع لأنهم موزعون في القبائل والمدن وحدانا ورياستهم في بني عبدالله بن علي ومنهم بطنان كأولاد محمد وأولاد ماضي ومنهم أولاد عنان بن محمد وعزيز بن محمد ومنهم أولاد شكر بن عنان وفارس بن عنان ومنهم زكري بن سعيد بن بسيط بن شكر وشيخهم المعاصر ليعمور هو عامر بن أبي يحيى بن يحيى (3). ومواطن أولاد فارس، وأولاد عزيز وأولاد ماضي بسفح جبل أوراس المطل على بسكرة متصلين بجوار رياح وتحت طاعتهم، خصوصا الزواودة الذين يحولون بوطنهم ولصاحب الزاب وبسكرة عليهم طاعة لقرب الجواره وحاجتهم إلى سلطانه وموطن أولاد شكر جبل راشد أو ما يسمى بجبل العمور (4).

(1) العبر: ج 6-ص 26-مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث- ج 2-ص 162-د. مصطفى أبوضيف أحمد

عمر: القبائل العربية-ص 211-عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب- ج 1-ص 41-**G.Marçais: les arabes en berbérie. du 11 au 13 siècle-paris-1913-p.p.639-642**

(2) العبر: ج 6-ص 26-مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر- ج 2-ص 162

(3) نفسه: ج 6-ص 25-26-الميلي: تاريخ الجزائر- ج 2-ص 162-عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب- ج 1-ص 41-

د. مصطفى أحمد أبوضيف: المرجع السابق-ص 211-**G.MarçaisMop.cit.p.p639-642**

(4) العبر: ج 6-ص 26-د. مصطفى أحمد أبوضيف: المرجع السابق-ص 211

ثم استقل به أولاد محيا بعد طردهم لأولاد زكرير على جبل كسال بالبيض(1)، ومنهم من هاجر إلى منطقة تيوت وعين الصفراء، مثل مغنيات وأولاد بوبكر وأولاد أحمد وأولاد تومي، وأولاد سيدي بلنوار والصوالة(2)، واستمر الصراع بينهما إلى أن استولت زغبة على جبل راشد، الذي أصبح يحمل اسم العمور، فصار أولاد محيا أتباعا لسويد بن زغبة، وأولاد زكرير في حماية بني عامر(3).

خلاصة القول: يستخلص مما سبق ذكره أن المصادر الشفاهية أصبح يغلب عليها الطابع الأسطوري والذي لا يمت بصلة إلى الموضوعية التاريخية، ونظرا لتعاقب الأجيال وتغير مراكز كثير من قبائل المنطقة، وأيضا تغير أسماء بعض القبائل أو البطون سواء كانت تنسب إلى بني يزيد أو إلى بني زغبة فإن الراوي لا يمكن أن يحافظ على أسماء البطون والقبائل، إلا القبائل التي بقيت محافظة على اسمها الذي ورد في مصادر النسابة والمؤرخين العرب القدماء، ومن نقل عنهم من المؤرخين المحدثين. عرفت هذه المصادر كذلك الزيادة والنقصان والمبالغة والمغالاة أو الإجحاف في حق تاريخ قبيلة حميان وبني عامر. وبالرغم من أنها تفتقر إلى التسلسل المنطقي للأحداث التاريخية وإلى الحقيقة التاريخية في معظمها إلا أنه يمكن الاستفادة منها، وما يؤخذ على مصادر الضباط الفرنسيين أنها جمعت بين المصادر التاريخية والمصادر الشفاهية، وبالتالي أصبح من العسير التمييز بين المعطيات التاريخية المستقاة من المصادر التاريخية والمصادر الشفاهية، ويلاحظ من خلال قراءة المصادر الشفاهية أن معظمها مجهولة المؤلف، وتفتقر لعامل الزمن وأحيانا المكان، بل ركزت المصادر الشفاهية على المكان في تحديد النسب والأصل.

(1) العبر: ج6-ص.ص 25-26-مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص162-عبد الوهاب بن

منصور: قبائل المغرب-ج1-ص419-419-642-639-p.les arabes: G.Marçais

(2) Mensier: op.cit.p24

(3) العبر: ج6-ص.ص 25-26-عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق-ج1-ص419

ولا شك أن المكان لا علاقة له بالنسب والأصل، وكذلك لم تحدد هذه المصادر أسباب الهجرات التي كانت تتم على المستوى الإقليمي أو المحلي، ولم تراع الظروف والأسباب السياسية والتغيرات التي حصلت سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي، ولم تلتزم بقواعد البحث العلمي التزيه وكذلك لم تتعرض إلى التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها المغرب الإسلامي منذ نزوح حميان وبنو عامر من جملة بني زغبة في منتصف القرن الخامس الهجري (11م) من صعيد مصر إلى إفريقية ثم المغرب الأوسط ثم إلى صحراء تلمسان إلى غاية القرن الثامن الهجري (14م). تنتسب قبيلة حميان إلى يزيد بن زغبة بن هلال، وبالتالي فهي قبيلة هلالية النسب والأصل، وذلك من خلال ماورد عن النسابة المؤرخين العرب القدماء. يلاحظ أن هناك تشابه بين المصادر الشفاهية ومصادر ضبط مكاتب الشؤون العربية التي دونت نسب وأصل حميان وتاريخهم والتي سجلتها ودونتها بعد اتصالاتي والمقابلات التي أجريتها مع كبار السن، وبالتالي يمكن القول أن الضباط الفرنسيين قد دونوا هذه المعلومات عن شيوخ القبيلة، وأن شيوخ حميان اليوم بدورهم قد نقلوا هذه الروايات التاريخية عن طريق المشافهة عبر الأجيال السابقة وذلك في غياب التدوين والكتابة، وهذا ما جعل المصادر الشفاهية تفقد كثيرا من الأحداث والوقائع التاريخية والثقافية الصحيحة. ولا شك أن حميان كرهط أو فصيلة أو فخذ قد هاجرت رفقة بني هلال من بلاد الحجاز والشام إلى صعيد مصر في ظل ظروف سياسية فرضها السلطان العزيز الفاطمي، ثم هاجرت ونزحت رفقة بني زغبة إلى بلاد المغرب في منتصف القرن الخامس الهجري الموافق للقرن الحادي عشر الميلادي في ظل ظروف سياسية صعبة كان من ورائها الصراع الفاطمي الزييري، مع أن بني هلال لم يكن لهم أي هدف من هذا الصراع فكيف كانت ظروف حميان من جملة بني زغبة في صعيد مصر بعد هجرتهما من الحجاز والشام ؟

الفصل الثاني: هجرة حميا من جملة بني زغبة

إلى إفريقية سنة 442هـ - 1049م

المبحث الأول: ظروف حميا في صحيد مصر

المبحث الثاني: أسباب هجرة حميا من صحيد مصر إلى إفريقية

المبحث الثالث: موقف إمارة بني زيري من حميا

أ- علاقة حميا من جملة بني زغبة بإمارة بني زيري

أ- ظروف حميان في صعيد *مصر: كانت حميان تشكل فصيلة من فصائل بني هلال بن عامر بن صعصعة في تلك الفترة أي قبل سنة 962م، وفخذا من أفخاذ زغبة وهاجرت إلى صعيد مصر في ظل الهجرة الجماعية لبني هلال بعد أن انتصر الجيش الفاطمي على القرامطة وزوال دولتهم، نقل العزيز الفاطمي أشياعهم وأحلافهم من بني هلال من الشام والحجاز إلى صعيد مصر، وربما يعود سبب تهجيرهم أن السلطة الفاطمية، كانت ترى أن بلاد الشام تعد خط الدفاع الأول لمصر، وكانت تدرك أن بقاء بنو هلال في سوريا على حدود مصر الشرقية، يشكل مصدر خطر على حكم الفاطميين في شمال النيل، فانتهت السلطة الفاطمية إلى تشجيع القبائل الهلالية على الهجرة إلى مصر ما بين 976م - 996م (1)، بل تخوفت من أن تستغل قبائل بني هلال من طرف حركة القرامطة أو من العباسيين، وفي الوقت نفسه كان الخليفة الفاطمي العزيز بالله الفاطمي يرى ضرورة استغلال هذه القبائل لتدعيم قوته العسكرية، والاستفادة من خبرتها العسكرية (2) وذلك من أجل مجابهة أي خطر يصدر من القيروان؛ لأنه كان يشعر بوجود حركة انفصال من طرف بني زيري، ثم التخلص من شغبهم وأضرارهم، حيث ذكر بعض المؤرخين أن السلطة الفاطمية عندما انتقلت إلى القاهرة سنة 362هـ - 962م تدمرت من أضرار القبائل الهلالية التي كانت تستقر قريبا من القاهرة

*الصعيد: بلاد واسعة فيها عدة مدن منها أسوان، وهي أوله من ناحية الجنوب ثم قوص وقفت وأحيم والبهنسة، وهي تنقسم إلى ثلاث أقسام: الصعيد الأعلى وحده أسوان وآخره أحيم والصعيد الأوسط يمتد من أحيم إلى البهنسة، والصعيد الأدنى ويمتد من البهنسة إلى قرب الفسطاط. ينظر إلى ياقوت الحموي معجم البلدان ج3 - ص. ص 391392 - محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1986 - ص 298

(1) محمود كامل: الدولة العربية الكبرى - ط1 - دار المعارف - مصر (د.ت) - ص 152

(2) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي - ج4 - المجلد 2 - ط1 - مكتبة مدبولي - القاهرة - 1994 - ص 146 - رابع بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته - ص 134 - د. عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن - دار المعارف -

مصر - 1971 - ص 203

وتضايقت منها فنقلتها إلى صعيد مصر⁽¹⁾، وفي هذه الحالة لا يمكن الجزم بهجرة حميان ضمن هذه القبائل في هذه الفترة، ولاريب أن استجابة حميان من جملة بني زغبة الهلالية لقرار التهجير الصادر عن العزيز بالله الفاطمي كان من ورائه أسباب موضوعية، وهي ربما قد تخوفت القبائل الهلالية من بطش الفاطميين في حالة رفضها لقرار التهجير المفروض عليها من الشام والحجاز إلى صعيد مصر، أو احتمالاً استجاب بنو هلال لقرار التهجير بسبب ارتباطهم التاريخي بمصر التي لم تكن غريبة عليهم، وإنما كانت هجرتهم لها منذ الفتح الإسلامي؛ أو ربما كان بنو هلال يدركون أهمية مصر كإقليم حيوي يناسب طبعهم وحياتهم البدوية، خاصة وأن بني هلال عانوا من الجفاف الذي تعرضت له منطقة الحجاز وفقر المراعي، لأن حياتهم الاقتصادية كانت تتوقف على ممارسة الرعي كنشاط اقتصادي أساسي، أو احتمالاً تخوف بنو هلال من رد فعل العباسيين لأنهم كانوا إلى جانب القرامطة ضد بني العباس، أو ربما كان العامل الديمغرافي سبباً في هجرة بني هلال إلى صعيد مصر، بحيث زاد عددهم وأصبحت أرض الحجاز والشام غير قادرة على استيعابهم. وخلاصة القول أن حميان هاجرت إلى صعيد مصر في ظل الهجرة الجماعية لبني هلال، وذلك نتيجة ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية التي كانت حتمية وقاهرة، خاصة وأن بني هلال أوغل في البداوة من بني سليم⁽²⁾. وعندما حل بنو هلال بصعيد مصر، أجمع أغلب المؤرخين والباحثين أن بني هلال حولوا منطقة الصعيد إلى منطقة غير مستقرة وأحدثوا الفوضى، وعم ضررهم وأحرق البلاد شررهم، واشتد

(1) ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم - ترجمة عبدالرحمن بدوي - دار الغرب الإسلامي - بيروت - 1981 - ص 219 - د. عبدالفتاح الغنيمي: المرجع السابق - ج 3 - 134 - رابع بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته ص 134 - محمد عبدالله عنان: عصر المرابطين - ط 1 - القاهرة - 1964 - ص 298 - عبدالقادر المشرفي: المصدر السابق - ص 23

(2) العبر: ج 6 - ص 14 - د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: ج 4 - المرجع السابق - ص 150 - محمد بن عميرة: المرجع السابق ص 298

أذاهم على الزرع وعلى أهل الحواضر وأنزلوا البلاء، ونفر منهم أهل الصعيد وكذلك السلطة الفاطمية التي لم تكن مستريحة لوجودهم في مصر بسبب السلب والنهب، وكانوا عنصرا هداما وأحدثوا أتعابا للدولة الفاطمية ووقعت بينهم الفتن والحروب خاصة بين زغبة ورياح(1). بينما ذكر بعض الباحثين أن بني هلال لم يلحقوا أي أذى بأهل الصعيد(2). ويبدو أن المؤرخين قد بالغوا في وصف علاقات بني هلال مع غيرهم من القبائل الأخرى في صعيد مصر، بهذه الصفات التي تتنافى والطرح العلمي التريه، ولم يتطرقوا إلى الأسباب التي أدت ببني هلال إلى الفوضى والشغب والفتن، ربما يعود ذلك إلى طبيعة حياة البدوي، واحتياجاته الاقتصادية ونظراته المتميزة للسلطة وأنظمة الحكم، أضف إلى ذلك لم يتعرض المؤرخون إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعيشها قبائل بني هلال في صعيد مصر، فهل كانت بيئة الصعيد تستجيب لمتطلباتها المعيشية؟ وهل كانت مناسبة لطبعتها البدوي؟ كيف كانت الظروف السياسية في مصر في تلك الفترة؟ وهل كانت السلطة الفاطمية تراعي مصالح بني هلال؟ كان بنو هلال يعيشون في صعيد مصر ظروفًا صعبة سواء من الناحية الاقتصادية والاجتماعية و السياسية أيضا.

(1) العبر: ج6- ص 13- التجاني: رحلة التجاني- تحقيق حسن حسني عبدالوهاب- تونس- 1958- ص16- عبدالقادر المشرفي: المصدر السابق- ص23- محمد عبدالله عنان: المرجع السابق- ص298- Hady Idriss: la béeerie orientale sous les zirides 10 11 siècles- T1- Andrien Maisonneuve- paris- 1962- p206- د. حسين مؤنس: المرجع السابق- ج1- ص593- شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقية الشمالية من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م- تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة- ج2- الشركة التونسية- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1978- ص96- ألفرد بل: المرجع السابق- ص212- السيد عبدالعزيز سالم: المغرب العربي الكبير- ج2- ص224- محمد بن عميرة: المرجع السابق- ص218- غوستاف لوبون: حضارة العرب- نقله إلى العربية عادل زعيتر(د.م)(د.ن)(د.ت)- ص256- محمد بن عميرة: المرجع السابق- ص299

(2) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: ج4- المرجع السابق- ص145- د. حسين مؤنس: ج1- المرجع السابق- ص593

بحيث كانت المساحات الرعوية ضيقة، لا تستجيب لعدد بني هلال المتزايد، وربما كان سبب التطاحن بين زغبة التي تنتمي إليها حميان ورياح حول المراعي وموارد الماء، وربما بلغ هذا النزاع إلى حد الاقتتال بينهما، بالإضافة إلى الأزمة الاقتصادية التي كانت تمر بها مصر في تلك الفترة والجفاف الذي عرفته منطقة الصعيد خاصة في عهد المستنصر بالله الفاطمي* وعرفت فترته بعهد الشدة المستنصرية⁽¹⁾، وقد تعرض المؤرخون العرب القدماء والمحدثون إلى هذه الشدة، فذكروا أن القاهرة حلت بها الأيام السيئة، وعادتها المصائب التي لم تستقر بها قبل قرن من تأسيسها، فقد عم الوباء والقحط بمصر سنة 446 هـ، وانقطع ماء النيل، وأهملت الزراعة، وانتشرت المجاعة حتى قيل أن المستنصر الخليفة أخذ نصيبه كاملاً كأي فرد من المجتمع المصري في المجاعة والحاجة حتى عاش على الصدقة⁽²⁾، وعم الوباء الذي يعتبر أطول وباء شهدته مصر في العصور الوسطى وامتد ثماني سنوات من 446 هـ - 454 هـ⁽³⁾، ونكبت به جميع الأمم الإسلامية من مصر إلى سمرقند، ودونت عنه قصص مروعة، حتى قيل أنه كان يموت بمصر.

*المستنصر بالله الفاطمي: ولد أبو تميم محمد بن الظاهر يوم الثلاثاء عشر ليلة بقيت من شهر جمادى الثانية سنة 420 هـ، وكان الجرجاني الوزير صاحب النفوذ عند موت الظاهر، فأعلن البيعة للمستنصر في يوم الأحد النصف من شعبان سنة 427 هـ وهو في السابعة من عمره عند مات أبوه، وظل في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر، وكان أطول الخلفاء عهداً، وهي فترة لم يعمرها في الحكم خليفة مسلم. ينظر إلى: د. أحمد شليبي: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - ج 5 - مكتبة النهضة الإسلامية - القاهرة -

1967 - ص. ص. 121-122

(1) المقرئزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة - مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - 1980 - ص 165. د. أحمد شليبي: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - ص. ص. 121-122 - علي الشمري: دولة الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب ومصر (259 هـ - 524 هـ) - مقالة - مجلة البأ - العدد 38 - السعودية - 2004 - ص 25 -

(2) د. أحمد شليبي: المرجع السابق - ص. ص. 121-122 - د. حسن إبراهيم: المرجع السابق - ص 169 - علي الشمري: نفسه - ص 25 - المقرئزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة - ص 166 - د. حسن إبراهيم: نفسه - ص 171 -

(3) نفسه: ص 165 - حسن إبراهيم: نفسه: ص 169 - عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي في الجزائر - دار هوامه - الجزائر - 2003 - ص 223

كل يوم عشرة آلاف نفس، وانعدمت الأقوات حتى أكل الناس الكلاب والقطط، ثم أكل بعضهم بعضاً فسادت الفوضى في مصر في ذلك العهد، وتقلد الحكم في مصر أربعون وزيراً في تسع سنوات بعد مقتل اليازوري وعاد القحط والغلاء⁽¹⁾، وما أعقبه من الوباء والموت في سنة 459 هـ، وظل الحال كذلك إلى غاية سنة 464 هـ. اقترنت هذه الشدة التي اصطلح عليها المؤرخون على تسميتها بالشدة العظمى، بقيام الفتن والحروب الأهلية. وربما كان بنو هلال يثيرون الفوضى بسبب هذه الأزمة التي حلت بمصر؛ وأن مواشيهم لم تجد المراعي الكافية بسبب الجفاف الذي حل بمصر؛ لأن حياتهم المعيشية مرتبطة بهذه المواشي، وقتلتها معناه تضعضع معيشتهم وتقل أقواتهم. تزامنت الأزمة الاقتصادية مع تدهور الخلافة الفاطمية، حيث استبد الوزراء بالحكم. منذ ولاية المستنصر بالله الفاطمي، فذكر المؤرخون أن مصر لم تتمتع طوال فترة حكمه بالرخاء والطمأنينة غير فترة قصيرة، حتى وقعت بها أحداث سياسية أدت إلى زعزعة مركز الخلافة الفاطمية⁽²⁾، وكانت فترة المستنصر حافلة بالحركات والاضطرابات والتغيرات، وانتقلت السلطة الفاطمية نهائياً من أيدي الخلفاء إلى أيدي الوزراء وجاءت ما يعرف في التاريخ الفاطمي بعهد نفوذ الوزراء ففي عهد طفولته استبد به الوزراء حيث كان يتولى الوزارة في صغره وزير أبيه الجرجرائي الذي ظل بالوزارة إلى أن توفي سنة 432 هـ⁽³⁾، فخلفه أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاح، وفي عهد هذا الوزير ازدادت سلطة أبي سعيد التستري اليهودي، وكان يتولى نظارة أم الخليفة المستنصر، حتى أن أبي منصور الفلاح لم يعد له مع التستري إلا اسم الوزارة، فحقد عليه وأتهمه بدس السم لريحان زعيم الأتراك.

(1) المقرئ: إغاثة الأمة بكشف الغمة - ص 166 - د. حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق - 169 - عبد الحميد خالدي: الوجود

الهلالي السليمي - ص 223

(2) د. حسن إبراهيم حسن: ص 169 - عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي - ص 223

(3) علي الشمري: المرجع السابق - ص 25

حينذاك، فانقض عليه ثلاثة من الأتراك وقتلوه في جمادي الأول سنة 439 هـ ومثلوا بحبسته (1). ولم يرض الخليفة المستنصر بالله عن هذا العمل كما لم ترض أمه التي كان زواجها بالظاهر الفاطمي أمة أي خادمة في بيت التستري، فأسند الخليفة المستنصر إلى أخ التستري أبي نصر ديوان خاصته، وقلد ابن التستري إدارة أحد الدواوين، ولم تنس أم الخليفة مقتل التستري، فأقالت أبي منصور الفلاحي من الوزارة، وأمرت بحبسه ثم بقتله في شهر محرم سنة 440 هـ (2) ولما غي المستنصر قابله اضطرابات الجيش المتعدد المشارب والأجناس. وكان الجيش مبعث قلق وفوضى كما تعرضت الخلافة الفاطمية للتهديدات الخارجية، حيث كان النفوذ السياسي الفاطمي في الفترة الأولى من عهد المستنصر يمتد إلى بلاد الشام وفلسطين والحجاز وصقلية وشمال إفريقية وكان يذاع على كافة منابر البلاد الممتدة من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر وكذا في صقلية واليمن والحجاز والموصل، بل في بغداد حاضرة العباسيين نحو من سنة، ولكن بعض هذه البلاد لم تلبث أن أعلنت انفصالها عن سلطان الفاطميين، فقد خرجت بلاد المغرب سنة 442 هـ، واستولى روجر النورمندي على صقلية سنة 461 هـ، وانحسر سلطان الفاطميين عن بلاد الشام باستيلاء السلاجقة عليها (3). وقد تميز عهد المستنصر ببعض المفارقات والمتناقضات تسامح ديني رخاء وجوع، توسع وانكماش (4). يستخلص مما سبق ذكره أن سياسة الدولة الفاطمية هي التي كانت سببا في إثارة الفوضى نظرا للغموض الذي كان يكتنف

(1) د. أحمد شليبي: المرجع السابق - ص. 121-122

(2) د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي: ج 1 - المرجع السابق - 45 - د. أحمد شليبي: المرجع السابق - 121-122 - موسى مريان: أسباب هجرة العرب (بني هلال وسليم إلى المغرب ونتائجها) - مقالة - مجلة بني هلال سيرتهم وتاريخهم - المركز الوطني للبحوث في عصر ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا والتاريخ - الجزائر - 1990 - ص 169 مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق - ج 2 - ص 178 ألفرد بل: المرجع السابق - ص Noèl: op. Cit. p138212 د. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير - ج 2 - 224

(3) أحمد الزاوي: المرجع السابق - ص 122 - عبد الحميد خالدي: المرجع السابق - ص 227

(4) د. حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق - ص 169 - د. أحمد شليبي: المرجع السابق - ص 122

تسيير أجهزة الدولة، وتدخل أم الخليفة في توجيه سياسة الدولة واضطهاد الرعية، بالإضافة إلى تهميش السلطة الفاطمية لقبائل بني هلال، التي فرضت عليها شبه إقامة جبرية في صعيد مصر⁽¹⁾، بل حشرتها في منطقة لا تتسع لعددتها ومنعتها من إجازة النيل⁽²⁾، ولم تدمج الدولة الفاطمية هؤلاء الأعراب في الإنماء الاقتصادي والاجتماعي، خاصة وأن بني هلال تعودوا على الترحال والتنقل الدائم سعياً وراء الكلاء والماء، وكانت هذه العوامل قد أدت إلى تأجيج الوضع في مصر، وربما كانت الظروف المزرية هي التي دفعت بنو هلال إلى اتخاذ موقف سلبي من الدولة الفاطمية آنذاك. ولكن ما يؤخذ على المؤرخين أنهم كانوا يؤرخون للملوك وأغفلوا عن ذكر ظروف الرعية. بل حمل المؤرخون من خلال كتاباتهم مسؤولية أزمة مصر إلى بني هلال، مع أن الأحداث التي سبق ذكرها تشير إلى أن مسؤولية الأزمة تتحملها الدولة الفاطمية. أجمع المؤرخون أن بني هلال كانوا يستقرون بصعيد مصر ولكنهم لم يتعرضوا على وجه التحديد إلى مواطن كل بطن من بطونهم في الصعيد، بل اكتفوا بالقول أن بني هلال ملأت جموعهم الجهات الشرقية من الصحراء حتى بلغوا الصعيد الأعلى⁽³⁾. بينما ذكر بعض المؤرخين أن أهل هذه الجموع ويقصدون بني هلال قماً الجانب الشرقي ووصفوهم بأهل الصعيد حتى عذاب والبعض الآخر قال أن حميان من جملة بني زغبة كانت تستقر على الحدود الغربية بالوجه البحري⁽⁴⁾، وقيل أن بني هلال أهل أسوان⁽⁵⁾.

(1) أحمد الزاوي: المرجع السابق - ص 122 د. عبدالفتاح الغنيمي: المرجع السابق - ج 1 - ص 45

(2) التنجاني: الرحلة - ص 16 - العبر: ج 6 - ص 13 د. السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير - ج 2 - ص 224

(3) العبر: ج 6 - ص 14 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 164 - مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 -

ص 178 - موسى مريان: أسباب هجرة العرب - ص 178

(4) د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق - ص 45

(5) محمد أبو الفوز المعروف بالسويدي: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب - ص 32

إن بني هلال مجرد قبائل بدوية تتميز بحياة اجتماعية أسسها الترحال، والبحث عن مراعي واسعة لرعي أغنامها ومواشيها من أجل كسب العيش وتأمين حياتها، وبطبيعة الحال فظاهرة الترحال وعدم الاستقرار، هي التي كانت تؤدي بهذه القبائل إلى التصادم مع المزارعين والفلاحين، لأن مواشيها كانت أحيانا تتعدى على الزرع، مما جعلها تتلف الزروع، وبالتالي تدخل هذه القبائل الهلالية العربية في نزاع مع أهل المزارع، وكذلك مع أهل الحواضر ولم يكن ينحصر النزاع بين بني هلال والقبائل الأخرى أو السلطة الفاطمية بل كان النزاع في كثير من الأحيان فيما بينها، على سبيل المثال ما وقع بين زغبة ورياح، وربما لم تكن هذه القبائل تعتمد التخريب والفساد كما ذكر المؤرخون، وإنما طبيعة حياتها البدوية هي التي دفعت بالمؤرخين إلى الحكم عليها بأنها قبائل تخريب وبلاء إلى غير ذلك من الأوصاف. وخلاصة القول أن حميان من جملة بني زغبة بن هلال استقرت فترة من الزمن بصعيد مصر، عاشت فيها ظروفًا إقتصادية واجتماعية صعبة من 362هـ - 962م إلى 442هـ - 1049م، واحتمالا أن هذه الظروف والعوامل هي كانت تشكل جملة الأسباب التي أدت إلى هجرة حميان من جملة بني زغبة إلى بلاد المغرب.

ب- أسباب هجرة حميان من صعيد مصر إلى إفريقية سنة 442هـ - 1049م: كان المعز لدين الله الفاطمي حينما انتقل إلى مصر سنة 361هـ، قد استخلف على إفريقية يوسف بن زيوري بن مناد الصنهاجي يحكم باسم الخلافة الفاطمية (1)، فاستغل بنو زيوري انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، وعملوا على تدعيم استقلالهم عنها (2) وذلك حتى يفسح لهم المجال للسيطرة على المغرب الإسلامي. كله، فبدأ العلاقات السياسية تشهد

(1) العبر: ج 6 - ص 12 - ابن الأثير: الكامل - ج 9 - ص 567 - ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس - تحقيق محمد شام

المكتبة العتيقة - 1969 - ص 84 - محمد عبد الله عنان: المرجع السابق - ص 298 - إسماعيل العربي: دولة بني حماد القلعة ص 154

(2) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق - ص 298 - إسماعيل العربي: دولة بني حماد القلعة - ص 154

نوعاً من الفتور بينهم وبين الخلافة الفاطمية، وبدأت بوادر القطيعة المذهبية والسياسية خاصة بعد أن تولى المعز بن باديس حكم إمارة بني زيري الذي كان متشبعاً بالمذهب السني، وكان يمتد المذهب الشيعي* (1)، فقرر الانفصال عن الخلافة الفاطمية، وربما يعود سبب ذلك أن المعز بن باديس كان يرى أن الدولة الفاطمية، أصبحت تؤول إلى الانهيار والتدهور، وأصبحت بيد وزراء دون مستوى المسؤولية التي يتقلدونها، وكان المعز بن باديس يدرك أن بقاء إمارته تحت الحكم الفاطمي، سيؤدي إلى تدخل الوزراء الفاطميين في شؤون الإمارة الزيرية، وبالتالي يفقد أمراء بني زيري استقلالهم الذي حالما كانوا يطمحون إلى تحقيقه. ظهرت بوادر القطيعة المذهبية ثم السياسية بعد كبوة الفرس، حيث نادى المعز بن باديس بالشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فسمعتهم العامة وكان أغلبهم سنياً، فثاروا بالرافضة وقتلوهم أبرح قتل، وأعلنوا بالمعتقد الحق، ونادوا بشعار الإيمان، وقطعوا حي على خير العمل (2)، وفي رواية أخرى وذات يوم خرج المعز بن باديس لصلاة الجمعة في زيه الرسمي، وكبا به جواده فكان رد فعل أنه استغاث بأبي بكر وعمر، فتبعته الشيعة مما كان في عسكره، سكان القيروان، وأمضوا في قتل أهل الشيعة

(1) العبر: ج 1- ص 17- السلاوي: الاستقصا- ج 2- ص 164

* ذلك أن وزير المعز بن باديس أبا الحسن بن أبي الرجال الذي كان مكلفاً بتربية استطاع أن يغرس في نفسه حب المذهب المالكي لدرجة جعلته لا يخفي ميوله إليه منذ أول ولايته. وقيل أنه عندما مر بجماعة بالقيروان سأل عنهم فقبل له: هؤلاء رافضة، يسبون أبا بكر وعمر، فقال رضي الله عن أبي بكر وعمر. ينظر إلى العبر- ج 1- ص 17- البيان- ج 1- ص 260-261- الكامل- ج 7- ص 29، ويرى شارل أندري جوليان أنه قد يكون فعل ذلك رغبة منه في إرضاء الرأي العام بالقيروان الذي عرف بعدائه للشيعة في إفريقية كلها. ينظر إلى: L'histoire de l'Afrique du nord. t2-p68

(2) العبر: ج 1- ص 17- الكامل: ج 7- ص 274-275- ابن مقديش الصفاقسي: نزهة الأنظار- ج 1- تونس طبعة حجرية- 1321 هـ ص 140- البيان- ج 1- ص 269 و 274- إسماعيل العربي: المرجع السابق- ص 154- G.Marçais : les arabes en béeberie-p247

وأنة بلغ ماقتل منهم في تلك المناسبة نيفا وثلاث آلاف شخص(1). ولما انتشرت هذه الأخبار قامت مذابح أخرى في أماكن مختلفة في إفريقية، وهذا الشعور هو شعور بالعداء للمحافظة على وضع أقل ما يقال فيه أنه لا يتجاوب مع الواقع (2) يبدو من خلال ماسبق ذكره أن حميان من جموع بني زغبة بن هلال لم تكن مسؤولة عن الصراع المذهبي الذي وقع بين المستنصر بالله الفاطمي والمعز بن باديس، وعن القطيعة السياسية بين الدولة الفاطمية وإمارة بني زيري، وإنما كانت من بين الأسباب التي أدت إلى هجرة حميان من جملة بني زغبة إلى إفريقية التي كانت تنتظر الفرصة لإجاعة النيل، والهجرة إلى إفريقية، وكانت السلطة الفاطمية تمنع بني هلال من إجاعة النيل في كثير من المرات، حتى جاءت الفرصة المناسبة لهذه الهجرة، بعد أن ساءت العلاقات بين السلطة الفاطمية والإمارة الزيرية التابعة لها في إفريقية، وتمت القطيعة النهائية خاصة بعد أن قطع المعز بن باديس خطبة صاحب مصر المستنصر بالله والدعوة له، وكان يسب الفاطميين سرا إلى أن صرح بها على المنابر (3)، ومحي اسم الفاطميين على المنابر وخلع طاعة الدولة الفاطمية الاسمية، وأزال أسماء الفاطميين من السكة والطراز والرايات سنة 440 م (4). كما منع التعامل بالنقود الفاطمية منعا باتا وهدد المتعاملين بها أشد العقوبات فضلا عن إغراء العامة بأتباعهم (5). وقيل أن المعز بن باديس هو أول من صرف دعوة العبيديين إلى غيرهم من بني العباس، وبايع القائم أبا جعفر من خلفاء بني العباس وخطب له على المنابر

(1) الكامل-ج9-ص566-العبر:ج6-ص12-ابن أبي دينار:المؤنس:ص84-الظاهر أحمد الزاوي:المرجع السابق-

ص221-عبد الحميد خالدي:المرجع السابق-ص227

(2) ابن أبي دينار:المصدر السابق-ص84-العبر:ج6-ص12

(3) د. عبد الحليم عويس:بني حماد-ص116-عبد الحميد خالدي:المرجع السابق-ص227

(4) العبر:ج6-ص17-الكامل:ج7-ص274-275 د. عبد الحليم عويس:المرجع السابق-ص117

(5) نفسه:ص13-الكامل:ج7-ص275-ابن أبي دينار:المؤنس-ص84

وأقرله بالدعوة وبعث بالبيعة إلى بغداد ووردت عيه الخلع والتقليد بإفريقية وجميع ما يفتحه(1). وفي أول كتاب بعثه القائم بأمر الله العباسي إلى المعز ابن باديس من بني عبد الله ووليه أبي جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى الملك الأوحدة ثقة الإسلام وشرف الإمام وعمدة الأنام ناصر دين الله، قاهر أعداء الله(2)، ومؤيد سنة رسول الله (صلع) أبي تميم المعز بن باديس بن المنصور ولي أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب، وما فتحة بسيف أمير المؤمنين. فأرسل القائم بأمر الله العباسي إلى المعز بن باديس سبفا وفرسا وأعلاما على طريق القسطنطينية(3)، فوصل أبو الفضل البغدادي يوم الجمعة فدخل الجامع وهو حامل كتاب الخلع، وكان الخطيب ابن الفاكهة على المنبر يخطب الخطبة الثانية(4)، وقرىء الكتاب، ودخلت الأعلام أمام المصلين لواء الحمد يجمعكم وهذا معز الدين يسمعكم، وجاء الخطبة اللهم ألعن الفسقة الكفار المارقين الفجار أعداء الدين(5). وأنصار الشيطان المخالفين لأمره والناقضين لعهد المتبعين غير سبيله والمبدلين كتابه، اللهم ألعنهم لعنا وبيلا وأخزهم خزيا عريضا طويلا، اللهم أن سيدنا أبا تميم المعز بن باديس بن المنصور القائم لدينك والناصر لسنة نبيك والرافع للواء أوليائك يقول مصدقا لكتابك وتابعا لأمرك ومدافعا لمن غير الدين واستغفر الله لي ولكم(6). وقطعت الخطبة للعلويين من ذلك الوقت، وأحرقت أعلام الفاطميين ونشرت الرايات السود(7). وهدمت دار

(1) الكامل: ج 9-ص 566-ابن أبي دينار: المؤنس-ص 84-د. حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق-ص 253

(2) نفسه: ص 566-د. حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق-ص 253

(3) نفسه: ص 567-ابن أبي دينار: المؤنس-ص 84

(4) نفسه: ص 567-د. حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق-ص 253

(5) نفسه: ص 567-ابن مقديش الصفاقسي: نزهة الأنظار-ج 1-ص 140

(6) العبر: ج 6-ص 14-ابن عذارى: البيان-ج 1-ص 169-محمد عنان: المرجع السابق-ص 298-د. حسن إبراهيم

حسن: المرجع السابق-ص 254-د. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد-ص 177

(7) د. حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق-ص 253

الإسماعيلية، وشد أزر أهل السنة (1). كما أمر المعز بلباس السواد شعار العباسيين وأظهر السنة، وتتبع الشيعة في المغرب وقتل الكثير منهم*، وذكر الدباغ أنه قال أي المعز بن باديس لأبي بكر الخولائي مؤكداً عدم طاعته العمياء ونفوره من المذهب الشيعي "... ألم أقتل المشاركة؟" (2). ويذهب ابن أبي دينار بالقول "... أن المعز هو الذي ظهر الله تعالى على يده المغرب من مذهب الشيعة، وإن من عمالهم إلا أنه كان لا يتمذهب بمذهبهم وحمل الناس في أيامه على مذهب الإمام مالك..." (3). ونقش اسم المعز على السكة، وقد نقش على الدينار الذي يوجد بمتحف برلين في الوجه الأول ومن يتغني غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله (صلع) (4)، وعلى الوجه الثاني باسم الله ضربت بمدينة عز الإسلام بالقيروان سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله (5). ولم يقتصر الصراع الفاطمي الزيري على إعلان المعز بن باديس مقاطعة الخلافة الفاطمية مذهبياً وسياسياً، فحسب بل تعداه إلى النزاع بين المعز والوزير الفاطمي أبو الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري الذي عين سنة 441م - 1048م حيث أصبح المعز بن باديس يحط من قيمته، ولم يعترف به كوزير، وازدادت حدة الصراع

* ويرى العبادي أن فتك المعز بالشيعة سنة 408هـ - 1017-1018م مسألة ترجع قبل كل شيء إلى الروح الانفصالية عن مصر التي كانت هدف المعز وأبائه من قبل، ولم يقتصر المعز على اضطهاد الشيعة، بل أخذ يحمل الناس على اعتناق المذهب المالكي. ينظر إلى سياسية الفاطميين نحو المغرب والأندلس - ص. 216-217

(1) العبر: ج 6 - ص 14 - ابن عذارى المراكشي: البيان - ج 1 - ص 288 - عبد القادر: المشرف: المصدر السابق - ص 23 شارل

أندري جويان: المرجع السابق - ص 76 - مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق - ج 2 - ص 178 ابن الأثير: الكامل ج 7 ص 567

(2) د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ص 598 - موسى مريان: المرجع السابق - ص 169

(3) ينظر إلى المؤنس: ص 84

(4) الطاهر أحمد الزاوي: المرجع السابق - ص 122 - د. السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير - ج 2 - ص 766

(5) د. حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق - ص 255 - د. أحمد شليبي: المرجع السابق - ص 122 - د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ص 598

بينهما حتى بلغت الذروة. وهذا مادفع باليازوري إلى تحريض القبائل الهلالية (1). على المعز بن باديس خاصة بعد أن حظي بثقة الخليفة المستنصر بالله الفاطمين، وكان يلقب بسيد الوزراء وقاضي القضاة وعلم المجد وتاج الأمراء (2)، مع أنه لم يكن من أهل الوزراء الأكفاء. ولم يكن في مستوى المسؤولية الموكلة إليه، وإنما كان من أهل الفلاحة والتبانة وكان دون ذلك (3). ويقال أنه عندما عين اليازوري وولاه المستنصر الوزارة، خاطبه أهل الجهات ولم يولوه، فأنف من ذلك فعظم عليه وحنق عليه ثمال بن صالح صاحب حلب والمعز بن باديس صاحب إفريقية وانحرفوا عنه، وحلف المعز بن باديس لينقض طاعة الفاطميين، وليحولن الدعوة إلى بني العباس (4)، وكان المعز بن باديس يكاتبه ويستميله ويعرض له بالتحريف عليهم، وإنما يكتب له تلويحا لا تصریحا وكتب إليه قطعة بخط يده، تحتوي على بيت شعر وهو: وفیک صاحبت قوما لا خلاق لولاك ماكنت أدري أنهم خلقوا. فقال اليازوري لبعض أصحابه ألا تعجبون من صبي بربري مغربي، يجب أن يخدع شيخا عربيا، وإنما أراد المعز بن باديس أن يوقع بين الوزير وخليفته (5). إن استخفاف اليازوري بالمعز بن باديس هو الذي أدى به إلى احتقار اليازوري فأصبح يكاتبه ويخاطبه دون ما كان يخاطب به قبله من الوزراء كان يقول له عبدكم صار يقول

(1) د. حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق ص 255 - د. أحمد شليبي: المرجع السابق ص 122

(2) العبر: ج 6 - ص 13 - الكامل: ج 7 - ص 567

(3) د. حسين مؤنس: المرجع السابق ج 1 - ص 598 - حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس - الدار التونسية للنشر -

تونس - 1976 - ص 112 - د. عبد الحليم عويس: المرجع السابق ص 177

(4) العبر: ج 6 - ص 13 - ابن الأثير: الكامل - ج 9 - ص 567 - الطاهر أحمد الزاوي: المرجع السابق ص 222 - رابح بونار: المرجع

السابق ص 134 - د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق ج 3 - ص 62 - ابن أبي دينار: المصدر السابق ص 84 - محمد بن

عميرة: المرجع السابق ص 298 - 299 - محمد عبد الله عنان: المرجع السابق ص 298 - د. رشيد بورويبة: الجزائر في عهد

الحمايين: المرجع السابق ج 4 - ص 206

(5) ابن أبي دينار: المؤنس - ص 84

في كتاب اليازوري صنيعتكم، فغضب اليازوري وعاتب المعز بن باديس فلم يرجع إلى ما يجب (1). ولما علم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الفاطمي بما جرى في إفريقية وبلغه خبر خروج المعز بن باديس عن طاعته، ورفض دعوة العبيديين، ووصل به الأمر إلى قتل أتباع الدولة الفاطمية في القيروان، ولعن الفاطميين على المنابر وأهمه الأمر، واعتبر ذلك تمردا وعصيانا من نوابهم في القيروان، وكتب إلى المعز بن باديس يتهدده، وقال المستنصر للمعز: هلا اقتفيت آثار من سلف من آباءك في الطاعة والولاء، فلم يعير المعز ذلك اهتماما، واستمر في ولائه للخلافة العباسية فأغلظ المعز في الجواب فقال له: إن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك، ولهم في الحلل أعظم من التقدير، ولو أخرجوهم لتقدموا بأسيا فهم، وقطع علاقاته بالدولة الفاطمية بصفة رسمية (2). فشعر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي حينئذ بأنه فقد إقليما واسعا من دولته (3)، في الوقت الذي كانت الدولة الفاطمية تمر بأزمة إقتصادية خانقة، فأخذ يفكر فيما ينبغي عمله كرد فعل وكان عاجزا عن اتخاذ أي إجراء عسكري ضد المعز بن باديس (4). استغل اليازوري الفرصة للانتقام من المعز بن باديس فأوغر صدر الخليفة عليه، وأسعفه برأي سديد يتمثل بالإذن للعرب المنتشرين في صعيد مصر بالعبور إلى غرب النيل، وقد تكاثر عددهم وإغرائهم بملك المغرب، وتقويض ملك المعز بن باديس الصنهاجي، وفي نفس الوقت التخلص من أضرارهم (5).

(1) مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق - ص 178 - د. رشيد بورويبة: الجزائر في عهد الحماديين - ص 206

(2) د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ج 1 - ص 598

(3) موسى مريان: أسباب هجرة العرب (بني هلال وبني سليم إلى المغرب ونتائجها - مقالة - بنوهلال سيرهم وتاريخهم - المركز

الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا والتاريخ - الجزائر - 1990 - ص 169

(4) د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق - ص 66 - محمد عبدالله عنان: المرجع السابق - ص 298 - عبد الحميد خالدي: المرجع

السابق - ص 132

(5) موسى مريان: المرجع السابق - ص 169

وبذلك يحقق الفاطميون ما كانوا يصبون إليه دون أن يكلفهم ذلك شيئاً⁽¹⁾. لماذا لم يستخدم المستنصر بالله الفاطمي جيشه النظامي لتأديب المعز بن باديس؟ لماذا فكر وزيره اليازوري في إرسال عرب بني هلال وسليم إلى إفريقية لمواجهة المعز بن باديس؟ وماهي السياسة التي اتبعها اليازوري في إقناع شيوخ بني هلال؟ لما أدرك اليازوري أن الأزمة الاقتصادية تزامنت مع القطيعة المذهبية والسياسية بين الدولة الفاطمية والإمارة الزيرية، وأن الدولة الفاطمية فقدت إقليماً هاماً كالمغرب الإسلامي الذي كان يساهم في الجباية، ودفع الضرائب للسلطة الفاطمية وتزايد عدد سكان مصر. اتبع اليازوري سياسة التهريب والترغيب، فالتهريب أن اليازوري منع بني هلال من العودة إلى صعيد مصر بل حذرهم بمجرد التفكير في العودة إلى صعيد مصر في حالة انهزامهم. أما الترغيب فلما استهوى الرأي المستنصر بالله شرع اليازوري في اتصالاته بشيوخ بني هلال سنة 441 هـ - 1048 م⁽²⁾ لتعبئتهم وشحنهم وتقديم الحوافر لهم وإقناعهم بالهجرة إلى إفريقية، وقيل مكن الدولة أبا علي الحسن بن علي بن دينار العقيلي أمير أمراء الدولة الذي كان معروفاً بكياسته، وشهد له بحسن الرأي والحديث⁽³⁾، حيث اتجه إلى زغبة ورياح التي كانت تقيم بالوجه البحري، وأصلح بينهما ودفع ما كان عليهم من ديات، وأغرى كل من يعبر النيل أن يعطيه ديناراً وبعيراً أو فرواً وديناراً⁽⁴⁾.

(1) محمد عبدالله عنان: المرجع السابق ص 298

(2) العبر: ج 6 - ص 13. عبد الحليم عويس: المرجع السابق - ص 77

(3) نفسه: ص 13 - ابن أبي دينار: المؤنس - ص 84 - ابن الأثير: الكامل - ج 9 - ص 567 - محمد بن محمد الأندلسي المعروف بالسراج: الحلل السندسية في الأخيار التونسية - تحقيق وتقديم محمد الحبيب - ج 1 - القسم الرابع - تونس - 1970 - ص 944 - د. السيد عبدالعزيز سالم: المرجع السابق - ج 2 - ص 766 - مبارك بن محمد المليي: المرجع السابق - ج 2 - ص 178 - السراج: الحلل السندسية - نفسه - ص 944 - ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بيع قبل الاحتلام - ج 3 - تحقيق أحمد مختار العبادي - دار الكشف العربي - الدار البيضاء - 1964 - ص. ص. 73-74

(4) العبر: ج 6 - ص 13 - ابن أبي دينار: المؤنس - ص 84

وقال المستنصر: والله لأرمينه بجيوش لا أتحمل فيها مشقة (1). لماذا اتهم بنو هلال بعد ذلك بأنهم أهل تخريب وفساد مع أنهم كانوا ضحية مؤامرة سياسية دبرت من طرف الدولة الفاطمية. ربما كان المستنصر قد تخوف من تمرد الجيش النظامي المرتزق، وكان يدرك أنه يرفض أوامره وبالتالي يصبح في موقف حرج، إن القول بأن اليازوري هو الذي فكر في توجيه بني هلال إلى إفريقية غير صحيح؛ لأن بني قرّة من بني هلال بن عامر بن صعصعة كانوا بالفعل في برقة قبل ذلك بزمان طويل. ويتضح كذلك ضعف الرواية عندما يزعمون أن اليازوري أعطى لبني هلال الذين سمح لهم بعبور النيل دينارا وبعيرا، فقد كان عدد بنو هلال ضخما، وقد ذهبوا إلى إفريقية في موجات أو دفعات، وربما كانت الموجة الأولى الكبيرة منهم في حدود مائة ألف. فإذا قدر ثمن الجمل في ذلك العصر بأربعة دنانير، وهو تقدير متواضع، كان ما أخذه كل واحد منهم خمسة دنانير (2). وبالتالي فالجموع خمسمائة ألف دينار والدولة الفاطمية كانت إذ ذاك وقبله وبعده في أزمة مالية خانقة، ولا تستطيع أن تدفع هذا المال كله لعرب بني هلال (3). وما يبين ذلك أن بني هلال لما أجازوا النيل ونزلوا ببرقة، ووجدوها مناسبة لحياقتهم البدوية، فأرسلوا لإخوانهم في الصعيد بالهجرة إلى إفريقية، فأخذت الدولة الفاطمية عن كل فرد يريد اللحاق بإخوانه أن يدفع دينارين وبعيرين، فأخذت عنهم ضعف ما أعطتهم، ويدل هذا الإجراء أن الدولة الفاطمية كانت تعيش ذائقة مالية وأخذ اليازوري يصف لهم إفريقية وما فيها من خيرات.

(1) مبارك بن محمد الملي: المرجع السابق - ج 2 - ص 288 - د. رشيد بورويبة: الجزائر في عهد الحماديين - ص 206 - د. عبد الفتاح

مقلد الغنيمي: ج 3 - ص 62 - محمد بن عميرة: المرجع السابق - ص 298 - 299 - محمد عبدالله عنان: المرجع السابق - ص 298

(2) د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ج 1 - ص 598

(3) نفسه: ص 598 - إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ - منذ ما قبل التاريخ إلى العصر الحاضر - المجلد الأول من عصر ما قبل

التاريخ إلى نهاية الدولة الموحدية - ط 1 - تقديم محمد الفاسي - دار السلمي للتأليف والترجمة والنشر والطباعة والتوزيع - السدار

البيضاء - 1962 - ص 282

ومقاومته، ولا يفتر عن تحريضهم على إفريقية لأخذ هذا النعيم الكثير والملك الكبير، ولم ينس أن يمنهم بالمساعدة وأنهم في رعايته وعلى بال منه، وما زال بهم حتى أجابوا دعوته، ويعلم الله أنه لا يريد من وراء ذلك لهم خيرا وإنما يريد الانتقام من المعز بن باديس بهذه الأيدي التي عرفت بممارسة الحروب وإتقان أساليبها بعد أن عجز عن الانتقام منه بنفسه. يقول حسين مؤنس إن رواية غضب اليازوري على المعز بن باديس لأن هذا الأخير خاطبه بعبارة صنيعتكم، بدلا من عبدكم تبدو غير مقنعة، والذي يقبله العقل ويستقيم مع المنطق هو أن بني هلال وأحلافهم كانوا يتسربون إلى المغرب بعلم الفاطميين (1). وتجمعت جماعات منهم في برقة، وكانوا يضغطون ضغطا شديدا على الإدارة الفاطمية لتأذن لهم في المسير إلى المغرب الإسلامي بكتلهم الكبيرة، وكان الفاطميون يخشون ذلك (2)؛ لأن بني هلال وحلفائهم قوة عسكرية لا يستهان بها، وهم أهل حروب وميل إلى ممارسة حياتهم القبلية الصرفة في أي مكان يذهبون إليه، ولم يكن وزراء الفاطميين يجهلون أن هذه الجماعات الضخمة من العرب إذا ذهبت إلى إفريقية، فقد ضاعت عليهم إفريقية فثائيا، ويفتح عليهم باب واسع من المتاعب من ناحية الغرب (3) وقال لهم أن الخليفة المستنصر قد منحكم المغرب إقطاعا، فلا تفترقون، قد أعطيتكم المغرب وملك بن باديس الصنهاجي العبد الأبق فلا تفترقون (4).

(1) ينظر إلى المغرب العربي ص 59- وعند حسين مؤنس: المرجع السابق ص 602- وعند مبارك محمد الميلي استغرقت هجرة بنو هلال نصف قرن، ويؤيد ماذهب إليه حسين مؤنس أن الهجرة الهلالية كانت على شكل دفعات- ينظر إلى تاريخ الجزائر في القديم والحديث- ج 2- ص 181

(2) د. حسين مؤنس: المرجع السابق- ج 1- ص 599- حسن حسني عبدالوهاب: المرجع السابق- ص 112

(3) العبر: ج 6- ص 13- السلاوي: المصدر السابق- ج 2- 165- ابن الأثير: الكامل- ج 9- ص 567

(4) ابن عذارى المراكشي: البيان- ج 1- ص 288- أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي- بيروت- 1971-

ص 325 العبر: ج 6- ص 13- د. حسين مؤنس: المرجع السابق- ص 602- Hady Idriss: op.Cit.p210

ما رد فعل بني هلال على طلب اليازوري؟ لقد أشار بعض المؤرخين أن بني هلال استجابوا لاقتراح اليازوري منذ الوهلة الأولى، بينما ذكر مؤرخون آخرون أن بني هلال امتنعوا عن عبور النيل⁽¹⁾، ويبدو من خلال هذه الأحداث أن دولة العبيديين هي التي حرّضت بني هلال على تقويض ملك المعز بن باديس في إفريقية، وبالتالي لم تكن نوايا بني هلال هو القضاء على إمارة بني زيري، وإنما الصراع الفاطمي الزيري. قد منح فرصة لبني هلال لكي يهاجروا من صعيد مصر إلى إفريقية. وأرسل الفاطميون الهلاليين إلى إفريقية انتقاماً من المعز وإمارة صنهاجة الشرقية، فترحوا إليها لا حبا في نصرة الفاطميين، ولا بغضا في صنهاجة ولكن طلباً للرزق بالتقلب في بواديها بين الصحراء والتل⁽²⁾. بعد أن أذن الخليفة الفاطمي لبني هلال بالهجرة إلى إفريقية، وأباح لهم برقة وماو لا هاسنة 442 هـ - 1049 م⁽³⁾، عبرت قبائل بني هلال وغيرها من القبائل العربية الأخرى سواء من العدنانية أو القحطانية وهي زغبة التي تعد حميان بطناً من بطونها. ورياح وبني عدي والأثيج وبني جشم وبني سليم النيل ونزلت ببرقة، وتوقفت برهة من الزمن⁽⁴⁾. وقيل أن قبائل بني هلال لما حلت بليبيا خربت بعض مدنها كأوجدابية وأسمرا وسرت والمدينة الحمراء برقة⁽⁵⁾. وقد هاجرت هذه القبائل على شكل دفعات، ولم تهاجر دفعة واحدة، حيث هاجرت أول موجة كبيرة سنة 442 هـ - 1049 م⁽⁶⁾.

(1) إبراهيم حركات: المرجع السابق - ص 282 - من موقع أنترنيت: عدد الصفحات 06 صفحات François

Decret: les invasions hilaliennes en Ifriqiya -
http://www.Clio.fr/BIBLIOTHEQUE/les_invasions_hilaliennes.asp.p01

(2) مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 182

(3) البيان: ج 1 - ص 289

(4) العبر: ج 6 - ص 13 - 210 - Idriss Haddy: op.cit. ج 1 - ص 601

(5) نفسه: ص 13 - د. حسين مؤنس: المغرب العربي - ج 1 - ص 602 - د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق - ص 45

(6) د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ج 1 - ص 602 - د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق - ص 45

واستمرت الهجرة بعد ذلك حتى كانت سنة 468 هـ - 1075 م (1). اندفعت موجة كبيرة أخرى إلى إفريقية ولكن يجهل هل حميان قد هاجرت في الدفعة الأولى أم في الدفعات الأخرى، والراجح أنها هاجرت من صعيد مصر إلى إفريقية في الدفعة الأولى؛ لأن من بين بطون بني هلال الأولى التي هاجرت إلى إفريقية هي زغبة. اختلف المؤرخون والباحثون في تقدير عدد بني هلال سواء في الدفعة الأولى أو الدفعات الأخرى، وإنما أعطوا عددا إجماليا وتقريبيا. فرجح أغلب المؤرخين عددهم ما بين مائتين إلى أربعمائة ألف نسمة (2). بل ذهب الميلي إلى أن عدد المهاجرين من بني هلال بلغ مليون نسمة (3). ورجح بعض الباحثين أن عدد بني هلال بلغ عند دخولهم إلى إفريقية نصف مليون نسمة، الذي كان يساهم في الجباية، واعتبر بعض المؤرخين أن هذا العدد مبالغ فيه (4). ويبدو أن بني هلال لم يهاجروا إلى إفريقية في شكل قوات محاربة؛ أو في شكل فرسان يريدون تدمير ملك المعز ابن باديس، ويعودون إلى صعيد مصر بالغنائم، أو من أجل إحياء المذهب الشيعي أو الحفاظ على دولة الفاطميين، وإنما هاجروا بنسائهم وأبنائهم ودوابهم وسلاحهم وكل ما يملكون، يريدون النجاة والهروب من جحيم الصعيد ونظام الحكم الفاطمي (5).

(1) د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ج 1 - ص 603

(2) وعند حسن حسني عبدالوهاب فإن عدد بني هلال الذين دخلوا إلى إفريقية بلغ عددهم أربعمائة ألف نسمة. ينظر إلى: خلاصة تاريخ تونس ص 112 - وعند حسين مؤنس ربع مليون. ينظر إلى المغرب العربي ص 602 - د. عبدالحليم عويس: المرجع السابق ص 177 - وعند عبد الحميد خالدي مائتين وخمسي ألف نسمة، بينما ذكر ابن أبي دينار في المؤنس أربعمائة ألف نسمة ينظر إلى المؤنس ص 84 - وعند ألفرد بل بلغ عدد فرسان بني هلال ما بين أربعين وخمسين

ألف فارس. ينظر إلى: الفرق الإسلامية ص 211 - يقدر فرنسوا دوكري (François Decret) عدد فرسان بني هلال بخمسي ألف فارس وعدد بني هلال بمائتين نسمة. ينظر إلى: les invasions hilaliennes - p03

(3) ينظر إلى تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 178

(4) عبدالرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام - ج 1 - ص 260 - د. عبد الحليم عويس: المرجع السابق - ص 177

(5) مزيان مريان: المرجع السابق - ص 128 - د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق - ج 1 - ص 46 - مبارك بن محمد

الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 178

وهذا ما يبين حسن نيتهم في الاستقرار بمنطقة وجدوها أفضل من صعيد مصر، ولم يكن هدفهم هو القضاء على حضارة إفريقية، أو غزو المجتمع الإفريقي⁽¹⁾، كما روج له كثير من المؤرخين القدماء والمحدثين والباحثين العرب وبعض المستشرقين كألفرد بل وجورج مارسيه وغيرهم، حيث ذكر ألفرد بل (Bell) أن الخليفة الفاطمي رأى أن اقتراح وزيره أبي الحسن بن علي اليازوري كان صائبا، عندما أشار عليه بإرسال العرب ووصفهم بالصالحين إلى الشمال الإفريقي، الذي تمرد على سلطانهم وقال أيضا "...يمكن للمرء أن يقرأ في كتب جورج مارسيه عن تغريبة بني هلال إلى إفريقية، الذي تناول فيه أن بني هلال أخذوا في غزو مساكن جديدة، ووصفهم بأنهم كانوا على الفطرة وبدائيين جدا، واعتادوا الصوم الطويل في البیداء والمغنم النادرة العسيرة المنال بالسطو..."⁽²⁾. ويلاحظ أن ألفرد بل اعتمد على كتابات جورج مارسيه، ويبدو أن الذي يعيش على القطرة لا يمكن أن يكون مخربا ومعتديا، بل يكون معتدلا ومسالما في حياته الاجتماعية كذلك يستتبط من نص ألفرد بل أنه لا يعرف طبيعة البدوي العربي الاجتماعية والاقتصادية، أجمع معظم المؤرخين أن بني هلال لما وصلوا إلى برقة وجدوها خالية من السكان، وكانت عمارتها قبائل زناتة التي أبادها المعز بن باديس بسبب الحروب الطويلة، ودفعت بالبعض الآخر من زناتة إلى الهجرة إلى المغرب الأوسط والأقصى، ووجدت بنو هلال ببرقة مراعي واسعة تناسب طبعهم البدوي⁽³⁾. رغم أن بني هلال كانت تطمح في الاستقرار ببرقة إلا أنها لم تنجو من اتهام المؤرخين لها.

(1) د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق - ج 1 - ص 45 - مزيان مريان: أسباب الهجرة - ص 128

(2) ينظر إلى الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي - ص 211

(3) العبر: ج 6 - ص 13 - ابن الأثير: الكامل - ص 567 - ابن أبي دينار: المؤنس - ص 84 - السراج: الحلل السندسية - ص 945 -

د. السيد عبدالعزيز سالم: المرجع السابق - ص 66 - د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ج 1 - ص 602

عبدالرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام - ج 1 - ص 260 رابح بونار: المغرب العربي (تاريخه وثقافته) - ص 135

حيث قيل أن بني هلال بمجرد وصولهم إلى برقة عاثوا في أطرافها، وملئت أيديهم من النهب وافتتحوا أمصار إفريقية واستباحوها وطرّدوا أهلها من زناتة(1). ولكن ليس هناك ما يدل على أن بني هلال خربوا برقة وعاثوا فيها فسادا، حيث ذكر عبدالفتاح الغنيمي أن برقة كانت خالية من السكان، وأين كان التدمير والتخريب(2)؟ انطلقت جموع بني هلال إلى طرابلس وإفريقية فاستقروا فيها دون سفك للدماء ودون أن يلقوا أدنى مقاومة، وأرسلوا إلى بقية إخوانهم في صعيد مصر يستدعونهم فلحقت بهم جماعات كبيرة من بني هلال وبني سليم وتولى قيادة الجميع مؤنس بن يحيى المرداسي الرياحي، ثم زحفوا إلى قابس وامتلكوها دون مقاومة(3). يستخلص من المصادر التاريخية أن حميان من جملة بني زغبة هاجرت إلى إقطاعها الذي حدد لها من طرف الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وهو ما بين طرابلس وقابس، حيث عقد الخليفة الفاطمي لرجال بني هلال وسليم على أمصار إفريقية وثغورها، وقلدهم أعمالها فأقطع زغبة ما بين طرابلس وقابس، ورياحا القيروان وباجة ودريدا قسنطينة(4) وإذا كانت بقية بني هلال تابعت طريقها إلى إفريقية وشرق المغرب الأوسط، فإن زغبة بقيت مستقرة بطرابلس وقابس وكانت لزغبة عزة وكثرة، وتغلبوا على نواحي طرابلس وقابس ولم يزالوا على تلك الحال إلى أن غلب الموحدون على إفريقية، وثار بها بنو غانية سنة 581 هـ، لأول دولة المنصور يعقوب(5)

(1) ينظر إلى موسوعة المغرب العربي - ج3 - ص.ص. 62-63، وعند إبراهيم حركات الذي ذكر ولما كان هؤلاء العرب قد أعجبوا بخصب إفريقية وخيراتها فقد تسلطوا على المدن والقرى ويحربون الزرع والمباني ويسبون الذرية. ينظر إلى المغرب عبر التاريخ - ص.ص. 282-283

(2) العبر: ج6 - ص13-14 François Decret: op.cit.

(3) نفسه: ص13 مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج2 ص178 رايح بونار: المغرب العربي. ص138

(4) العبر: ج6: ص13

(5) عبدالرحمان الجيلال: تاريخ الجزائر العام - ج1 - ص260 - رايح بونار: المغرب العربي - ص139

خلاصة القول: هاجرت حميان إلى إفريقية سنة 442 هـ - 1049 م في خضم الهجرة الجماعية لبني هلال، وبقيت ترافق بني زغبة؛ لأنها فخذاً من أفخاذها، واستقرت ما بين طرابلس وقابس وأخذت تمارس حياتها البدوية. إن دخول حميان إلى إفريقية من جموع بني زغبة بن هلال اصطدم بإمارة بني زيري الصنهاجية التي كانت تابعة سياسياً وإدارياً للدولة الفاطمية وذلك بسبب رفض بني زيري للعنصر الجديد المتمثل في بني هلال، والذين حاولوا منعهم من الاندماج في العنصر البربري، فكانت معركة حيدران التي أدت إلى انهيار إمارة بني زيري، وظهور إمارات عربية صغيرة في إفريقية التي غيرت من العلاقات السياسية بين المشرق والمغرب الإسلاميين. فهجرة حميان من جملة بني زغبة بن هلال كانت بمثابة المرحلة الانتقالية في تاريخ المغرب الإسلامي، إلا أن المؤرخين رأوا في الهجرة الهلالية الجماعية على أنها بداية للقضاء على معالم الحضارة في إفريقية (1)، وتدهور المغرب الإسلامي سياسياً واقتصادياً، وكذلك كانت سبباً في انفصال المغرب الإسلامي عن المشرق الإسلامي (2)، خلال منتصف القرن الخامس الهجري، مع أن العالم الإسلامي كله كان يمر بمرحلة ضعف وانحطاط، والهجرة الهلالية ما هي إلا مظهراً من مظاهر ضعفه (3).

ج- موقف إمارة بني زيري من حميان:

ج1- علاقة حميان من جملة بني زغبة بإمارة بني زيري: اختلف المؤرخون والباحثون حول علاقة حميان من جملة بني زغبة بن هلال بالمعز بن باديس أمير الدولة الزيرية بعد وصولهم إلى برقة، فذهب بعضهم أن العلاقة السياسية بدأت بين حميان من جملة بني زغبة والمعز بن باديس منذ أن حلوا ببرقة. حيث كانت ترد عليه أخبارهم،

(1) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق - ج 4 - ص 62 - رابع بونار: المرجع السابق - ص 134

(2) د. أبو القاسم سعد الله: آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر - ج 1 - ص 75

(3) العبر: ج 6 - ص 13 - الكامل - ج 9 - ص 567 - السراج: المصدر السابق - ص 943

ولم يكن يتوقع منهم شرا(1)، ربما أبلغوه أن بني هلال جاءوا بعاليهم وأبنائهم وأموالهم ودوابهم، اقتنع بأنهم يريدون السلم والاستقرار في هذه المناطق الواسعة الغنية بمراعيها، ولا يريدون منافسته في الملك، أو تأسيس ملكا على حساب إمارته، بينما ذكر جمهور آخر من المؤرخين أن موقف المعز بن باديس من حميان وبقية بني هلال كان سلبيا، واحتقر شأنهم ولم يعيرهم أي اهتمام(2)، بل استهزا منهم وربما احتقر من شأنهم لا على أساس أنهم أعراب وبدو، وإنما على أساس أنهم جاءوا في صفة جيش الدولة الفاطمية، وبالتالي أراد أن يرفع من معنويات جيشه المكون من صنهاجة والعييد أو أنه كان يجهل قوة بني هلال، وكان يظن أن بني هلال مجرد قبائل عربية لا تربطها علاقات قرابية، وتعيش على هامش الحضارة(3)، بل مجرد بدو رحل ليست لهم خبرة عسكرية بإمكانه القضاء عليها بسهولة مثل ما فعل مع زناتة التي أبادها وأبعدها عن إفريقية، وفي هذا الموضوع ذكر إسماعيل العربي موقف المعز بن باديس من بني هلال: "كان الاستهزاء والاحتقار لهؤلاء القوم الذين يعيشون على هامش الحضارة الإسلامية ولأسيادهم الفاطميين الذين لم يجدوا وسيلة لاسترجاع المغرب إلى طاعتهم إلا بالعمل لتخريبه وتقويض حضارته، ولكن الدلائل التي تشير إلى أن السلطان الزييري كان يجهل قوة بني هلال وطاقتهم على التخريب"(4). والراجح أن المعز بن باديس أنه لم يحتقر بني هلال، ولم يخط من قيمتهم، ويظهر من خلال استدعائه لشيخ بني رياح وبني هلال جميعا مؤنس بن يحيى المرداسي الرياحي ولو أن بعض المؤرخين أشاروا إلى مؤنس بن يحيى المرداسي هو الذي وفد على المعز بن باديس.

(1) د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي - ج 1 - ص 46

(2) إسماعيل العربي: المرجع السابق - ص 164 - عبد الحميد خالدي: المرجع السابق - ص 223

(3) العربي: ج 6 - ص 13 - عبد الحميد خالدي: المرجع السابق - ص 223

(4) ينظر إلى: بني حماد القلعة: ص 160

فإن المعز بن باديس استقبل مؤنس بن يحيى المرداسي استقبال الضيوف وأحسن إليه، وأصهره وأسكنه ببعض القصور بالقيروان⁽¹⁾. وربما كان سبب اتصال مؤنس بن يحيى بالمعز بن باديس هو أن يبلغه بالإقطاع الذي منحه إياها الخليفة الفاطمي والمتمثل في القيروان وباجة⁽²⁾، ولكن المعز بن باديس فاوض مؤنسا في استدعاء العرب من الأطراف بصرف النظر عن شكل الاتصال، وذلك قصد استخدامهم كجند ضد بني عمومته بني حماد أمراء القلعة؛ لأنه كان متخوفا من جيشه المتكون من العناصر الصنهاجية، لا سيما وأن العلاقة بين بني زيري وقبيلة صنهاجة لم تكن متينة منذ تأسيس دولة بني حماد بالمغرب الأوسط⁽³⁾. وعندما ألح مؤنس بن يحيى الرياحي على المعز بن باديس بأن لا يعتمد على بني رياح وبني هلال كجند وعرفه بقلعة إجتماع قومه على الطاعة، واختلاف كلمتهم وعواقب دخول العرب إلى مملكته وحذره من قوتهم، وقال له مؤنس: إنهم قوة لا طاقة لك بهم⁽⁴⁾، فقال له المعز بن باديس: هم دون ذلك، إلا أن المعز بن باديس أصر على استخدامهم كقوة عسكرية، وقال لمؤنس: إنما تريد انفرادك حسدا منك لقومك⁽⁵⁾، وأمام إصرار المعز على تنفيذ أمره، خرج مؤنس وقبل بالمهمة التي انتدب من أجلها. حفاظا على

(1) العبر: ج 6-ص 13- ابن الأثير: الكامل- ج 9-ص 568- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ص 325- عبد الحميد يونس: المرجع السابق ص 74- محمد مبارك الملي: المرجع السابق- ج 2-ص 181- السلاوي: المصدر السابق- ج 2-ص 164- عبد الحميد خالدي: المرجع السابق- ص 131- عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق- ج 3-ص 65

(2) ابن الأثير: الكامل- ج 9-ص 568- عبد الحميد خالدي: نفسه- ص 131

(3) ابن عذارى: البيان- ج 7-ص 289

(4) نفسه: ص 289- عبد الحميد خالدي: المرجع السابق- ص 132

(5) Saïd Dahmani: les banu Hilal et le pouvoir dans le Maghreb central du 11^{et} 14^{siècle}-banu hilal-geste et histoire acte de colloque international sur les banu hilal-alger du 20 au 23 mai 1990-cnrapah-alger-1990-p147- عبد الحميد خالدي: المرجع السابق- ص 131

مصالحه ومصالح أهله وبنيه(1). ويذهب أحد الباحثين أن سبب النزاع الذي وقع بين بني هلال والمعز بن باديس يعود إلى رفض بني زيري إدماج بني هلال في نظام الحكم؛ لأنه كان مبنياً على قواعد العصبية، وكانت السيادة الشرعية السياسية بيد المجموعة الأمازيغية فقط. لقد أحدثت الهجرة الهلالية تحولا الذي أفضى إلى مجتمع جديد أو إلى وجود عنصرين مجبرين على التعايش والتواجد والاختلاط، وكذلك الاشتراك في نظام الحكم(2). ويبدو أن المعز بن باديس لم يراع هذه العوامل السياسية ولم يتدبر نصيحة القائد الرياحي الذي بين له خطر وجود قومه في هذه المناطق الخصبة الغنية، بل اهتم بالأثنية والحسد. فذهب إليهم مؤنس واستنفرهم واستدعاهم، وقد تكمن من إقناع قومه بعدما نادى فيهم وحشدهم ووعدهم وغبطهم ووصف لهم كرامة السلطان والإحسان لهم، ثم دخل في ركب منهم، ولم يعهدوا نعمة ولا طالعوا حاضرة(3) ولم يكونوا فلما انتهوا إلى قرية تنادوا هذه القيروان ودخلوها من حينها(4) ويبدو أن هذه الرواية تحتاج إلى مراجعة فبنو هلال لم يكونوا من المجتمعات البدائية التي كانت منعزلة عن الحضارة حتى ينهروا من قرى ومدن إفريقية، بل كانوا على اتصال بالثقافات الخارجية وكانوا جزء من المجتمع الكلي وهو مجتمع الحضارة الإسلامية، وكانت لهم اتصالات بالمدن في الحجاز والشام ومصر، فقدموا ونادوا بشعار المستنصر بالله الفاطمي(5). وفي رواية ابن الأثير أنه لم يذكر الاتصال الذي وقع بين مؤنس الرياحي والمعز بن باديس بل ذهب إلى القول أن مؤنسا جمع قومه من بني رياح ومن بني هلال.

(1) عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي - ص 132

(2) Said Dahmani: op.cit.p147

(3) البيان: ج 1 - ص 289 - عبد الحميد خالدي: المرجع السابق - ص 132

(4) العبر: ج 6 - ص 13 - د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق - ج 1 - ص 66

(5) الكامل: ج 9 - ص 568

فقال لهم "ليس المبادرة عندي برأي فقالوا: كيف تحب أن نصنع فأخذ بساطا وبسطه، ثم قال لهم: من يدخل البساط من غير أن يمشي عليه، قالوا لا تقدر، فقال لهم هكذا القيروان لا نملكها إلا إذا ملكنا ضواحيها" (1). وعندما نادى بنو هلال بشعار الخليفة المستنصر اعتقد المعز بن باديس أن مؤنس بن يحيى هو الذي كان وراء تحريض أبناء عمومته رياح على إمارة بني زيري وعلى الفساد، واتهمه بإغراء العرب على التخريب، فكان رد فعل المعز بن باديس هو إلقاء القبض على أخي مؤنس وأهله بظاهر باجة (2). ويبدو من مختلف روايات المؤرخين أن بني هلال رفضوا التجنيد في جيش المعز بن باديس ضد ابن عمه القائد بن حماد وإمارته في القلعة؛ لأنهم أدركوا أن المعز بن باديس كان يريد الغدر بابن عمه، بسبب العداء الذي كان بين أبيه باديس الذي كان يريد احتواء قلعة بني حماد قبل دخول بني هلال إلى إفريقية وعمه وهذا ليس من خصال بني هلال، وبالتالي لم تثق فيه بني هلال لأنه كان يريد الغدر بابن عمه، ومن ثمة فكر بنو هلال في اتخاذ موقف هو رفض مساندة المعز بن باديس؛ لأنهم شعروا بأنه سيأتي اليوم الذي يغدر ابن باديس كذلك ببني هلال، ومن خلال هذا الموقف فإن بني هلال بطريقة غير مباشرة قد حافظوا على إمارة بني حماد، وعلى صيرورتها وعلى ديمومة بقائها فترة من الزمن ولكن الأمير الزيري فشل في احتواء بني هلال، ويرجع بعض المؤرخين سبب رفض بني هلال لمساعدة المعز بن باديس إلى طبيعتهم البدوية (3) التي ترفض الخضوع لسلطة

(1) العبر: ج 6- ص 14- د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي - ج 1- ص 64، ولكن المصادر التاريخية الأخرى لم تشير إلى أن المعز بن باديس ألقى القبض على أخي مؤنس بن يحيى المرداسي الرياحي، بل اكتفت بالقول أن الاختلاف الذي وقع بين المعز بن باديس ومؤنس الرياحي هو الذي دفع بهما إلى الدخول في نزاع مسلح. ينظر إلى: البيان - ج 1- ص 289. - ابن الأثير: الكامل في التاريخ - ج 9- ص 568

(2) عبد الحميد خالدي: المرجع السابق - ص 131

(3) البيان: ج 1- ص 289 عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي في الجزائر - ص 131

معينة وإلى تركيبتهم القبلية المتنوعة، بحيث لا يكونون قبيلة واحدة متماسكة (1). بل هم فروع وبطون مختلفة خرجت من منطقة يصعب فيها العيش، وتوجهت إلى بلاد جديدة تطمح في الاستحواذ عليها والسيطرة على خيراتها، ولا يمكن من حيث نمط المعيشة أن يحصل تعايشا بين العرب البدو وسكان الحضرة، إن هذه الأسباب تبين أن فشل كل المحاولات السلمية التي قام بها المعز بن باديس وخاصة محاولته الثانية التي جاءت بعد دخول القرية الأولى التي وصل إليها الهلاليون، واعتقدوا أنها القيروان (2). وقد تطورت العلاقات بين المعز بن باديس ومؤنس بن يحيى الرياحي بصورة فجائية من الود إلى العداء (3). فأصبحت المواجهة العسكرية حتمية بين الطرفين (4). يستخلص مما سبق ذكره من الأحداث والوقائع التاريخية أن المعز بن باديس حاول استخدام بني هلال كقوة عسكرية لتقويض ملك بني عمومته بني حماد بالقلعة، ولذا استدعى شيخ بني هلال واستقبله وأكرمه، ولكن عندما رفض بنو هلال مطلب المعز بن باديس أراد الانتقام منهم، فقام بشراء ثلاثين سودانيا لمواجهةهم والقضاء على وجودهم بإفريقية، خاصة وأنه أخذ مراسلات اليازوري التي تضمنت عبارة أما بعد فقد أرسلنا إليك أي إلى المعز خيلا فحولوا، وحملنا عليها رجالا كهولا، ليقضي الله أمرا مفعولا محمل الجحد، فكانت نتيجة سوء التفاهم الذي وقع بين المعز بن باديس ومؤنس بن يحيى المرداسي أن انتهى بإعلان المعز بن باديس الحرب ضد بني هلال، فكانت معركة حيدران سنة 443 هـ - 1050 م (5).

(1) عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي في الجزائر - ص 131

(2) نفسه: ص 131

(3) د. رشيد بورويبة: تاريخ الحماديين - ص 203 - وعند عبد الحميد خالدي اندلعت معركة حيدران في شهر ذي الحجة 443 هـ -

أفريل سنة 1052 م ينظر إلى الوجود الهلالي السليمي - ص 126 - 213 Hady idriss:op.cit.

(4) د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ص 602 - 213 - 214 Hady idriss:op.cit. - د. عبد الله علي علام : المرجع

السابق ص 203 - د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق - ص 64 - 65

(5) د. رشيد بورويبة: تاريخ الحماديين - ص 203 - د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ص 602

الفصل الثالث:

حميان من جملة بني زغبة في إفريقية

من 442هـ - 1049م إلى 581هـ - 1185م

المبحث الأول: معركة حيدراة وموقف حميان منها

المبحث الثاني: موقف حميان من زناتة إفريقية والمغرب الأوسط

المبحث الثالث: علاقة حميان بالدولة الحمادية وموقفهم

من معركة سببية

المبحث الرابع: النزاع بين رياح وزغبة في إفريقية ومصير حميان

أ- معركة حيدران وموقف حميان منها: يعتبر بعض المؤرخين أن معركة حيدران كانت معركة فاصلة في تاريخ المغرب الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، لأنها كانت المعركة التي كانت نتائجها انهيار إمارة بني زيري، وفي نفس الوقت غيرت من المعالم السياسية في بلاد المغرب. اختلف المؤرخون حول مراحلها فالبعض تعرض إلى ذكر معركة حيدران أنها وقعت في مرحلة واحدة، والبعض الآخر أشار إلى عدة مراحل (1)، فماهي مراحل معركة حيدران؟ بدأت في سنة 443 هـ — 1051 م — 1052 م، وانتهت سنة 446 هـ — 1054 م — 1055 م، بادر المعز بن باديس بإعلان الحرب على العرب الهلالية، ولم تكن بطون بني هلال هي التي أعلنت الحرب فالمعز هو الذي تحرك بجيشه تجاه مواطن بني هلال، وهددهم بالحرب واستفزه (2). اختلفت روايات المؤرخين والباحثين حول المرحلة الأولى من المعركة التي دارت بين أهل إفريقية يتزعمهم المعز بن باديس والعرب الهلالية، وكان من المتوقع أن ينتصر المعز بن باديس نظرا لضخامة جيشه وجودة سلاحه وكثرة فرسانه (3)، حيث جند ما يقارب ثلاثين ألف من العبيد، وحوالي ألف من صنهاجة بني حماد، الذي بعث بها ابنه عمه الذي كان المعز يريد غدره وهو القائد ابن حماد بعد أن طلب منه النجدة والدعم اللوجستيكي واستنفر المعز بن باديس زناتة فوصل إليه المستنصر بن خزرون المغراوي في ألف من قومه ومن بقايا عرب الفتح. لما احتفل المعز بن باديس بعيد الأضحى، جمع جنوده وسار بهم حتى وصل إلى حيدران*.

(1) العبر: ج 6 - ص 13 - الكامل: ج 9 - ص 568 - عبد الحميد خالدي: المرجع السابق ص 126

(2) د. عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق - ج 3 - ص 65

* جبل حيدران: هو جبل بينه وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام، يقع بين قابس وصفاقس والقيروان، كانت تسكنه بعض قبائل بني هلال وهي زغبة ورياح وعدي ينظر إلى العبر: ج 6 ص 13 - الكامل: ج 9 - ص 568 - وعند حسن حسني هو مكان بالجنوب الشرقي من المملكة على الجادة الكبرى ويسمى حاليا ببودران. ينظر إلى خلاصة تونس - ص 112 - د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ج 1 - ص 603.

(3) Noël: op.cit.p132 - ألفرد بل: المرجع السابق - ص 212

وكان عدد العرب الهلالية ثلاث آلاف، وهذا ما يبين أن بني هلال لم تشارك بكافة بطونها في المعركة، مع أن عدد فرسان بني هلال عندما دخلت إلى إفريقية، كان يقدر حسب ما ذكر بعض المؤرخين ما بين 45 ألف و 50 ألف فارس (1)، وكاد العرب أن ينسحبوا من ساحة القتال بسبب قلة عددهم، ولكن شيخ بني هلال مؤنس بن يحيى الرياحي عندما لاحظ أن جنوده في حالة هلع وخوف من ضخامة جيش المعز، حاول أن يرفع من معنويات جيشه قائلا لهم: ما هذا يوم فرار، ينبغي مواجهتهم. يبدو أن بهذه الكلمة استطاع مؤنس أن يسترجع قوة جيشه وقالوا له: أين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكراغندات والمغافر؟ قال لهم: في أعينهم، فسمي هذا اليوم بيوم العين، وبعد أن بدأت المواجهة العسكرية بين الطرفين، اتفقت صنهاجة على خيانة المعز ودفعته إلى الهزيمة (2). وترك المعز العبيد حتى يرى نعلهم ويقتل أكثرهم، ولكنه انهزم وفر المعز إلى القيروان، وغنمت العرب الهلالية، وأخذت الخيل والخيام وما فيها من مال ومتاع (3). واتفق ابن الأثير مع ابن خلدون في تركيبة جيش المعز بادييس وعدد قواته ولكن ابن خلدون لم يحدد اليوم الذي خرج فيه المعز وخلص أن العرب الهلالية أثخن في صنهاجة بالقتل واستباحوهم ودخل المعز إلى القيروان منهزما (4). وفي رواية ثانية لابن خلدون عن المرحلة الأولى من معركة حيدران أنه تعرض إلى ذكر بطون بني هلال التي شاركت في المعركة.

(1) العبر: ج 6 - ص 14 - الكامل: ج 9 - ص 568 - ابن أبي دينار: المصدر السابق - ص 84 - د. عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق - ج 3 - ص 65 - د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ج 2 - ص 600 - مبارك بن محمد المليي: المرجع السابق - ج 2 - ص 178 - د. السيد عبدالعزيز: المغرب الكبير - العصر الإسلامي - دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية - ج 2 - دار النهضة العربية - بيروت - 1971 - ص 668

(2) الكامل: ج 9 - ص 568 - العبر: ج 6 - ص 14 - د. عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق - ج 3 - ص 65 - عبد الحميد خالدي: المرجع السابق - 126 - د. السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير - ج 2 - ص 269

(3) العبر: ج 6 - ص 14 - البيان: ج 1 - ص 289 - أحمد مختار لعبادي: المرجع السابق - ص 325

(4) نفسه: ص 14 - البيان - ج 1 - ص 289

ومن بين هذه البطون زغبة التي تنتسب إليها حميان. بينما اتفق ابن عذارى مع ابن الأثير في اليوم الذي وقعت فيه المعركة وهو يوم عيد الأضحى، بينما اتفق ابن الأثير وابن خلدون في عدد جيش المعز وجيش العرب، واختلف عنه في نتائج المرحلة الأولى (1). أما المرحلة الثانية فقد وقعت في القيروان سنة 444 هـ، وكان ذلك يوم عيد الأضحى، وكان عدد جيش المعز سبعة وعشرين ألف فارس، وعدد جيش العرب سبعة آلاف. وكان المعز يريد غدر بني هلال وهم في الصلاة، لكنه فشل وهزم وقتل عدد كبير في صفوف جيش المعز، وتسمى هذه الواقعة بواقعة باب القيروان، وفرضت زغبة ورياح حصارا على القيروان (2) وقتل عدد من صنهاجة (3). وفي المرحلة الثالثة حاول المعز بن باديس أن يحسم الموقف ويقضي على عرب بني هلال، فجمع جيشه المكون من صنهاجة وزناتة في عدد كبير وسار بهم إلى بيوت العرب بجبل حيدران وحدث القتال واشتعلت نيران الحرب وكان عدد العرب لا يتجاوز سبعة آلاف، فانهزمت قوات المعز وتفرق شملها، وانسحب كل رجل منهم إلى بيته، وكذلك انهزمت زناتة وبقي المعز وعبيده، وثبت المعز بن باديس ثباتا لم يسمع مثله، ثم انهزم وعاد إلى المنصورية، وأحصى ذلك اليوم فكانوا ثلاثين ألف وثلاثمائة، ثم دخلت العرب ونزلت بمصلى القيروان، وبعد دخولهم وقعت الحرب في المنصورية ورقادة، وقتل عدد كبير من أهالي هذه المدن، مما أدى بالمعز إلى الاستسلام، وأباح للعرب دخول القيروان، وسمح لهم بالبيع والشراء، وأخذ يتعرضون للاستفزاز والتطاول من طرف العامة، فوقع الحرب بين العرب والعامة وانتهت بانتصار العرب.

(1) الكامل: ج 9 - ص 567 - العبر: ج 6 - ص 14

(2) البيان: ج 1 - ص 289 - العبر: ج 6 - ص 14

(3) نفسه: ص 289

(4) العبر: ج 6 - ص 13 - البيان: ج 1 - ص 293 - د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ج 1 - ص 604 - د. عبدالفتاح مقلد

الغنيمة: موسوعة المغرب العربي - ج 3 - ص 66 - د. السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير - ج 2 - ص 669

وحاصرت العرب القيروان سنة 446هـ (1) يستخلص من أحداث معركة حيدران أنه حدث ما لم يكن في مخيلة المعز ابن باديس، حيث ظهرت ملامح الانهزام في جيشه منذ الوهلة الأولى، فانخذلت عرب الفتح وانحازت إلى بني هلال للعصبة القديمة. وخائنه صنهاجة وزناته (2)، وربما يعود سبب خيانة صنهاجة وزناته إلى سياسة القهر والاستبداد التي مارسها المعز ضدهم، وكانت النتيجة أن انهزم المعز بن باديس بسبب تخاذل وحدات جيشه، وفر هو وحاشيته وترك جيشه للقتل (3). وغنمت قبائل العرب وبدأت بوادر الضعف في الإمارة الزيرية. وكان المعز قد أقام بالمنصورية مع من بقي معه من عسكره وولى ابنه تميما على المهديّة، وعقد صلحا مع بني هلال في سنة 445هـ - 1054م، ولكن لم تأت سنة 446هـ - حتى نقضت العرب الصلح، وذلك ربما لم يلتزم المعز بن باديس بالصلح الذي تم بينه وبين بني هلال، مما دفعهم إلى محاصرة القيروان وهدموا الحصون وضيقوا المنافذ عليها مما اضطر المعز أن يلتحق بالمهديّة (4). وأقام فيها مع ابنه تميم، وجعلها عاصمة بني زيري الجديدة، وخرج الناس إلى المهديّة وهجروا القيروان (5)، وذكر المؤرخون أن عبيد المعز وعسكر صنهاجة لما دخلوا مدينة صبرة بعد الهزيمة أساءوا استخدام مبانيها وخرّبوا عمائرها بسبب الهزيمة التي لحقت بالمعز بن باديس، بل انتقم أهل صبرة وجيش المعز منه، ولم تخربها عرب بني هلال (6). ومع ذلك اهتم المؤرخون والباحثون العرب والمستشرقون عرب بني هلال بتخريب وفساد القيروان وصبرة والمنصورية.

(1) العبر: ج 6 - ص 14 - الكامل: ج 9 - ص 567

(2) نفسه: ص 13 - الكامل: ج 9 - ص 567

(3) د. عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي في الجزائر - ص 132

(4) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق - ج 2 - ص 174 - عبد الحميد خالدي: نفسه - ص 133

(5) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق - ج 3 و 4 - ص 65 - د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ج 1 - ص 603 - دواد بن

يوسف: دولة بني يفرن الإباضية بتلمسان - مقالة - مجلة الأصالة العدد 26 - ط البعث قسنطينة جويلية أوت 1975 - ص 118

(6) د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ج 1 - ص 603

يرجع أحد الباحثين أن سبب هزيمة المعز بن باديس في مدافعة العرب الهلالية إلى شجاعة العرب الفاتكة، ومهارتهم الحربية الكبيرة، وتخاذل الصنهاجيين وزناتة وخيانتهم للمعز في كل معاركه، وتشبهه بالنعيم والجاه، وتشبع روحهم بالحياة المغربية والمرفهة، وإيثار المعز بن باديس عبيده على جنده من صنهاجة، وكانت هذه العوامل وغيرها ذات أثر بالغ في هزيمة المعز (1). يعتقد كثير ممن الذين لم يتعمقوا في تاريخ إمارة بني زيري أن مدينة القيروان، قد خضعت لسيطرة وحكم العرب، بعد أن غادرها المعز إلى المهديّة (2)، ولكن لم يحدث ذلك فالمعز بن باديس قبل أن يغادر القيروان قد عين عليها واليا من طرفه، يتسم بالقسوة والقوة يدعى قائد ميمون الصنهاجي، وكانت تحكم باسم المعز وتحت سيطرته، إلا أن العرب أحدثوا بعض المتاعب فقط (3). ولم يكن لهم أدنى حكم في القيروان ولا إدارة ولا تنظيم اللهم إلا الانتشار في أنحاء المدينة، وبعد وفاة المعز سنة 454 هـ، زادت سيطرة العرب وقويت شوكتهم بالقيروان، لكن تميم بن المعز كان حريصا على وحدة بلاده ورأى أنه من الضروري المحافظة على توازن داخل القيروان فعمل على نشر قواته وجنده لإعادة السيطرة على المدينة وحفظ النظام واستتباب الأمن (4)، فأقام الحراسة والمراقبة على أبواب القيروان ليلا وأبراج القيروان، بل أن عرب بني هلال كانوا يغادرون القيروان ليلا عندما يتم البيع والشراء، وأرسل تميم بن المعز المزيد من العون العسكري والعتاد، وجهز جيشا ضخما بقيادة والي القيروان (5). رغم قلة عدد العرب الهلالية إلا أن روح العصبية والتحالف والإرادة والشجاعة سمحت لهم بالانتصار العسكري الساحق

(1) د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي: ص 67 - د. حسين مؤنس: نفسه - ج 1 - ص 603

(2) نفسه: ص 67 - د. حسين مؤنس: المغرب العربي وحضارته - ج 1 - ص 603

(3) د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي - ص 68

(4) نفسه: ج 1 - ص 67

(5) نفسه: ج 1 - ص 67

على جيش المعز بن باديس الذي كان يفوقهم عددا وعدة وبالتالي ليست العبرة في ضخامة الجيش، وإنما العزيمة والرغبة في الانتصار هي أدت إلى انتصار العرب (1). هل شاركت حميان من جموع بني زغبة في معركة حيدران؟ اختلف المؤرخون والباحثون حول موقف حميان من جملة بني زغبة من معركة حيدران. فذهب بعض المؤرخين بالقول أن حميان من جموع بني زغبة شاركت في معركة حيدران في ذي الحجة 443 هـ الموافق لـ 15 إبريل 1052 م. وربما تبني هؤلاء المؤرخون رواية ابن خلدون التي ذكر فيها أن بطون بني هلال التي شاركت في المعركة وهي رياح وزغبة وعدي. وجاء ابن خلدون بقوله "...ارتحل المعز في أولئك النفر ومن لف لفهم من الأتباع والحشم والأولياء ومن في إياهم من بقايا عرب الفتح وحشد زناتة ومن نحوهم في أمم لا تحصى يناهز عددهم فيما يذكر ثلاثين ألفا، وكانت رياح وزغبة وعدي بحيدران جهة قابس..." (2). بينما ذهب بعض الباحثين بالقول أن زغبة لم تشارك في معركة حيدران وكانت غالبية الهلالية من بني رياح وعددا من بطون بني هلال (3). ومن البديهي أن تدافع بطون بني هلال عن نفسها وهو دفاع شرعي خاصة إذا تعلق الأمر بمسألة الشرف والذود عن الأهل والمال ورد المظالم ولا يمكن أن يبقى بنو هلال مكتوفي الأيدي أمام المعز ابن باديس وجيشه الذي كان يريد محاربتهم في ديارهم، فالمعز بن باديس هو الذي اتجه بجيوشه إلى جبل حيدران، وكان غرضه هو توقيف التزوح الهلالي، والدفع ببني هلال إلى التراجع والعودة إلى مناطقهم السابقة، أو ربما كان ينوي إبعادهم عن إفريقية، وبالتالي لم يكن بنو هلال هم الذين زحفوا بجيوشهم إلى المعز بن باديس.

(1) د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ص 602 - د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق - ج 1 - ص 46 - أحمد الطاهر

الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا - ص 225 - عبد الحميد خالدي: المرجع السابق - ص 132

(2) ينظر إلى العبر: ج 6 - ص 14 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 178

(3) Said Dahmani: op.cit.p147

ومن ثمة لا بد أن يدافع بنو هلال على أنفسهم من جيش المعزين باديس، وبالتالي فمعركة حيدران كانت تعكس أنانية المعزين باديس وكذلك مدى رفضه لبني هلال كعنصر جديد في وسط المجتمع البربري(1). ما موقف حميان من معركة حيدران؟ كما هو معلوم أن حميان كانت تستقر مع بقية بني زغبة في المنطقة الواقعة بين طرابلس وقابس، وكون جبل حيدران يقع في المكان الذي وقعت فيه المعركة على الأقل في مرحلتها الأولى، فإن حميان من جملة بني زغبة شاركت في هذه المعركة؛ لأنها كانت مهددة في حياتها وفي كيانها ووجودها أوروبما لم تشارك زغبة في بقية مراحل المعركة؛ لأن هناك زغبة من بني رياح وزغب* أو احتمالا شاركت زغبة بفرق عسكرية إلى جانب بني رياح وبقية بطون بني هلال. وكانت نتيجة معركة حيدران أن قسم عرب بني هلال إفريقية، فكان لزغبة طرابلس إلى قابس ولمرداس بن رياح باجة، ثم قسموها للمرة الثانية فكان لسليم الشرق ولهلل من تونس إلى الغرب وكان ذلك في سنة 446 هـ - 1055 م (2). (ينظر الخريطة رقم 02- ص 440) وخرج المعز من القيروان سنة 449 هـ - 1058 م مع خفيه منهم مؤنس بن يحيى أمير رياح، فلحق في خفارته بالمهدية، بعد أن أصهر إليه في ابنته فأنكحه إياها، وقد كان أن قدم إليها ابنه تميما فترل عليه، ودخلت العرب القيروان واستغل حمد أو حمو بن ومليل البرغواطي انهزام المعز، فغلب على مدينة صفاقس وملكها سنة 451 هـ (3).

(1) Said Dahmani :op.cit.p147

(2) ينظر إلى العبر: ج 6-ص 16

*بنوزغب: وهم بطن من بهتة من سليم من العدنانية، وهم بنوزغب بن مالك بن بهتة، أما بنوزغب فهم بطن من بني رياح من بني هلال بن عامر بن صعصعة من العدنانية، قال في العبر وفي بلاد زناتة بالمغرب منهم خلق كثير، أما بنو زغبة فهم بطن من بني الأشهل بن الأوس من القحطانية، وهم بنو زغبة بن زعوا الأشهل، وهناك أيضا بنو زغبة بطن من بني القين من قضاة من القحطانية، وكذلك بنو زغبة من بني هلال إخوة رياح ينظر إلى العبر: ج 6-ص 40 القلقشندي: نهاية الإرب ص 12-13

(3) د. عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق: ج 3-ص 45-د. حسين مؤنس: المرجع السابق: ج 3-ص 4 و 601-عبد الحميد

خالدي: المرجع السابق: ص 133

وأصبحت تونس ولاية تابعة للناصر بن علناس، التي ولى عليها عبد الحق بن خراسان فاستبد بها واستقرت في ملكه وملك بنيه⁽¹⁾ لم يتوقف نشاط بنو هلال عند دخولهم إلى إفريقية على تفويض إمارة بني زيري بل امتد نشاطهم السياسي في إفريقية والمغرب، وكانت لهم كلمتهم في تحديد معالم سياسة المغرب الإسلامي، فكانوا عنصرا فعالا في قيام الدول المغاربية وفي سقوطها⁽²⁾، ولعل أول أثر سياسي تركه بنو هلال بعد دخولهم إفريقية هو تشكيل إمارات عربية صغيرة مثل أسرة جامع بن دهمان من بني علي إحدى بطون رياح في قابس، ونجحت في جعلها حاضرة صغيرة مزدهرة مليئة بالقصور والبساتين والعمائر، وقد أتاح لها موقعها الجغرافي أن تتمتع بمميزات المدينة البحرية الصحراوية في آن واحد⁽³⁾. ولكن الفرد بل ذهب إلى القول "بأن بني هلال لم يأتوا إلى المغرب لضم بلاد جديدة إلى دار الإسلام، ولم يكن لديهم أي يقصد بني هلال ميل لنشر الدعوة الإسلامية ولا للاستشهاد في سبيل الله مثل قواد الفتوح الإسلامية الأولى، ويبدو أن الفرد بل لا يعرف أن الفاتحين الأوائل أغلبهم من بني هلال الذين دخلوا إلى الإسلام في بداياته الأولى، ويستطرد قائلا: ولا أن يؤسسوا في الشمال الإفريقي دولة عربية تدين بالولاء لخلافة القاهرة، وهو أمر عاجزين عنه كل العجز⁽⁴⁾. واستقل هو وليل البرغواطي الذي تحالف مع بني زغبة ورياح وعدي والأثبج في سفاقس⁽⁵⁾. والغالب على الظن أن حميان قد شاركت إلى جانب بني زغبة

(1) عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي - ص 132

(2) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب - ص 17 - الفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي - ص 219

(3) العبر: ج 6 - ص 15 التيجاني: رحلة التيجاني - ص 98-100 - العبر: ج 6 - ص 15 - أحمد الطاهر الزاوي: المرجع السابق -

ص 222

(4) ينظر إلى الفرق الإسلامية - ص 212

(5) أحمد الطاهر الزاوي: المرجع السابق - ص 222

في تشكيل إمارة مع حمو بن ومليل البرغواطي*، إن معركة حيدران قد أظهرت هشاشة نظام الحكم الزيري، ومع ذلك لم يؤسس بنوهلال ملكا على حساب إمارة بني زيري، بل تركوا إمارة المعزبن باديس قائمة ولكنها محصورة في المهديّة وسواحلها(1)، ويبدو أن عدم إدماج بني هلال في مجتمع إفريقية منذ دخولهم والتكرار لوجودهم في إفريقية هو الذي أدى إلى هذه النتيجة المأسوية على إمارة بني زيري. وبعد الانهيار الذي لحق بإمارة بني زيري بعد معركة حيدران، قد دفع كثير من المؤرخين والباحثين إلى اتهام بني هلال، وحملوهم تبعات كل ما حدث في المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري مع أنهم لم يكونوا موجودين بالمغرب الإسلامي في تلك الفترة(2)، وراحوا يتهموهم بتخريب وفساد المغرب الإسلامي. وبأنهم كانوا سببا في الأزمة التي حلت به في منتصف القرن الخامس الهجري، وكانوا سببا في تدمير ملك المعزبن باديس(3). اندلعت معركة حيدران في شهر ذي الحجة 433هـ - أبريل 1052م(4) مباشرة بعد وصول بني هلال إلى إفريقية

*برغواطة: أو بلغواطة بباء ولام مفتوحتين وغين معجمة ساكنة والنسبة إليها بلغواطي، وهي جماعات من البربر أخلاط من عدة قبائل تسكن ساحل تامسنا، وكان لادين لهم، وهم بانجوس أشبه، وادعى فيهم النبوة صالح بن طريف في أيام هشام بن عبد الملك سنة 125هـ، وأصل صالح بن طريف من برناط حصن من عمل شدونة من أعمال الأندلس، ونشأ بها فكان يقال لمن دخل في ديانتهم برناطي، وحولته إلى برغواطي، فسموا برغواطة، وصالح بن طريف يهودي الأصل، رحل إلى المشرق وأخذ عن عبيد المعترلي، واشتغل بالسحر، ورجع إلى المغرب، وعاشر قبائل برغواطة وادعى فيهم النبوة، وشرع لهم الصيام رجب، وإفطار رمضان، وجعل لهم الضحية في الواحد والعشرين من محرم، وشرع لهم في الوضوء غسل السرة والخاصرة. ينظر إلى أحمد الطاهر الزاوي - تاريخ الفتح العربي في ليبيا - هوامش - ص 226

- (1) العبر: ج 6 - ص 15 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 165 - عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري - دار الشروق - بيروت 1983 - ص 177
- (2) أبو القاسم سعد الله: آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر - القسم الأول - ط 2 - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1981 - ص 08 - د. مصطفى أحمد أبو ضيف: المرجع السابق - ص 64 - مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق ج 2 ص 153
- (3) محمد خير الدين: مذكرات - ج 1 - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1984 - ص 17
- (4) عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي في الجزائر - ص 132

قادمين من صعيد مصر، وبعد محاولة الأمير الزيري المعز بن باديس تطويقهم لصالح دولته إلا أنه فشل في ذلك، فالسؤال الذي يفرض نفسه ماذا تمثل هذه المعركة بالنسبة لبني زيري وللمغرب الإسلامي، ولا سيما بعد قطع العلاقات مع الفاطميين في مصر، وإقامة الدعوة للخليفة العباسي في بغداد؟ هل هي مجرد معركة عسكرية تقابل فيها جيشان غير متكافئين من ناحية العدد والعدة من جهة ثلاثين ألف في صف المعز، وثلاثة آلاف من جهة العرب الهلاليين؟ أم هل الحدث يتجاوز معركة عسكرية، ليكون حينئذ كما ذكر بعض الدارسين المحدثين من المستشرقين حدثا دافع من خلاله المعز بن باديس عن دولته وعن الحضارة الإفريقية بصفة عامة أمام مجموعات قبلية بدوية غير منظمة⁽¹⁾ لها أهداف معينة تريد تحقيقها وهي السيطرة على مجالات في إفريقية، واستغلت خيراها ثم تقسيم الإمارة الزيرية بينها⁽²⁾، ثم إن هذه المجموعات تعيش حسب نمط معيشي مغاير لنمط معيشة السكان الأفارقة، وبالتالي يجب ربط هذه المعركة بالصراع الزيري الهلالي ككل⁽³⁾. وفي هذا الإطار يجب طرح التساؤل التالي ما معنى هذا الصراع؟ هل هو صراع بين عرب بدو قادمين من نجد والحجاز، وأقاموا مدة في صعيد مصر، وانتقلوا إلى إفريقية في منتصف القرن الخامس الهجري، وبين عناصر حضارية مستقرة في إفريقية، لها كيان منظم ودولة ومؤسسات وجيش؟ وبعبارة أخرى هل يتعلق الأمر من ناحية بقبائل مشتتة لا تربط بينها وحدة، ماعدا النسب الانتماء إلى الفرع القيسي المضري العدناني الشمالي⁽⁴⁾. جاءت إلى إفريقية مدعومة من طرف الفاطميين في مصر.

(1) صالح مصطفى مفتاح: ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية - الشركة العامة للنشر والتوزيع - بنغازي -

1978 - ص 174 - د. مصطفى أبوضيف عمر: المرجع السابق - ص 92

(2) عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي - ص 132

(3) نفسه: ص 133

(4) نفسه: ص 133



ومن جهة أخرى بدولة مغربية أسسها بنو زيري من صنهاجة بعد انتقال الفاطميين إلى مصر. وكانت السيطرة على إفريقية. تجمع المصادر التاريخية على أن إمارة بني زيري كانت مزدهرة قبل ذلك، ثم تحولت إثر قدوم بني هلال إلى فسيفساء من الإمارات العربية البدوية في المدن الساحلية والداخلية، بينما انحصر النفوذ الزيري على مدينة المهديّة المحصنة، وقد تغيرت الأوضاع في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري لتصبح إفريقية مهددة من طرف النورمان إلى أن تمكن الموحدون القادمون من المغرب الأوسط بقيادة عبدالمؤمن بن علي الندرومي الكومي التلمساني من تحريرها من النورمان، وضمها إلى دولته الواسعة التي شملت كامل المغرب الإسلامي والأندلس (1). فلماذا يحمل المؤرخون مسؤولية التخريب والتدهور الذي حدث في إفريقية والمغرب الإسلامي إلى بني هلال؟ إن التخريب والانهيار الذي لحق بالمغرب الإسلامي كانت له خليفاته السياسية، وهو عبارة عن تراكم أزمات سياسية واقتصادية وإثنية ناجمة عن الصراع الصنهاجي الزناتي وهناك من تحامل على بني هلال تحاملا غير علمي وغير نزيه* ورد بعض المؤرخين على هذا الغلو في وصف بني هلال بهذه الأوصاف التي لا أساس من الصحة، فمن الأخطاء الشائعة ما يتناقله الباحثون عن بني هلال فهم يروون الأخبار والأساطير عن همجيتهم فمن قائل أنهم كالجراد الذي أكل الياض والأخضر (1). ومن قائل أنهم كالبرابرة الشمالية الذين خربوا العمران وشوهوا الحضارة، لماذا لأنهم عرب أو أعراب، ولأنهم جاءوا من الشرق لا من الغرب (2)، لأنهم اختلطوا بالسكان وتزاوجوا معهم ولم يكن وجود بني هلال وجودا سياسيا ولا عسكريا.

(1) د. أبو القاسم سعد الله: آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر - ج 2 - ص 153

* يقول علي عبد الواحد وافي إن ابن خلدون هو الذي تحامل على بني هلال؛ لأنه كان مولعًا بالعمران والحضارة، وفشل في السياسة. ينظر إلى: إتهام ابن خلدون بالتحامل على العرب مقالة مجلة الأضالة - العدد 14 بدون تاريخ ص 15

(2) عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي في الجزائر - ص 127

لأنه كما هو معروف أنهم اختلطوا بالسكان بسهولة (1) وإذا كانت هناك حروب فهي حروب انتقامية ذات هدف محدود وهو هنا السلطة الرافضة لحكم الفاطميين وليس سكان البلاد ولا حضارتهم وعمرانهم (2)، ولم يكن هدف بني هلال تأسيس دولة على حساب شعب البلاد التي حلوا بها، ولم يكن هدفهم أن يعيدوا مذهب الشيعة بأمر من الخليفة الفاطمي في القاهرة، ولا أن يؤسسوا في الشمال الإفريقي دولة عربية تدين بالولاء للخلافة الفاطمية (3) وأن الدعوة القائلة بأن بني هلال قوضوا العمران في شمال إفريقية غير صحيح، ذلك أن الحضارة الإسلامية كانت تنهار في كل مكان، وتظهر عليها علامة الشيخوخة، فوجود بني هلال كان ظاهرة من ظواهر التدهور الحضاري خلال العصور الوسطى وقد سبقهم في فعل ذلك عوامل كثيرة خارجية وداخلية سياسية واقتصادية، فلماذا يتحملون وحدهم ذنب ما حدث؟ (4). والمسؤول الأول عما لحق بالمغرب من أضرار الحرب، هي صنهاجة التي لم تحسن سياسة هؤلاء العرب، وجرائهم عليها بما كان بين دولها من تنافس وحروب مخربة للمدن والقرى ومشردة للسكان (5)، كالحروب التي وقعت بين المعز بن باديس وزناتة، قبل دخول بني هلال. بل تتحمل الإمارة الزيرية والدولة الفاطمية مسؤولية ما نجم من دمار وتخريب في إفريقية

(1) راض دغفوس: معركة حيدران والصراع الزيري الهلالي في القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي - مقالة - مجلة اتحاد

المؤرخين العرب - العدد 54 - بغداد - 1996 - ص 117

(2) (2) راض دغفوس: معركة حيدران والصراع الزيري الهلالي في القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي - مقالة - مجلة

اتحاد المؤرخين العرب - العدد 54 - بغداد - 1996 - ص 117 - د. أبو القاسم سعد الله: آراء وأبحاث - ج 2 - ص 153

(3) د. أبو القاسم سعد الله: آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر - ص 09

(4) د. أبو القاسم سعد الله: آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر - ص 09 محمد خير الدين: مذكرات - ج 1 - ص 17 -

د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي - ص 65

(5) نفسه: ص 17 - د. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد - ص 177

الذي غالى فيه كثير من المؤرخين اقتصاديا واجتماعيا(1)، وإذا كان المؤرخون المستشرقون الأوائل هم الذين بادروا إلى دراسة بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وقاموا بتحليله، فإن المؤرخين المحدثين من المستشرقين أخذوا على عاتقهم دحض الرؤى وأنصفوا بني هلال وبني سليم، حيث تعرض هؤلاء المؤرخين والباحثين أن الاعتماد على روايات ابن خلدون في إقرار ظاهرة التخريب والدمار يعتبر خطأ فادحا، وذلك أن ابن خلدون بحكم رجل دولة، وانتمائه إلى الأرستقراطية من جهة، والتصاقه بالحياة المدنية الحضرية من جهة أخرى جعله يتناول موضوع بني هلال من منظور عصر يدين البداوة مقحما بني هلال في هذه المشاهد، كما أن ابن خلدون كتب بعد ثلاثة قرون على هجرة بني هلال وهي فترة كافية لوجود عدة تغيرات حتمية ليست بالضرورة ناتجة عن هجرة بني هلال(2)، وذهب هؤلاء المؤرخون والباحثون المستشرقون بالقول عنصرية نظرياتهم(3). وتعد هذه الدراسات إضافات في مجال دراسة أزمة القرن الخامس الهجري وقد تبعتها دراسات أخرى جديدة التي تناولت أسطورة الغزوة الهلالية وقد أبرزت هذه الدراسات أن تدهور ودمار إفريقية، كان قد بدأ قبل قدوم بني هلال إلى المغرب الإسلامي(4) أن المؤرخين المعاصرين لدخول بني هلال إلى إفريقية، أو الذين عاشوا المرحلة الثانية لهجرتهم لم يتناولوا هجرة بني هلال إلى المغرب الإسلامي بالحدة والقسوة التي تناولها ابن خلدون وكما لم يذكروا أن بني هلال قد رموا النيران في المدن، أو قطعوا الأشجار ووجه المؤرخون المستشرقون المحدثون نقدا إلى مارسيه (G.Marçais) وقوته

(1) محمد خير الدين مذكرات ج1-ص17

(2) محمد خير الدين: المرجع السابق: ص17-د. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد-ص177

(3) مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق-ص182

(4) د. أبو القاسم سعد الله: آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر-ص153

(Gautier) وغيرهم لاتخاذهم موقفا سلبيًا من بني هلال معتمدين على كتابات ابن خلدون مبرزين أثر الدمار والتخريب، وقد اتخذ إيف لا كوست (F.Lacoste) الوجهة ذاتها حيث أبرز النظريات القائلة بمسؤولية بني هلال في أزمة القرن الخامس الهجري، فلاكوست انتقد المؤرخين لاعتمادهم على ابن خلدون في تفسير الأزمة (1) إذ يفيد بأنه لا يوجد في أي من مقدمة ابن خلدون ولا في كتاب العبر دراسة نظامية متماسكة للأزمة التي لاحظها ابن خلدون آثارها في القرن الخامس الهجري، فالمؤلف لا يضم عرضا منهجيا للأسباب العميقة لهذه الظاهرة المدمرة، ذلك أنه اكتفى بوصف تنالي للاضطرابات والفوضى (2). وقيام وسقوط العديد من المراكز السياسية، ولكن مسألة الأزمة لم تطرح والهجرة الهلالية لم تكن المحور الرئيسي، وإنما طرحت ضمن الفوضى والاضطرابات (3). ويذكر إيف لاكوست على أن اعتماد المؤرخين والباحثين الشبه الكلي على ابن خلدون لا يعبر بشكل قاطع عن الوضع، أما جاك بارك (Jacques Berque) فيتفق أيضا مع إيف لاكوست، وينتقد بدوره اعتماد المؤرخين على كتابات ابن خلدون، والذين أسقطوا من حساباتهم الأحداث التي تعيق هذه النظرية أضعفها خاصة وأن مصدر ابن خلدون شمل العديد من الأحداث المضادة لهذه الرؤية المدينة لبدو بني هلال وبني سليم. ويرى لاكوست أن هذه الرؤية هي أسطورة من قبل الصدفة، أنه يفند لفظة غزو، بل يرى أن تنقل القبائل العربية الهلالية منذ القرن الخامس الهجري وحتى القرن الثامن الهجري في بلاد المغرب، قد غذيت في إطار الإيديولوجية الاستعمارية (4).

(1) إيف لاكوست: تاريخ المغرب في القرون الوسطى - مؤسسة الكتاب - الدار البيضاء - 1976 - ص 10 - عبد الحميد

خالدي: المرجع السابق - ص 225

(2) إيف لاكوست: تاريخ المغرب ص 10 - عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي في الجزائر - ص 225

(3) إيف لاكوست: المرجع السابق - ص 10

(4) نفسه: ص 10

وفند لاكوست ماذهب إليه بعض الدارسين من أن دخول بني هلال إلى المغرب الإسلامي كان بمثابة غزوات المغول لبلاد المشرق فالفارق واسع(1)، فالذي لم يعاصر أحداث القرن الخامس الهجري وكتب في مرحلة متأخرة ويستدل بآرك على ذلك بأن البكري(2) الذي عاصر الأحداث لم يذكر سقوط القيروان إلا في سنة 1052م أي بعد الهجرة الهلالية بحوالي عشر سنوات، كما يدحض الزعم القائل بخراب المغرب الإسلامي الشامل إذ يذكر أن القيروان بالرغم مما تعرضت له من تدمير استطاعت في فترة لاحقة استعادة نشاطها وحيوتها الاقتصادية المعهودة، ومثلما اعتمد المؤرخون العرب المحدثون على وجهات نظر استشراقية حول اتهام بدو بني هلال وبني سليم بتدمير إفريقية، فإنهم وللمرة الثانية يبدو أنهم يعتمدون على رؤى استشراقية، فندت مزاعم تخريب بدو بني هلال وبني سليم للمغرب الإسلامي ونفت عنهم الاتهام، ومن بين الذين فندوا اتهام بدو بني هلال بالتخريب عبدالله العروي وجميل أبو النصر وأبو القاسم كرم الذين قاموا بدراسات اعتمدوا من خلالها على دحض الأطروحات القائلة بأن دخول بني هلال إلى المغرب الإسلامي كانت نقطة تحول سلبية في تاريخ المنطقة. وانتقدوا المؤرخين والدارسين لعدم تمعنهم في الأحداث(3). فالعروي يقدم تحليلاً لعوامل ومراحل انحلال الإمارة الزيرية بالمغرب الإسلامي، مبرزاً وجهة نظره بأن وجود بني هلال لا يختلف عن وجود أية قوة بدوية بالمنطقة، فالبدوي يحتاج إلى مراعي، وهذه المراعي ليست محدودة في بلاد المغرب، فلا بد للوافد أن يطرد من سبقه إليها، وفي مرحلة لاحقة يضيق الاقتصاد الرعوي الزراعة والغراسة، فتتعدى العودة إلى إنتاج زراعي وتفرغ القرى والمداشر(4)

(1) عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي - ص 225

(2) ينظر إلى: المسالك والممالك - الدار العربية للكتاب - تونس - 1992 - ص 73

(3) د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق - ج 4 - ص 144 - عبد الحميد خالدي: المرجع السابق - ص 225

(4) ينظر إلى: مجمل تاريخ المغرب المغرب - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - 1994 - ص 10

ويتناثر السكان، وتتباعد الأحياء، وتحل الخيام محل الدور وتترتب عن هذه التطورات تحولات أخرى لا تقل خطورة مع انحطاط الإنتاج الزراعي، وتناقص غلال الفرس وتقل الثروة العامة، وتكسد التجارة وتسوء أحوال سكان المدن. فتختنق هذه خاصة بعد أن تكون قد نُهبت وسلبت من ذخائرها أثناء الحروب والفتن، وهذا ما حصل بالضبط للقيروان وقلعة بني حماد وناهرت (1). كما ذكر عبدالله العروي أيضا بأن دخول بني هلال إلى المغرب الإسلامي وما صاحبه من اضطرابات وفوضى لا ينكرها المؤرخون. ولكنهم لا يتعدون الوصف إلى الاتهام، وأن هؤلاء لا يكتفون بالقول هذا ما فعله البدو الرحل، بل يؤكدون على أن ما يفعله العرب حيثما كانوا رغم أنهم يعرفون أن ابن خلدون يقول العرب ويعني بهم الأعراب أي البدو الرحل، ولكن الأغراض الاستعمارية، دفعت بكتاب الاستعمار إلى استغلال الاشتراك في المعنى (2)، أما جميل أبو النصر فبعد أن يسرد وقائع المواجهة بين بني هلال وبني زيري كما جاءت في المصادر التاريخية العربية الأولى، فإنه ينتقد كل من اتخذ مؤلفات التيجاني وابن خلدون مصدرا رئيسيا في دراسة أزمة المغرب الإسلامي في القرن الخامس الهجري ويتخذ أبو القاسم كرم (3) وجهة نظر من تقدم ذكرهما، وأول ما أكدته حسامة الخطأ الذي وقع فيه الدارسون لاعتمادهم بالدرجة الأولى في تحليلهم ونتائج أبحاثهم على ابن خلدون لإبراز مسؤولية بني هلال في الأزمة التي عاشها المغرب الإسلامي في القرن الخامس الهجري، وأخذ أبو القاسم كرم على عاتقه إبراز اختلاط الأمر على ابن خلدون في تناوله لموضوع بني هلال، وذلك من خلال تعميمه في أخباره ووصفه للخراب والدمار الذي شاهده (4)، وكأن حدث كله من

(1) ينظر إلى مجمل تاريخ المغرب: ص 14 - عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي - ص 227

(2) ينظر إلى ابن الهائم الأندلسي - ط 2 - الدار العربية للكتاب - تونس - 1977 - ص 151 - عبد الحميد خالدي: نفسه - ص 228

(3) عبدالله العروي: مجمل تاريخ المغرب - ص 14 - عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي - ص 229

(4) ينظر إلى: ابن الهائم الأندلسي - ص 151

طرف القبائل العربية والمغربية في القرن الخامس الهجري بالرغم من أن الكثير من هذه القبائل كانت لها أدوار إيجابية. ولعله من المفيد القول أن أبا القاسم كرم يعطي بعض العذر لابن خلدون ذلك لأن المصادر السابقة له وقفت بذكر انتعاش المنطقة وازدهارها الاقتصادية في القرن الخامس الهجري وأن مصادر القرن السادس الهجري أكدت على الفتن والحروب والنهب، وفي إبراز عدم مسؤولية بني هلال في الخراب الاقتصادية الذي أكده عليه بعض الدارسين اعتمادا على ابن خلدون الذي يذكر بعض الأحداث التي خربت في بعض الأراضي في المغرب الإسلامي كمناطق في برقة وقفصة على سبيل المثال (2)، وعلى العموم فإن إيجابيات بني هلال كانت أكثر فاعلية في جانبها الثقافي والفكري والديني؛ أنهم ساهموا في بناء وترسيخ الحضارة العربية الإسلامية (3). وعلى الرغم من التروح الهلالي قد بسط نفوذه على كل أنحاء المغرب الإسلامي امتدادا من حدود مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي مروراً بكل الأقاليم إلا أنه لم يؤسس ملكاً أو يشيد دولة أو أن يكون له كيانه سياسياً كبير معترف به إقليمياً ودولياً، ولكنه اقتصر على سكنى السهول والأودية وإقامة الإمارات الصغيرة (4)، بالإضافة إلى أن القبائل الهلالية لعبت دوراً متميزاً في أوجه الحياة المختلفة، وكان وجودها على أرض المغرب الإسلامي انطلاقاً من منتصف القرن الخامس الهجري حتى العصر الحديث عبارة عن صفحة مضيئة من تاريخ المغرب الإسلامي السياسي والاجتماعي والاقتصادي وعلى الرغم من الحملات المزعومة التي حاولت أن تشوه هذا الدور.

(1) ينظر إلى: ابن الهانئ الأندلسي - ص 151 عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب - ص 14

(2) - عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب: ص 229

(3) محمد سالم شرف الدين: ملامح المغرب في القرن الخامس الهجري المؤسسة العربية للكتاب بنغازي 1999 ص 127

(4) نفسه: ص 127 د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي موسوعة المغرب العربي - ج 1 - ص 65 - عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي

السليمي - ص 132 - د. مصطفى عمر أبو ضيف: القبائل العربية - ص 62

ولولا الدور الهلالي في حياة المغرب لتغير مسار تاريخ الإسلام والعروبة في تلك المنطقة من العالم الإسلامي(1). لاتزال الدراسات الدقيقة التي تسمح بتحديد دور كل بطن من بطون بني هلال في إفريقية قليلة، وبالتالي لا يمكن في ضوء قلة الدراسات أو انعدامها الوقوف على الدور الإيجابي أو السلبي الذي قام به كل بطن من بطون بني هلال، حتى لا تتهم بطون بني هلال كلها بالتخريب والتدمير الذي لحق بإفريقية، ولم يكن بنو هلال وراء التخريب الذي شهده المغرب الإسلامي، وإنما كان الوجود الهلالي في المغرب الإسلامي مظهرا من مظاهر التفكك والانحيار الذي أصاب العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي(2). وما يؤخذ على المؤرخين أنهم لم يركزوا على الغزو الصليبي للعالم الإسلامي عامة والمغرب الإسلامي خاصة في تلك الفترة، والذي كان سببا مباشرا في تفككه وانحياره وأثر بشكل أو بآخر على الوضع الداخلي، فكانت القبائل البربرية في المغرب الإسلامي بدل أن تواجه الغزو الخارجي المتمثل في الغزو النورمندي، يلاحظ أنها ركزت جهودها لمواجهة قبائل بني هلال وسليم، بل كانت في صراع فيما بينها، بين قبيلة صنهاجة من جهة وقبيلة زناتة من جهة أخرى، ولم يقتصر هذا الصراع على هذه القبائل فحسب، بل أقحمت قبائل بنو هلال وسليم، حيث دخلت في نزاع مع قبيلة صنهاجة، وأيضا مع قبيلة زناتة، وكانت نتائج هذا الصراع أن ضعفت هذه القبائل، وانعكس ذلك على تطور المغرب الإسلامي في القرن 5 هـ - 11 م. إن انهزام المعزبن باديس وصنهاجة في معركة حيدران أمام بني هلال، وانحيار إمارة بني زيري، يمكن إخضاعها لنظرية العمران البشري عند ابن خلدون في تفسيره للتطور المجتمع(3).

(1) د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي - ج 1 - ص 65 - عبد الحميد خالدي: المرجع السابق - ص 132

(2) د. أبو القاسم سعد الله: آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر - ج 2 - ص 153

(3) د. صلاح مصطفى القوال: علم الاجتماع البدوي - دار غرب - القاهرة - 2002 - ص 257

حيث تأخذ هذه النظرية في هذا المجال شكلا حيويا بيولوجيا مرتكزة على مقارنة المجتمع في تطوره بالجسم الحي وحياته، فالمجتمع البشري كالإنسان تماما، يولد طفلا وينمو إلى أن يصبح صبيا ثم شابا ثم رجلا ثم شيخا ثم هرما (1)، وهذا ما حدث لإمارة بني زيري وكذلك المجتمع له حالات أربع في نموه وتطوره عند ابن خلدون وليست حالات التطور هذه اختيارية قد يمر بها المجتمع وقد لا يمر، بل تسير في تتابع حتمي لا تمهد خلاله كل مرحلة للتي تليها فقط، وإنما تجذبها إليها جذبا (2)، وهذه الحالات الأربع أو الأجيال الأربعة كما يسميها ابن خلدون هي حالة البداوة، وتمثل الجيل الأول في حياة المجتمعات البشرية، وترتكز في رأي ابن خلدون على ركيزتين أساسيتين أولاهما حاجة الناس إلى التعاون لإشباع احتياجاتهم الضرورية، وثانيتهما حاجة الناس إلى الحماية والدفاع عن أنفسهم ضد مخاطر الطبيعة والكائنات الحية الأخرى على حد سواء، ومن هنا كانت أو نشأت القبيلة أو الأشكال الاجتماعية الجماعية التي صمت بني البشر أو احتوتهم على أساس من العصبية ووفق تنظيم سياسي واجتماعي صارم (3). وقد تأسست نتيجة لذلك قبيلة صنهاجة التي تفرعت إلى بطون، ومن بين بطونها بني زيري ويرجع ابن خلدون قيام الملك إلى العصبية التي شدت من أزر أفراد القبيلة الواحدة وقوت شجاعتهم وصيرتهم أكثر توحدا وبأسا ودفعتهم إلى الغزو والفتح (4). وقد حدث أن قامت قبيلة صنهاجة خاصة بطنها بنوزيري بالغزو والفتح أثناء الحكم الفاطمي في المغرب الأوسط والأقصى.

(1) ابن خلدون: المقدمة-ص.ص 149-150-د. حسن الساعاتي: علم الاجتماع الخلدوني-ص 167-د. ألبير نصري نادر: من

مقدمة ابن خلدون-ص.ص 119-120-د. محمود عودة: أسس علم الاجتماع-دار النهضة العربية-بيروت-ص 238-

د. صلاح مصطفى القوال: علم الاجتماع البدوي-دار غريب-القاهرة-2002-ص.ص 257-258

(2) المقدمة-ص 150-د. حسن الساعاتي: علم الاجتماع الخلدوني-ص 167-د. ألبير نصري: من مقدمة ابن خلدون-ص 120-

د. صلاح مصطفى القوال: علم الاجتماع البدوي-ص 258

(3) المقدمة-ص 150-د. صلاح مصطفى القوال: علم الاجتماع البدوي-ص 258

(4) نفسه-ص 150-د. حسن الساعاتي: علم الاجتماع الخلدوني-ص.ص 167-168

ضد دولة بني أمية وحلفائها قبيلة زناتة وإقامة الملك بعد انفصال بني زيري عن الدولة الفاطمية والملك يستتبع بالضرورة إنشاء البلدان والأمصار وما يلزمها من مختلف الصنائع وغيرها من الأمور الضرورية لل عمران الأمر الذي يبعد المجتمع عن حالة التوحش والعصية⁽¹⁾ وينتقل به من حالة البداوة إلى حياة الحضارة، التي أسسها بنو زيري في إفريقية والحضارة عند ابن خلدون هي غاية العمران وهي أيضا الترفن في الترف، حيث يستقر خلالها الملك وتزخر بالنعيم وتتقن فيها الصنائع وتتجلى المهارات الفنية، ويسود فيها الترف وتنوع الميول والشهوات وينصرف الناس كل إلى ملذاته فتضعف العصبية، وتضع الشجاعة وتلين الخصال وينسى كل الناس أصول الحماية والمدافعة⁽²⁾، ويؤجرون الموالي والمرتقة لقيام بهذه المهمة عنهم، وهذا ماوقع لبني زيري عندما اشترى المعز بن باديس ثلاثين ألف سودانيا للدفاع عن إمارة بني زيري بسبب الترف الذي وصلت إليه صنهجة التي آثرت الراحة والدعة على المتاعب ومن هنا كان هلاكهم الحتمي والمؤكد على يد قبيل غاز آخر أكثر منهم توحشا وأوفر منهم عصبية وحقا بأمور الحماية والمدافعة⁽³⁾ وهو قبائل بني هلال، وبلغت إمارة بنو زيري حالة الهرم وهي ختام حياة المجتمع والدولة في رأي ابن خلدون⁽⁴⁾، لأن غاية العمران هي الحضارة والترف، وإذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ الهرم كالأعمار الطبيعية للحيوانات، ويرى ابن خلدون أن حالة الهرم هذه حالة حتمية أو ضرورة لا بد منها، وذلك لأن حالة الهرم نشأت كنتيجة ضرورية لضعف العصبية وإيكال أمر المدافعة.

(1) المقدمة: ص 151-د. حسن الساعاني: علم الاجتماع الخلدوني-168-د. ألير نصري نادر: من مقدمة ابن خلدون-ص

120-د. صلاح مصطفى القوال: علم الاجتماع البدوي-ص 258-د. محمود عودة: أسس علم الاجتماع-ص 238

(2) المقدمة: ص 151-د. صلاح مصطفى القوال: علم الاجتماع البدوي-ص 259

(3) نفسه: ص 152-د. ألير نصري نادر: من مقدمة ابن خلدون-ص 120

(4) نفسه: ص 152-د. حسن الساعاني: علم الاجتماع الخلدوني-ص 169

والحماية إلى الموالي والمرترقة، وتعود حالة الهرم كذلك على الاكتفاء بمظاهر القوة والغلبة والأنفة دون ممارسة حقيقية لها، والتكالب على أمور الدنيا وإرضاء الشهوات والخضوع لها سواء كانت شهوات معنوية أم حسية أم جسدية، وكذلك شهوة والانغماس في جمع المال بكل الطرق، وكل هذه أمور تتسبب أو تؤدي إلى هجوم من قبيل غاز متربص قوي العصبية شديد الشكيمة ومتوحش الطباع. ومن هنا يبدأ المجتمع دورته من جديد حالة بدواة تسودها العصبية، وحالة ملك بالغزو والقهر، وحالة حضارة يبلوغ العمران إلى منتهاه، ثم حالة الهرم وهي حالة موات لا محالة حتى مع ظهور بعض المصلحين أو مع تأخر القبيل الغازي في الانقضاء على فريسته (1). فإن ما وقع لبني زيري وصنهاجة أنها تعرضت لقبيل غازي وهو بنو هلال، ولكن هذا القبيل لم يؤسس ملكا أو دولة، حسب القوانين التي استنتجها ابن خلدون من نظريته العمران البشري، لأن مبرر ابن خلدون أن العرب لا يحصل لهم ملك إلا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين (2) والسبب في ذلك أنهم خلق التوحش فيهم، وأصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة فيهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة والوازع عن التحاسد والتنافس، فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله يذهب عنهم مذمومات الأخلاق، ويأخذ بمحمودها حصل لهم التغلب والملك.

(1) المقدمة: ص 150-د. حسن الساعاني: علم الاجتماع الخلدوني-ص 168-د. ألبير نصري نادر: من مقدمة ابن خلدون-

ص 102-د. صلاح مصطفى القوال: علم الاجتماع البدوي-ص 258-د. محمود عودة: أسس علم الاجتماع-ص 238

(2) المقدمة: ص 151-د. ألبير نصري نادر: من مقدمة ابن خلدون-ص 102

(3) نفسه: ص 152-د. حسن الساعاني: علم الاجتماع الخلدوني-ص 169

(4) نفسه: ص 152-د. صلاح مصطفى القوال: علم الاجتماع البدوي-ص 258

ب- موقف حميان من زناتة إفريقية والمغرب الأوسط: اختلف المؤرخون والباحثون حول موقف حميان من جملة بني زغبة من زناتة إفريقية والمغرب الأوسط فذهب بعض المؤرخين أن بني هلال عند وصولهم إلى طرابلس اصطدمت بزنانة إفريقية ويبدو ذلك من رواية ابن أبي دينار التي ذكر فيها أن بني هلال لما وصلوا إلى المغرب كانت لهم وقعات مع زناتة طرابلس⁽¹⁾. وربما كان هذا الاصطدام متوقعا وطبيعيا؛ لأن بني هلال التي واصلت مسيرتها إلى إفريقية من المحتمل قد اصطدمت بزنانة طرابلس ذلك أن طرابلس كانت المحطة الثانية بالنسبة لبني هلال، والغالب على الظن أن الاصطدام كان ظرفيا نظرا لضخامة عدد بني هلال، الذي غطى مساحات واسعة من مراعي طرابلس ومن الطبيعي أن ترفض زناتة الوجود الهلالي في منطقتها لتشابه حياة زناتة البدوية مع حياة بني هلال، وربما كانت زناتة ترى في استقرار بني هلال في منطقتها يؤدي إلى مزاحمة بني هلال لها، وبالتالي يؤدي ذلك إلى ضيق المساحات الرعوية، ويصعب عليها العيش في هذه المنطقة، وكذلك كانت ترى زناتة أن بني هلال عنصر جديد ودخيل عليها، وبالتالي رفضت إدماجه؛ أو احتمالا أن زناتة رأت أن استقرار بنو هلال في طرابلس ونواحيها يؤدي إلى سيطرة بني هلال على المنطقة وبالتالي يحدث لزناتة كما حدث لها مع صنهاجة التي أبادتهم في منطقة برقة، وأرغمت من بقي منهم على الهجرة على المغرب الأوسط والأقصى، وما يؤخذ على المؤرخين أنهم استخدموا أسلوب التعميم في تحليل ظاهرة التخريب وكأنها خاصة ببني هلال، فاتهموا كل بطون بني هلال دون استثناء، وإذا كانت بطون بني هلال كرياض والأثبج وبني عدي وجشم وبقية البطون العربية الأخرى كعوف وزغب قد واصلت سيرها إلى إفريقية سنة 443 هـ - 1050 م. واستقرت حميان من

(1) المؤنس: ص 84 - وعند أحمد الطاهر الزاوي وكانت زناتة بمجعات طرابلس فدهمهم العرب بمجموعهم، واحتازوهم إلى

القيروان قوة واقتدارا بعد حروب طاحنة ينظر إلى تاريخ الفتح العربي في ليبيا - ص 224

جموع بني زغبة بطرابلس وضواحيها، فما موقف حميان من جملة بني زغبة من زناتة؟ جاء في العبر أن زغبة عند دخولها إلى إفريقية كانت تتميز بكثرة العدد، والشرف وتغلبت على نواحي طرابلس وقابس، وقتلت سعيد بن خزرون* من ملوك مغراوة بطرابلس(1). ويفهم من رواية ابن خلدون أن بني زغبة كبطن من بطون بني هلال قتلت ملك طرابلس سعيد ابن خزون ربما كان يريد إبعادها عن طرابلس، التي تعد إقطاعا لها والذي حدد لها من طرف الخليفة الفاطمي، وإذا كانت زغبة فرضا قد قتلت أمير مغراوة، فإنها لم تقتل قبيلة مغراوة قاطبة، ولكن لم يذكر ابن خلدون أسباب مقتل سعيد بن خزرون على أيدي زغبة، وذهب بعض المؤرخين أن بني هلال دخلت في حروب مع زناتة بعد انتصارهم على صنهاجة إفريقية(2)، وكانت زناتة تسيطر على الجزء الغربي وهو إقليم تلمسان، وكانت رئاسة الضواحي من زناتة لبني يفرن ومغراوة وبني ومان ويلومان(3)، فلما رأت زناتة ما فعلته العرب الهلالية بصنهاجة وبلادهم إفريقية خافت على نفسها، وتحركت لمواجهة بني هلال وفي رواية رشيد بورويبة أن زناتة المغرب الأوسط لما رأت ما فعل بنو هلال يآخوأنهم في إفريقية الذين طردوا من أراضيهم، ولاذوا بالفرار إلى المسيلة للخلاص منهم، وانتهى الصراع بانتصار بني هلال على زناتة. واضطروهم إلى الفرار إلى المغرب الأقصى،

* يبدو أن هذه الرواية تحتاج إلى مراجعة؛ لأن ابن خلدون نقل هذا الخبر عن التجاني فرغبة إنما كانت أجازت النيل بعد سنة 440 هـ - 1047 م - 1048 م فلم يكن لها وجود في طرابلس سنة 429 هـ - 1036 م - 1037 م، إلا أن كان تقدم بعض أحيائهم إلى إفريقية قبل ذلك وكان بنو قرة بركة وبعثهم الحاكم مع يحيى بن حمدون إلا أن ذلك لم يتقله أحد، وبالتالي يستبعد أن قتلته زغبة. ينظر إلى محمد بن عميرة: زناتة والحركة المذهبية - ص 298

(1) العبر: ج 6 ص 41 - مصطفى أحمد أبوضيف: المرجع السابق - ص - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر بين القديم والحديث - ج 2 - ص 188 - داود بن يوسف سليمان: المرجع السابق - ص 118

(2) العبر: ج 6 ص 15 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر - ج 2 - ص 178

(3) د. رشيد بورويبة: تاريخ الحمايين - ص 203

فاستقر بنوهلال في منطقة الزاب وهي منطقة بسكرة حالياً، حيث اتفقوا بينهم وبين بني حماد، فحافظ الحماديون على المدن، وتركوا الأرياف لبني هلال (1). ويبدو أن صنهاجة هي التي أقفرت المغرب الأوسط من زناتة في القرن الرابع الهجري، عندما كان الصراع قائماً بين زناتة وصنهاجة في عهد الفاطميين حيث قام زيري بن مناد الصنهاجي عامل المعز لدين الله الفاطمي بأشير* وتاهرت بمحاربة زناتة، وسمح له الخليفة الفاطمي بضم الأراضي التي يستطيع الاستيلاء عليها فسار إلى ابن الخير وقام بهجوم مفاجئ سنة 360 هـ - 970 م - 971 م (2)، تمكن من محاصرة زناتة حتى لم يبق أمام أميرها إلا أن ذبح نفسه (3). غير أنه لم يمض وقت طويل حتى أتاحت لزناتة الفرصة لكي تتأثر لنفسها، ذلك أن عامل المسيلة والزاب للخليفة الفاطمي جعفر ابن علي بن حمدون (4) خلع طاعته ولحق بابن الخير بن محمد وقومه واعتصم بدعوة المروانية (5). ما كان سبباً مباشراً إلى وقوع معركة ثانية بين صنهاجة بقيادة زيري بن مناد وزناتة بقيادة الخير بن محمد بن الخير في رمضان سنة 360 هـ - يوليو 970 م (6) بملوية وكانت نتيجتها عكس المعركة الأولى، إذ انتهت بقتل زيري وهزيمة أصحابه (7)، وما أن علم المعز لدين الله الفاطمي بذلك حتى أسند المهمة التي كلف بها زيري. إلى ابنه بلكين بنفس الشروط بعد ما ولاه على عمل أبيه وعمل جعفر بن

(1) د. رشيد بورويبة: تاريخ الحمادين: ص-203

(2) العبر: ج2-ص37-محمد بن عميرة: زناتة والحركة المذهبية-ص298

(3) عن هذه المعركة ينظر إلى العبر: ج2-ص37-38-البيان: ج2-ص243-الكامل: ج7-ص47

(4) العبر: ج2-ص38-ويسميه صاحب مفاخر البربر جعفر بن حمدون المعروف بالأندلسي-ص06، وقد تولى المسيلة بعد

مقتل أبيه في معركة خاضها ضد أبي زيد سنة 334 هـ - 945 م - 946 م ينظر إلى المقتبس ص.ص35-56-انعاط الحنفاء-

ج1-ص99-المؤنس: ص74

(5) مؤلف مجهول: مفاخر البربر-ص07، وتذكر بعض المصادر أن جعفر وزناتة هم الذين هاجموا صنهاجة. ينظر إلى مفاخر البربر-

ص07-المؤنس: ص07

(6) العبر: ج2-ص38-مفاخر البربر: ص07-البيان: ج2-ص242-الكامل: ج7-ص47-المقتبس: ص.ص26-27

(7) أي أنه ملكه ما تغلب عليه من أعمال زناتة. ينظر إلى العبر: ج2-ص32

علي على تحرك بلكين نحو المغرب سنة 361 هـ - 971 م - 972 م وراح يجول في أعمال طبنه وباغايه والمسيلة وبسكرة، وأجفلت زناتة أمامه، وتقدم إلى تاهرت ولحق بالمغرب الأقصى. واتبع آثار الخير بن محمد وقومه إلى سجلماسة، فأوقع بهم وتقبض عليه فقتله وفض جمعهم، وانكف بالمغرب الأوسط، فاستلحم بوادي زناتة ومن إليهم من الخصاصين (1)، ورفع الأمان عن ركب فرسا، فأقفر المغرب الأوسط من زناتة، وساروا إلى ما وراء ملوية من بلاد المغرب الأقصى (2). يستخلص من هذه الأحداث أن منطقة المغرب الإسلامي كانت منطقة صراع بين القبيلتين الزناتية والصنهاجية منذ ما قبل الإسلام، وربما يعود سبب الصراع بين زناتة وصنهاجة إلى الاختلاف بينهما في نمط الحياة أو في نمط التفكير، ولم يقتصر على القبيلتين بل تعداه إلى التناحر بين أفراد القبيلة الواحدة مثل ما وقع بين بني زيري وأبناء عمومته بني حماد، وبين مغراوة وبني يفرن، إلا أن زناتة هي التي اجتهدت في مدافعة بني هلال، وأعلنت الحرب ضدهم بما كانت أملك للبأس والنجدة بالبدواة، وتحالفت قبائل زناتة ضد بني هلال، وزحفت إليهم من المغرب الأوسط وإفريقية، وتولى ذلك منهم محمد ابن خزرون صاحب تلمسان، وأرسل نحوهم جيشا يقوده أبوسعدي اليفري سنة 450 هـ (3) فوقع بينهم حروب طويلة، ذكرها بنوهلال في أشعارهم، وقتل بنوهلال أبي سعد اليفري وانتهت هذه الحروب بانتصار العرب الهلالية، وتراجعت زناتة إلى تلمسان (4). وتغلب بنوهلال على الضواحي، وعجزت زناتة عن ردهم بإفريقية الملتحم بينهم في الضواحي بين جبل راشد ومصاب من المغرب

(1) مفاخر البربر: ص 08 وحسب ابن الأثير فإن المعز ولاءه المسيلة وأعمالها بعدما حارب زناتة تعبيرا عن فرجه به - ينظر إلى

الكامل: ج 7 - ص 48

(2) العبر: ج 2 - ص 119 - المؤنس: ص 75 - عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر - ج 1 - ص 126

(3) العبر: ج 6 - ص 20 - مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق - ج 2 - ص 178

(4) نفسه: ص 20 - د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ج 1 - ص 603 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر - ج 2 - ص 178

والزباب وصار الأوسط⁽¹⁾، ويبدو أن بعض المؤرخين حاولوا تأويل ما حدث بين صنهاجة وزناتة من حروب، فمن أهم مميزات القرن الرابع الهجري بالنسبة للعالم الإسلامي تزايد ضعف الخلفاء العباسيين، وقيام دولة الفاطميين بإفريقية ومنافستهم للعباسيين في الخلافة وخصوصا بعد استيلائهم على مصر وعلى معظم أنحاء المغرب، وقد هب الأمويون أمراء الأندلس إلى مساعدة القبائل المستقرة في المغرب الأقصى والأوسط، وأغلبها من زناتة، ومدتها بالأسلحة والأموال لرد هجمات الفاطميين وأنصارهم من صنهاجة، مما أدى إلى نشوب حروب طاحنة بين زناتة وصنهاجة تخللت القرن الرابع الهجري كله⁽²⁾، ومن أهم نتائج الحروب التي اندلعت بين صنهاجة وزناتة منذ أواخر عهد الفاطميين بإفريقية إلى أوائل القرن الخامس الهجري نزوح عدد كبير من بني يفرن ومغراوة وغيرهم من قبائل زناتة إلى المغرب الأقصى، بعد استيلاء صنهاجة على أراضيهم في المغرب الأوسط⁽³⁾. ويلاحظ أن قبائل زناتة وصنهاجة وقعت ضحية صراع مذهبي بين الفاطميين والأمويين، واستغلت صنهاجة هذا الصراع لطرد زناتة من إفريقية والمغرب الأوسط. وكانت نتائج الحروب بين صنهاجة وزناتة وخيمة تضررت منها زناتة إفريقية والمغرب الأوسط ليلصقوا التهم ببني هلال، ويحملونهم ما وقع من تخريب ودمار في منطقة إفريقية، ويفهم من رواية ابن أبي دينار أن الصراع الهلالي الزناتي حدث قبل الصراع الهلالي الصنهاجي في إفريقية⁽⁴⁾، وقد تجدد الصراع بين بني هلال وزناتة وكذلك بين

(1) العبر: ج 6-ص 20

(2) د. عبد الحميد حاجيات: تاريخ المغرب الأوسط في عهد المرابطين-الجزائر في التاريخ-العهد الإسلامي-من بداية الفتح إلى

العهد العثماني-ج 3-المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1984-ص 291

(3) الكامل ج 10 ص 456 د. مصطفى أبوضيف: القبائل العربية في المغرب ص 61-عبد الحميد يونس: الهلالية-ص 74

(4) (ينظر إلى: المؤنس-ص 84

الهلالين والصنهاجيين بعد معركة حيدران، وكان ذلك بين بني هلال وبني حماد، الذي تجسد ذلك في معركة سببية سنة 457هـ (1). بينما في رواية ابن الأثير فجاء فيها أن بني هلال سيطروا على صنهاجة ثم مدوا نفوذهم إلى زناتة حتى تم لهم إخضاع القبيلتين، وهذا ما يبين أن بني هلال لم تكن لهم الرغبة في القضاء على دول البربر في المغرب الإسلامي. خلاصة القول أن حميان من جموع بني زغبة ربما شاركت في الصراع بين بني زغبة مع زناتة طرابلس، ويستبعد أنها شاركت في حروب بني هلال مع زناتة المغرب الأوسط؛ لأنها كانت مستقرة بضواحي طرابلس.

ج- علاقة حميان بالدولة الحمادية وموقفهم من معركة سببية:

كانت حميان من جموع بني زغبة تستقر ما بين طرابلس وقابس* وأوربا تحركت بعض بطون زغبة إلى غرب قابس بعد التقسيم الثاني سنة 446هـ، إما بالقرب من المهدية أو القيروان، ولو أن المصادر التاريخية لم تتفق على رأي واحد، ومن ثمة فلم تكن لحميان من جملة بني زغبة علاقات جوار أو احتكاك بإمارة بني حماد بسبب البعد الجغرافي، ولم تكن حميان من جملة بني زغبة بينها وبين بني حماد نزاع عسكري، ويبدو أن أول علاقة سياسية بين حميان من جموع بني زغبة حدثت في عهد الأمير الحمادي الناصر بن علناس (2) الذي تولى حكم إمارة بني حماد سنة 454هـ في المغرب الأوسط.

* قابس: تقع في نحر البحر، وهي مدينة الأفارقة، وذلك أن من مدينة قابس إلى الفوارة ثلاثون ميلا (الميل = 8 كلم)، وكانت فيما سلف قرية نوهي الآن خراب، ومنها إلى آبار خبت إلى قصر الدرق ثمانية وعشرون ميلا، ومن قصر الدرق إلى بئر الجمالين ثلاثون مرحلة، وكل هذه المنازل التي ذكرت في هذا الطريق خلاء بلقع، قد آتت العرب على عمارتها، وطمست آثارها، وأخربت عشارها وأفنت خيراتها، فليس بها الآن أنيس قاطن ولا حليف ساكن، وهي مستباحة بقبيلة من العرب تسمى مرداس من بني عوف من سليم من العدنانية، كانت منازلهم تمتد بين قابس وعنابة في المغرب مع قوقم، وكانت ربايستهم حتى القرن الثامن الهجري في جامع. ينظر إلى: الإدريسي - المصدر السابق - ص 197

(1) أحمد الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح في ليبيا - هوامش - ص 226

(2) إسماعيل العربي: دولة بني حماد القلعة - ص 164 - د. مصطفى أبوضيف عمر: القبائل العربية - ص 56

وهي نفس السنة التي تولى فيها ابن عمه تميم بن المعز إمارة بني زيري في إفريقية. وكان الناصر بن علناس يريد توسيع إمارته شرقا على حساب إمارة ابن عمه تميم مستغلا انحصار النفوذ الزيري ما وراء أسوار المهديّة(1) ويلاحظ أن بني زغبة من جموع بني هلال لم تكن وراء تحرشات الناصر بن علناس على إمارة ابن عمه تميم، وإنما الصراع الحمادي الزيري كان من ورائه الناصر ومع ذلك اقم المؤرخون بني هلال جميعهم بأنهم كانوا سببا في الصراع وفي اندلاع معركة سببية بحيث اهتموهم بأنهم أوقعوا بين تميم والناصر، بينما السبب الذي أدى إلى الصراع يعود إلى الخلافات التي كانت بين بلكين جد الناصر وبين باديس بن المنصور جد تميم، حيث مات باديس وهو محاصرا لقلعة بني حماد(2) ولو لاتلك القلعة المحصنة لقضي على بلكين وأبنائه، وقد استمر الصراع بين المعز بن باديس وحماد، ودخول حماد في طاعته، وانتقلت العداوة بين القائد بن حماد والمعز بن باديس، وكان القائد يضم الغدر وخلع الطاعة ولكنه كان عاجزا عن ذلك(3)، وكان المعز بن باديس يريد الفتك بالقائد بن حماد عندما حاول تجنيد بني هلال عند دخولهم إلى إفريقية ولكنهم رفضوا، فلما رأى القائد بن حماد أن عرب بني هلال أضعفوا إمارة بني زيري، وأصبح المعز بن باديس غير قادر على إعادة بناء دولته، خلع الطاعة واستبد بالمغرب الأوسط، وكان بنو حماد لا يزالون يحتفظون بشمال ووسط المغرب الأوسط وبالجبال والنجد وبالسلطان على الأثبج(4). وبدلا من أن تضعف شوكتهم نتيجة للأحداث التي وقعت في إفريقية، فإنه يلاحظ أن ملك بني حماد قد اتسع.

(1) إسماعيل العربي: دولة بني حماد القلعة - ص 164

(2) الكامل: ج 10 - ص 45

(3) إسماعيل العربي: دولة بني حماد - ص 164

(4) الكامل: ج 10 - ص 44 - إسماعيل العربي: المرجع السابق - ص 164 - عبد الحليم عويس: دولة بني حماد ط 1 دار الشروق -

بيروت - 1980 - ص 128

فجاء بعد القائد ابنه محسن، ومن بعده ابن عمه الناصر بن علناس بن محمد بن حماد، وكان كل منهم متحصنا بالقلعة التي اتخذوها دار ملكهم، بعد أن سقطت القيروان في أيدي بني هلال، وأصبح المعز غير قادر على حماية سكان الإمارة الزيرية (1). هاجر كثير من أهلها إلى بلاد بني حماد؛ لأنها كانت تتميز بجبال وعرة ومسالك صعبة يمكن اللجوء إليها لتمكنهم من بني هلال، وقد انعكست هجرة أهل الإمارة الزيرية إيجابيا على ملك بني حماد حيث ازدهرت الإمارة الحمادية. وكثرت الأموال. وكان أهل إمارة بني زيري يكرهون المعز بن باديس؛ لأنه عجز عن حمايتهم من بني هلال، ومن بعدهم أبناؤهم يرثه صغير عن كبير (2). ويبدو أن الصراع تجدد بين تميم والناصر بن علناس، حيث امتد نفوذ الناصر إلى تونس، التي أصبحت ولاية تابعة للقلعة، بلغ تميم أن الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه ويذمه (3)، ويحط من شأنه ويسخر منه وعازم على المسير إليه لمخاصرته في المهديّة، وأنه حالف واستعان بصنهاجة وزناتة وعرب الأثبج وعدي لمخاصرة المهديّة والإطاحة بتميم مستغلا ضعفه ليوسع رقعته الجغرافية نحو الشرق بل احتواء إمارة بني زيري (4). وفي رواية ابن الأثير أن عرب المغرب الأوسط هي التي كانت وراء الصراع بين الناصر و تميم بقوله "... وكانت بين تميم والناصر صاحب القلعة أثناء ذلك فتن كان سببها العرب يأججون بالناصر من قلعته، ويطنون عساكره ببلاد إفريقية، وربما ملك بعض أمصارها وثم يردونه على عقبه إلى داره..." (5).

(1) الكامل: ج 10 - ص 45 - د. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد - ص 128

(2) إسماعيل العربي: المرجع السابق - ص 164 - د. عبد الحليم عويس: نفسه - ص 128

(3) العبر: ج 6 - ص 19

(4) الكامل: ج 10 - ص 45 - ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - مراجعة ج. س. كولات وليفي برونفسال -

ج 1 - بيروت 1980 - ص 299 - إسماعيل العربي: دولة بني حماد - ص 164 - عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي في

الجزائر - ص 107 - مبارك ابن محمد الميلي: تاريخ الجزائر بين القديم والحديث ج 2 - ص 185

(5) ينظر إلى الكامل: ج 10 - ص 45

ولما علم تميم بهذا الخبر وصح ذلك وأدرك المخاطر المحدقة به من ابن عمه الناصر، استدعى تميم عرب بني هلال التي تقيم بإفريقية وهي رياح وزغبة وسليم(1)، ولم يكن بنو هلال هم الذين استدعوا تميما للغارة ضد بني حماد، وقد تكررت خطة أبيه المعز بن باديس لكي يستعين بهم ضد ابن عمه الناصر، ويبدو من رواية ابن الأثير أن تميم بن المعز لم يستدع بني زغبة، وإنما اكتفى ببني رياح، بقوله: "...أرسل تميم إلى أمراء بني رياح فأحضرهم إليه وقال لهم: أنتم تعلمون أن المهديّة حصن منيع أكثره في البحر، لا يقاتل منه في البر غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا وإنما الناصر بعث هذه العساكر إليكم. فقالوا له الذي تقوله حق ونحب منك المعونة، فأعطاهم المال والسلاح من الرماح والسيوف والدروع والرق، فجمعوا قومهم وتحالفوا على لقاء الناصر(2). بينما أشار بعض المؤرخين أن تميما استدعى زغبة ورياح وسليم لحماية إفريقية من الناصرين علناس، فاستجابت له هذه القبائل، وعليه يمكن اعتبار هذا الموقف الذي اتخذته زغبة ورياح وسليم من تميم هو بمثابة الدفاع عن الموطن والشرف ونصرة المظلوم؛ لأن تميما هو الذي احتاج إلى سيوفهم(3). إن قراءة دقيقة لهذه الرواية تبرز أن تميم بن المعز هو الذي حرض بني هلال على مواجهة الناصرين علناس، حيث بين لهم أنهم مهددين في مصيرهم من طرف الناصر ولم يفصح لهم بأن إمارته مهددة، وأكثر من هذا يظهر من الرواية أن أمير المهديّة شجع بني هلال على مجاهدة الناصر فدعمهم بالمال والسلاح. ويذهب أحد الباحثين أن سبب معركة سببية من ورائها الناصر بن علناس(4) الذي لم يوفق أول عهده في وضع أسس علاقة متينة تربطه بابن عمه تميم.

(1) إسماعيل العربي: دولة بني حماد القلعة - ص 164

(2) ينظر إلى الكامل: ج 10 - ص 128

(3) نفسه: ص 45 - العبر: ج 6 - ص 19 - د. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد - ص 128

(4) د. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد - ص 128

لاسيما وأن ظروفهم كانت تستدعي منه هذا لعمل، بل أنه وضع أمله الأكبر لتوسيع رقعته بعد سقوط مملكة القيروان* وقد كانت القبائل العربية قد أصبحت حقيقة من حقائق الوجود المغربي، تحتاج من الناصر إلى مهارة شديدة في ترويضها ولا سيما وأنما كانت تتأهب للزوح إلى مملكته(1). كيف وقعت معركة سببية؟ وهل شاركت حميان من جموع بني زغبة في هذه المعركة؟ وماهي نتائج معركة سببية؟ شرعت قبائل بني هلال التي كانت إلى جانب تميم بعد أن اقتنعت برأيه، في تعبئة الطرف الثاني الموالي للناصر بن علناس، فجمع بنو هلال قومهم وتحالفوا واتفقوا على لقاء الناصر، وأرسلوا إلى من مع الناصر من بني هلال وإلى المعز المغراوي يقبضون عندهم مساعدتهم عندهم للناصر ويخوفونهم منه إن قوي، وأن يهلكهم بمن معه من زناتة وصنهاجة، وأنهم إنما يستمر له المقام والاستيلاء على البلاد إذا تم له الحلف، وضعف السلطان فأجابهم بنو هلال وهم الأتبع وعدي إلى الموافقة وقالوا: اجعلوا أول حملة تحملونها علينا، فنحن ننهزم بالناس ونعود عليه، ويكون لنا ثلث الغنيمة(2)، فأجابوهم إلى ذلك واستقر الأمر على ذلك(3). وأرسل المعز المغراوي الزناتي إلى من مع الناصر من زناتة بنحو ذلك،

* القيروان: أم أمصار وقاعدة أقطار، وكانت أعظم مدن المغرب قطرا، وأكثرها بشرا، وأيسرها أموالا وأوسعها أحوالا وأتقنها بناء، وأنفسها همما، وأربحها تجارة وأكثرها جباية، وأنفقها سلعة، وأنماها ربحاً وأجهرهم عصيانا، وأطغاهم أغمارا، والغالب على فضائلهم التمسك بالخير والوفاء بالعهد، والتخلي عن الشبهات واجتناب المحارم والتفنن في محاسن العلوم والميل إلى القصد، فسلط الله عليها العرب، وتوالت عليها الحوائج عليها، حتى لم يبق منها إلا أطلال دارة وآثار طامسة، وهي الآن في وقت الإدريسي هذا على جزء منها سور تراب وولاية أمورها العرب، وهم يقبضون ما يتوفر من جبايتها، وبها أقوام قليلون، تجارهم يسيرة ومنافعها نزر. ينظر إلى: الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس - تحقيق وتعليق إسماعيل العربي - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1983 - ص 198 - حسن الوزان: وصف إفريقية - ج 2 - ص 402 - 403

(1) ابن الأثير: الكامل - ج 10 - ص 45

(2) نفسه: ج 10 - ص 10 - البيان ج 1 - ص 299 - عبد الحميد خالدي: المرجع السابق - ص 107 - مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق - ج 2 - ص 185 - إسماعيل العربي: دولة بني حماد القلعة - ص 164

(3) الكامل: ج 10 - ص 45 - العبر: ج 6 - ص 20 - د. عبد الحليم عويس: المرجع السابق - ص 117

فوعدوه أيضا أن ينهزموا، فحينئذ رحلت رياح وزغبة وسليم وزناتة جميعها (1). اتفق معظم المؤرخين والباحثين أن الناصر بن علناس أراد أن ينقل المعركة إلى إفريقية، للحد من وصول عرب بني هلال إلى المغرب الأوسط خاصة المعادية له، وفي الوقت نفسه التوسع في إفريقية في حالة انتصاره على تميم، وكان الناصر قد اختار مكان المعركة لغرض استراتيجي، فحشد معه صنهاجة وعرب الأثبج وعدي وزناتة بقيادة المعز الزيري المغراوي صاحب فاس واصطدم بجيش تميم الذي كانت تمثله زغبة ورياح وسليم بمنطقة سببية الواقعة غرب القيروان بنحو خمسين كلم، جنوب الإربس من أعمال الكاف على مقربة من سوفس (sufex) سنة 457 هـ - 1065 م (2)، وانهزم الناصر بعد أن حدث الاتفاق بين طرفي النزاع من بني هلال وزناتة على هزيمة الناصر، فحملت رياح وزغبة وسليم على عدي والأثبج، وحمل المعز المغراوي على زناتة، فانهزمت الطائفتان وتسبعهم جنود الناصر منهزمين ووقع فيهم القتل (3). وكانت نتيجة المعركة أن انهزم الناصر وقتل أخوه القاسم، وبلغ عدد قتلى الناصر من صنهاجة وزناتة حوالي أربع وعشرين ألف (4). وفر الناصر إلى قسنطينة، ورياح في أتباعه وغنمت العرب.

(1) الكامل: ج 10 - ص 45 - العبر: ج 6 - ص 20 - د. عبد الحليم عويس: المرجع السابق - ص 117

(2) نفسه: ص 45 - العبر: ج 6 - ص 20 - د. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد - ص 117

(3) العبر: ج 6 - ص 20 - مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 185 - محمد خير الدين: المرجع السابق - ص 17 - رابح بونار: المرجع السابق - ص 135 - وعند السيد عبدالعزيز سالم فإن القلعة هاجها العرب في عهد عبدالعزيز. ينظر إلى المغرب الكبير - ج 2 - ص 685 - البيان: ج 1 - ص 299 - عبد الحميد خالدي: المرجع السابق - ص 107

* وما جاء عن الإدريسي أن هذه مدينة المسيلة وطبنة كانت مجلات لعرب بني هلال، ولكنه لم يشير إلى بطون بني هلال التي كانت تنتشر بهذه المناطق، حيث ذكر ومن طبنة شرقا إلى دارملول مرحلة كبيرة، وفيها حصن مظل فيه مرصد من البلد، ينظر إلى مجال العرب في بلادهم ويتطلع منه إلى ما بعد من الأرض، وشرهم من ماء عيون بها جارية، ومنه إلى حصن بادس، ومنه إلى المسيلة أربعة أميال. ينظر إلى: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس. تحقيق إسماعيل العربي - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر -

1986 - ص 164 - 165

(4) د. عبد الحليم عويس: المرجع السابق - ص 177

جميع ما كان في العسكر من مال وسلاح ودواب واستباححت العرب وزناتة خزائن الناصر ومضاربه، ولحق بالقلعة فنازلوها وخربوا أطرافها فافتسموها على من استقر بينهم (1). وقد قدر للناصر أن يدفع ثمن خطئه هذا في موقعة سببية* التي جره العرب إليها ضد ابن عمه تميم، لم يعمل الناصر على إحداث تعاون في بداية، بل أخذ يقع في تميم في مجالسه، ووصل به الأمر بينهما إلى الالتقاء في موقعة سببية، ويذكر عبد الحليم عويس بعض الآراء التي تعلل هذا اللقاء العدائي بين فرعي بني زيري رأي ابن الأثير والنويري اللذان يحملان الناصر تبعات هذا الصراع سواء على مستوى هجاء تميم وعزمه على المسير إليه وتحالفه مع بعض صنهاجة وزناتة ليعينوه على حصار المهديّة (2). أما رأي ابن خلدون على الرغم من ذهابه ضمناً إلى أن الناصر هو البادئ بالعداء إلا أنه يصور الأمر على أساس أن الناصر وقع ضحية خداع القبائل العربية التي وفدت عليه رجالاً لها من الأثبج مستصرخين على رياح، ويكاد يوافق هذا الاتجاه ابن كثير وبعد أن اضطر الناصر إلى التقهقر والرجوع إلى المغرب الأوسط (3)، استولى بنو هلال على المسيلة وطبنة، ثم تلاحقت طوائف الأعراب بأحلافهم إلى المغرب الأوسط عن طريق سببية (4).

(1) د. عبد الحليم عويس: المرجع السابق ص 177 إسماعيل العربي: المرجع السابق ص 165 عبد الحميد خالدي: المرجع السابق ص 107* سببية: تعتبر من أعمال إفريقية أي تونس، وتقع في الجنوب الغربي من تونس، ينظر إلى: كانت مسرحاً للمعركة الحاسمة بين قوات الناصر بن علناس أمير دولة بني حماد، وقوات تميم أمير دولة بني زيري، وكانت قبائل بني هلال ضحية هذا الصراع السياسي بين طرفين أحدهما يريد الحفاظ على ما تبقى من دولته وهو تميم بن المعز، والآخر وهو الناصر بن علناس الحمادي الذي كان يريد التوسع على حساب أراضي إفريقية، وبسط نفوذه على المغرب الإسلامي، وهو مخطط استراتيجي كان الناصر يريد تحقيقه، فما عجز عنه ابن عمه حاول الناصر بن علناس استدراكه وأن يفرض على أرض الواقع إعادة بناء دولة بني زيري من جديد انطلاقاً من المغرب الأوسط، ووضع حد لانتشار قبائل بني هلال في المغرب الأوسط، وإرغامها على الخضوع لدولته باستخدام القوة العسكرية كحل لردع بني هلال الذين كانوا سبياً في انهيار وسقوط دولة بني عمومته.

(2) د. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد - ص 117 - إسماعيل العربي: دولة بني حماد القلعة - ص 165

(3) نفسه: ص 118

(4) نفسه: ص 118

ودخلوا تبسة، وانتشروا في جنوب الأوراس وقرب بسكرة، وسلكوا طريقه بين الأطلسين التلي والصحراوي حتى وادي الساحل وجبال البيبان وانحدر آخرون من جهة باجة بتونس فظهروا بنواحي القالة وبونة وقسنطينة وجبال البابور(1).

يستخلص مما سبق ذكره أن حميان كان موقفها من معركة سببية هو موقف بني زغبة، وإذا كانت زغبة طرفا في المعركة إلى جانب تميم فمن الطبيعي أن حميان قد شاركت في هذه المعركة، أو ربما لم تشارك حميان من جملة بني زغبة في هذه المعركة؛ لأنه ليس بالضرورة أن بطون زغبة كلها قد شاركت ضد الناصر بن علناس، وبالتالي لا تتحمل بطون زغبة كلها مسؤولية نتائج معركة سببية؛ لأن ما يؤخذ على المؤرخين التعميم خاصة إذا تعلق الأمر بقبائل بني هلال. ومن المحتمل أن حميان قد دخلت إلى المغرب الأوسط بعد معركة سببية. أو احتمالا أنها عادت إلى القيروان، أو إلى إقطاعها الأول مابين طرابلس* وقابس. فإذا كان الاحتمال الأول فحميان من جموع بني زغبة، نزلت إلى المغرب الأوسط وبقيت مستقرة بمنطقة الزاب، وإذا كان الاحتمال الثاني فإن حميان عادت إلى مابين طرابلس وقابس وبقيت مستقرة إلى غاية ظهور بني غانية حسب ما جاء في رواية ابن خلدون(2) ثم نزلت مع بقية بطون زغبة إلى الموحدين؛ وأن حميان نزلت إلى المغرب الأوسط بعد النزاع الذي وقع بين زغبة ورياح، الذي طردت فيه زغبة من

*طرابلس: أو أطرابلس كما يسميها الإدريسي وحسن الوزان، مدينة حصينة عليها سور حجارة، وهي في نحر من البحر، بيضاء حسنة الشوارع متقنة الأسواق، وبها صناع وأمتعة، يتجهز بها إلى كثير من الجهات، وكانت قبل هذا مفضلة العمارات من جميع جهاتها، كثيرة شجر الزيتون والتين، وبها فواكه جمة ونخل، إلا أن العرب أضرت بها، وبما حولها من ذلك، وأجلت أهلها، وأقمرت بواديها وغيرت أحوالها، وأبادت أشجارها، وأغورت مياهها، واستفتحها الملك روجاري سنة 540 هـ. ينظر إلى الحسن الوزاني: وصف إفريقية - ص 55

(1) مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 188 - عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام - ج 1 -

ص 162 د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 92

(2) إسماعيل العربي: المرجع السابق - ص 165

إفريقية سنة 467هـ (1)، بعد عشر سنوات من معركة سببة. وخلاصة القول أن حميان بقيت مستقرة بإفريقية، ويظهر ذلك من خلال النزاع الذي وقع بين زغبة ورياح الذي حدث في إفريقية، ولم يحدث في المغرب الأوسط، والغالب على الظن أن حميان من جملة بني يزيد لم ترافق بقية بطون بني زغبة إلى المغرب الأوسط؛ ويستنتج ذلك من رواية ابن خلدون التي تشير إلى حميان من جملة بني يزيد بقيت بطرابلس إلى غاية ظهور بني غانية.

د- النزاع بين زغبة ورياح: تجدد النزاع بين زغبة ورياح سنة 466هـ أو 467هـ — 1074م أو 1075م، وربما يعود ذلك إلى الخلاف بين زغبة ورياح الذي لم ينته واستمر لفترة طويلة وفشل اليازوري في إنهائه، بل عادت العداوة من جديد بينهما بعد عودة النفوذ الفاطمي إلى المغرب (2). بالإضافة إلى ذلك كانت القيروان لفترة من الزمن تتنازعها السلطة الزيرية والحمادية، ولكن تبعثها كانت اسمية لبني حماد. ويعود سبب هذا النزاع حول مسألة القيروان وكان ذلك في عهد تميم، الذي كان ينتهج سياسة التفرقة بين بطون بني هلال، مستغلا سوء التفاهم بين رياح وزغبة، اللتان كانتا تسيطران على القيروان بعد سنة 446هـ، وفي هذا الشأن قال ابن خلدون "ولما هلك المعز قام بأمره ابنه تميم وغلبه العرب على إفريقية، فلم يكن له إلا ماضمه السور، خلا أنه كان يخالف بينهم ويسلط بعضهم على بعض" (3). وزحف هموبن ومليل البرغواطي صاحب صفاقس فخرج تميم للقاءه، وانقسمت العرب بين مؤيد لتميم ومعارض له (4)، واختلف المؤرخون حول موقف حميان من جموع زغبة من الصراع.

(1) د. مصطفى أبوضيف عمر: المرجع السابق، ص 92

(2) (العبر: ج 6-ص 21)

(3) نفسه: ص 21

(4) نفسه: ص 21

فالبعض ذكر أن زغبة كانت إلى جانب تميم في صراعه مع حموبن ومليل البرغواطي بحكم أنها اشتركت معه في تأسيس الإمارة بصفاقس وتحالفت معه، وفي رواية ابن عذارى أن تميم بن المعز قد استعان بعرب زغبة ورياح وكان حموبن ومليل البرغواطي في حربه ضد تميم بعرب الأثبج وعدي، حيث ذكر أنه "...في سنة 456 هـ زحف إلى المهديّة حموبن ومليل البرغواطي الثائر بمدينة صفاقس بمن استعان من العرب، فورد خبره على تميم، فسار إليه ومعه طائفة كبيرة من زغبة ورياح، وكان مع حموبن طائفة من الأثبج وعدي، فاقتتل الفريقان ثم ولت طائفة حموبن أدبارها فأخذتها الحتوف..." (1) ويبدو من نص ابن عذارى أن زغبة كانت إلى جانب تميم في هذا الصراع، والراجح أن زغبة كانت إلى جانب حموبن ومليل البرغواطي فانهمز حموبن وأصحابه. وفي أيام تميم كانت قابس وضواحيها تحت رئاسة حموبن ومليل البرغواطي وهو من الخزرونيين أعداء الصنهاجيين. وكانت زغبة تسكن هذه الناحية ويناصرون حموبن، فثاروا على الأمير تميم تحت قيادة حموبن فتغلب عليهم (2). لأن تميما بعد أن فتح سوسة، وبعث بعساكره إلى تونس وحاصروا ابن خراسان حتى يستقيم على الطاعة لتميم بعث أيضا عساكره إلى القيروان (3) وكان بها قائد بن ميمون الصنهاجي واليا الذي عينه المعز بن باديس بعد مغادرته لها سنة 449 هـ إلى المهديّة (4). وأقام بها ثلاثة أيام وتغلبت عليه هودا وعاد إلى المهديّة، ثم بعث تميم مرة ثانية العساكر إلى قائد بن ميمون الذي استنجد

(1) ينظر إلى البيان - ج 1 - ص. ص. 298-299

(2) العبر: ج 6 - ص. ص. 159-160 وفي رواية هادي إدريس التي ذكر فيها أن قائد بن ميمون الصنهاجي التقى بأمر صفاقس حموبن ومليل، وهذا الأخير نجح في إقناع أمير زغبة يقي بن علي على بيع القيروان إلى سيده الجديدة هو الناصر بن علناس، وأن الناصر قد وعد قائد بن ميمون بمكافأة في حالة نجاحه في هذه المهمة وهي تعيينه حاكما عليها. ينظر إلى: la

bèrbérieorientale.op.cit.t1.p214

(3) الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا - ط 2 دار المعارف - مصر 1963 ص. ص. 226-227

(4) العبر: ج 6 - ص 160 - عبد الحميد خالدي: المرجع السابق - ص 126

بالناصر بن علناس، وسلمه القيروان. ثم عاد قائد بن ميمون إلى سنة 460 هـ إلى حمون وليل البرغواطي بصفاقس وابتاع له القيروان من مهني بن علي أمير زغبة، فولاه عليها وحصنها سنة 670 هـ (1). ويبدو أن زغبة كانت تسيطر على القيروان بعد أن غادرها قائد بن ميمون، بل كانت في تلك الفترة تسكن القيروان (2). وهي التي باعت القيروان إلى حمون وليل البرغواطي الذي عين قائد بن ميمون واليا عليها للمرة الثانية، وفي رواية ابن عذارى أنه في سنة 466 هـ، طردت زغبة من إفريقية، طردتهم رياح منها وباعت القيروان من الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي صاحب القلعة (3) وربما كان هذا الاتفاق الذي وقع بين زغبة وحمون وليل البرغواطي سببا في النزاع بين زغبة ورياح، ف وقعت بينهما معارك دموية أصيبت زغبة بهزيمة وانتهت بانتصار بني رياح. وذلك سنة 467 هـ وطردوا زغبة من إفريقية. وربما يعود سبب انتصار بني رياح على زغبة إلى تشتت بطون زغبة التي لم تكن مجتمعة في منطقة واحدة، حيث ذكر الطاهر الزاوي "... وفي أيام تميم كثرت الثورات وانتشرت الفتنة، وفي سنة 466 هـ تغلب بنور رياح على زغبة وأجلوهم من القيروان، وكانت زغبة تسكن القيروان..." (4). ثم أن بني رياح أجلوا زغبة من قابس أيضا، وقال لا يدري هل أجلوهم بعد أن أجلهم الرياحيون عن القيروان أو قبل أن يجلوهم عن القيروان، هل زغبة غادرت القيروان قبل النزاع بينها وبين رياح أم بعد النزاع، ولكنه لم يبين كم دام الصراع الرياحي الزغبى، بل اكتفى أن قابس استولى عليها بنو جامع من بني رياح، وبعد أن طردت بنور رياح زغبة من قابس تولى أمرها بنو جامع

(1) الطاهر أحمد الزاوي: المرجع السابق، ص 227

(2) إسماعيل العربي: المرجع السابق - ص 172 البيان: ج 1 - ص 300

(3) إسماعيل العربي: المرجع السابق - ص 173

(4) ينظر إلى: تاريخ الفتح العربي في ليبيا - ص 227

وأصبحوا أمراء قابس في عهد الصنهاجيين. يستخلص من رواية الطاهر الزاوي أن زغبة كانت تسكن القيروان وقابس، وبعد معركة القيروان بين رياح وزغبة، تمكنت رياح من طرد زغبة، ولكنه يتساءل وإذا كانت زغبة قد هاجرت من القيروان ومن قابس، فهل عادت إلى طرابلس أم نزلت إلى المغرب الأوسط. ويبدو أن تميم قد نجح إلى حد ما في كسب ود بني رياح التي دافعت عن القيروان، حتى أجلت منها زغبة، وتمكن في نفس الوقت من تحقيق هدفه وهو التفرقة بين القبيلتين الكبيرتين الهلايتين. ولكن هذا الانتصار وضع مشكلة أمام تميم الذي وجد نفسه فجأة محروما حتى من المساعدة غير المباشرة التي كان يتلقاها من تطاحن قبائل العرب فيما بينها، حتى أصبح الآن وجها لوجه أمام بني رياح (1)، فخر القيروان بعد أن أصبحت رياح تتحكم فيها وقابس بعد أن سيطر عليها بني جامع من الرياحيين. بينما يذهب نوال (Noël) إلى القول: "وبعد بضعة سنوات حاربت زغبة ضد جيرانها وكانت تطاردها باستمرار في كل مناطقها، تركت رياح تونس وهاجرت إلى الحضنة والهضاب العليا بالمغرب الأوسط، وقد جلبت حياة البدو، وتحولت هذه المناطق فيما بعد من العزلة إلى التعمير" (2)، ويبدو من رواية نوال أن زغبة هي التي طردت رياحا من إفريقية، ولكنه لم يذكر أسباب الطرد، ولم يتعرض إلى جوهر النزاع وهويي القيروان بل اكتفى أن زغبة هي التي طردت رياحا من إفريقية، ويلاحظ أن الترجمة لم تكن دقيقة وصحيحة، ولكن مع ذلك بين نوال المناطق التي اتجهت إليها رياح بعد ما طردت من إفريقية. أين اتجهت زغبة التي تنسب إليها حميان بعد أن انهزمت وطردت من إفريقية؟ ربما اتجهت بعض بطون زغبة إلى المغرب الأوسط، واندجت مع القبائل العربية الأخرى، وأن رجعت إلى أوطانها الأولى.

(1) العبر: ج 6-ص 40-د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: المرجع السابق-ص 156

(2) ينظر إلى: Documents pour servir à l'histoire de hamayn.p138

الفصل الرابع: هجرة حميا من جملة بني يزيد

إلى المغرب الأوسط سنة 580هـ - 1184م

المبحث الأول: توسع الدولة الموحدية في إفريقية وموقف حميا منها

المبحث الثاني: الدور العسكري لحميا من جملة بني يزيد في الدولة الموحدية

المبحث الثالث: علاقة حميا من جملة بني زغبة بباكين وموقفها من بني غانية

1- توسع الدولة الموحدية في إفريقية وموقف حميان منها: لما قضى عبد

المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدية سنة 524 هـ - 558 هـ - 1130 م - 1163 م، سعى لضم بلاد المغرب الأوسط وإفريقية إلى دولته، خاصة وأن الظروف السياسية السائدة كانت تشجعه على ذلك، فقد بلغه اضطراب بلاد إفريقية بسبب تنازع أمرائها من بني زيري بن مناد، واستطالة العرب عليهم، وأنهم حاصروا مدينة القيروان وأن مؤنس الرياحي دخل مدينة باجة وملكها (1) إذ أضحى هؤلاء الأعراب في رغد من العيش وسعة السلطان، ثم بلغوا من العزة والقوة جعلهم يصبون إلى قمة الغرور والطغيان، فأراد عبدالمؤمن أن يحد من بطشهم وطغيانهم (2). ويبدو أن المؤرخين لم يراعوا عامل الزمن بحيث سيطر مؤنس بن يحيى على باجة سنة 446 هـ، وعبد المؤمن دخل إفريقية والمغرب الأوسط سنة 546 هـ حوالي قرن فهل كان مؤنس بن يحيى حيا في هذه الفترة التي دخل فيها عبد المؤمن إفريقية، وأوشكت حواضرها على السقوط في أيدي النورماند، واستيلائهم على سواحل إفريقية (3) فقرر غزو إفريقية، بعد أن شاور الشيخ أبا حفص وأبا إبراهيم وغيرهما من المشيخة، فوافقوه فخرج من مراكش أواخر 546 هـ، واستخلف عليها الشيخ أبا حفص الهنتاتي، وسار بجيشه حتى وصل إلى سلا، ثم توجه إلى سبتة مظهرا أنه يريد العبور إلى الأندلس يقصد الجهاد، فلما وصل إلى سبتة استدعى فقهاء قرطبة واشبيلية وأعيان الأندلس، فاستوضح منهم أحوال البلاد وأوصاهم بما إليهم منها وودعهم، ورحل عن سبتة مظهرا العودة إلى مراكش، وسار حتى وصل إلى القصر الكبير وهو قصر كتامة.

(1) العبر: ج 6 ص 235 أحمد الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا هوامش ص 226 السلاوي: الاستقصا ج 2 ص 120

(2) د. عبدالله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبدالمؤمن بن علي - دار المعارف - مصر - 1971 ص 203 د. صالح بن قرية: عبد المؤمن بن علي - مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1991 ص 39

(3) السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 120 - د. مصطفى أحمد أبرضيف: القبائل العربية ص 71 - د. عبدالله علي علام: الدولة

الموحدية - ص 203

فميز جيوشه وأزاح عنهم وفرق الأموال، وأمر بتجديد الأزواد. وخرج يعتسف البلاد على غير طريق فجعل مدينة فاس عن يمينه، وجد السير حتى خرج على وادي ملوية تحركت جيوش الموحدين بقيادة عبد المؤمن إلى المغرب الأوسط سنة 541 هـ - 1146 م ثم سار إلى تلمسان، فأقام بها يوماً واحداً ثم خرج منها متجهاً إلى بجاية، فطرق الجزائر على حين غفلة من أهلها، فدخلها وأمنهم واستولى على بجاية سنة 559 هـ (1) وفر صاحبها القائم بن يحيى بن العزيز إلى أبيه يحيى ببجاية. وفي رواية ابن خلدون أن عبد المؤمن بن علي أنه أغدى السير إلى باجة (2). وخرج إليه الحسن بن علي صاحب المهدية (3). فصاحبه واعترضته جيوش صنهاجة بأمر العلو فهزمهم ودخل بجاية، وكان سبب دخول عبد المؤمن بجاية هو أن بقايا المرابطين بعد ذهاب دولتهم والمتعاطفين معهم كانوا ينظرون إلى إمارة بني حماد نظرهم إلى ملجأ يمكن أن يتجمعوا فيه ويكيدوا للدولة الموحدية (4)، وركب يحيى ابن العزيز البحر في أسطولين كان قد أعدهما لذلك وحمل ذخائره وأمواله ولحق بقسنطينة، إلى أن نزل بعد ذلك منها على أمان عبد المؤمن واستقر بمراكش* (5)، ثم سرح عبد المؤمن عسكر الموحدين وعليهم ابنه عبد الله، وبها جوش بن العزيز في جموع صنهاجة، فاقتحمها عبد الله، واستلحم من كان بها منهم وأضرم النار في ساكنها

(1) ينظر إلى العبر: ج 6 - ص 236.

(2) نفسه: ص 236

(3) السلاوي: ج 2 - المصدر السابق، ص 121

(4) د. عبد الحليم عويس: المرجع السابق - ص 193

(5) د. عبد الله علي علام: المرجع السابق. ص 235 - 238 - العبر: ج 6 - ص 236 واختلف المؤرخون حول تحديد تاريخ دخول عبد المؤمن قلعة بني حماد فعند صالح بن قربة فلما استولى عبد المؤمن على مملكة الحماديين في شهر ذي القعدة سنة 547 هـ - 1152 م ص 67، ونفس التاريخ ذكره مبارك محمد الملي: ج 2. المرجع السابق - ص 322، وكذلك عند حسن

مؤنس: المغرب العربي - ج 1 - ص 623

*مراكش: تقع في الجنوب الغربي من المغرب الأقصى، وكانت تمثل عاصمة الدولة الموحدية.

وقتل جوش ويقال أن القتلى بها كانوا ثمانية عشر ألف وامتلات أيدي الموحدين بالغنائم والسبي(1) وبلغ الخبر إلى العرب بإفريقية بخطر الدولة الموحدية، فخشيت على استقلالها وعلى حريتها، خاصة بعد أن تابع عبد المؤمن زحفه إلى إفريقية، فاجتمع بنو هلال وهم رياح وزغبة وبني قررة(2). أو الأتبع وعدي وزغب وغيرهم من العرب(3). بينما ذكر بعض المؤرخين والباحثين أن بطون بني هلال التي تخوفت من توسع الجيش الموحي هي بني رياح والأتبع وجشم؛ لأن ابن خلدون أشار في روايته أن الذي لقي جيش الموحدين هم بنو رياح الذي كان يقودهم أميرهم محرز بن زناد بن باذخ، ونقل حسين مؤنس عن ابن خلدون نفس البطون الهلالية التي واجهت جيش الموحدين، فهي ليست كل بطون بني هلال(4). وإنما بطن بني رياح والبعض من بني هلال، وبالتالي فاحتمالا كانت حميان من جموع بني زغبة بعيدة عن الصراع، أو ربما شاركت حميان من جملة زغبة في لقاء باجة وكذلك في معركة سطيف دون أن يذكر المؤرخون متى اجتمعوا ربما حدث ذلك بعد دخول عبد المؤمن إلى الجزائر سنة 541 هـ، حيث وضعوا ما بينهم من ترات، وتناسوا ما بينهم من خلاف وعداوة، ودعتهم المصلحة المشتركة إلى الاتحاد على إخراج عبد المؤمن من إفريقية، بل منعه من دخولها قبل أن يرسخ نفوذه فيها(5). فتحالفوا مع

(1) العبر: ج 6 - ص 236 - د. صالح بن قرية: المرجع السابق، ص 40 - السلاوي: ج 2 - المصدر السابق - ص 121

مبارك بن محمد الملي: نفسه - ص 322 - د. صالح بن قرية: المرجع السابق - ص 61

(2) الكامل: ج 12 - ص 185، العبر: ج 6 - ص 236 بينما اكتفى عبد الحميد حاجيات بذكر قبائل العرب القاطنة في مختلف أنحاء

إفريقية دون تحديد بطون بني هلال التي اجتمعت بظاهر باجة. ينظر إلى: تاريخ الجزائر السياسي - ص 307

(3) د. عبد الحميد حاجيات: تاريخ الجزائر السياسي في عهد الموحدين - ص 307

(4) ينظر إلى العبر: ج 6 - ص 20 - الكامل: ج 12 - ص 185

(5) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين - نشر ليفي بروفنسال - باريس - 1928 - ص 114

صنهاجة إفريقية جيرانهم مدعية الدفاع عن الأمير يحيى بن العزيز(1) وذهب بعض المؤرخين أن بني هلال أعلنوا الثورة ضد جيش عبد المؤمن للدفاع عن إمارة بني حماد عقب سقوطها في أيدي الموحيدين(2). وفي رواية ابن الأثير التي قال فيها: "...فاجتمعت من أرض طرابلس إلى أقصى المغرب، وقالوا: إن جاورنا عبد المؤمن أجلانا من المغرب، وليس الرأي إلا لقاء معه، وإخراجه من البلاد قبل أن يتمكن، وتحالفوا على التعاون والتظافر، وأن لا يخون بعضهم بعضا، وعقدوا العزم على لقائه بالرجال والأهل والمال، ليقاتلوا قتال الحريم..."(3). ويبدو أن بني هلال اجتمعوا بظاهر باجة بما فيهم بطن زغبة الذي تنتمي إليه حميان بعد أن بلغهم خبر المأساة التي حلت بأهالي إمارة بني حماد من طرف عبدالله بن عبد المؤمن، ومن ثمة قررت مواجهة عبد المؤمن لرد الاعتبار لإمارة بني حماد، وفي نفس الوقت حماية إمارة بني زيري، كما يستخلص من رواية ابن الأثير أن عرب بني هلال من طرابلس إلى أقصى المغرب، وهنا لم يستثن ابن الأثير بطن من بطون هلال التي لم تثق في عبد المؤمن وقوته التي ظهرت في المغرب الإسلامي، وبالتالي خافت على مصيرها، وكانت قبائل بني هلال تجهل قوة عبد المؤمن. وربما كانت ترى أنه سيحدث لها مثل ما حدث لها مع المعز بن باديس، وكانت تشعر أنها غريبة على المغرب الإسلامي، وهي معرضة في أية لحظة للطرد من هذه المنطقة الغنية بمراعيها الواسعة، لذا اتفقت على مواجهة عبد المؤمن ونقلت الحرب إلى سطيف، فإذا ما انتصرت ستوسع على حساب المغرب الأوسط وإذا انهزمت ستحتفظ بإفريقية،

(1) ينظر إلى العبر: ج 6- ص 236- د. صالح بن قربة. عبد المؤمن بن علي- ص 40- السلاوي: الاستقصا- ج 2- ص 121

(2) العبر: ج 6- ص 236- السلاوي: المصدر السابق- ص 121 د. مصطفى أبو ضيف عمر: القبائل العربية- ص 72

Idriss Hady: la berbérie orientale sous les Zirides 10 et 12 siècles t1
librairie andrien Maisonneuve paris; 1962; p371

(3) الكامل: ج 12- ص. ص. 185-186- العبر: ج 6- ص 236- د. حسين مؤنس: المرجع السابق- ج 1- ص 601

ويبدو أن قبائل بني هلال لم تكن بتلك القبائل المتمرسية في الحيل والخداع. فكانت تريد مواجهة عبدالمؤمن بكل ماتملكه من أهل ومال، ومن البديهي أنها ستتهزم في الحرب؛ لأن بني هلال كانت تنقصهم الخبرة في حرب الجبال، وهم متعودون على حرب المواجهة في البسائط والسهول. واستغل بنو هلال الخلاف الذي وقع بين قائدي القوات الموحدية يصلاش بن المعز وعبدالله بن وانودين صهر عبدالمؤمن، وانسحب يصلاش وترك عبدالله في قلة من الجنود، فهاجموه بنور ياح وأسروه وقتلوه (1). ولما بلغ عبدالمؤمن ما حدث غضب غضبا شديدا، ووجه لعرب إفريقية كافة الموحدين حتى لم يبق إلا الخاصة والسوقة، وبلغ جيش الموحدين أكثر من ثلاثين ألف فارس (2). وكان عبد المؤمن قد رحل من بجاية إلى المغرب الأقصى، فلما بلغه خبر قدوم بني هلال وهو آنذاك بمتيجة في طريق عودته إلى مراكش، أرسل مددا لابنه (3). وأراد روجار صاحب صقلية أن يمدد بني هلال بخمسة آلاف فارس، ولكن العرب رفضوا وأجابوه بأنهم في عنى عن نجدته، إذ لا يستعان بكافر على مسلم (4)، وربما هذا الموقف الذي اتخذته بنو هلال من روجار الصقلي يبين أن قبائل بني هلال لم ترض أن يستغلها نصرانيا في إضعاف إخوانهم المسلمين، فهذا الموقف يشكل في نفس الوقت انتصارا للموحدين، وهو موقف شجاع يبين مدى حسن نيتهم وأنهم كانوا لا يتنون غدرا بالمسلمين مهما كلفهم ذلك، والتقى الموحدون والعرب بناحية سطيف (5).

(1) الكامل: ج 12 - ص 166 - مبارك بن محمد الميلي: ج 2 - المرجع السابق - ص 323

(2) د. السيد عبدالعزيز: المغرب الكبير - العصر الإسلامي - ج 2 - ص 794

(3) العبر: ج 6 - 235 - السلاوي: المصدر السابق - ص 121 د. عبد الحميد حاجيات: تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد المرابطين - الجزائر في التاريخ - العهد الإسلامي - من بداية الفتح إلى بداية العهد العثماني - ج 3 - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1984 - ص 307

(4) البيدق: أخبار المهدي: المصدر السابق - ص 114 - مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق - ج 2 - ص 257

(5) نفسه: - ص 114 - العبر: ج 6 - ص 235 - السلاوي:

وقعت المعركة سنة 547 هـ بين قوات الموحدين بقيادة عبدالله بن عبدالمؤمن وعرب بني هلال دامت أربعة أيام (1) بع فيها الجيش الموحي خطة عسكرية محكمة كانت تتمثل في نصب كمين لقوات بني هلال بين الجبال، واستخدم كذلك أسلوب التمويه، حيث فاجأ قوات بني هلال، ومال عليهم على غير أهبة، واشتد القتال ثلاثة أيام حتى انهزم العرب في اليوم الرابع، وعجزت قوات بني هلال عن التصدي؛ لأنها مثقلة بالأولاد والنساء والدواب، بل يقال أن بني هلال ربطوا أنفسهم حتى لا يتم الفرار، ويبدو هذا خطأ وقع فيه بنو هلال في معركة مصيرية، وقد حدث ما لم يكن في مخيلة القوات الهلالية التي لم تكن تنتظر الهزيمة العسكرية لأنها تعودت على تحقيق الانتصارات في كل معركة عسكرية فاصلة وحاسمة. بينما أشار هادي إدريس (Haddy Idriss) أن معركة سطيف دامت يوما واحدا (2). وكانت نتيجة المعركة أن فر بنو هلال وتركوا خلفهم أموالهم وأولادهم ونسائهم، تتبعهم قوات الموحدين مضحين بالأسلاب والغنائم طالبين ثأرهم لهزيمتهم في القيروان حتى وصلوا إلى حصن تبسة بجبل الأوراس (3)؟، فقسم عبدالمؤمن جميع أموالهم على عسكريه، وكان أسرى العرب من الكثرة، حتى وزع في فاس ومكناس وسلا (4). واحتفظ بالنساء والأولاد وعين لهم من يحميهم ويقوم بحوائجهم حتى وصلوا إلى مراکش، فأنزلهم عبد المؤمن المسكن الفسيح، وأجرى لهم النفقات الواسعة وأمر ابنه محمد أن يكاتب أمراء العرب، ويحيطهم أن نساءهم في الحفظ والصيانة (5)، وأنه قد بذل لهم

(1) البيذق: أخبار المهدي - ص 114 - العبر: ج 6 - ص 235

(2) ينظر إلى: la berbérie orientale-t2-p271

(3) الكامل: ج 12 - ص 185 - 186 - مصطفى أحمد أبوضيف: المرجع السابق ص 321

(4) البيذق: المصدر السابق - ص 116 ابن خلدون: ج 6 - ص 238

(5) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - نشر تور بنزغ - ترجمة لاتينية -

أسالا - 1842 - ص 139

الأمانة والكرامة والعفو. لقد وفد على عبدالمؤمن بمراكش زعماء بني هلال بعد مراسلات محمد بن عبدالمؤمن، وهم ديفل بن ميمون وحباس بن الرومية، وابن قطران وأبو عرفة والقائد بن معرف، فرد عليهم نساءهم وأولادهم ومنحهم أموالاً جزيلة فستألف قلوبهم وضمن ولائهم وصرفهم إلى إفريقية (1). ولما عاد عبد المؤمن إلى إفريقية في سنة 533 هـ - 1138 م بجيوش من الموحيدين وقبائل العرب وهم الأثبج وزناتة (2) لمحاربة بني خرسان وحلفائهم بني علي برئاسة أميرهم محرز بن زياد من بطون رياح الذين سبق لهم إيقاع الهزيمة بجيوش عبدالله بن عبدالمؤمن حول تونس، تمكن عبدالمؤمن بن علي بسهولة من دخول المدينة، ثم حاصر المهديّة وأرسل ابنه لتصفية الإمارات العربية التي تأسست وتمتعت بالاستقلال الذاتي على حساب الدولة الزيرية (3)، فاستولى على قابس من بني كامل من رياح، وقفصة من بني الورد وطبرق من مدافع بن علال وجبل زغوان من بني حماد بن خليفة والإربس من بني فتاتة، وبترت من عيسى بن مقرب بن طراد بن الورد اللخمي، وبذلك افتتح عبدالمؤمن جميع بلاد إفريقية، وأدخل في طاعته أهالي المنطقة الممتدة من برقة حتى تلمسان (4). وبعد أن تم لعبد عبد المؤمن بن علي فتح إفريقية أحضر أمراء عرب بني هلال وأحلفهم على مصحف عثمان (ض) على السمع والطاعة، وحاول عبدالمؤمن استغلال فيهم الأصل العربي للاشتراك معه في جهاد النصاري بالأندلس، فأخذ الموحدون يدعونهم بأبناء العم، ويذكرونهم بصلة النسب ووشائج القربى التي تجمع الموحيدين مع العرب قيس عيلان، ولكن عرب بنو هلال خذلوا عبدالمؤمن وخيبروا ظنه بالقرب من وهران، وطلبوا العودة إلى حللهم فقرر عبدالمؤمن بعد رفضهم،

(1) ابن أبي زرع: الأئيس المطرب - ص 139

(2) ابن أبي زرع: نفسه - ص 139 د. صالح بن قرية: المرجع السابق - ص 52

(3) د. مصطفى أبو ضيف عمر: القبائل العربية - ص 57

(4) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة على المستضعفين - نشر عبد الهادي التازي - بيروت - 1964 - ص 172

من نقل ألف قبيلة بعيالهم إلى المغرب الأقصى، من عرب جشم ورياح وبني عدي، وكانوا من الكثرة حتى وصفهم ابن صاحب الصلاة بقوله: "ضاق بهم الفضاء، ونافسوا الحصى والذباب في كثرته" (1). وكان عبد المؤمن يهدف من وراء تهجير البطون الهلالية وإبعادهم عن إفريقية والاستقرار بالقرب من عاصمته، هو إستغلال شجاعتهم وحبهم للقتال والجهاد في الأندلس (2)، ويبدو أن عبد المؤمن تمكن من كسر شوكة القبائل العربية التي كانت تقطن إفريقية، وأن انتصاره عليهم كان ساحقا، ورغم ذلك أوصى أبناءه وولي عهده في أواخر أيامه بأن يعملوا على نقل عرب إفريقية إلى المغرب الأقصى للاستفادة بهم في حروب الأندلس ضد النصارى (3). وفي رواية ابن خلدون وبعد هزيمة بني هلال في معركة سطيف دخلوا في دعوة الموحدين وتمسكوا بطاعتهم وأطلق عبد المؤمن أسراهم ولم يزالوا على استقامتهم، وكان الموحدون يستنفروهم في جهادهم في الأندلس وربما بعثوا لهم في ذلك المخاطبات الشعرية، فأجازوا مع عبد المؤمن ويوسف ابنه ولم يزالوا على استقامتهم إلى أن خرج عن الدولة بنو غانية المسوفيون أمراء ميورقة (4). والسؤال الذي يتبادر هل شاركت حميان من جموع بني زغبة في معركة سطيف سنة 547 هـ؟ فلاحتمال الأول أن حميان شاركت في لقاء باجة وفي معركة سطيف، والاحتمال الثاني لم تشارك في لقاء باجة وفي معركة سطيف؛ لأن المؤرخين لم يشيروا إلى بني زغبة من بين الوفد المكون من زعماء بني هلال الذي وفد على عبد المؤمن، ولم يذكروا بني زغبة من القبائل التي كانت معادية للموحدين، والتي تم نقلها إلى المغرب الأقصى، وربما كان موقف حميان من جموع بني زغبة من الدولة الموحدية إيجابيا

(1) ينظر إلى المن بالإمامة - ص 144

(2) العبر: ج 6 - ص 276 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 122

(3) العبر: ج 6 - ص - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 122

(4) العبر: ج 6 - ص 20 - مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق - ج 2 - ص 178

واحتمالا فالطرف الذي شارك في لقاء باجة من المحتمل بطن زغب من بني سليم، الذي شارك في معركة سطيف؛ أو زغبة من بطون رياح، لأن زغبة بن هلال التي تنتسب إليها حميان هي أول بطن من الهلالية التي حددت موقفها من الموحدين، خاصة منذ أول دولة يعقوب المنصور في سنة 581 هـ - 1184 م، وإذا كانت بطون بني هلال التي خضعت للدولة الموحدية بعد انهزامها في معركة سطيف، والتي عقدت صلحا مع عبد المؤمن على أساس الطاعة والمشاركة في الجهاد ضد نصارى الأندلس، فإنها نقضت الطاعة بعد ظهور بني غانية، وظلت زغبة على ولائها للموحدين، هل كان ذلك منذ الفتح الموحي لإفريقية أم كان ذلك في عهد يعقوب المنصور؟ ربما بعد أن خضعت قبائل بني هلال كلها لعبد المؤمن بعد عودته الثانية لإفريقية؛ أو ربما من خلال ماجاء في رواية ابن خلدون التي ذكر فيها أن زغبة لم تتحرك من طرابلس إلا بعد ظهور بني غانية بإفريقية، وبعد دخول المنصور يعقوب الموحي إلى إفريقية للقضاء على بني غانية وأتباعهم من بني هلال وسليم. (1).

ب- الدور العسكري لحميان من جملة بني يزيد في دولة الموحدين: خضعت

حميان من جموع بني يزيد بن زغبة إلى الموحدين بعد عودة عبد المؤمن الثانية إلى إفريقية سنة 553 هـ - 1138 م، حيث استطاع عبد المؤمن أن يخضع جميع بلاد إفريقية وأدخل كافة القبائل المستقرة بها من برقة إلى تلمسان (2). نقل إلى المغرب الأقصى عددا كبيرا من بني هلال وهم رياح والأثبج، ووضعهم بجوار عاصمته مراکش، وضمهم إلى جنده وخصصهم لحماية رعيته واستعان بهم في غزو الأندلس (3).

(1) العبر: ج 6 - ص 20 - مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق - ج 2 - ص 178

(2) العبر: ج 6 - ص 20 - ابن أبي زرع: الأنيس المطرب - ص 121 - ابن الأثير: الكامل - ج 12 - ص 210 - عبد الرحمن

الجيلالي: تاريخ الجزائر العام - ج 2 - ص 15

(3) العبر: ج 6 - ص 20 - عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص المغرب - ص 226 - د. السيد عبد العزيز سالم: المرجع

السابق ج 2 - ص 794

وعندما ازداد عدد جنده بعد أن انضمت إليه من القبائل العربية، جاز عبدالمؤمن إلى الأندلس سنة 555 هـ - 1160 م، وأقام بها شهرين مد نفوذ الموحدين من خلال قوة بني هلال إلى غرب الأندلس وعاد إلى مراكش (1). وفي يوم الخميس السابع والعشرين من رجب سنة 557 هـ - فبراير 1162 م اجتمع عبدالمؤمن في رباط سلا بجند الموحدين من مسوفة وملتونة وعرب إفريقية وغيرهم من عرب المغرب الذين لبوا نداء الجهاد، فجهزهم بالخيول العربية الواردة في أرض إفريقية فاجتمع له من القوات النظامية المختلفة أكثر من ثلاثمائة ألف فارس (2). ومن المتطوعة ثمانين ألف فارس ومائة ألف راجل أغلبهم من القبائل العربية (3). وتشير المصادر التاريخية أنه بعد انتهاء هذه الحملة بالأندلس، وزعت هذه القبائل العربية التي تنتمي إلى زغبة ورياح وجشم على المدن الأندلسية لحماية أهلها من ناحية والاستقرار بأرضها من ناحية أخرى. فجعل بعضهم في نواحي قرطبة، وبعضهم في إقليم إشبيلية، بمايلي شريش وأعمالها، وقد أوصى عبد المؤمن أبناءه وولي عهده أن ينقل عرب إفريقية إلى المغرب للاستفادة بهم في حروب الأندلس (4)، وبعد وفاته ببيع ابنه أبو يعقوب يوسف بالخلافة سنة 558 هـ - 580 هـ 1163 م - 1184 م، وقد ساعده على المبايعة إخوته ومشيخة القبائل العربية (5). اتبع أبو يعقوب يوسف سياسة والده التي كانت ترمي إلى اصطناع العرب والاستعانة بهم في حروبه.

(1) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة - ص. 172-173

(2) نفسه: 193 - يحدد كل من أبي زرع والслаوي سنة المروفي 558 هـ - ينظر إلى: الأليس المطرب - ص 131 والاستقصا - ج 2 - ص 128

(3) ابن أبي زرع: المصدر نفسه - ص 132 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 128 - وأورد البيذق أنه بعد اجتياز الخليفة إلى سلا أمر يوسف بن سليمان بإعداد أربعة عشر ألف فارس من العرب ونجح في مهمته، فكافأه عبدالمؤمن على ذلك. ينظر إلى: أخبار المهدي - ص 121

(4) د. مصطفى أبوضيف: المرجع السابق - ص 88 - مبارك بن محمد المليي: المرجع السابق - ج 2 - ص 259

(5) العبر: ج 6 - ص 238 - د. مصطفى أبوضيف: المرجع السابق - ص 75

وقد استكثر منهم أبويعقوب يوسف، وأبو يعقوب المنصور حتى أن جزيرة الأندلس أصبحت مملوءة بعرب زغبة ورياح وجشم بن بكر وغيرهم، فانتشر نسلهم في جنوب الأندلس حتى بلغ عددهم في بداية القرن السابع الهجري نحو خمسة آلاف فارس سوى الرجال (1)، للقيام بحماية جنوب الأندلس والدفاع عنه، يضاف إلى ذلك عائلاتهم المستقرة هناك، وهذا ما يعطي فكرة واضحة عن كثرة أعدادهم، وبعد أن غزى فرديناد ملك ليون غرب الأندلس وحذى حذوه ابن مردنيش. بعث أبويعقوب يوسف أخاه أباحفص إلى الأندلس سنة 560 هـ — 1165 م (2) الذي بادر إلى إرسال مقدمة جيشه المكون من عساكر أختير من أعيان العرب وفرسانهم، ومنهم علي بن محرز بن زياد (3) وأربعة آلاف فارس من عشيرته لتعزيز جند اشبيلية، وفرسانها من العرب للاشتراك في حمايتها وكذا خمسمائة فارس لتعزيز قوات بطليوس، وقد تمكن العرب من هزيمة بعض قوات شنترين وغنموا ما معهم (4). وعندما أرسل أبوحفص بعض جيشه بقيادة أبي سعيد وأبي عبدالله لاستخلاص قرطبة من أبي مردنيش تقابل الجيشان بحصن لك*، ودامت المعركة بينهما طوال اليوم أظهر العرب من دروب الشجاعة والبسالة، ماجعل ابن صاحب الصلاة يشبه قتالهم بقتال المؤمنين الأوائل (5).

(1) وهو ابن محرز بن زياد من رياح الذي ثار ضد عبدالمؤمن بن علي

(2) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة - ص. 50-51

* حصن لك: يقع بنواحي قرطبة بخلاف مدينة لك بضم اللام وتشديد الكاف، وتعرف بـ **Lugo** وهي مدينة وولاية في شمال غرب اسبانيا في منطقة جبلية، وكذا مدينة لك الثانية وهي بلدة من نواحي برقة بين الإسكندرية وطرابلس الغرب - ينظر إلى ابن صاحب الصلاة - نفسه: ص. 270.

(3) ابن صاحب الصلاة: نفسه - ص. 269-270

(4) نفسه: ص. 271-274 - العبر: ج 6 - ص. 238، يطلق البيذق على هذه الموقعة بموقعة الجلاب. ينظر إلى أخبار المهدي - ص. 126، والجلاب موضع غني على بعد أربعة أميال من مرسية. ينظر إلى د. مصطفى أبوضيف عمر: القبائل العربية - ص. 90

(5) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة - ص. 281



ولكن لتفوق قوات ابن مردنيش اضطرت القوات العربية لطلب المعونة من الأمير أبي حفص في أول رمضان سنة 560 هـ - 1165 م (1)، فخرج بنفسه على رأس القوات الموحدية والعرب من بني رياح والأثبج وزغبة حيث تقابل مع قوات ابن مردنيش ومن انضم إليه من مسيحي اسبانيا بجوار مرسية قسم ابن مردنيش جيشه إلى ثلاث أقسام اندفع الأول لمهاجمة القبائل العربية التي يبدو أنها كانت في المقدمة وهاجم القسمان الثاني والثالث باقي الجيش الموحد (2). ولكن نتيجة ثبات العرب في الميدان، وانكسار مهاجمهم على سنان رماحهم وسيوفهم أن ثبتت القوات الموحدية من أهل تينملل وهنتانة، وصبروا صبرهم والتفوا حول قوات ابن مردنيش، وتمكنوا من إيقاع الهزيمة به وانسحب ابن مردنيش إلى مرسية هاربا (3). ويبدو أن الموحدين قد اعتمدوا في حروبهم المحررة للأندلس على القبائل العربية ومن بينهم زغبة التي تنسب إليها حميان اعتمادا كبيرا، حتى أن الدولة الموحدية نوهت بدورهم الإيجابي في الجهاد بالأندلس وحمايته، فوزع أبو حفص وأخوه عثمان رسالة على طلبة وشيوخ القبائل وأعيان الموحدين باشيلية يزف إليهم النصر مادحا العرب بقوله: "وفي خلال مقام تلك الأيام تبعث خيل مباركة من الموحدين والعرب لشن غارة في الميمنة والميسرة وحملت الروم حملتهم المعلومّة المعهودة، وصمدت جملتهم، إذ صمدت قبيل رياح من العرب والتفت عليهم قبائل الموحدين، فصبروا صبر أمثالهم واحتدمت الحرب وحمى الوطيس (4)، وأجفل الكفرة منهزمين والسيف يأخذ منهم فوق ما يدع.

(1) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة - ص 281 د. مصطفى أبوضيف عمر: القبائل العربية - ص

(2) نفسه: ص 281

(3) نفسه: ص. ص. 293 - 296

(4) القصيدة الأولى من نظم ابن طفيل والثانية من نظم ابن عياش ينظر إلى ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة -

ص 368 و 411 و 415

وكتب في العشر الوسط من ذي الحجة 560 هـ⁽¹⁾. وفي سنة 563 هـ — 1167 م، أجمع الموحدون على تجديد البيعة ليوسف بن عبد المؤمن وتسميته بأمر المؤمنين⁽²⁾. وفي سنة عزم أبو يعقوب يوسف على استكمال غزو الأندلس، ولكنه أرغم على تأجيل ذلك لمرضه، ورغم ذلك فقد قام باستدعاء عرب إفريقية طوال هذه السنة والتي تلتها محرضا إياهم على الجهاد ومثيرا فيهم شهادتهم والقربى التي تجمعهم وإياه في قيس عيلان في قصيدة طويلة، ثم يعود ويعاتب القبائل العربية لتأخرها في الوفود عليه بقصيدة طويلة من نفس العرض فلبى عرب إفريقية والزاب، والمغرب الأوسط النداء مسارعين للمغرب، رفقة أبي زكريا والي بجاية. وأبي عمران والي تلمسان⁽³⁾. وأبي محمد عبد الواحد والي تونس⁽⁴⁾، مزودين بالخيال العرب العتاق والمدربة عندهم والبالغ عددها أربعة آلاف من إفريقيا وألف من تلمسان، فوصلوا مراکش يوم السبت الثاني من ربيع الثاني سنة 566 هـ — 1171 م، فقسمت عليهم الدروع والبيضاء والرماح والدرق والأسلحة والكسوات والعلامات والرايات، وبعد أن تم تمييزهم بلغ عسكر العرب عشرة آلاف فارس وخمسة وثلاثون ألف راجل ونفس العدد تقريبا من جنود الموحدين⁽⁵⁾ حتى بلغ عدد الجيش مائة ألف من العرب والموحدين والمتطوعة⁽⁶⁾. عندئذ أمر يعقوب يوسف بالحركة إلى الأندلس، فجاز أبو سعيد يخلف ابن الحسين بالموحدين، ثم تلاهم أبو زكريا بالقبائل العربية ودام هذا الجواز خمسة أيام⁽⁷⁾.

(1) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة - ص 417

(2) العبر: ج 6 - ص 240 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 134

(3) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق - ص 418

(4) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة - ص 418 و 430 و 436 و 451

(5) السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 134

(6) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة - ص 451

(7) د. السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير - ج 2 - ص 799

ومكث أبويعقوب في الأندلس أربعة أعوام (1). صالت فيها القبائل العربية وجالت في أرجائها، فتمكنت من استرجاع بطليوس من أيدي مسيحي إسبانيا في سنة 566 هـ - 1170 م (2). وبعد عودة أبي يعقوب يوسف إلى مراكش لم تلبث أن ساءت الأحوال من جديد في الأندلس، إذ تمكن القشتاليون بمساعدة الفونسو الثاني ملك أرغون من الاستيلاء على قونكة في سنة 572 هـ - 1176 م ثم أخذت ضربات مسيحي إسبانيا تتوالى على إمارات المسلمين. فعزم أبويعقوب على الجواز إلى الأندلس للمرة الثانية (3)، فأخذ في استدعاء العرب من إفريقية، فوفد أبوسرحان مسعود بن سلطان أمير رياح عليه بمراكش في جيش كبير من وجوه قومه برسم الخدمة، وبعد أن جهز الجيش بالمجانيق والسلاح والخيول والأموال اللازمة (4)، ميز أبو يعقوب بين الموحدين والعرب في جمادي الثانية 580 هـ - 1184 م تمهيدا للغزو، ووزع الأخبية على الفرسان لكل عشرة منهم خباء و ثم اقلع الجيش إلى رباط الفتح بسلا قاصدا إفريقيا. ويبدو أن ذلك بسبب عدم استجابة القبائل العربية بها للدعوة لغزو الأندلس، وحينما وصل إلى المهديّة، وفدت عليه فرسان العرب برفقة أبي محمد بن أبي إسحق بن جامع معلنين الطاعة والبراءة ممن ثار من القبائل العربية التي هربت إلى الصحاري (5)، عندما علمت بخروج الخليفة إلى إفريقيا، وتتابع الوفود العربية إلى المهديّة فأجزل لهم العطاء، فأدموا حملته بثلاثين ألفا من الفرسان والمشاة (6). وفي سنة 580 هـ - 1184 م جازت الجيوش الموحدية إلى الأندلس. وفي مقدمتها القبائل العربية

(1) السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 136

(2) مبارك بن محمد المليي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 259

(3) ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 62

(4) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب - ص. ص 140-141 أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس الإسكندرية -

1968 - ص 354

(5) د. السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير - ج 2 - ص 798

(6) العبر: ج 6 - ص 242

متوشحين بالسيوف الهندية والدرق اللمطة والقس الخطية(1). وحاصرت شنترين مفتاح وادي التاجو من بلاد غرب الأندلس، وأمر الخليفة ابنه أبا إسحاق بغزو مدينة أشبونة*، وشن الغارات على أنحائها، وقد تحرك إليها بقوات الأندلس فقط، وأن يكون رحيله نهاراً(2). فأساء الفهم ورحل ليلاً فاتبعته القوات الموحدية، وجاء صباح اليوم التالي، ليجد الخليفة نفسه بدون جنده، فاستغل المسيحيون الفرصة وهاجموه وأصابوه بمقتل بويق المنصور يعقوب وكان أول من بايعه أعيان زغبة تلمسان(3) ومن معهم من العرب بقصر مصمودة(4)، ولما وصل رباط الفتح تلقاه أبو عبد الله بن واجاج ومعه وفود العرب، وأهل فاس ومكناسة بالتأييد(5) ولكنه واجه خلال فترة حكمه مصاعب جمة في المغرب الأوسط وإفريقية مع بني غانية وحلفائهم من الممالك الغز الوافدين من مصر بقيادة قراقوش، ومن عرب بني هلال وسليم بإفريقية(6). وفي عهده نقلت حميان من جملة بني يزيد الذين تحالفوا مع بني بادين لمحاربة بني غانية وحلفائهم من لمتونة وعرب بني هلال المواليين لهم وحماية المغرب الأوسط منهم، والذود عنه حتى سقطت دولة الموحدين.

*أشبونة: هي عاصمة البرتغال حالياً

(1) العبر: ج-6 ص242 - د. حسين مؤنس: ج-1 المرجع السابق - ص624 - مبارك بن محمد الميلي: ج-2 - المرجع السابق، ص324 - إبراهيم حركات: ص283 - وعند نوال(Noël) وفي سنة 1185م ثار علي بن غانية ضد الموحدين، وحاصر عناية، وانضمت تحت لوائه جيش ورياح والأنج، باستثناء زغبة التي أضحت مناصرة لأمراء المغرب، ينظر إلى: les

documents pour servir à l'histoire de hamyan.p133

(2) العبر: ج-6 ص242

(3) نفسه: ص242 - ابن عذاري: البيان - ج-4 ص. ص. 76-77 - السلاوي: الاستقصا - ج-2 ص142 - د. حسين

مؤنس: المرجع السابق - ص624

(4) العبر: ج-6 ص21 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج-2 ص185

(5) ابن عذاري: البيان - ج-4 ص128 - أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص. ص. 358-361

(6) نفسه: ص128 - أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب - ص. ص. 358-361

واتبع يعقوب المنصور سياسة آباءه المتمثلة في ضرورة توحيد بلاد المغرب، فقضى على ثورات إفريقية، ونظم أمورها وبعد أن تم له ذلك رأى أنه حان الوقت للانتقام لهزيمة أبيه ومقتله في الأندلس، ففتح باب التطوع لجميع المسلمين من بربر وعرب وغيرهم في جبال وسهول المغرب، فأتته معظم القبائل العربية (1). وفي 586 هـ - 1190 م حينما علم مسيحو إسبانيا بانشغاله في بلاد هاجموا مدن شلب وباجة ويابر من غرب الأندلس. فاستعظم المنصور ذلك وكتب إلى أمراء الأندلس يأمرهم بمواجهتهم، وعبر بجيشه الذي ازداد عدده بفضل من انضم إليه من القبائل العربية المنقولة إلى المغرب الأقصى (2) بدأ المنصور بمملكة البرتغال. إذ كانت أشد الممالك الإسبانية خطورة على المسلمين، وقد سبق أن استشهد فيها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن. والد المنصور، هاجم المنصور مملكة البرتغال في سنة 587 هـ - 1191 م برا وبحرا (3)، وحطم قواها وخرب حصونها وديارها واكتسح أراضيها، ولم يجرؤ ملكها سانشو هنريك (Sancho Enriquez) على مواجهة المنصور في معركة عامة مكشوفة، بل ظل محتفيا وراء جدرانها لاحتول ولا قوة (4). وعاد المنصور إلى المغرب بعد أن صالحه صاحب قشتالة على خمس سنين لا يهاجم أحدهم الآخر، ولكن في نهاية هذه الهدنة ووقوع الخليفة فريسة لمرض أيأس أطباءه (5) طمع فيه المجاورون له فتربص به ملك قشتالة، وثار العرب بإفريقيا وعادت تشتعل نارا. ثم شفي الخليفة المنصور وعزم على الخروج بنفسه لمحاربة الخارجين عليه واضطر إلى البدء بالجهة

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب - ص 144 - د. السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير - ج 2 - ص 805 Lévi
Provençal: les trentes sept lettres officielles Almohades-Rabat-1941-
pp.218-228

(2) أحمد مختار العبادي: الموحدون والوحدة الإسلامية - مقالة - مجلة التربية الوطنية السنة الثالثة - العدد 2 إبريل 1962 - ص 29

(3) السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 165

(4) ابن عذاري: البيان - ج 4 - ص 157 - 158

(5) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب - ص 146

القشتالية (1). فعبر إلى الأندلس سنة 591 هـ - 1195 م في جيش كبير من الموحدين والعرب، ثم زحف شمالاً حتى انتهى إلى الموضع المعروف بالأرك وهو قريب من قلعة رياح وهناك عقد مجلسه الاستشاري المكون من شيوخ العرب والموحدين للتشاور في كيفية إدارة المعركة مع المسيحيين، فعقد للقائد ابن صناديد على جيش الأندلس وجرمون بن رياح على القبائل العربية (2)، ولنديل بن عبدالرحمان المغراوي على قبائل مغراوة، ونحيو بن أبي بكر بن حمامة المريني على قبائل بني مرين ولجابر بن يوسف على قبائل بني عبدا لواد، ولعباس بن عطية على بني توجين، ولتلجين بن علي على قبائل بني هسكورة وسائر المصامدة، ولمحمد بن منغفاد على قبائل غمازة ولفقيه الصالح أبي خزر يخلف بن خزر الأوربي على المتطوعة، والجميع كانوا تحت قيادة أبي يحيى ابن أبي حفص زعيم هنتاة (3). وزع أبو يحيى الرايات على رؤساء أمراء القبائل، وقسم عساكره على النحو التالي: عسكر الأندلس في الميمنة، وزناتة والمصامدة والعرب وسائر قبائل المغرب في الميسرة والمتطوعة والرماة في المقدمة وبقي هو وقبيلة هنتاة في القلب (4). وبعد توزيع القوات خرج جرمون بن رياح يتنقل في صفوف المقاتلين مشجعاً إياهم على الثبات والصبر في ميدان القتال، وفجأة تقدمت مجموعة من فرسان مسيحي إسبانيا تقدر بنحو عشرة آلاف فارس مدججين بالسلاح مدرعين بالحديد لإلقاء الرعب في نفوس المسلمين،

(1) السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 165

(2) ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 157 - 158

(3) يذكر ابن أبي زرع أن عامر الزعيم العربي شجع القوات الإسلامية بقوله: "عباد الله إنكم حزب الله، أثبتوا للقتال بين أعداء الله، فإن حزب الله هم المفلحون وهم المنصورون وهم الغالبون". ينظر إلى الأنيس المطرب. ص 149 150

(4) ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 163 - الشريف أبو القاسم محمد الغرناطي: كتاب رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة - ج 2 - القاهرة - 1344 م - ص 156 - أحمد مختار العبادي: الموحدون والوحدة الإسلامية - ص 30

فبرز من أمراء العرب عامر الزعيم مشاركا جرمون في تشجيع المسلمين دافعا بقبائله العربية من الميسرة إلى جموع الفرسان الذين تمكنوا من اختراق القلب، ونجحوا في قتل قائد الجيوش الإسلامية أبي يحيى، وتمكنت القبائل العربية والمتطوعة التي حذت حذو العرب من الإطاحة بهم، ووقع فرسان إسبانيا المسيحيين بين شقي الرحي تطحنهم القوات الإسلامية طحنا، فانكسر شوكة جيش الفونسو الثامن الملقب بالصغير، حيث كان جل اعتماده على هؤلاء الفرسان(1). وفي نفس الوقت أظهر الخليفة المنصور في معركة الأرك شجاعة وبسالة نادرة مهدت له النصر. لما رأى انكسار مقدمته أمام هجمات العدو وترك مقر قيادته، وسار منفردا إلى الصفوف الأمامية(2)، حيث ألقى على جنوده بعض نصائحه وتوجيهاته العسكرية في كيفية النفوذ إلى العدو، ثم عاد ثانية إلى موضعه. ثم عاد ثانية إلى موضعه فلما وقعت أعين الناس عليه، وعلموا بالدور الذي قام به حمت نفوسهم وحملوا على العدو حملة صادقة انتهت بالنصر(3). وأسرع بعض فرسان العرب إلى الخليفة المنصور يبشرونه بهزيمة العدو، ويبدو من هذه الأحداث أن القبائل العربية ومن بينهم حميان تمكنوا سواء عن طريق تشجيعهم للمقاتلين في ميدان القتال من ناحية واندفاعهم للقتال في اللحظة المناسبة من ناحية أخرى، من أجل تحقيق النصر في معركة الأرك. بقي الخليفة المنصور بالأندلس حتى سنة 592 هـ - 1196 م(4) وتمكن من الاستيلاء على حصن متنانجش بعد استسلام حاميته وتأمين الخليفة لهم وكذلك استولى على ترجالة وبالنشا مثلا الخراب والدمار بأنحاء مملكة قشتالة، مادفع ملكها إلى طلب السلم والمهادنة

(1) ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 163 - الشريف أبو القاسم الغرناطي: كتاب رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة -

ص 156 - أحمد مختار العبادي: الموحدون والوحدة - ص 30

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب - ص 149 - ص 150

(3) د. السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير - ج 2 - ص 813

(4) السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 195 - ص 196 - السيد عبدالعزيز سالم: المرجع السابق - ص 814 - 819

لمدة عشر سنوات، فوافق الخليفة يعقوب المنصور، وعاد إلى مراکش حيث توفي في سنة 595 هـ — 1199 م (1). ورغم موت الخليفة المنصور إلا أن القبائل العربية بقيت موالية للموحدين في حروبهم ضد النصارى بالأندلس، حيث تجددت الحرب بين ألفونس الثامن ملك قشتالة الذي لم ينس هزيمته في معركة الأرك، فظل يفكر في محو آثار الهزيمة، وبدأ يحصن قلاع بلاده الواقعة على الحدود الإسلامية، وتحالف مع كل من ملكي نبرة وأرغون سنة 607 هـ — 1210 م وقض ملك قشتالة الهدنة التي تمت بينه وبين الموحدين (2). فكتب الخليفة الناصر إلى جميع بلاد إفريقية والمغرب يستنفر المسلمين للغزو، فأجابه خلق كثير ورغم ذلك فقد ألزم كل قبيلة من القبائل العربية ببلاد المغرب بحصة من الخيل والفرسان والرجالة للانضمام إلى الجيش الموحي والخروج معه للجهاد بالأندلس (3). ولما تكاملت لديه الحشود، تحرك إلى الأندلس في 19 شعبان 607 هـ — 1211 م (4). ووصل إلى إشبيلية، وأقام بها للراحة والاستعداد للغزو، فاجتمع له في هذه الغزوة من أهل المغرب والأندلس ستمائة ألف مقاتل (5)، ورغم احتمال مبالغة المؤرخين، إلا أنهم أجمعوا على قيامه بتقسيمهم إلى خمس فرق: الأولى من العرب والثانية من زناتة وصنهاجة والمصامدة وغمارة وسائر أصناف قبائل المغرب والثالثة من المتطوعة والرابعة من جند الأندلس والخامسة من الموحدين، وأنزل كل فرقة منهم بناحية.

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب - ص 154 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 196

(2) نفسه: - ص 157 - د. السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير - ج 2 - ص. ص 823-825

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب - ص 158 - أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب - ص 370 وأثر معركة العقاب في انهيار نفوذ الموحدين في الأندلس.

(4) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب - ص 158 - أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب - ص 370

(5) السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص. ص 199-200 ابن أبي زرع: الأنيس المطرب - ص 159

ولما انتهى من تنظيم جيشه تحرك في أوائل سنة 608 هـ - 1211 م على بلاد قشتالة، واستولى على قلعتي اللج وشلبطرة معتمدا في ذلك على الفرقة العربية من جيشه. زحفت الجيوش المسيحية من ليطة في سنة 609 هـ - 20 يونيو 1212 م واستولت على ملجون وعلى قلعة رباح، بعد أن حاصرتها ويأس قائد حاميتها من نجدة الناصر له، ففضل تسليمها مقابل خروجه بقواته والمسلمين أمين على أنفسهم، فغضب الناصر لذلك وأمر بقتله في إشبيلية، وأثار غضب الفرقة الأندلسية في جيشه فعزل قوادهم، واستبقى الجنود وقد أخطأ بذلك نظرا لتعود قواد الأندلس محاربة المسيحيين بها ودرابتهم بخططهم في القتال، والتقى الجيشان وجيش المسلمين على هذه الحالة من التفكك (1)، بموضع يعرف في المصادر التاريخية العربية باسم العقاب، وفي المصادر الإسبانية يسمى بـ *lasnavesdetolosa** فقامت فرقة المتطوعة البالغ عددها مائة وستين ألف مقاتل بهجوم خاطف ولكن القوات المسيحية تمكنت من امتصاص الفرقة بأكملها بداخلها، ورغم تفاني المتطوعة في القتال وفقد استشهادوا عن آخرهم وباقي الفرق الأخرى من الجيش الموحد ينظرون إلى فنائهم دون أن يمدوا إليهم يد المساعدة (2) فرغ المسيحيون من فرقة المتطوعة، فهاجموا القوات الموحدية العربية الباقية ودار القتال عيفا بينهم وانتهزت الفرقة الأندلسية الفرصة وولت الأدبار. انتقاما بما فعله الناصر

(1) السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 200 - أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس - ص 370

* يطلق اسم **Navas** في اللغة الإسبانية على الوديان الفسيحة أو الأراضي الوطنية والمقصود هنا الوديان التي تنساب بين جبل الشاراتو، وقد وقعت هذه الموقعة في أحد الوديان القريبة من بلدة تولوسا، ولهذا عرفت في المصادر الإسبانية باسم لا نافاس دي تولوسا أما التسمية العربية فهي العقاب بضم العين نسبة إلى حصن أو قصر قديم مرتفع ينسب إلى الأمويين مازالت بقايا هذا الحصن باقية حتى الآن، كما لا يزال الاسم الإسباني لاس نافاس ي تولوسا يطلق على قرية هناك في ولاية جينا تخليدا لذكرى هذه الموقعة: أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس - ص 176-177 - **Henri Terrasse: histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français-casablanca-1949-p341**

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب - ص 159 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 199-200

بقوادها، فكان ذلك بداية الهزيمة لجيوش الموحدين⁽¹⁾، واتبعت فرقة القبائل البربرية نفس مافعلته فرقة الأندلس ثم تلتها فرقة الموحدين، وآخر من ترك ميدان المعركة الفرقة العربية التي اشتبكت وتلاحمت بالسيوف مع المسيحيين مدافعة عن الناصر ورغم ذلك تمكن المسيحيون من الوصول إلى الدائرة التي تحيط به، وقتلوا من عبيد دائرته نحو عشرة آلاف فارس. أدركت الفرقة العربية أن الهزيمة قد حاقت بالجيش الموحد، وأن المسيحيين قد أوشكوا على قتل الخليفة الناصر⁽²⁾. فقام بعض فرسان العرب بمساعدة الخليفة على الفرار، حتى تخلى أحد العرب عن فرسه العربي الأصيل للناصر لبدانة فرسه وثقله قائلاً له: "اركب هذه الحرة فإنها لا ترضى بعار فلعل الله ينجيك عليها، فإن في سلامتك الخير كله"، فركبها الناصر تتقدمه نخبة من فرسان العرب ويحيط به عبيده والقوات المسيحية في أعقابهم حتى تمكنوا من الفرار به⁽³⁾. وقضى على معظم الجيش الموحد، وعاد الخليفة الناصر إلى مراكش حزينا حيث احتجب بقصره إلى أن توفي في شعبان سنة 610 هـ—

1213 م⁽⁴⁾. أي بعد سبعة أشهر من هزيمة العقاب، ولقد انهار النفوذ الموحد في الأندلس بعد هذه الكارثة، وأخذت المدن الأندلسية تنهار في يد المسيحيين. ويسجل التاريخ تاريخ وفاة الناصر بداية انهيار دولة الموحدين، التي امتدت رغم ذلك حتى سنة 668 هـ—

1269 م سنة مقتل أبي دبوس أمام أسوار مراكش التي دخلها بنو مرين. يستخلص مما سبق

(1) د. السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير - ج 2 - ص 82 - أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب - ص 159

(2) العبر: ج 6 - ص 41 - د. مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية - ص 15

(3) نفسه: ص 41 - مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 178 - د. مصطفى أبو ضيف عمر: القبائل العربية - ص 225، ولكن لم يذكر المؤرخون والباحثون الأسباب السياسية التي دفعت بالموحدين أن يختاروا حميان من جملة بني يزيد كحلفاء ومنحوهم الاقطاعات والامتيازات عن باقي بطون بني زغبة خاصة وأن ابن خلدون في رواية له ذكر أن زغبة عند دخولها على إفريقية كانت تتميز بالعزة والشرف، وفي رواية أخرى اقتصر على بني يزيد من جموع بني زغبة، هل هذه المكانة الاجتماعية، والصفات الأخلاقية الحميدة كانت وراء اختيار الموحدين لهم

(4) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب - ص 159 - أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب - ص 370

ذكره من أحداث أن القبائل العربية في عهد الخليفة عبدالمؤمن وأبو يعقوب يوسف قد شاركت كلها في حروب الأندلس، وكذلك في عهد يعقوب المنصور، وبقيت القبائل العربية الهلالية مستمرة في دعمها للموحدين إلى غاية انهيار دولة الموحدين، ومن خلال الأحداث أن القبائل العربية الهلالية بجميع بطونها كانت دائما في الصفوف الأمامية في حروب الأندلس ضد نصارى إسبانيا، ويبدو أن العرب أبدوا شجاعة باسلة في القتال، ولولاهم لما نجى الخليفة الناصر من الموت، وكان الجيش العربي هو آخر من ترك ساحة القتال (1). وربما قد شاركت حميان كبطن من بطون بني زغبة في هذه الحروب، لأن المؤرخين لم يستثوبطن من بطون بني هلال في حرب الأندلس بحيث أعلنت كل القبائل العربية الطاعة والولاء للموحدين والجهاد في سبيل الله ضد نصارى الأندلس، ومن المحتمل أنها ساهمت في تحقيق الانتصار بالأندلس، وربما قد استقرت بعض الأسر من حميان بالأندلس، وربما أيضا قد شاركت حميان من جملة بني زغبة في الجبهة الثانية في إفريقيا والمغرب الأوسط إلى جانب الموحدين ضد بني غانية* وحلفائهم من عرب بني هلال. ويذكر المؤرخون أن أول بطون بني هلال التي اقتطعتهم دولة الموحدين الإقطاعات والامتيازات هم بنو يزيد بن زغبة، التي تنسب إليهم حميان ببلاد حمزة والدهوس وبني حسن من وطن بجاية (2).

(1) الكامل: ج 11 - ص 519 - ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 76 - 77 - عبد الواحد المراكشي: المعجب - ص 178 - أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس - ص 332

*نو غانية في الأصل من قبيلة مسوفة الصنهاجية، ومن كبار المرابطين في الأندلس، ويقال أنهم عرفوا ببني غانية على إسم أمهم غانية وأمثال هذه التسميات كانت معروفة عند المرابطين إذ نجد كثيرا من قوادهم ينسبون إلى أمهاتهم مثل ابن عائشة وابن فاطمة. ينظر إلى عبد الواحد المراكشي: المعجب في تخلص المغرب - القاهرة - 1949 - ص 176 - أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس - ص 331

(2) العبر: ج 6 - ص 41 - عبد القادر المشرفي: هجرة الناظر - ص 26 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث -

ج-علاقة حميان من جملة بني يزيد ببني يادين وموقفها من بني غانية:

لما سمع علي بن إسحاق المعروف بابن غانية* بوفاة أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن، جهز أسطولا يتكون من عشرين قطعة، وخرج من ميورقة متجها إلى بجاية في شعبان سنة 580 هـ - 1184 م (1)، ودخلها على حين غفلة من أهلها وعليها يومئذ السيد أبو الربيع بن عبدالله بن عبد المؤمن، وكان خارجا في بعض مذهبه وفي رواية ابن أبي زرع في استيلاء ابن غانية على بجاية قال: دخل الميورقي وهو علي بن إسحق مدينة بجاية يوم الجمعة في السادس من شعبان سنة ثمانين وخمسمائة والناس في صلاة الجمعة (1). ويبدو أن من راسله من أعيان المدينة كان من نسل بعض العائلات العريية التي استقرت بالمغرب، وتنقلت من مدينة إلى أخرى وراء العلم تارة وطلبا الرزق تارة (2). تتبع ابن غانية الموحدین الفارین والتقى بهم بيا ميلول*. في نفس السنة فانسحب العرب من صفوف الموحدین لينضموا إلى بني غانية متزئين هزيمة ساحقة بالموحدین الذين فروا إلى تلمسان تاركين خلفهم أثقالهم وأموالهم (3). ربما انتقاما لدولته المرابطية التي قضى عليها عبدالمؤمن، أو استعادة مجد المرابطين أو من أجل استعادة ملك أبناء عمومته صنهاجة بني حماد، أو ربما لكي يجد الدعم والمدد من بني حماد، والانتقام من المصامدة الزناتيين الذين استولوا على عاصمة بني عمومته إن اختيار ابن غانية علي بن إسحاق مدينة بجاية لم يكن من باب الارتجال وإنما كان مخططا له منذ خروجه من ميورقة.

(1) ينظر إلى: الأنيس المطرب - ص 158

(2) العبر: ج 6 - ص 242 - ص 140 - الكامل - ج 11 - ص 521 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 121 - المزارى: طلوع سعد

السعود - ج 1 - ص 140

* ياميلول: بجوار بجاية

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب - ص 131 - العبر: ج 6 - ص 20 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 120، وعند مصطفى أحمد

نقلا عن عبد الواحد المراكشي أن علي بن إسحق دخل بجاية يوم الاثنين في شعبان 580 هـ. ينظر إلى: القبائل العريية - ص 77 -

البيان: ج 4 - ص 86

ولما سمع والي بجاية الموحيدي خبر وصول علي بن غانية الميورقي، عاد من طريقه ومعه من الموحيدين ثلاثمائة فارس(1)، تقوى بنو غانية بما غنمه من موقعة ياميلول ومخازن بجاية، ووزع الأموال والأسلحة على حلفائه الجدد من العرب(2). ثم استولى علي ابن غانية بعد ذلك على الجزائر ومازونة ومليانة، وقلعة بني حماد وماجاورها من قلاع و ثم تمكن بمحالفه عرب إفريقية وهم جميعا لا يميلون إلى الطاعة والنظام، وكان من أوائل المنضمين إلى بني غانية جشم والأثبج بما كانوا ساخطين على الموحيدين لرضاهم عن رياح ثم انضم إليهم نفر من رياح، وكشفوا القناع في نقض طاعة الموحيدين كما انضمت إليه فلول لمتونة من أطراف البقاع فمضى على الجريد. وأقام الدعوة العباسية(3). وفي رواية ابن الأثير ذكر "أنه في سنة 580 هـ ملك علي بن إسحق المثلث بجاية وأرسل يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن صاحب المغرب العساكر، واستعادتها، فسار علي إلى إفريقية، فلما وصل إليها اجتمع سليم ورياح ومن هناك من العرب، وانضاف إليهم الترك الذين دخلوا من مصر مع قراقوش وكلهم كاره لدولة الموحيدين(4)، ويلاحظ أن رواية ابن الأثير تختلف في مضمونها عن رواية نوال وإبراهيم حركات التي ذكرنا فيها أن قبائل بني سليم بقيت موالية للموحيدين(5)، والراجح أن بني سليم لم تكن موالية للموحيدين، بل كانت ضدهم في كثير من المعارك خاصة في إفريقية، ولم يشير أغلب المؤرخين أن قبائل بني سليم ساندت الموحيدين في معاركها التي خاضتها في إفريقية والأندلس.

(1) في نفس السنة قام الموحدون بتغريب بعض من الأسر الكبيرة من بجاية إلى مدينة سلا، يذكر منهم أسرة بني همدون وبني

القائد مما يرجح هذا الرأي - ينظر إلى ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 96

(2) الكامل: ج 10 - ص 519 - 520 - د. السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير - ص 804

(3) ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 110 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 144

(4) ينظر إلى الكامل: ج 10 - ص 519

(5) ينظر إلى: المغرب عبر التاريخ - ص 283 - documents pour servir à l'histoire de

من الاستيلاء على مدنها بما في ذلك قفصة وتوزر عدا تونس والمهدية(1) ونازل قسنطينة فامتنت عليه ولم يتمكن من إخضاعها. ونوه كتاب المرابطين بتحالفهم مع العرب حتى ادعوا أن المنطقة الممتدة من بلاد الحجاز إلى إفريقية تموج بالقبائل العربية التي تؤيدهم فمن شعر أبي محمد عبدالبر بن فرسان كاتب يحي بن غانية بين الحجاز وبين الغرب(2). من العوائق سدت دونها الطرق عوف وزغب وذباب وسالمها والهيبون ودوم البحر والغرق قاطعه(3). على الأساطيل وإلى أبي محمد بن عطوش وأحمد الصقلي(4)، ولما بلغ يعقوب المنصور سرح إليه أبا زيد بن أبي حفص بن عبدالمؤمن، وعقد محمد بن إبراهيم بن جامع واسترد بجاية، وأنزلوا بأهلها من العرب العقاب لما بدر منهم من استدعاء وتأيد لبني غانية، ففروا للاحتماء بقنن الجبال والأوعار وكذلك بأحياء العرب بالجوار(5). وقام الشيخ أبو حفص عمر الموحدي باسترداد مدينة أشير في سنة 581 هـ من يدي غزي الصنهاجي أحد قواد ابن غانية وحلفائه من العرب ثم أمر بقتله وقتل أخيه وصلبهما، وعلقا على باب مدينة بجاية ليتعظ كل من تسول له نفسه بالخروج عن طاعة الموحدين(6). ساء الظن للخليفة المنصور في العرب حتى أنه استبعد تجنيد عرب المغرب في جيشه لتعاطفهم واتصالهم بعرب إفريقية حينما قرر غزو قفصة في سنة 582 هـ - 1186 م(7)

(1) ابن الآبار: المقتضب من كتاب تحفة القادم - نشر إبراهيم الأبياري - القاهرة - 1957 - ص 115 - Alfred bel:les

benou Ghania-paris-1903-p191

(2) العبر: ج 6 - ص 21 - ابن الأثير: الكامل - ج 10 - ص 519 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 121 - د. حسين مؤنس: المرجع

السابق - ج 3 - ص 602 - إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ - ص 283 - عبدالرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام - ج 2 -

ص 15 - حسن حسني عبدالوهاب: خلاصة تونس - ص 123

(3) ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 87

(4) ابن خلدون: ج 6 - ص 243 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 183 - ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 86 -

د. السيد عبدالعزیز سالم: المرجع السابق - ج 2 - ص 804

(5) العبر: ج 6 - ص 243

(6) ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 102

(7) ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 104

ويبدو أن الخليفة المنصور ساء الظن بالقبائل العربية قبل أن يدخل إفريقية، وحينما طرق الموحدون أبواب إفريقية، فوجئوا بتحالف بني غانية والمماليك الغز، وعرب بني سليم ضد معسكرين من الموحدين بجوار القيروان، ونظرا لكثرة عددهم تحول الموحدون إلى تونس (1). وأمام هذه القوى المتحالفة أرسل الخليفة يعقوب المنصور من تونس جيشا بقيادة أبي يوسف بن أبي حفص لفتح قفصة، فالتقى في ربيع الثاني 583 هـ - 1187 م بقوات بني غانية والمماليك والعرب بفحص غمرة*. وحينما اندفع القائد أبو الحسن بن البربرتي* بفرسانه الموحدية لإحراز نصر سريع خاطف مستهينا بأعدائه (2)، وفوجئ بسحاب من السهام العربية أسقطت معظم فرسانه وقبض عليه، فاقتفى أثره القائد أبو علي بن يومور بفرسانه من العرب لتخليصه، فأحاطت بهم القوات المتحالفة، فلم يجد فرسانه من العرب بدا من الانسحاب وتركوهم أسيرا في أيدي أعدائهم (3).

(1) نفسه: ص 104

* غمرة أو عمرة منه أعمال قفصة ينظر إلى ابن عذارى: البيان: - ج 4 - ص 109 وابن خلدون: العبر - ج 6 - ص 244

(2) ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 105 - 107 - العبر: ج 6 - ص 244 - المراكشي: المعجب - ص 180 - 181 -

السلوي: الاستقصا - ج 2 - ص 121

(3) ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 105 - 107 - العبر: ج 6 - ص 244 - المراكشي: المعجب - ص 180 - 181

* البربرتي: Reveerter أو Reberter هكذا ضبط اسمه دوزي Dozy حسب النصوص الحولية للإمبراطور ألفونسو السابع، أما المصادر العربية، فقد ذكرته بأشكال مختلفة مثل الدبرتيروالدبرتين والأبرتين، ووضح من الاسم أنه من أصل مسيحي إذ كان أبوه فارسا قطلانيا من برشلونة، ثم وقع أسيرا في يد أمير البحر علي بن ميمون الذي حمله إلى سلطانه علي بن يوسف بن تاشفين بمراكش، فعينه السلطان قائدا على جنوده الاسبان الذين كانوا في خدمته... وقد اعتنق ابنه الإسلام وسمي بأبي الحسن علي بن البربرتي، ولما قامت دولة الموحدين انحدر في خدمتهم ينظر إلى ابن عذارى: البيان - ج 4 -

ص 16 و 159 - Recherches sur l'histoire de l'Espagne - t2-3 éd amsterdam

1965-p.p437-442-Levi-provençal: Documents d'histoire Almohade.p139

وأحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب - تعليق - ص 355

وسرعان ما دبت الفوضى في القوات الموحدية، ويُرغم أبو يوسف علي بن أبي حفص على الانسحاب إلى تونس وتمتلى أيدي العرب بالأسلاب (1). ويبدو أن صدى الهزيمة كان كبيرا في بلاد المغرب، والأندلس لدرجة أن عم الخليفة أبا الربيع والي تادلا وأخاه أبو حفص والي مرسية قاما بإسقاط دعوته ومنادة كل منهما بنفسه خليفة للموحدين، فأمر الخليفة باعتقالهما وقتلهما (2). جمع يعقوب المنصور قواته بإفريقية وخرج بنفسه لملاقاة المتحالفين ضدها، فتوجه من تونس إلى القيروان حيث التقى على مسيرة أيام منها بأعدائه في الحمة (3)، وتمكن من إيقاع الهزيمة بهم في 9 شعبان 583 هـ — 1187 م (4). وهرب ابن غانية جريحا حيث مات في خيمة عجوز أعرابية، وتولى الأمر من بعده أخوه يحيى الذي لحق بالصحراء مع العرب (5). استولى يعقوب المنصور على قفصة وقابس ثم توجه إلى بلاد الجريد متتبعا العرب وبني غانية بلدا بعد بلد مبقيا على رؤسائها من العرب البلديين الأفارقة بعد تأكده من طاعتهم مستأصلا من بها من الأعراب الذين ثبت فسادهم حتى ألجأهم إلى صحاري برقة فجاءوه تائبين خاضعين (6)، فنقل قبائل بني هلال وجشم بن معاوية بن بكر المتسلطين والمستقرين بإفريقية على المغرب الأقصى، فنزلت قبيلة رياح من بني هلال ببلاد الهبط فيما بين قصر كتامة المعروف بالقصر الكبير إلى أزغار البسيط الأفيج هناك على ساحل البحر الأخضر أي المحيط الأطلسي. ونزلت قبائل جشم بلاد تامسنا البسيط ما بين سلا ومراكش.

(1) السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 144

(2) تعرف بحمة دقيوس ينظر إلى المراكشي: المعجب - ص 181 - العبر: ج 6 - ص 243، وعند السيد عبدالعزيز سالم دقيوش ينظر

إلى المغرب الكبير - ج 2 - ص 805

(3) العبر: ج 6 - ص 244 - ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 109 - 110

(4) ابن عذارى: نفسه - ص 110 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 144

(5) السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 183

(6) المراكشي: المعجب - ص 181

ورغم ندم الخليفة المنصور في أيامه الأخيرة بسبب نقله للعرب إلى المغرب الأقصى وهو يعرف أنهم أهل فساد(1). فقد أدى صنيعته هذا إلى استكمال عروبتة وصبغه بالدماء العربية، حيث سبق أن قامت دولة الأدارسة* بإدخال الحضارة الإسلامية وقليل من الدماء العربية إليه، وقبل أن يعود الخليفة المنصور إلى المغرب الأقصى أقام بالمهدية ريثما سن القوانين اللازمة لتنظيم اقطاعات القبائل العربية بإفريقية وعفا عن الممالك الغز ورئيسهم شعبان واستألفهم وضمهم إلى جنده(2). وفي سنة 588 هـ 1192 م اصطحب أبو يزيد عامل المنصور على إفريقية في رحلته إلى مراكش عاصمة الخلافة وفودا من شيوخ عرب سليم ورياح لمشاهدة عز الدولة وبهاثها وغناها الذي يثير الإعجاب، وليشعرهم في نفس الوقت بقوة الدولة، وشدة بأسها فأقاموا بالمدينة ثمانية أيام ضيوفا على الخليفة، ثم التحقوا بفاس حيث بحثوا معه شؤون بلادهم، وأعلنوا له التزامهم بطاعته وعادوا إلى إفريقية بعد أن أنعم عليهم ووصلهم(3). ويبدو أنه عندما استولى المنصور على قابس انضمت عرب زغبة إلى يعقوب المنصور في تلك الفترة بسبب ما كان بينهم وبين رياح من عدااء شديد حيث نقل الموحدون حميان من جملة بني يزيد بن زغبة إلى المغرب الأوسط(4)، وربما لم يكن سبب انضمام بني رياح لبني غانية كافيا لإعلان بني زغبة ولائها وتحالفها مع الموحدين، بل حددت زغبة موقفها من الموحدين بعد أن لاحظت أن ميزان القوة غير

(1) ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 110 و 122

* الأدارسة: نسبة إلى إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، الذي خرج من المشرق لما ينس من نجاح مطلب آل البيت هنالك، ونجا بنفسه من اضطهاد العباسيين إلى المغرب، وقد علم يومئذ ضعف سلطانهم به، وانحرفوا أهله عنهم، فقصده ونزل بمدينة ويلي بالمغرب الأقصى، وأسس دولته سنة 172 هـ - 177 هـ، وكان المغرب الأقصى تحت نفوذ قبيلتين من قبائل زناتة

(2) د. السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير - ج 2 - ص 805

(3) د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ج 3 - ص 603

(4) العبر: ج 6 - ص 41 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 165

متكافئ بين الدولة الموحدية وبني غانية بسبب قوة الدولة الموحدية العسكرية. وفي رواية ابن خلدون التي ذكر فيها أن زغبة نزعت إلى الموحيدين وانحرفوا عن بني غانية، ونزعوا حق نزوعهم، واتصلت مجالاتهم ما بين المسيلة وقبلة تلمسان في القفار(1). ويبدو أن علاقة حميان من جملة زغبة ببني بادين كانت علاقة تحالف وعصية، وتوطدت منذ أن كانت زغبة وبنوبادين بطرابلس(2)، وبعد أن انتهت الصراعات بينهم والتي لم تكن في واقع الأمر سوى اختلاف حول المراعي وموارد الماء، نظرا لتشابه حياة البدو بين بني زغبة وبني بادين من زناتة، ولم تكن الصراعات بينهما ذات طابع سياسي أو أيديولوجي(3)، والتي غالى فيها كثير من المؤرخين الذين أعطوا لهذه الصراعات صبغة سياسية؛ لأن بني زغبة لم تكن لهم أهداف سياسية يريدون تحقيقها، ثم ازدادت العلاقة بينهما خاصة بعد أن انضم بنوبادين إلى الدولة الموحيدين وكذلك زغبة التي أعلنت ولاءها للموحيدين، فالمصلحة المشتركة بينهما والهدف الواحد هو الذي عزز هذه العلاقة. من هم بنو بادين؟ وهم بنو عبد الواد وتوجين ومصاب وبنوزردال وبنوراشد، وكانوا شيعة الموحيدين منذ قيام دولتهم، فكانوا أقرب إليهم من أبناء عمومتهم بني مرين، وكانوا يجوبون أرياف المغرب الأوسط وتلوله بحرية عن غيرهم من زناتة(4). ويقومون برحلة الصيف بما لم يؤذن لأحد ممن سواهم في مسه، حتى أنهم كانوا من جملة قوات الموحيدين وحاميتهم، وكانوا يخضعون إلى صاحب تلمسان من سادة القراية(5). ولما انعزلت زغبة عن بني هلال التي كانت من جملتهم نزلت مع بني بادين

(1) العبر: ج 6- ص 40- السلاوي: الاستقصا- ج 4- ص 165- مبارك بن محمد المليي: المرجع السابق- ج 2- ص 200

(2) نفسه: ج 6- ص 41- ابن الأحرر: تاريخ الدولة الزيانية- ص 45- رايح بونار: المغرب العربي- ص 280

(3) نفسه: ج 6- ص 41- Rachid Bourouiba : L'art religieux musulman-Sned-1981-p71

(4) العبر: ج 6- ص 41- ابن الأحرر: تاريخ الدولة الزيانية- ص 45

(5) نفسه: ص 41- د. حسين مؤنس: المغرب العربي وحضارته- ج 2- ص 603

واتجهوا جميعاً إلى قبلة المغرب الأوسط (1). من مصاب إلى جبل راشد، بعد أن كانت قسمتهم الأولى بقابس وطرابلس (2). وصاروا إلى هذا الوطن لمواجهة بني غانية. وانحرفت زغبة عن بني غانية، وأعلنت ولائها إلى الموحدين، وانعقد ما بينهم وبين بني بادين حلف على الجوار، والذود عن المغرب الأوسط والأقصى وحمايته من معرة العدو في احتيال غرته، وانتهاز الفرصة فتعاقدوا على ذلك واجتوروا، فأقامت زغبة في القفار وبنوبادين في التلول والضواحي، ولما تلاشت دولة الموحدين أصبحت بعض بطون بني زغبة ومنها سويد شيعة لبني عبدالواد (3). ويبدو أن حميان شاركت من جموع بني زغبة إلى جانب جيش يعقوب المنصور، الذي فتح رفقة حلفائه من عرب زغبة بقية أقاليم إفريقية، ثم نقل يعقوب المنصور من كان بها من أتباع ابن غانية. وذويه في البحر إلى تونس، ثم اتجه بجيشه إلى توزر فاستولى عليها، وقتل من وجد بها، ثم إلى قفصة التي احتلها أياماً حتى أعلنوا الطاعة، وقتل من كان بها من قوات ابن غانية أو الموالين لهم وهدم سورها وأبقى على أهلها، وجعل أملاكهم بأيديهم، ولما انتهى من أمر قفصة هض يعقوب المنصور إلى عرب إفريقية التي أعلنت ولائها إلى ابن غانية ففتك بهم واستباح حللهم وأموالهم وشردهم في كل اتجاه حتى جاءوا خاضعين، فنقل منهم خاصة أهل الفتنة والخلاف إلى المغرب الأقصى، ورجع إلى مراكش في رجب سنة أربع وثمانين وخمسمائة (4) يفهم من رواية ابن خلدون أن حميان من جموع بني يزيد بن زغبة كانت مستقرة ما بين طرابلس وقابس إلى غاية ظهور بني غانية في إفريقية، فانضمت زغبة إلى الموحدين وبالتالي نقل الموحدون بني

(1) العبر: ج 6-ص 41-عبدالقادر المشرفي: هجرة الناظر-ص 23- رابح بونار: المغرب العربي-ص 280- مبارك بن محمد

الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج 2-ص 201

(2) العبر: ج 6-ص 41-Noël: op.cit.p138

(3) نفسه: ص 45-د. مصطفى أبوضيف عمر: القبائل العربية-ص 225

(4) العبر: ج 6-ص 41

زغبة إلى المغرب الأوسط وأنزلوهم في المنطقة الممتدة من المسيلة إلى قبلة تلمسان في القفر(1). وجاء في رواية ابن خلدون القفر ربما كان يقصد الهضاب العليا الغربية موطن حميان الحالي. فأقطع الموحدون حميان من جملة بني يزيد بلاد حمزة والدهوس*. وبني حسن من أوطان بجاية، فاستقروا هناك وقاموا بحماية بجاية من بربر زواوة وصنهاجة(2) وذلك خوفاً من التحالف زواوة مع بني غانية، الذين كانوا يستغلون غياب الخليفة الموحيدي عندما كان منشغلاً بحروب الأندلس وكذلك لحماية أبناء الخليفة الذين كانوا يتناوبون على حكم بجاية؛ لأن أول مدينة نزل بها بنو غانية بعد مجيئهم من ميورقة إلى المغرب الأوسط هي بجاية، فهذه المدينة في نظر الموحيدين، كانت تشكل مدينة هامة واستراتيجية في الصراع الموحيدي وبني غانية من جهة والصراع الموحيدي الحمادي من جهة أخرى، وبالتالي كان لابد على الموحيدين تشديد الرقابة على هذه المدينة التي كانت عاصمة الحماديين، وبالتالي وضع الخليفة الموحيدي المنصور حميان من جموع بني يزيد في منطقة بجاية، ربما لكثرة عدد بني يزيد الذين يتميزون بالشرف والعزة، واحتمالا كان اختيار الخليفة الموحيدي بني يزيد في هذه المنطقة الحساسة لهذا الغرض، وفي الوقت نفسه حماية وحراسة بجاية والذود عنها في حالة أي خطر يهدد أمن بجاية من بني غانية الذين كانوا يتربصون بالموحيدين وحلفائهم. ولكن كيف وصلت زغبة إلى ما بين المسيلة وتلمسان؟ وكيف نزلت حميان من جموع بني يزيد إلى منطقة حمزة والدهوس ببجاية؟ اختلف المؤرخون والباحثون حول الطريق الذي اتبعته حميان من جموع بني زغبة عند دخولها إلى المغرب الأوسط في عهد الموحيدين.

(1) العبر: ج 6 - ص 41 - عبد القادر المشرفي: بحجة الناظر ص 26 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 200

(2) العبر: ج 6 - ص 41 - عبد القادر المشرفي: بحجة الناظر - ص 26

* حمزة والدهوس: هي مناطق تقع ببجاية. ينظر إلى: عبد القادر المشرفي: بحجة الناظر - ص 23

فذهب بعض المؤرخين والباحثين أن حميان من جملة بني زغبة دخلت عبر سببية ثم تبسة وانتشروا جنوب الأوراس بقرى الزاب وهي جهة الصحراء حيث كانت تستقر زناتة بجيامها (1). ويؤيد هذا الاتجاه نوال (Noël) بقوله: "... إن المصادر الشفاهية التي سجلتها ليست دقيقة وعلمية، ومن ثمة بحثت عن أسلوب منهجي يمكن من خلاله تتبع الهجرة الكاملة لحميان منذ دخولها إلى إفريقية، وإلى غاية وصولهم إلى الموطن الذي يستقرون فيه حاليا وهو الهضاب الوهرانية، ويقول أنني أعرف وبصورة دقيقة أنه في سنة 1048م اخترق الغزو الهلالي إفريقية، وكانت زغبة التي تنتمي إليها حميان تستقر بطرابلس حسب ابن خلدون ومن المعروف أن زغبة نزحت إلى قابس، ثم نزحت إلى جنوب الأوراس وربما كانت زغبة تسكن على وادي إيتال (Itel) قرب بسكرة سنة 1150م..." (2). وكانت أسبق منه في سواها، وربما هي الأثج وعدي واحتمالا بعض بطون من زغبة حسب ما ذكره إسماعيل العربي (3)، والجهة الثانية وهي جهة الهضاب ما بين الأطلسين التلي والصحراوي حيث كانت تستقر الدولة الحمادية قائمة ودخلها بنو هلال عبر الإريس وانتهوا إلى وادي الساحل (4) ربما حسب ما يذكر بعض المؤرخين والباحثين دخلت حميان من جملة بني زغبة إلى المغرب الأوسط من جهة الصحراء عبر منطقة وادي سوف، ثم اكتسحت منطقة الزاب ووصلوا إلى ورقلة وتفاعلوا مع سكانها تفاعلا إيجابيا، ووصلوا إلى غرداية والأغواط وأفلو والمشرية والنعامة وعين الصفراء وجنين بورزق (2)، وما زالت عاداتهم وتقاليدهم واضحة

(1) مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج2 - ص200 - د. عبد الحليم عويس: المرجع السابق - ص177 -

إسماعيل العربي: دولة بني حماد القلعة - ص164 - د. مصطفى أبو ضيف عمر: القبائل العربية - ص22

(2) ينظر إلى: Les Documents pour servir à l'histoire de hamayan.p138

(3) ينظر إلى دولة بني حماد القلعة - ص164 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج2 - ص188

(4) مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق - ج2 - ص188

إلى اليوم (1)، واحتمالا أن حميان من جملة بني يزيد قد نزحت إلى بجاية عبر المسيلة، بعدما أن تم اختيارها كقوة عسكرية، أو كل لها الموحدون حراسة مناطق زاوية وبني غانية. وبعد أن عجز الجيش الموحد قام حميان من جموع بني يزيد بها، وكافأهم الدولة الموحدية بالإقطاعات الكثيرة بجوار بجاية وتمكنت حميان من جملة بني يزيد من الاستقلال بأوطانهم (2)، وأصبحوا يتحكمون ويتصرفون في جبايتها التي كانوا يأخذونها من زاوية وصنهاجة بجاية وضواحيها (3)، وبقيت حميان مستقرة مع بني يزيد بهذه المنطقة إلى غاية أن دب الضعف بالدولة الموحدية، وتأسست دولة بني عبدالواد حيث استدعى يغمراسن بن زيان قبيلة بني عامر، وتبعها حميان التي انزلت عن بني يزيد سنة 633 هـ - 1236 م إلى صحراء تلمسان لمواجهة عرب المعقل (4). خلاصة القول أن حميان من جملة بني يزيد ارتبط تاريخها منذ دخولها إلى المغرب الأوسط بتاريخ دولة الموحدين خاصة في عهد الخليفة يعقوب المنصور، وهو الذي كان سببا في دخولها إلى المغرب الأوسط، والغالب على الظن أن حميان من جملة بني يزيد خاضت إلى جانب الموحدين جل الحروب التي اندلعت بالأندلس ضد النصارى، كما ساهمت في حماية بجاية من بني غانية وحلفائهم. توفي يعقوب المنصور، وبويع ابنه وولي عهده أبو عبدالله محمد وكان يلقب بالناصر لدين الله 595 هـ - 610 هـ - 1199 م - 1213 م (5)، وفي عهده انتكست صورة التحالف الموحد العربي، فأصبح سوريا بقدر ما يحفظ على العرب استقلالهم الذاتي، ويبرر خروجهم على طاعة الخليفة بمراكش.

(1) عبدالحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي في الجزائر - ص 23

(2) نفسه: ص 23

(3) نفسه: ص. ص 195-196

(4) العبر: ج 6 - ص 348 - د. مصطفى أبو ضيف عمر: القبائل العربية - ص 225

(5) ابن عذاري: البيان - ج 4 - ص. ص 207-208

ما إن توالى أخبار إفريقية بثورات الموحدين وبسط نفوذهم على مدنها، وتحالفهم مع يحيى بن غانية، فتحركت جيوش الموحدين بقيادة أبي الحسن بن أبي حفص ومعظم جنده من قبائل العرب (1). وربما كان من بينهم حميان من جملة بني يزيد من بجاية إلى قسنطينة، حيث تقابل الجبشان وخيانة العناصر العربية المعادية في الجيش الموحدى وإفشائهم لأسرار مضاربه وانسحابهم المفاجئ من المعركة منادين بوقوع الهزيمة مغيرين على مضارب قائد الجيش ليسلبوه ماله وأثاثه، أهدت القبائل العربية وبنو غانية بالجيش الموحدى من كل جانب حتى فر إلى حصن قسنطينة (2). وكانت الهزيمة مريعة اضطر الخليفة إلى إرسال أبي زيد واليا على تونس بدلا من أبي الحسن، وأخذت جيوشه تزحف من تلمسان إلى بجاية ثم قسنطينة محققا بعض النصر على العناصر العربية الثائرة في نواحيها (3)، ولكنه أدرك عندما عاين جيوش إفريقية المتحالفة أنه لا قبل له بمواجهتها فانسحب سريعا إلى فاس (4). ثم انتقلت القوات الموحدية مرة أخرى إلى إفريقية فانسحب أمامها العرب وبنو غانية من تونس دون قتال، وفي سنة 601 هـ - 1204 م تتبعهم الخليفة الناصر إلى المهديّة، حيث تركوا بعض قواتهم لحمايتها وتوجهوا إلى نواحي الجريد وحوصر العرب بالمهديّة لمدة أربعة أشهر برا وبحرا، ولكنهم تمكنوا من الصمود (5). وقام عرب سليم ورياح المستقرين في نواحي الجريد لمساعدتهم وشد أزهرهم فارتحلوا بأهليهم وأثقالهم حتى وصلوا نواحي قابس، فعلقوا الإبل وأوقعوا الطعائن، ليقاتلوا دونها كالحصون (6). ويكون دفاعهم عنها

(1) البيان: ج 4 - ص 207-208 - د. مصطفى أبو ضيف عمر: القبائل العربية - ص 225

(2) العبر: ج 6 - ص 348 ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 194-195 - د. السيد عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير - ج 2 - ص 805 -

د. مصطفى أبو ضيف عمر: القبائل العربية - ص 225

(3) البيان: ج 4 - ص 209-213 - د. مصطفى أبو ضيف عمر: القبائل العربية - ص 225

(4) العبر: ج 6 - ص 348

(5) البيان: ج 4 - ص 209-213

(6) العبر: ج 7 - ص 348

أشد حماسا وأكثر صدقا، فلا يفرون ومع ذلك فقد انهزموا (1). وقتل شيوخهم ومنهم جبارة وكاتبه اللمطي وعامله الفتح بن محمد (2)، الموحدون أسلابا أضاع العرب عشرين سنة في جمعها من طرابلس إلى بجاية، وغنم وفي نفس الوقت استسلم عرب المهديّة وعاد الناصر إلى تونس في سنة 603 هـ - 1206 م، ليعيد الهدوء إلى إفريقية وينظم شؤونها، ويعمل على إصلاح مافسد من أرضها وزيادة مزارعها حتى تستقر القبائل بها (3). ولم يستسلم ابن غانية للهزائم التي مني بها أمام الموحدين خصوصا بعد أن ناصرته عرب الذواودة من رياح بقيادة محمد بن مسعود البلط وغيرهم من أعراب بني سليم وتمكن من مواجهة الجيش الموحد بقيادة أبي محمد بن أبي حفص بنواحي تونس، وأثبت العرب كفاءة واضحة في الهجوم والضغط على ميسرة الجيش الموحد حتى فر من بها من الممالك الغز والعرب، ولكن ثبوت أبي محمد بمركزه في قلب الساقة مكنه من انقاد جيشه من هزيمة محققة والانتصار على أعدائه في سنة 606 هـ - 1209 م مما اضطر زعماء القبائل الغربية وأتباعهم للفرار إلى طرابلس. وأوقعت الهزيمة الرعب في قلوب العرب الأفارقة المستقرين بالبلاد (4). وفي سنة 607 هـ - 1210 م أغار أبو محمد عبدالواحد على قبائل سليم وغنم أموالهم وأسر شيوخهم بتونس رهينة ليرغم أتباعهم على الطاعة والتخلي عن مناصرة بني غانية الذين تولى محمد بن عبدالسلام والي طرابلس أمورهم.

(1) البيان - ج 4 - ص 224-225، وقد سبق وأن تم القضاء على قوة بني غانية بعد استيلاء الخليفة الناصر على جزر البليار، وقتل عبدالله بن إسحاق بن غانية أميرها في سنة 599 هـ - 1203 م، فالتحق معظم فرسان بني غانية بالجيش الموحد، وتزوج الموحدون من نسائهم. ينظر إلى المراكشي: المعجب ص 211 وأحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب - ص 367-368.

(2) العبر: ج 6 - ص 348 - أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب - ص 367-368.

(3) البيان - ج 4 - ص 226 - المراكشي: المعجب - ص 211.

(4) نفسه: ص 230.

فهاجمهم بجوار جبل نفوسه وسلب عتادهم (1). مما دفع بنو غانية وأنصارهم من عرب بني ذباب إلى منافسة قراقوش الأرمني على ما بيده من بلاد فزان، فحاصروه بودان حتى فني طعامه واضطره للتسليم وقتل هو وابنه وصلب خارج المدينة في سنة 609 هـ - 1212 م (2). وأخذ عرب ذباب بثأر شيوخهم الذين غدر بهم قراقوش بقصر العروسين بقابس، ولا شك أن هذه الاضطرابات التي لعبت فيها القبائل العربية دورا واضحا في إفريقية أدت إلى تعيين أبي حفص واليا دائما على إفريقية (3)، مما ساعد على تدعيم النفوذ الموحيدي في تلك الجهات وكذلك الدولة الحفصية المستقلة (4).

خلاصة القول: يستخلص من خلال ماسبق ذكره أن القبائل العربية الهلالية انشقت على نفسها في الصراع الزناتي الصنهاجي وكذلك في النزاع الموحيدي المرابطي، والغالب على الظن أن حميان من جملة بني يزيد بقيت على ولائها للموحدين بعد وفاة الخليفة يعقوب المنصور، ولا شك أنها شاركت إلى جانب الخليفة الناصر الموحيدي ضد القبائل العربية الثائرة في إفريقية، وكذلك ضد بني غانية وحلفائهم إلى غاية سقوط الدولة الموحدية. وقيام الدول الثلاث الحفصية والمرينية والزيانية. ولما احتاج يغمراسن بن زيان إلى سيوف بني عامر بعد أن ظهر عبث المعقل (5). أما من الجانب السوسيلوجي يمكن إسقاط نظرية العمران البشري فيما يتعلق بالعصبية في تأسيس الملك وبناء الدولة بحيث اعتمد الموحدون على عصبية بني هلال وزناتة، وعندما ضعفت هذه العصبية سقطت دولة الموحدين، لأنها بلغت مرحلة الهرم والانقراض، وقامت مكانها ثلاث دول.

(1) التيجاني: رحلته - ص 110 - البيان - ج 4 - ص 230

(2) نفسه: ص 110 - أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب - ص 367 - 368

(3) البيان - ج 4 - ص 230 - نفسه: ص 367 - 368

(4) المراكشي: المعجب - ص 211 - البيان - ج 4 - ص 230

(5) العبر: ج 6 - ص 42 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر - ج 2 - ص 178

الفصل الخامس: هجرة بنوعامر وحمياؤ إلى صحراء تلمساؤ وكونهم في إمارة بني زياؤ

المبحث الأول: علاقة بنوعامر وحمياؤ ببني عبد الواد

أ- لمحة تاريخية عن بني عبد الواد

ب- أسباب استدعاء يغمراسن لبني عامر وحمياؤ

ج- كون بنوعامر وحمياؤ في دولة بني عبد الواد (1236م - 1359م)

المبحث الثاني: كون بنوعامر وحمياؤ في عهد الإمارة الزيانية

كون بنوعامر وحمياؤ الحسكري في عهد أبي جمو موسى الثاني

ما بين 1359م و1390م

أ-لمحة تاريخية عن بني عبد الواد: قبل دراسة دور بني عامر وحميان في دولة بني عبد الواد، لابد من الإشارة إلى تاريخ بني عبد الواد وظروف تأسيس إمارتهم في المغرب الأوسط؛ لأن حميان وبني عامر بن زغبة كانت تربطهم ببني عبد الواد علاقة تحالف منذ قيام دولة الموحيدين وظهور بني غانية فاتفقوا على حماية المغرب الأوسط من بني غانية وأتباعه من عرب بني هلال وغيرهم من الموالين لهم. يصنف ابن خلدون بني عبد الواد ضمن الطبقة الثانية من زناطة (1)، وهم أبناء بادين بن محمد، وهم إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد، وكان يتولى رئاستهم يوسف بن تكفا، ويعود نسبهم إلى زحيك بن واسين بن ورشيك بن جانا، وكان إخوانهم مستقرين بمنطقة مصاب وهي منطقة غرداية حالياً، وجبل راشد الذي يعرف اليوم بجبل العمور وفقيق وملوية (2)، وكان عبد الواد وإخوانهم في صراع مع أبناء عموماتهم بني مرين لأسباب لا تعدو أن تكون حول المراعي ومنابع المياه والرئاسة؛ لأن هذه القبائل كانت بدو رحل تشبه في حياتها حياة عرب بني هلال، وكانت تجمع بين بني عبد الواد وبني راشد ومصاب وبني زردال الروح القبليّة والعصبية باستثناء بني توجين، وكان بنو عبد الواد يقومون برحلة الشتاء والصيف (3)، كانت رئاسة بني عبد الواد في بني القاسم أو أيت القاسم لشدة شوكتهم واعتزاز عصبته، فكانوا بطونا كثيرة فمنهم يكتمين وعمر وأعدوي بن يكتمين الأكبر ويقال الأصغر، ومنهم عبد الحق بن منغفاد وأعدوي بن يكتمين ونصرحة

(1) العبر: ج 7-ص 51. د. عبد الحميد حاجيات: أبوهوموسي-آثاره-المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984-المرجع السابق-

ص 13-د. مصطفى أحمد عمر أبوضيف: المرجع السابق-ص 151

(2) أحمد بن عبد الرحمن الشقراني: القول الأوسط-ص 50-د. يحي بوعزيز: المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني الواد الزيانية (1236م-1554م)-مقالة-مجلة الأصالة-العدد 26-جويلية-أوت-1975-ص 13-رابع بونار: المرجع السابق-ص 279-عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق-ج 2-ص 115 و 144 و 269-مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق-ج 2-

ص 347 و 394-عثمان العكالك: موجز تاريخ الجزائر-مطبعة العرب-تونس-1925-ص 330 و 418

(3) العبر: ج 7-ص 52-مبارك بن محمد المرجع السابق-ج 2-ص 347 و 394

وبنوتومرت، وبني مطهر وبني علي، وبنوطاع الله، وهذا الفرع الأخير هو الذي أسس دولة بني عبدالواد، بينما ذكر يحيى بن خلدون "... فكانت شعبهم ستا وهم بنو مطهر بن يمل ابن يزجن* بن القاسم، وبنوعزان بن مسعود يكرimen الأكبر بن القاسم، ويضاف إليهم أولاد عمر ويكرimen الأصغر أخوي أبيهم وعزان، وبنودلول بن علي بن يمل بن يزجن بن القاسم وبنومعطي بن جوهر بن علي بن يمل، وبنوحمي بن علي بن يمل وبنوطاع الله بن علي بن يمل وفي عقب محمد بن زجدان بن يندوكس بن أطاع الله هذا لملك وأولاده ثلاثة تلبت أبوزيان والد يغمراسن، ويوسف أبو جابر المملك الأول ومجن..." (1). فبنو القاسم أولادهم الذين حازوا شرف النسب وكرم الأبوة وفخر الملك القديم والحديث (2). وذكر أن بني عبدالواد التي أقطعها الموحدون بلاد ومانو بتلمسان، حاول البعض رفع نسبه إلى الأدارسة، وقيل أن تسميتهم بالزيانيين نسبة لجدهم لأبيهم زيان بن ثابت بن محمد بن زيدان بن يندوكس بن طاع الله بن علي ابن يمل بن يزجن بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (3). أما تسميتهم ببني عبدالواد نسبة لجدهم لأهمهم عبدالواد بن بادين بن محمد بن زحيك بن واسين، وعبدالواد أصله عابد الوادي رهبانية عرف بها جدهم من ولد سجيح بن واسين ابن يصليق بن مسرى بن زاكيا (4). ابن رسيح بن مادغس

* يوجد بغرداية هذا الفرع من زتاة يسمى ببني يزجن أو يزقن ربما ينسب إلى بني عبدالواد الزيانيين.

(1) بغية الرواد: ج1 ص190 - رايح بونار: المغرب العربي ص279 د. مصطفى أبو ضيف عمر: القبائل العربية ص151

(2) أبو هو موسى بن يوسف: واسطة السلوك في سياسة الملوك - تونس - 1279 هـ - ص16 - عبدالرحمان بن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا - نشر محمد بن تاريت الطنجي - القاهرة - 1951 - ص62 - يحيى بن

خلدون: بغية الرواد - ج1 - ص190 - ابن عودة المزاري: طلوع سعد السعود ج1 - ص240

(3) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج2 - ص184 و09 - ابن عودة المزاري: طلوع سعد السعود - ج1 - ص240

(4) ابن عودة المزاري: طلوع سعد السعود - ج1 - ص240 - رايح بونار: المغرب العربي: المغرب العربي - ص134

الأبتر بن قيس عيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (1). وقال المازري نقلاً عن التنسي في نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان "...والقاسم جد أمير المؤمنين المتوكل، اتفق النسابون على أنه من ولد عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولكن اختلفوا في طريق اتصاله بها..." (2). ولم يكتف بنو عبدالواد بتأكيد نسبهم إلى آل إدريس وبل تقربوا إلى العلويين وحيث كانت لهم قرية من أعمال تلمسان تعرف بقرية العلويين، وقد عمل أبو هو موسى بن يوسف على تدعيم هذه الصلة، فزوج ابنته للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسيني ويعرف بالعلوي وبنى له مدرسة بتلمسان للانتفاع بعلمه ودرسه حتى توفي سنة 771هـ - 1369م وكان بنو عبدالواد فرعاً من زناتة طرابلس، ثم اندفعوا غرباً أمام التزوح الهلالي، واستقروا في منطقة الزاب ونزحوا إلى شمال الصحراء والهضاب العليا الغربية، وعاشوا نحو قرن من الزمن حياتهم البدوية، وعندما استولى الموحدون على تلمسان ونواحيها، انضم بنو عبدالواد بجميع بطونهم وهي بنو يكتين وبنو لولو وبنو رصطيف، وبنو القاسم إلى عساكر الموحدين وأصبحوا في خدمة عامل تلمسان أبي حفص الموحدي كلما احتاج إلى سيوفهم، وكان من أعظم هذه الخدمة بذل كل ما في وسعهم لمنع سقوط تلمسان في أيدي بني غانية الموالين لدولة المرابطين التي قضى عليها الموحدون، وأقاموا دولتهم على أنقاضها (3). فكافأهم خليفة الموحدين على ذلك،

(1) العبر: ج 7 - ص 51 - يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 1 - ص 240 - ابن عودة المازري: طلوع سعد السعود - ج 1 - ص 241 -

رايح بونار: المغرب العربي - ص 281

(2) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ص 240

(3) ابن الأحرار: تاريخ الدولة الزيانية - تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة ط 1 - مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع - الإسكندرية - 2001 - ص 10 - د. عبد الحميد حاجيات: تاريخ المغرب الأوسط - الجزائر في التاريخ - ج 3 - للمؤسسة الوطنية للكتاب - 1984 - ص 384 - د. عطاء الله ذهينة: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن - الجزائر في التاريخ - ج 3 - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1984 - ص 359

وربما ينتسب سكان قصور بني عامر إليهم، فهم موزعون اليوم على مدن المشرية وعين الصفراء والبيض، حيث يطلق عليهم تسمية الشلوح أو القصوريين* تربطهم علاقة نسب ببني عبدالوادر، أو ربما يمثلون بطن من بطونهم؛ لأن بني عبدالوادر كانوا بدو رحل يجوبون منطقة الأطلس الصحراوي، وبالتالي فهذه المنطقة ليست غريبة على بني عبدالوادر، أو احتمالا يعود ذلك إلى فترة لجوء بني عبدالوادر إلى القفر عندما كانت تسقط عاصمتهم تلمسان، ويطول حصار بني مرين لها، خاصة في عهد أبي حمو الثاني، ضف إلى ذلك أن هناك بعض العائلات تحمل اسم زيان، تتكلم اللهجة الزناينة التي تعرف باسم الشلحة، وهي لغة شبيهة بلغة أهل مزاب فاحتمالا تنتسب إلى بني زيان، وهذه العائلات كانت تسكن ولا تزال قصور بوسمغون وأربا والشلالة* الظهرانية والفوقانية، ومما يدفع إلى صحة هذا القول أن قصور بوسمغون والشلالة وغيرها، كانت تتجدد في تأسيسها باستمرار خاصة في عهد إمارة بني عبدالوادر الزيانية في القرن الرابع والخامس عشر الميلادي، بفن معماري يحمل بعض موصفات الفن المعماري في تلمسان؛ وتجدر الإشارة هنا أن بني هلال الذين سكنوا هذه القصور والتي سماها ابن خلدون بقصور بني عامر(1). لم تسمح لهم ظروف الحياة البدوية وخصائص المجتمع البدوي على إحداث تطور عمراي وتشيد القصور والقرى.

* يتميز هؤلاء القصوريون بصفات قبائل الزناينة، إلا أنهم أخذوا عن قبائل بني هلال بعض الصفات العربية، بسبب الاندماج والتفاعل الاجتماعي، وكانوا يمارسون النشاط الزراعي ولا يزالون قرب قصورهم، وتغير نشاطهم الاقتصادي بعد دخولهم إلى مدن المنطقة وهي المشرية وعين الصفراء والبيض، بحيث أصبحوا يمارسون النشاط التجاري.

* قصر الشلالة: وهي تمثل قصرا من قصور بني عامر، تنقسم الشلالة إلى قسمين: الشلالة الظهرانية والقبالية، وتبعد الشلالة الظهرانية عن القبالية بنحو 6 كلم، ويتشكل سكانها من زناينة، تقع قصور الشلالة شمال قصر بوسمغون، وتبعد الشلالة الظهرانية عن قصر بوسمغون بنحو 15 كلم.

(1) ينظر إلى العبر: ج 6 - ص 52 - عبد القادر المشرفي: مهجة الناظر - ص 25 - مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 373.

ولو أن هناك آثارا لبعض القصور منهارة، يسميها أهل المنطقة بآثار بني عامر توجد بعين توسيرة، وتواجرو بجبال عين بوداود وتيوت وهذه الآثار تقع بموطن حميان. وأربما يعود نسب سكان قصور بني عامر إلى مضغرة من قبائل زناتة التي كانت تجوب منطقة فقيق إلى مصاب التي ذكرها ابن خلدون بقوله: "...ومن قبائل مضغرة أيضا بصحراء المغرب كثيرون ونزلوا بقصورها واغترسوا شجرة النخيل على طريقة العرب، فمنهم بتوات... ومنهم في قبلة تلمسان وعلى مراحل قرى أخرى متتابعة على سمتها متصاعدة قليلا إلى الجوف آخرها على مرحلة من قبلة جبل راشد وهي في مجالات بني عامر من زغبة، وأوطانهم في القفر، وقد تملكوها لحظ أبنائهم وقضاء حاجاتهم حتى نسبت إليهم في الشهرة..." (1). وهذه القصور تمتد على خط واحد من الجنوب الغربي من فقيق إلى البيض إلى الشمال الشرقي. ماهي الظروف التي تأسست فيها إمارة بني عبدا لواد؟ بعد هزيمة الجيش الموحي في معركة العقاب سنة 609هـ - 1212م تفككت الدولة الموحدية، وتصدعت السلطة وتأزم الوضع بين أمراء أسرة عبدالمؤمن والشيوخ رؤساء القبائل المناصرة للدعوة الموحدية، واشتدت هذه الأزمة السياسية خاصة بعد وفاة العادل سنة 624هـ (2)، وتعيين إدريس المأمون على عرش الموحدين أدى إلى اندلاع نزاع عنيف بعد أن ظهر يحيى المعتصم كمنافس للمأمون بتأييد من شيوخ القبائل، ولم تنته هذه الفتنة إلا بوفاة يحيى المعتصم سنة 633هـ (3).

(1) ينظر إلى: العبر - ج 6 - ص 120 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 178

د. مصطفى أبوضيف: عمر: القبائل العربية - ص 153

(2) العبر: ج 7 - ص 72 - وعرفت دولة بني عبدالواد بدولة بني يغمراسن باعتباره أول ملوكها وبدولة بني زيان أو الزبانية نسبة إلى اسم والده - ينظر إلى أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس - ص 197 - 198 د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزباني - ص 11 - د. يحيى بوعزير: المراحل والأدوار - ص 13

(3) العبر: ج 7 - ص 72 وما بعدها - القلقشندي: صبح الأعشى - ج 5 - ص 149 - أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب - ص 198 - رابح بونار: المغرب العربي - ص 280

وفي تلك الفترة كان نفوذ السلطة الموحدية قد ضعف في إفريقيا والمغرب الأوسط، حتى لم يبق بها من المناطق الخاضعة لها سوى تلمسان ومايليهما، وكانت حدود إمارة بني عبدا لواد غير ثابتة. إذ أنها كانت تضيق وتتسع حسب قوة جيرانها من بني حفص شرقا وبني مرين غربا، إلا أنه يمكن القول بأن حدودها كانت تمتد طولا من البحر المتوسط شمالا، إلى صحراء المغرب الأوسط جنوبا وعرضا من جبال سعيدة ووادي مينا شرقا إلى وادي ملوية ومدينة وجدة غربا(1). وعندما ضعف أمر بني عبد المؤمن بما بينهم من الفرقة تطاول بنو عبد الواد إلى الاستيلاء على تلمسان لقربهم منها، فجاسوا خلالها، وأوجفوا عليها بالخيول والركاب، واحتاز كل منهم جانبا من تلمسان، وأمن أهلها على خراج يؤديه إليها كل سنة، وأمرهم إلى كبيرهم جابر بن يوسف بن عم زيان والد يغمراسن(2)، وفي الوقت الذي أقدم فيه بنو حفص على إلغاء تبعيتهم للأسرة المؤمنية بإفريقية، استغلت مختلف القبائل الزناتية فرصة انهيار الدولة الموحدية. وأخذت تقتطع لنفسها أراضي التل الغنية، فاستقلت مغراوة* بناحية الشلف(3). واحتل بنو توجين* جبل الونشريس، وبنو راشد*

(1) د. مصطفى أبوضيف عمر: القبائل العربية - ص 151

(2) يحيى بن خلدون: بغية الروادج 1 ص 240 العبر: ج 7 ص 72. د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياتي - ص 12

(3) نفسه: ص 241 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى - ص 13

* مغراوة: قبيلة بربرية مركزها الأصلي بمواطن بني ورسيان ما بين مليانة وتنس، وملتقى وادي الشلف بوادي الفضة، بقي منها بطن يعرف بنفس الاسم جنوب غرب مستغانم، مجاورة لقبيلة عبيد الشراقة المخزنية، ومنهم الكنادرة، وأهل عين فرس، ومنهم أهل الكرد، وفرقة مينا، وأول من اختط مدينة وهران خزر المغراوي بن حفص بن صولات بن وزمارين صقلاب سنة تسعين من القرن الثالث. ينظر إلى: أحمد بن عبد الرحمان الشقراي: القول الأوسط - ص 50

* توجين: أصلهم من قبائل بني بادين، أحد شعوب زناتة - ينظر إلى العبر - ج 6 - ص 63 - أحمد بن عبد الرحمان الشقراي: القول الأوسط - ص 74 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 107

* بنو راشد: أصلهم من قبائل بني بادين، أحد شعوب زناتة، ومنهم فرقة بأرض أولاد خالد تركوا وتناسلوا وهناك مدينتهم خرابا، وقد انقرض بعض من ذكر وبعضهم الندرج في القبائل، والبعض بقي معروفا، وتغير اسم الذي كانت تسكنه هذه القبيلة من جبل بني راشد على جبل العمور. ينظر إلى أحمد الشقراي: المصدر السابق - ص 52

الجليل الذي أصبح يسمى بهم وبنو عبدالواد الأراضى التابعة لتلمسان، ولم يستول بنو عبدالواد على تلمسان إلا بعد أن حدثت اضطرابات خطيرة بها. وثار أحد رجال لمتونة المستخدمين آنذاك في الجند على الوالي واعتقله، فكان دخول بني عبد الواد تلمسان سنة 627هـ بقيادة جابر بن يوسف خطوة أولى نحو تأسيس دولتهم (1). ثم تولى حكم الإمارة بعده ابنه الحسن سنة 629هـ، ثم من بعده أخيه عثمان سنة 630هـ 631هـ ثم إلى ابن عمه زيدان بن زيان 631هـ 633هـ واصطدم زيدان بمعارضة قوية من بعض عناصر قبيلته، فحاربهم ولكنه قتل أثناء معركة دارت رحاها خارج تلمسان سنة 633هـ فخلفه أخوه يغمراسن (2). من هو يغمراسن بن زيان؟ هو ابن ثابت بن محمد العبد الوادي أمير المسلمين، أبو يحيى أول من استقل بتلمسان من أمراء بني عبدالواد، وأسس دولة بني عبدالواد الزيانية. ولقب بيغمراسن ومعناه بلغة زناتة كثير المرق لكثرة جوده (3). ولد يغمراسن سنة 603هـ - 1206م، ببيع يوم مقتل أخيه زيان بن زيان في 24 ذي القعدة 633هـ - 21 جويلية 1236م (4)، صفته أبيض اللون، ربعة أشقر الشعر، وكان حازما سياسيا شجاعا ذا أخلاق فاضلة وهو الذي خلط زي البداوة بأبهة الملك في إمارة بني عبدالواد (5)، وكان شجاعا حليما متواضعا، وتمكن بفضل سياسته وحزمه من توطيد الأمن ونشر العدل وإزالة الاضطرابات (6)، وضروب المظالم التي كانت عليها تلمسان ونواحيها، ووقف في وجه السلاطين المجاورين له.

(1) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 1 - 241 - د، عبد الحميد حاجيات أبو هو موسى - ص 13

(2) د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزياتي - ص 13 السلاوي: الاستقصا - ج 4 - ص 278

(3) بن عودة المزاري: المصدر السابق - ج 1 - ص 162 - رابح بونار: المغرب العربي - ص 280

(4) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 1 - ص 241 - العبر: ج 7 - ص 72 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى - ص 13 - د. الدولة

الزيانية في عهد يغمراسن - ص 359 - عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام - ج 2 - ص 121

(5) رابح بونار: المغرب العربي - ص 292

(6) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 1 - ص 112

ورأى الناس كفاءته للسلطنة والإمارة فبايعوه بيعة عامة سنة 633هـ، وأذعن لحكمه القاضي والداني(1). وقد أشار يحيى بن خلدون على جهوده الكبيرة في تأسيس إمارة بني عبدالوادر، وتوطيد الأمن بها، وإزالة الاضطرابات التي كانت تهمز تلمسان ونواحيها فقال: "...والأرض يومئذ تموج بالسكان والهرج يثبو بالمساكن والفساد عمر الأقطار، وأنزج الأوطار والعنف قد سل الأشفار، فسكن الأرجاف وسمن بكلاً الهداية العجاف، وقبض العداء ومكن يد عزه من رقاب الأعداء، فجدد الملة وأشعرذي الخلافة الجلة..."(2). وكان رجلاً ذكياً تنبه إلى أن التجارة مورد خير كبير لإمارته، فأحسن معاملة التجار، وشارك هو وبعض أهل بيته في التجارة، وارتفع شأن التجارة والتجار، وكان يكثر في مجالسه العلماء والصالحين، حتى أصبحت هذه الإمارة من أقوى إمارات المغرب الإسلامي، وقد أثنى عليه عبدالرحمان بن خلدون الذي قال فيه: فوقع التسليم به والرضا عنه من سائر القبائل ودان له بالطاعة جميع الأمصار، وكتب الخليفة الرشيد بالعهد على عمله وكان ذلك سلماً إلى الملك الذي أورثه بنينه سائر الأيام(3). واتهم بعض المؤرخين يغمراسن بالضعف والجبن، وهذه قنمة بعيدة كل البعد عن الحقيقة(4). فقد كان من أقوى فرسان عصره. وقد وصفه لسان الدين بن الخطيب: أول أملاكهم يعمور ليت الشرى والبطل المشهور. تثني عليه حومة الميدان مالا مرئ بياسه يدان. لا في الجموع من بني مرين كالليث يحمي جانبه العرين(5).

(1) ابن الأحرر: تاريخ الدولة الزيانية-ص60

(2) ينظر إلى بغية الرواد-ج1-ص112

(3) العبر: ج7-ص.ص152-153-رابع بونار: المرجع السابق-ص292

(4) ينظر إلى: بغية الرواد-ج1-ص204-أحمد بن عبدالرحمان الشقراي: القول الأوسط-ص59

(5) ينظر إلى: بغية الرواد-ج1-ص112-عثمان العكالك: موجز تاريخ الجزائر ص347-عبدالرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر

العام-ج2-ص121

وصاهر بني حفص أصحاب تونس، فزوج ابنه عثمان بابنة إبراهيم بن عبدالواحد الحفصي، وخرج للقاءها بمليانة، بينما هو عائد أدركته الوفاة، في وادي شلف سنة 681هـ- 1283م وحمل إلى تلمسان فدفن فيها (1). وكانت مدة إمارته 44 سنة وخمسة أشهر وأثنى عشر يوماً*، وكان أسلافه يقولون أنهم من الأشراف، فسئل عن رأيه في صحة هذا النسب فقال: إن كان المراد شرف الدنيا فهو مانحن عليه، وإن كان القصد شرف الأخرى فهو عند الله (2)، وقد وصف لسان الدين بن الخطيب يغمراسن بأنه آية من الآيات في جرأته ورجولته ودهائه ومواقفه شهيرة وسلاحه في الجفوة مثل وسياسته عجيبة (3)، وقيل أنه قام بالملك أحسن قيام، واضطلع بأعبائه وأحسن السيرة في الرعية، واستمال عشيره وقبيله وأحلافه من زغبة بحسن السياسة والاصطناع وكرم الجور، واتخذ الآلة ورتب الجنود والمسلم واستلحق العساكر من الروم (4). وقال فيه عبد الرحمان بن خلدون "...كان يغمراسن من أشد هذا الحي بأسا وأعظمهم في النفوس، مهابة وجلالة وأعرفهم بمصالح قبيلته وأقواهم كاملا على حمل الملك واضطلاعا بالتدبير والرياسة، مهدت له بذلك آثار الملك هو بعده، وكان مرموقا بعين النجدة، مؤملا للأمر عند المشيخة، وتعظمه من أمره عند الخاصة ويفزع إليه في النوائب العامة..." (5). كيف تولى يغمراسن حكم إمارة بني عبدالوادر؟

(1) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 1 - ص 204 - ابن الأحرر: المصدر السابق - ص 59. د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزياتي - ص 13 - ربيع بونار: المرجع السابق - ص 280* وعند ابن الأحرر 50 سنة و 5 أشهر. ينظر إلى تاريخ الدولة الزياتية ص 60، وعند ربيع بونار 48 سنة. ينظر إلى المغرب العربي ص 292

(2) يحيى بن خلدون: ج 1 - ص 112 - ابن الأحرر: تاريخ الدولة الزياتية - ص 60

(3) العبر: ج 7 - ص 153

(4) ابن الأحرر: تاريخ الدولة الزياتية بتلمسان - ص 60

(5) ينظر إلى العبر: ج 7 - ص 162 - ربيع بونار: المرجع السابق - ص 292

يبدو أن بني عبدالواد قد سبقوا حميان وبني عامر في خدمة الموحدين، بينما تجلّى دور حميان وبني عامر في إمارة بني عبد الواد بحكم استقرارهم بصحراء تلمسان بعد أن ارتحلوا من شرق صحراء بني يزيد. مسك يغمراسن بالبيعة للرشيد بن المأمون الموحيدي، ثم حاول الاستيلاء على ناحية الشلف فاستغاث أمراء أبي زكرياء الحفصي (1). ونهض الأمير الحفصي بجيوشه إلى تلمسان فاحتلها سنة 640هـ، ثم رأى أن يعقد الصلح مع يغمراسن على أن تقام الخطبة باسمه دون الرشيد (2). وبعد ذلك زحف السعيد الموحيدي مابين سنتي 640هـ-646هـ بجيش قوي في اتجاه المغرب الأوسط، فتصدى له يغمراسن واعتصم بجبل جنوب وجدة (3)، وهناك وقع السعيد في كمين نصبه له جنود يغمراسن فقتل وانهمزم جيشه، وغنم بنو عبدالواد ذخائره سنة 646هـ (4). فقد حالف بنو عبدالواد القبائل العربية التي استقرت بالمغرب الأوسط، خصوصا بطون عرب زغبة التي جمعتهم وزناتة عصبية الحلف (5)، وازدادت مكانة شيوخ هذه القبائل حتى أسند يغمراسن في بعض الأحيان إلى عمر بن مهدي شيخ عرب سويد بن مالك بن زغبة ولاية تلمسان وما يتبعها عند خروجه لقتال أعدائه وذوي عبيد الله من عرب المعقل المجاورين لبني عامر بن زغبة المستقرين بجوار تلمسان (6). من هم عرب سويد؟ تنسب سويد إلى بني مالك بن زغبة، ومن أشهر بطونهم ثلاثة سويد بن عامر بن مالك، والحارث. ومنهم عطاف بن زيان

(1) يحيى بن خلدون: بغية الرواد-ج1-ص109

(2) ابن الأثير: المصدر السابق-ص60

(3) العبر: ج7-ص163

(4) د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزياني-ص13، وعند عطاء الله ذهينة فإن يغمراسن بن زيان قد عين في سنة 624هـ-1227م، عاملا على تلمسان وبلاد زناتة وهو منصب لم يتوله إلى حد ذلك الوقت سوى من كان من السلالة

الملكية. ينظر إلى: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن-ص359

(4) د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزياني:ص14

(5) نفسه ص14

بن يعقوب بن روى بن الحارث بن مالك. والديالم من ديلم بن حسن بن إبراهيم بن روى بن الحارث بن مالك وأولاد غريب ونجيس(1). ومن بطون سويد شباة ومنهم الحساسنة وهم بنو حسان وفلمة أو فليته، وجوثة ومنهم بنو مريح بن ثوبة ومجاهر ومنهم بنو سليمة وغفير وشافع ومالف وبنو مقرر، وحمدان وبرحة(2). وبو كامل ورياستهم في بداية بني عبدالواد في أولاد عيسى بن عبدالقوي بن حمدان وهم مهدي وعطية وطراد ثم تولى يوسف بن مهدي، رياستهم وتلاه أخوه عمر بن مهدي(3)، فكانوا أحلاف لبني بادين قبل الدولة وخاصة ببني عبدالواد، فأقطع يغمراسن يوسف بن مهدي بلاد البطحاء وسيرات وعتر بن طراد بن عيسى ماحول البطحاء، حيث كانوا يحصلون أتاوهم على بلد سراة والبطحاء(4)، ثم تولى رئاسة القوم عثمان بن عمر ابن مهدي وتلاه أولاد ميمون سعيد ويحيى، وانقلبت في عهدهم العلاقات مع بني عبدالواد، فلجأ عريف بن يحيى وكذلك ميمون بن عثمان وابنه عريف إلى المرينيين بالمغرب، وتولى أولاد سعيد الناجعة من عرب سويد سمعون بن سعيد أولاً ثم تلاه أخوه عطية بن سعيد، إلى أن آلت رئاسة جميع عرب سويد ومالك إلى ونزمار بن عريف بن يحيى يساعده إخوته عيسى وأبوبكر ومحمد، حينما اثر ونزمار الترهيب والابتعاد عن الصراعات القبلية تولى رئاسة سويد ميمون بن سعيد بن عثمان، فتآمر عليه أبوبكر ومحمد ودسا من اغتاله، واستبدا برئاسة سويد(5). ولما ملك بنو بادين تلؤل المغرب الأوسط وأمصاره، استقرت بنو توجين منهم بالتلؤل القبلية

(1) العبر: ج 6-ص.ص 58-59-محمد بن ماء العينين: الجأش الربيط في النضال عن مغربية شنجيط-ص.ص 28-29

(2) العبر: ج 6-ص 48. د. مصطفى أبو ضيف عمر: القبائل العربية-ص 226

(3) نفسه: ج 6-ص.ص 45-46-مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج 2-ص 178

(4) نفسه: ص.ص 45-46

(5) نفسه: ج 6-ص.ص 45-46

المحاذي لأوطان بني توجين، فهادنوهم وصاهروهم، وصاروا حلفاء لهم ضد بني عبدالواد، واستقر منهم بخيس بن عامر وأخوه سويد بضواحي وهران (2)..¹فقرضت عليهم المغارم، وصاروا الرعايا أهل الجباية، وأشهر زعمائهم عريف بن يحيى كان مستشارا للدولة بني عبدالواد، ثم تحول للدولة بني مرين، ولعب دورا كبيرا في تاريخ المغرب الأقصى في القرن الثامن الهجري ثم ابنه ونزمار، واستقرت هبرة بن مجاهر بن سويد بنواحي البطحاء بالضفة اليمنى من نهر مينا، ورغم نسبهم في مجاهر بن سويد، فهم يزعمون أنهم من قوم المقداد بن الأسود وبالتالي فهم من قضاة ومنهم من يزعم أنهم من تجيب إحدى بطون كندة، ومن بطون مالك ناجعة يعرفون بصبيح من علاج بن مالك لهم عدة وقوة ويظنون مع سويد وقيمون معهم (1). ولكن بني عبدالواد تمكنوا بزعامة يغمراسن من مقاومة الغزو المريني بفضل اعتمادهم على عرب بني يزيد التي تنتسب إليهم حيان، وكذلك على حصين ومالك وعروة وعامر من زغبة وذوي عبيد الله من المعقل (2). ومن هنا بدأت إمارة بني عبدالواد تشكل قوة يعتد بها في المغرب، وأصبحت تطمح إلى الاستيلاء على المغرب الأوسط كله، وعلى الناحية الشرقية من المغرب الأقصى مما يلي نهر ملوية (3) فكان يغمراسن بعد ذلك، متجها نحو تحقيق هذه السياسة، فخاض غمار كثير من الحروب ضد بني حفص حينما هاجمه أبوزكريا الحفصي، بسبب أن يغمراسن كان يميل إلى الرشيد بن إدريس الموحد (4)، واستطاع أبوزكريا أن يحتل تلمسان لكثرة جيوشه، ولكنه حينما فكر فيمن يضعه أميرا عليها لم يجد أمامه شخصا يليق بها سواه

(1) العبر: ج 6 ص 45-46-316-314-275-273 G.Marçais: les arabes en berbérie

(2) في سنوات 670هـ-1271م-679هـ-1281م ينظر إلى: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 207-226-ابن

خلدون: العبر- ج 7 ص 86 وص 184-السلوي: الاستقصا- ج 3 ص 31-32

(3) د. عبد الحميد حاجيات: أبوهو موسى الزياتي- ص 14. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: المرجع السابق- ص 188

(4) العبر: ج 6 ص 45-46

فصالحه، وكان الساعي عن هذا الصلح هي أمه سوط النساء، وبعض أعيان الزيانيين وقد جاء في هذا الصلح أن على يغمراسن أن يتحالف مع الحفصيين ضد الموحيدين. وأن يعترف ببيعتهم وسيادتهم فرضي بذلك، إلا أن أبا زكريا خشي من استفحال ملك يغمراسن، فرفع يده عن حكم قبائل توجين ومغراوة ومليكش، وأسند زعمائها غاراتها ليزاحموه على سلطانه (1)، وقام يغمراسن بحروب كثيرة ضد قبائل مغراوة، وبني مرين وأحلافهم من العرب غربا فهزموه في وادي إسلي سنة 647هـ وبابي سليط سنة 655هـ وبتلاغ سنة 666هـ، ويأسلي أيضا قرب وجدة سنة 670هـ، وكان النصر فيها لغيره، ومع ذلك لم يستسلم أو يخضع لهم، وبسبب هزيمته كثر أعدائه، وتفوقهم عليه في عدتهم الحربية (2)، وضد بني توجين وأولاد منديل شرقا (3). عندما سقطت مدينة مراكش عاصمة الدولة الموحدية، ودانت بلاد المغرب لبني مرين حتى زحف يعقوب بن عبد الحق سنة 657هـ - 685هـ - 1259م - 1286م ببني مرين وقبائل العرب لاستخلاص سجلماسة من أيدي بني عبدالواد، فحاصروهم سنة كاملة وبعد انتصاره، تطلع يعقوب بن عبدالحق للاستيلاء على أملاك الدولة الموحدية السابقة خلال ازدهارها بالمغرب الأوسط بغزو تلمسان عدة مرات مستعينا بالقبائل العربية بالمغرب كسفيان والخُلط والعاصم وبني جابر من عرب الأتبج وذوي حسان والشبانات (4). إن الضغط الذي تعرضت له إمارة بني عبدالواد أثناء مرحلة التأسيس من جيرانها بني مرين وبني حفص، وقبائل زناتة هو الذي دفع بيغمراس إلى الاستعانة ببني عامر وحميان من زغبة

(1) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 1 - ص 112

(2) نفسه: ص 114

(3) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى - ص 14

(4) العبر: ج 7 - ص 84 و 184 - د. مصطفى أبو ضيف عمر: القبائل العربية - ص 225

ب- أسباب استدعاء يغمراسن لبني عامر وحميان: إذا كانت جهود يغمراسن هذه لم تكلل بانتصارات باهرة، فإنها تمخضت عن اتساع رقعة الإمارة العبدالوادية على حساب الإمارات المجاورة، وسمحت بالصمود أمام هجمات بني مرين، وإبعاد خطرهم عن المغرب الأوسط. تعود العلاقة الودية بين بني عامر وحميان إلى عهد الموحدين، بحيث كانت تربط بنو عامر وحميان ببني عبد الواد من جملة بني بادين علاقة حلف وعصبية، وازدادت هذه العلاقة خاصة بعد أن تولى يغمراسن بن زيان إمارة بني عبد الواد بعد وفاة أخيه أبي عزة زجدان والذي تمت مبايعته يوم الأحد الرابع والعشرين لذي القعدة سنة 633هـ الموافق لـ 21 جويلية 1236م (1). في تلمسان بعد أن دخلت قبائل زناتة المنطقة التلية وأرياف المغرب الأوسط، أصبحت صحراء تلمسان خالية من بدو زناتة، ومن بدو عبد الواد التي دخلت الأمصار والمدن (2)، خاصة بعد أن أخضع يغمراسن القبائل الزناتية المتمردة على سلطة بني عبد الواد كمغراوة وبني توجين، وكذلك بعد أن زحفت زغبة من أوطانها إلى التلول، استغل أهل أنقاد وهم عرب المعقل هذا الفراغ وأصبحت هذه القبيلة تهدد إمارة بني عبد الواد؛ لأنها كانت تحتل موقعا استراتيجيا بين دولتي بني مرين وبني عبد الواد، وربما كان سبب هذا التهديد من ورائه بني مرين، الذين كانوا يريدون إضعاف إمارة بني عبد الواد، وأخذت عرب المعقل تعيث فسادا في هذه المنطقة وملأها اضطرابا وفوضى (3). وفرضت على من بقي من عرب زغبة في القفار خفارة يختارونها من بكرات

(1) يحيى بن خلدون: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد - ج 1 - تحقيق وتقديم وتعليق د. عبد الحميد حاجيات - المكتبة الوطنية - الجزائر - 1980، ص 204 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزبانيص 57 وعند د. عطا الله دهينة سنة 624هـ ينظر إلى: الدولة الزبانية المرجع السابق ص 359.

(2) Noël: op.cit. p139 - الشرفي: المصدر السابق - ص 23 - د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق - ج 3 ص 153 - رابع بونار: المرجع السابق - ص 293 - د. حسين مؤنس: ج 3 - المرجع السابق - ص 130 - عبد الرحمن الجيلالي: ج 2 - المرجع السابق - ص 151 - شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية - ص 212

(3) العبر: ج 6 - ص 42 - د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: المرجع السابق - ص 155

إبلهم، فأنفوا وتآمروا واتفقوا على محو العار بقيادة ثوابة بن جوثة زعيم عرب زغبة، فطردوا المعقل من أوطانهم بالصحراء⁽¹⁾، وفي نفس الوقت ازدادت قوة بني عبدالوادر فطردوا زغبة من التلول إلى أوطانهم بالصحراء، ولكن لم يذكر المؤرخون الأسباب التي دفعت ببني عبدالوادر إلى طرد بني زغبة من التلول؟ فالغالب على الظن أن بني عبدالوادر تخوفوا من استفحال أمر بني زغبة حيث ندرت الحبوب وقلت الأقوات، فهزلت مواشي زغبة وضعف أمرهم، وأعطوا الأتاوات والصدقة للدولة مرغمين إلى أن ضعفت دولة بني عبد الوادر بسبب الهجمات الخارجية من جيرانها بني مرين وبني حفص، وتوالى ثورات أمراء بني عبدالوادر بسبب الصراع حول السلطة تمكنت بعض بطون زغبة من العودة إلى التلول حيث الحبوب ووفرة الأقوات والرخاء، وأقطعت دولة بني عبد الوادر النواحي والسهول والأمصار مقابل التحالف والمساندة والطاعة، حتى يتمكن أمراؤها من مقاومة الغزو الخارجي من ناحية والاستحواذ على السلطة والقضاء على منافيسهم المتطلعين للحكم من ناحية أخرى، وربما قد حدث هذا قبل استدعاء يغمراسن لبني عامر وحميان⁽²⁾. ماهي أسباب استدعاء يغمراسن بن زيان لبني عامر وحميان؟ لما أدرك يغمراسن المخاطر التي تهدده من جيرانه بني مرين وبني حفص وعرب المعقل، وقبائل زناتة من توجين ونازعه الأمر بني مطهر* من قبيله بمظاهرة بني راشد وممالة من سائر القبيل⁽³⁾. فكر يغمراسن بن زيان في سياسة حكيمة يزع بها هذه القبائل

(1) العبر: ج 6 - ص 42 - د. مصطفى أبوضيف عمر: القبائل العربية - ص 155 - محمود بوعياذ: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م) - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - ص 16 - عبدالرحمن الجليلي: تاريخ الجزائر العام - ج 2 - ص 151

(2) العبر: ج 6 - ص 42 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 373

* بنو مطهر: لا تزال توجد فروع من بني مطهر تسكن حاليا منطقة سيدي بلعباس، الدمج بعضها مع بني هلال، وأصبحت معربة، ولا تكاد تميز اليوم بينهم وبين العرب الهلالية

(3) يحيى بن خلدون: بغية الروادج 1 ص 114 العبر: ج 7 - ص 42 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزياتي ص 57

بعضها عن بعض وفي خطة لحماية إمارته، وتقويتها بعد شعر بضعف موقفه اتجاه جيرانه. استدعى يغمراسن بني عامر وتبعتهم حميان وأصبحت في تعدادهم، كما جاء في رواية ابن خلدون "... فلما ملك يغمراسن بن زيان تلمسان ونواحيها ودخلت زناتة إلى التلول والأرياف، كثر عيث المعقل، وفسادهم في وطنها، فجاء يغمراسن ببني عامر هؤلاء من محلاتهم بصحراء بني يزيد وهي المنطقة الممتدة بين المسيلة وجبل راشد المعروف اليوم بجبل العمور، وأزلهم في جواره بصحراء تلمسان وهي منطقة العريشة وسبدو كيادا للمعقل ومزاحمة لهم بأقيالهم، فنزلوا هنالك وتبعتهم حميان من بطون بني يزيد بما كانوا بطونا وناجعة، ولم يكونوا حلولا فصاروا في عداد بني عامر لهذا العهد، أي عهد ابن خلدون، وتولت بنويزيد بلاد الريف وخصبه، فأوطن فيه أكثرهم..."⁽¹⁾ (ينظر الخريطة رقم 3 ص 441) يفهم من رواية ابن خلدون أن يغمراسن لم يستدع حميان وإنما استدعى بني عامر؛ لكي تواجه المعقل وربما كان يغمراسن يدرك قوة بني عامر سواء من حيث العدد أو العدة، وقد رتقا على وضع حد لشغب المعقل والانتقام منها؛ لأن المعقل أساءت العلاقة بينها وبين زغبة في الصحراء. وكذلك بحكم الجوار بين دولة بني عبدالواد وبني عامر.

(1) ينظر إلى العبر: ج 6 - ص 42 - عبدالقادر المشرقي: المصدر السابق - ص 25 - د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: ج 5 و 6 - المرجع السابق - ص 153 - د. حسين مؤنس: ج 3 - المرجع السابق - ص 130 - ابن الأهر: المصدر السابق - ص 24 - عبد الرحمن الجليلي: ج 2، المرجع السابق - ص 151. وعند نوال (Noël) وفي سنة 1259م استدعى أمير تلمسان يغمراسن بني عامر، ووضعهم في مقابل المعقل، وجاءت مع بني عامر حميان الشفاعة، وبقيت حميان الجنية مستقرة بمنطقة قسنطينة ينظر إلى: Documents pour servir à l'histoire de hamyans. P139 - رابح بونار: المرجع السابق - ص 293 - مبارك بن محمد الميلي: ج 2 - المرجع السابق - ص 373 - د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: المرجع السابق - ص 147 - أحمد توفيق المدني: المرجع السابق - ص 139

وعند يحيى بن خلدون أغنه في يوم الأربعاء التاسع والعشرين من محرم فاتح سنة 640هـ تجندت قبائل إفريقية لمؤازرة يغمراسن على تأسيس ملكه بتلمسان. ينظر إلى بغية الرواد - ج 1 - ص. ص 204 - 205

ولحق حميان ببني عامر وكانوا بدوا رحلا حميان، ولم يكونوا مستقرين. واستولوا على الأرياف واستغلوا خصوصيتها، فاستقرت أكثر بطون بني يزيد أبناء عمومة حميان، وتبين الرواية كذلك أن بطون بني يزيد* لحقت بحميان، مستغلة الظروف التي كانت تمر بها إمارة بني عبد الواد في تلك الفترة، وبقيت بعض بطون بني يزيد في أوطانها السابقة وهي وطن حمزة وبلاد بني حسن، وربما نزلت هذه البطون في قرى البربر وأصبحت من أهل الحاضرة أو احتمالا أنها بقيت ناجعة. وكان داود بن هلال بن عطاف بن يعقوب يتولى رئاسة بني عامر وحميان في عهد يغمراسن سنة 633هـ - 1236م، وكان رديفه ومساعدته معرف بن رباب رئيس بني عامر بن حميد(1)، وبالتالي كانت حميان وبنو عامر بن شافع خاضعة لبني عامر بن يعقوب وحميد، ولم تكن فيهم الرئاسة في عهد يغمراسن. ذكر بعض المؤرخين أن يغمراسن استقدم بني عامر وجعلهم بينه وبين المقل، وحميان من بني يزيد سدا بينه وبين القبائل الغربية(2). وأنشأ يغمراسن من بني عامر وحميان صفوف جمع صف بضم الصاد، وجندا لإمارة بني عبد الواد، لحمايتها من هجمات الأعداء، ولما استعادت إمارة بني عبد الواد عافيتها، واطمأن يغمراسن على إمارته واستعاد قوتها، شعر بثقل وطأة الصفوف فصرفهم عن بلاده(3) وحجر بني عامر وحميان بالصحراء أي بصحراء تلمسان وأذلهم بالمغرم والعسكرة في جنده، واستمر على ضعفهم المالي والسياسي مدة عظمة إمارة تلمسان(4) لماذا تخلى يغمراسن بن زيان عن جنده من بني عامر وحميان؟

* لم يذكر ابن خلدون بطون بني يزيد التي نزلت مع حميان، ولم يشير كذلك إلى البطون التي استقرت بمنطقة حمزة والدهوس، وإنما اكتفى بذكر بني يزيد، والغالب على الظن أن من بين بطون بني يزيد التي لحقت بحميان إلى صحراء تلمسان هم بنو عقبة، والمراعبة وأولاد لاحق.

(1) العبر: ج 6 - ص 42 - عبد القادر المشرقي: المصدر السابق - ص 25 مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق ج 2 ص 373

(2) نفسه: ج 6 - ص 51 - رابح بونار: المغرب العربي - ص 298 - عبد الرحمن الجليلي: تاريخ الجزائر العام ج 2 ص 122

(3) رابح بونار: المرجع السابق - ص 293 - د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي ج 5 و 6 - ص 153

(4) ابن الأهر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان - ص 24

بعد أن استعاد قوة إمارته وهيبتها، وكانت هذه القبائل تشكل قوة إمارة بني عبد الواد(1). وكان لها الدور الحاسم في استعادة هيبة إمارة بني عبد الواد. فكيف كان رد فعل بني عامر وحميان من موقف يغمراسن السليبي؟ فالغالب على الظن أن يغمراسن لم يتخل عن بني عامر وحميان بصفة نهائية، وإنما أبعدهم عن عاصمة الإمارة تلمسان، بل منحهم الإقطاعات في صحراء تلمسان، عكس ما ذكره بعض المؤرخين أن يغمراسن أذل بني عامر وحميان بدفع الضريبة، وأضعفهم ماليا وسياسيا، وأبقى عليهم كجند في صفوف قواته(2)؛ لأن يغمراسن كان يتميز بالحنكة السياسية والدهاء والشجاعة، وذا أخلاق فاضلة، وكان يحب العلم وأهله وكان حازما ومقداما، استطاع أن يوطد الأمن ونشر العدل، من المستبعد أن تصدر عنه مثل هذه الأخطاء. فهو الذي استدعى بني عامر ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعاملهم معاملة سيئة، وهو الذي قال فيه يحيى بن خلدون: "...فارح الثنية وعاطف الحنية والمستأثر دون الملوك بالخلال السنية، ومظهر الريع والريعان، ومقيم حفلي الطعام والطعان، خليفة الله المرتضى، سيف حمايته المنتض، ووعد أمينه الصادق المقتضى، منيرا لأحلاك وناظم الأسلاك، وملاك الشرفاء وشريف الأملاك أي علاء ومجد، وعلم كامل في نجد، ومكيف عناية وجد، طلع سعد أخيبته المسخر، وقد بدأ فرع الدولة المؤمنية المؤخر، فشاء سعد سعوده..."(3)، فالرجل الذي يتميز بهذه الصفات الحميدة لا يمكن أن يعامل جنده معاملة سيئة، ربما قد تخوف من قوة بني عامر وحميان العسكرية التي قد تحدث له قلاقل قرب عاصمة إمارته. وكان رد فعل بني عامر وحميان من موقف يغمراسن السليبي عاديا.

(1) مبارك بن محمد المليي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج2 - ص373

(2) د. حسين مؤنس: المرجع السابق - ج3 - ص130 - د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق - ج5 و6 ص153

ابن الأحرار: تاريخ الدولة الزيانية - ص24 - مبارك بن محمد المليي: المرجع السابق - ج2 - ص374

(3) ينظر إلى: بغية الرواد - ج1 - ص190 - رايح بونار: المغرب العربي - ص. ص293-294

وبقيت بنو عامر وحميان على علاقتها الطبيعية مع بني عبد الواد، ربما قد تفهمت موقف يغمراسن من ناحية وحياتها البدوية لا تسمح لها بالاستقرار بالقرب من عاصمة بني عبد الواد. لأن الحياة البدوية تتطلب مراعي واسعة، وهذه المراعي غير متوفرة بتلمسان من ناحية أخرى. رأى بعض المؤرخين والباحثين أن سبب استغناء يغمراسن عن بني عامر وحميان بعد أن استرجعت إمارته قوتها يعود إلى تخوف يغمراسن من أن تنافسه هذه القبائل العربية في الحكم، أو أن تؤدي إلى الإطاحة بنظام دولة بني عبد الواد، ولذلك قرر إبعادها عن محيط عاصمته⁽¹⁾، وذهب بعض الباحثين أن بيت بني عبد الواد لم تكن له سياسة واضحة إزاء بني زغبة، فقتل أمراء بنو عبد الواد من فريق منهم على فريق حسب الظروف، وكانت علاقة بني عبد الواد ببني زغبة ظرفية نتيجة اختلاف الحلفاء من وقت لآخر⁽²⁾، وكذلك نظرا لاضطراب أمزجة أمراء بني عبد الواد، واختلاف المصالح من عهد إلى آخر⁽³⁾. كانت إمارة بني عبد الواد تحتاج إلى سيوف بني عامر وحميان في أوقات الشدة والحصار، وسرعان ما تنتهي هذه العلاقة بعد الانفراج، وكانت مصلحة بني عامر في دولة بني عبد الواد هو الدخول إلى منطقة التل والمزيد من الإقطاعات، فقال أحد الباحثين أن دوافع القبائل الحليفة لبني عبد الواد منفعية أكثر منها عاطفية، وعليه كان السلطان ملزم في هذه الحالة بإغداق الأموال، وتخصيص الرواتب والجريات لرؤساء تلك القبائل حفاظا على ولائهم للدولة⁽⁴⁾.

(1) ابن الأحرار: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان - ص 24 - مبارك بن محمد المليي: المرجع السابق - ج 2 - ص 37

(2) بوزيان الدراجي: نظام الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1995 - ص 203

(3) نفسه: - ص 203 - رايح بونار: المغرب العربي: المرجع السابق - ص 294 - عبدالرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام - ج 2 -

ص 121 - العكاك: موجز تاريخ الجزائر - ص 347

(4) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 1 - ص 112 - بالعبر: ج 7 - 162 - بوزيان الدراجي: المرجع السابق - ص 203 -

العكاك: موجز تاريخ الجزائر - ص 346 - مبارك بن محمد المليي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 358



ويفهم من هذا القول أن بني عامر وحميان كانت علاقتهما بإمارة بني عبد الواد علاقة مصلحة، ولم تكن علاقة حلف وعصبية. بدأ تاريخ بنو عامر وحميان بشكل بارز مع قيام دولة بني عبد الواد، ولكن دور حميان السياسي والعسكري والاقتصادي كان غير مباشرا وخفيا، حيث طغى عليه النشاط السياسي والعسكري الذي قام به بنو عامر السياسي والعسكري طيلة فترة قيام دولة عبد الواد الزيانية. واحتمالا أن دور حميان كان جزء من دور بني عامر. ومن ثمة لا يمكن أن يستثنى حميان من الأحداث السياسية والعسكرية والاقتصادية التي شهدتها دولة بني عبد الواد منذ تأسيسها سنة 1236م إلى غاية سقوطها سنة 1554م. وكذلك تأثرت حميان بسياسة دولة بني عبد الواد سواء بإيجابياتها أو سلبياتها؛ أو ربما قد التزمت حميان وبني عامر الشفاعة الحياد إزاء دولة بني عبد الواد بعد وفاة يغمراسن، وسيوضح ذلك من خلال التطورات السياسية والعسكرية لدولة بني عبد الواد. لقد سبق عرب سويد بني عامر وحميان في التحالف مع بني عبد الواد، فكانت تجمع سويد علاقات طيبة مع بني عبد الواد قبل ظهور دولتهم بالمغرب الأوسط، وبعد سيطرة بني عبد الواد على تلمسان وضواحيها اختص عرب سويد بحلفهم وولايتهم دون سائر بطون زغبة⁽¹⁾، وقرب يغمراسن مؤسس إمارة بني زيان رؤسائهم من أولاد عيسى ابن عبد القوي، فاخصص مهدي بالرياسة عليهم ثم ابنه يوسف بن مهدي، ثم أخاه عمر بن مهدي، وأقطع يغمراسن يوسف بن مهدي بلاد البطحاء وسيرات*، وأقطع عنتر بن طراد ابن عيسى براري البطحاء، يأخذون أتاوتهم من رعاياها⁽²⁾. وبعد أن تدهورت العلاقات بين سويد وبني عبد الواد بسبب الفتنة بين يغمراسن وعمر بن مهدي والتي قتل فيها

(1) العبر: ج 7-ص 143-145-د. مصطفى أبو ضيف عمر: القبائل العربية-ص 188

*سيرات: توجد مدينة سيرات جنوب شرق مستغانم، والتي تبعد عنها بنحو 20 كلم

(2) نفسه: ج 6-ص 46-د. مصطفى أحمد أبو ضيف: المرجع السابق-ص 188

عمر بن مهدي، طرد بنو عبد الواد عرب سويد من التلول والأرياف (1)، فاستقروا بجوار أوطان بربر توجين في الصحراء، وهادنوهم وتصاهروا فيما بينهم حتى صاروا حلفاء ضد بني عبد الواد. وعندما تولى أبو تاشفين بن موسى بن عثمان ابن يغمراسن الحكم تقرب إليه عريف بن يحيى زعيم عرب سويد لسابق علاقة ربطت بينهما أيام الصبا، ولكن سرعان ما غضب عليه بسبب تشبهه بعريف بن يحيى بالملوك (2). في بعض تصرفاته المقصورة على آراء بني عبد الواد من ناحية، وتآمر هلال مولى أبي تاشفين على عريف من ناحية ثانية، فهرب عريف بن يحيى إلى بني مرين سنة 720هـ - 1320م وأخلص في خدمتهم (3). نتيجة لذلك اتسمت العلاقات بين سويد وبني عامر بالعداء الشديد وحل بنو عامر وحميان محل سويد في خدمة ومحالفة إمارة بني عبد الواد وتأييدها (4)، وكان رد فعل سويد أن لعبت دورا رئيسيا في غزو بني مرين للمغرب الأوسط سواء بالتحريض أو الاشتراك في قوات بني مرين، وكسب طاعة القبائل العربية بالمغرب الأوسط لحساب حلفائهم من بني مرين، مما جعلهم في وضع مميز في الإمارة المرينية خصوصا وقد اعتمدوا عليهم وعلى أحلافهم من عرب العطاف* والديالم* (5). الأقل عددا وقوة من سويد (6).

(1) العبر: ج 6-ص 46-د. مصطفى أبوضيف عمر: القبائل العربية-ص 158

(2) نفسه: ج 6-ص 46-مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج 2-ص 374

(3) العبر: ج 6-ص 46-د. مصطفى أبوضيف عمر: القبائل العربية-ص 159

(4) نفسه: ص 46-48-مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج 2-ص 374

(5) نفسه: ص 48-د. مصطفى عمر أبوضيف: القبائل العربية-ص 159

*العطاف: توجد مدينة تحمل اسم العطاف، ربما يعود سبب تسميتها إلى القبيلة العربية المعروفة بالعطاف، وهي تقع على بعد 30 كلم شمال الشلف، وهي تتوسط مدينة الشلف وعين الدفلة

*الديالم: يوجد واد يسمى بالديلمي، ربما يسمى بإسم هذه القبيلة العربية الهلالية، ويقع جنوب غرب المدينة، ويبعد عنها بنحو 20 كلم، وبالتحديد قرب قرية حريك، بل توجد قبيلة بالمدينة تحمل إسم الديلمي.

(6) العبر: ج 6-ص 48-مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق-ج 2-ص 374-د. مصطفى أبوضيف: المرجع السابق-ص 159

ويبدو أن الخلاف الذي وقع بين بني عبدالوادر وعرب سويد قد حدث ذلك قبل استدعاء يغمراسن لبني عامر وحميان، وعلى هذا الأساس حاول يغمراسن بن زيان أن يعرض بني عامر وحميان بعرب سويد لتقوية صفوف جيشه أمام قبائل زناتة المتمردة ضد بني عبدالوادر، وكذلك ضد أعدائه من بني عمومتهم بني مرين وبني حفص. أو احتمالاً خلال فترة تحالفه مع عرب سويد.

خلاصة القول: ومن ثمة يمكن القول أن إمارة بني عبدالوادر لجأت إلى تجنيد بني عامر وحميان لمواجهة بني عمومتهم عرب سويد، وكذلك عرب المعقل وعليه فإن بني عبدالوادر أرادوا استغلال عرب زغبة لخدمة إمارتهم، لكن يلاحظ أن المؤرخين وجهوا التهم إلى عرب زغبة على أنها كانت تتلاعب بمصير إمارة بني عبدالوادر، مع أن الصراع بين إمارة بني عبدالوادر وبني مرين تارة، وبني عبدالوادر وبني حفص تارة أخرى كان يأخذ شكل الإغارة والغزو والتدخل في الشؤون الداخلية. ولم تكن هناك علاقات سياسية أو علاقات دبلوماسية واضحة بين هذه الإمارات الثلاث، فمجرد أن يحدث سوء تفاهم بين أمراء هذه الإمارات، تندلع الحرب ويتم الغزو، وسرعان ما تلجأ كل إمارة من الإمارات الزناتية الثلاثة إلى توظيف القبائل العربية الهلالية في الصراع، مما جعل القبائل العربية الهلالية تنفطن لضعف هذه الإمارات السياسي والعسكري، وقد سبق أن اهتمت قبائل بني هلال على أساس أنها كانت سبباً في انهيار وسقوط الدول البربرية التي كانت قائمة في بلاد المغرب، بدءاً بالإمارة الزييرية ثم الحمادية والموحدية، مع أن الصراع في الواقع كان بين فروع صنهاجة، أو بين زناتة وصنهاجة مثل الصراع المرابطي الموحيدي تارة أو الصراع الزناتي الزناتي مثل الصراع المريني الحفصي العبدالوادي تارة أخرى.

إن مشاركة بني هلال بصورة عامة في صراع الإمارات البربرية منذ دخولهم إلى بلاد المغرب كان بدافع الحفاظ على وجودهم وكيانهم وعلى مصيرهم وحقوقهم، وحماية استقرارهم من ردود فعل الإمارات البربرية التي كانت قائمة في بلاد المغرب، وكذلك من

أجل الحفاظ على موازين القوى بين الإمارات في المغرب الإسلامي.

ج- دور بنو عامر وحميان في دولة بني عبد الواد 681-703هـ-1282-1359م:

ج1- في عهد الأمير أبي سعيد عثمان الأول: كان دور بنو عامر وحميان في دولة بني عبد الواد خلال الفترة الممتدة ما بين 1282م و1359م يتوقف على الظروف السياسية التي كانت تمر بها دولة بني عبد الواد، وعلاقتها بجيرانها التي كانت تتميز بالصراع تارة والاستقرار والهدوء تارة أخرى، وعلى أمزجة أمراء بني عبد الواد (1)، حيث تقلص دور بنو عامر وحميان بعد وفاة يغمراسن خاصة بعد أن حل مخزن الإمارة الذي لم يعد يعتمد عليه (2)، ومع ذلك لعب بنو عامر وحميان دوراً أساسياً في إمارة بني عبد الواد، وقد تجلّى ذلك في حمايتها من الاعتداءات التي كانت تتعرض لها من إمارتي بني مرين وبني حفص ومن تحرشات سويد. أما في عهد أبي سعيد عثمان الأول بن يغمراسن الذي تولى الحكم ما بين سنتي 681هـ - ذي القعدة 703هـ الموافق لـ 1282م - 1303م (3) فإنه قد اعتمد قبائل بني عبد الواد وزناتة، وفي عهده نقضت كثير من القبائل العربية ومنها بني عامر طاعتها؛ لأنه استخدم ضدها أسلوب العنف فكانت النتيجة أن اشتد الضيق على تلمسان (3). وسرعان ما تفتن ابنه أبوزيان بن عثمان الذي خلف أباه ما بين سنتي 703هـ و 21 شوال 707هـ - الموافق لـ 1303م - 1307م.

(1) ابن الأحرر: الدولة الزيانية - ص 29 - بوزيان الدراجي: المرجع السابق - ص 203

(2) العبر: ج 6 - ص 52. د. مصطفى أبوضيف: المرجع السابق ص د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزياني - ص 14

(3) ابن الأحرر: الدولة الزيانية - ص 29 رابح بونار: المرجع السابق - ص 293 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزياني -

إن قوة إمارة بني عبدالوادر تكمن في استرجاع قبائل بني عامر وحميان وسويد التي تسرع يغمراسن في إبعادها عن بلاط بني عبدالوادر⁽¹⁾. ولما تولى أبوزيان بن أبي سعيد عثمان بن يغمراسن أمر الدولة، أراد أن ينتقم من البربر والعرب الذين مالوا الميرينين في ناحية السرسو الواقعة جنوب وهران، وأقوى جماعتهم بني عامر بن يعقوب من بني زغبة، ولكنه لم يستطع فاضطر إلى مصالحتهم⁽²⁾. إن تصلب مواقف بعض أمراء بني زيان، وعدم استقرارهم على سياسة واضحة، وتأرجح ميزان القوى تارة لصالح بني مرين وتارة أخرى لصالح بني حفص على حساب بني عبدالوادر⁽³⁾، هو الذي أثر سلباً على تماسك بني عامر، وأدى ذلك إلى انشقاقهم وانقسامهم، وبالتالي أثروا على حميان كجزء من بني عامر، خاصة في عهد أبي حمو موسى الأول سنة 718هـ - 1318م. وفي ذي الحجة 681هـ - 1282م، وقع أول خلاف سياسي بين عثمان بن يغمراسن وشيخ بني عامر الذي عاصر أباه يغمراسن بسبب موقف شيخ بني عامر داود بن هلال بن عطف اتجاه الأمير أبي زكرياء بن السلطان أبي إسحاق الحفصي، حيث قام داود بن هلال بمساعدة أبي زكريا على الفرار من تلمسان، وفي رواية مبارك الملي⁽⁴⁾... وكان أبو زكريا بن إسحاق الحفصي لدى عثمان بن يغمراسن، وأراد امتلاك بجاية على عمه أبي حفص، فتظاهر بالصيد ولحق بداود بن هلال، فأمره عثمان برده...⁽⁴⁾. فأبى فسخط عثمان دواود

(1) ابن الأحرار: الدولة الزيانية - ص 25 - مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر - ج 2 - ص 178 - رابح بونار: المغرب العربي - تاريخه وثقافته - ص 293

(2) العبر: ج 6 - ص 52 - بوزيان الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبدالوادر - ص 204 - شارل أندري جوليان: تاريخ شمال إفريقيا - ص 203

(3) بوزيان الدراجي: نظام الحكم في دولة بني عبدالوادر - ص 204 - مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 178 - رابح بونار: المغرب العربي - ص 293 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني: ص 14

(4) العبر: ج 6 - ص 52 - مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 178 - د. مصطفى أبو صيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 230

بن هلال فلحق بالصحراء... (1). ولكن ابن خلدون لم يذكر في روايته أن داود بن هلال التحق بالصحراء، بعد أن دب الخلاف بينه وبين عثمان بن يغمراسن، وعندما قرر عثمان بن يغمراسن إرجاع أبا زكريا، رفض داود أمر عثمان وإخفار ذمته في ذلك (2). ورافق داود أبا زكريا حتى نزلا على عطية بن سليمان من شيوخ الذواوذة، وقد استولى أبو زكريا على بجاية وقسنطينة. وأقطع دواود بن هلال بن عطف وطنا من بلاد حمزة يسمى كدارة (3) مقابل موقف دواود الشجاع اتجاه أبا زكريا الذي أنقذه من قبضة بني زيان، وبقي دواود شيخ بني عامر وحميان في مجالاته الأولى (4) وهي صحراء بني يزيد، إلا بعد أن هاجم يوسف بن يعقوب المريني تلمسان وطال حصاره لها، وفد عليه داود ربما يطلب الحماية والنجدة، وقد حمله صاحب بجاية وهو أبو زكريا إلى يوسف بن يعقوب الذي شك في أمر هذه الرسالة، أو تخوف يوسف بن يعقوب من خلفيات ماورد في نص هذه الرسالة؛ وأربما كان وطال حصاره لها، وفد عليه داود ربما يطلب الحماية والنجدة. يعتقد أنها مؤامرة تحاك ضده من طرف أبي زكريا وداود بن هلال ضد السلطان المريني يوسف بن يعقوب الذي وصل نفوذه إلى بلاد الحفصيين، فلما عاد داود متجها إلى موطنه بالدهوس، بعث يوسف بن يعقوب في أثره فرسان من زناتة نصبوا له كميناً في سد ببني ييقى، وفي رواية الميلي بسيق فقتلوه (5). وخلفه في رئاسة بني عامر ابنه سعيد، في الوقت الذي انجلى الحصار عن تلمسان. فرضي بنو زيان عن سعيد بن داود، بني مرين جريمة

(1) ينظر إلى تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 178

(2) العبر: ج 6 - ص 52 - د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 230

(3) نفسه: ص 52 - مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق - ص 179 - د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: المرجع السابق - ص 230

(4) العبر: ج 6 - ص 53 - د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 231

(5) العبر: ج 6 - ص 52 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ص 178 - د. مصطفى أبوضيف أحمد

عمر: القبائل العربية - ص 159

قتل في حقه أبيه داود(1)، ولكن ابن خلدون لم يذكر أن بني زيان رضوا عن سعيد بسبب مقتل أبيه على يد بني مرين، وإنما ذكر أن أبناء عثمان بن يغمراسن قاموا بإرجاع أبناء داود إلى موطنهم ومع قومهم بقوله "...وكان قبل مرين وسيلة رعاها لهم بنو عثمان بن يغمراسن، فرجعوهم إلى موطنهم ومع قومهم..."(2)، ربما أدرك بنو زيان أهمية بني عامر في الدفاع عن إمارة بني زيان، خاصة وأنهم فقدوا الحليف عرب سويد أيام يغمراسن، وبعد أن عاد أولاد معرف بن سعيد من غيبتهم، بدأ الشقاق يدب بين بني عامر بن يعقوب وبني عامر بن حميد بسبب المكانة السياسية التي احتلها بنو حميد في بلاط بني عبدالواد، فهذه الغيرة هي التي دفعت سعيد بن داود إلى أن يفد على السلطان المريني أبي ثابت يخرضه على إمارة بني عبدالواد للانتقام من أبناء عمومته بني حميد، فلم يصادف محلا ورجع إلى قومه ربما كان سعيد ابن داود يريد أن يجد لقومه مكانة في البلاط المريني ينافس بها أبناء عمومته بني عامر بن حميد(3). وكان بنو عامر يشكلون كتلة واحدة متماسكة(4). مالبث أن ازدادت حدة الخلاف بين بني عامر بن يعقوب وبني عامر بن حميد. ولكن لم يذكر المؤرخون بني عامر بن شافع وحميان في هذا الصراع، ربما التزمت هذه الأطراف الحياد إزاء ما كان يحدث بين أطراف النزاع من بني عامر. أو كانت حميان وبنو عامر بن شافع طرفا مواليا لأحد المتصارعين، ويلاحظ أن المؤرخين قد تغافلوا عن ذكر موقف بني عامر بن شافع وحميان من الصراع الذي وقع بين بني عامر بن يعقوب

(1) العبر: ج6-ص52-مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص374

(2) نفسه: ص52-د. مصطفى أبوضيف عمر: القبائل العربية-ص159

(3) نفسه: ص53-مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص375

(4) نفسه: ص52-بوزيان الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبدالواد-ص204

وبني عامر بن حميد، ولم تزل المشاحنات بينهم أي بين بني عامر بن يعقوب وبني عامر بن حميد، حتى حصلت عداوة بين إبراهيم بن يعقوب بن معرف وسعيد بن داود فقتل إبراهيم بن يعقوب سعيد بن داود (1). وقتل ماضي بن ردان من أولاد معرف بن عامر بمجالاته فتعصب وتحالف ضد أولاد رباب كلهم، وكانت نتيجة ذلك أن انشق بنو عامر على أنفسهم، وانقسموا إلى حين هما: بنو يعقوب وبنو حميد، وحدثت القطيعة بينهما في عهد أبي حمو موسى الأول بن عثمان بن يغمراسن سنة 707هـ - 718هـ - 1307م - 1318م (2)، وتولى رئاسة بني يعقوب بعد مقتل سعيد ابنه عثمان، بينما تولى رئاسة بني حميد بعد إبراهيم بن يعقوب ابنه عامر بن إبراهيم، وكان شهما حازما له صيت، وحل بالمغرب قبل عريف بن يحيى، ونزل على السلطان المريني أبي سعيد (3)، وأصهر إليه ومده السلطان أبو سعيد بالمال، ربما كان يريد الاستعانة ببني مرين ضد أبناء عمومته بني يعقوب بن عامر، وكان عثمان بن سعيد رئيس بني يعقوب يتحين الفرصة للغدر بعامر بن إبراهيم حتى قتله في بيته (4)، وكان لهذه الجريمة التي ارتكبها عثمان بن سعيد والتي تنكر لها بنو عامر بن حميد، أن حدثت القطيعة النهائية بين بني يعقوب وبني حميد. فكانت نتيجة أن تحالف بنو يعقوب مع سويد ضد أبناء عمومته بني حميد، واستطال ولد عامر بن إبراهيم بقومه على بني يعقوب فلحق بنو يعقوب بالمغرب الأقصى، ولم يزالوا به إلى أن جاءوا في جيش أبي الحسن المريني في شوال 736هـ - 1337م (5)

(1) نفسه: ص 52 - مبارك بن محمد المليي: تاريخ الجزائر - ج 2 - ص 375

(2) نفسه: ص 52 - د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 159

(3) نفسه: ص 53 - مبارك بن محمد المليي: تاريخ الجزائر - ص 376 - د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 159

(4) العبر: ج 6 - ص 52 - مبارك بن محمد المليي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 374

(5) نفسه: ص 52 - مبارك بن محمد المليي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 374 - د. مصطفى أبوضيف أحمد

عمر: المرجع السابق - ص 158

ج2- دور بنو عامر وحميان في عهد أبي زيان بن أبي سعيد عثمان: يبدو من الأحداث التاريخية السابقة أن بني عامر في بداية تأسيس إمارة بني عبدالوادر، كانوا يشكلون كتلة واحدة، وشاركوا في كثير من المعارك والحروب التي شنها يغمراسن، ولكن فجأة حدث الانشقاق في صفوف بني عامر بين جناحي بني يعقوب وبني حميد خاصة بعد أن تعكرت العلاقات بين دواد بن هلال والأمير أبي سعيد عثمان بن يغمراسن، ربما بسبب اختلاف المصالح بينهما، أو حول من يحتل مكانة في بلاط بني مرين، ووصل النزاع بينهما إلى حد الاقتتال، بل أخذ الصراع والتنافس الداخلي بين بني عامر منحاً سياسياً، حيث دفع بنو عامر بن يعقوب إلى محالفة عرب سويد وحددت موقفها من بني عبدالوادر، ودفع بنو عامر بن يعقوب وسويد إلى تحريض السلطان أبي الحسن المريني على غزو إمارة بني عبدالوادر، واتسعت دائرة الصراع بين بني عامر، فلم يبق بينهم فحسب بل أصبح بين إمارتي بني عبدالوادر وبني مرين. وبالتالي أخذ هذا الصراع طابعاً إقليمياً، ووجد سلاطين بني مرين فرصة لتوسيع رقعتهم على حساب إمارة بني عبدالوادر، وهذا ما يبين تأثير قبائل بني زغبة على سياسة الإمارات الثلاثة، وفي خضم الغزو المريني للمغرب الأوسط قتل عثمان بن سعيد على أيدي أولاد عريف بن سعيد الذين ثأروا لعامر بن إبراهيم، وتولى رئاسة بني يعقوب بعد مقتل عثمان ابن عمه هجر بن غانم بن هلال الذي كان مساعداً له أورديفاً له في حياته، ثم قتل هجر بن غانم وخلفه سليمان بن داود (1). متى استولى السلطان أبو الحسن المريني على تلمسان، وما موقفه من بني عامر بن حميد وحميان؟ زحف أبو الحسن المريني إلى نواحي تلمسان سنة 732هـ - 1332م (2) ونزل بتسالة ربما لمراقبة تحركات قوات بني عبدالوادر والتجسس على استراتيجية أبي تاشفين. مهددا إمارة بني

(1) العبر: ج6-ص52-مبارك بن محمد الملي: المرجع السابق-ج2-ص379

(2) ينظر إلى أبي هو موسى الزباني-ص18

عبدالواد، ثم بعث أبو الحسن المريني إلى صهره الحفصي يدعوه إلى مهاجمة عسكر بني عبدالواد المتمركز قرب بجاية، ونهض أبو يحيى الحفصي متجها نحو بجاية (1)، وعندما علم جنود بني عبدالواد باقترابه فروا من مقرهم وأسلموه للحفصيين سنة 733هـ، ربما يعود ذلك إلى نقص الإمدادات العسكرية بسبب بعد تلمسان العاصمة عن بجاية. ثم حاصر أبو الحسن المريني تلمسان سنة 735هـ (2)، وأحكم حصاره واستعمل في حربها أحدث الآلات المعهودة آنذاك، ولم يتمكن أبو تاشفين وجيشه من حمل الجيش المريني على الإفراج عن تلمسان، وكان أبو الحسن أثناء الحصار يبعث عساكره إلى نواحي المغرب الأوسط (3). فاحتل جميعا وفي 22 رمضان 737هـ - 24 إبريل 1337م اقتحم الجيش المريني عاصمة بني عبدالواد تلمسان، واحتلها عنوة وانحاز أبو تاشفين وثلاثة من أبنائه ووزيره موسى بن علي الغزي إلى باب القصر يقاتلون دون الحرم والأولاد إلى أن قتلوا جميعا، فكان ذلك أول انتصار هام حققه بنومرين في المغرب الأوسط، ويبدو أن قوات بني عامر بن حميد وبنو عامر بن شافع وحميان لم تشارك في هذه المعركة، مما عظم نفوذ أبي الحسن المريني وظهر بمظهر السلطان القوي، وذاع صيته في الآفاق، وتأكد لدى الجميع أن نجم بني عبدالواد قد أفل، وأن دورهم التاريخي قد انتهى (4). ولما استولى أبو الحسن المريني على تلمسان فر بنو عامر بن حميد إلى الصحراء، وكان شيخهم في تلك الفترة صغير بن عامر (5)، لما ذا فر بنو عامر بن حميد وشافع وحميان من السلطان المغربي أبي الحسن المريني؟ ربما خوفا من انتقام بني عامر ابن يعقوب الذين حالفوا بني مرين..

(1) د. عبد الحميد حاجيات: أبو جهو موسى الزياتي - ص 21

(2) نفسه: ص 21

(3) نفسه: ص 23 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: المرجع السابق - ص 188

(4) د. عبد الحميد حاجيات: أبو جهو موسى الزياتي - ص 23

(5) العبر: ج 6 - ص 52 - عبد الحميد حاجيات: أبو جهو موسى الزياتي - ص 24

أو ربما لأن بني عامر بن حميد حالفت بني عبد الواد. لماذا كان السلطان أبو الحسن المريني يريد استمالة بني عامر بن حميد؟ فالغالب على الظن أن السلطان أبي الحسن المريني كان يهدف من وراء استقطاب بني عامر بن حميد إلى إضعاف قوة بني عبد الواد ليسهل عليه السيطرة على إمارة بني عبد الواد، ومع ذلك تمكن السلطان المريني أن يستميل بنو عامر ابن حميد من أولاد رباب وهم قوم صغير وذلك بواسطة عريف بن يحيى، وعين عريف بن سعيد شيخا من بني عمومة بني حميد وأولاد رباب وهو يعقوب بن العباس بن ميمون. فوفد على السلطان أبي الحسن المريني بعد ذلك عمر بن إبراهيم عم صغير فولاه السلطان عليهم أي على من انضم من بني عامر بن حميد إلى السلطان المريني إلا صغير بن عامر شيخ بنو عامر بن حميد الذي خالف إخوته، ورفض الانصياع للسلطان المريني، فاستغلهم في حربه ضد بني زيان (1). وذهب المؤرخون أن بني عامر قوم صغير شاركوا في معركة القيروان، حيث وفد صغير ابن عامر على السلطان أبي الحسن المريني طالبا الاعتذار، فقبل منه السلطان ذلك واسترهن أخاه أبا بكر، الذي رافق السلطان إلى تونس، وشارك معه في معركة القيروان (2). بينما ذكر أحد الباحثين أن بني عامر قاموا بدور إيجابي في مقاومة الغزو المريني للمغرب الأوسط، واسترداد أملاك بني عبد الواد بعد استيلاء أبي الحسن المريني على تلمسان سنة 737هـ - 1337م (3). فعندما زحف السلطان أبو الحسن المريني لغزو تلمسان وحاصر المدينة، وأثناء تفقده لحصونها ومعابنته لأبوابها، فاجأه فرسان بني عبد الواد مقلدين ما فعله يغمراسن بالسعيد الموحي (4). وكادوا أن يغتالوه لولا وليه عريف بن يحيى أمير عرب سويد الذي دافع بإخلاص عن سيده حتى

(1) العبر: ج 6- ص 52-53- الزركشي: تاريخ الدولتين- ص 81- السلاوي: الاستقصا- ج 3- ص 154-155

(2) نفسه: ج 7- ص 259-260- السلاوي: الاستقصا- ج 3- ص 132-133

(3) د. مصطفى أبوضيف عمر: القبائل العربية- ص 157

(4) العبر: ج 7- ص 42- السلاوي: الاستقصا- ج 3- ص 133-134

لحقت بهم الإمدادات، ودخل بنومرين تلمسان في 748هـ - 1347م (1)، قام عريف بن يحيى باستئلاف القبائل العربية بالمغرب الأوسط لحساب سلطانه، فحالفت بطون حميد وأولاد رباب من بني عامر بن زغبة المرينيين، ماعدا بعض من بني عامر بقيادة صغير والديالم وأولاد ميمون بن غانم بن سويد منافسي أولاد عريف، فقد فضلوا ملازمة بني عبدالوادر وهربوا إلى الصحراء، واستقروا بقلعة بعيدا عن متناول أعدائهم (2)، وعندما مرض أبو الحسن المريني بمدينة متيجة، ظن أبنائه عبدالرحمان وأبو مالك أنه على وشك الهلاك فجند كل منهما الأعوان، وما أن شفي أبو الحسن المريني حتى سكنت الفتنة، وأدار أنصار الأمس ظهورهم للأميرين فاشتد جزع الأمير عبدالرحمان وفر إلى أولاد علي من أمراء زغبة بأرض حمزة وهم بنويزيد التي تنتمي إليهم حميان، المحالفين لبني عامر طالبا مساعدتهم ضد أبيه، فقبض عليه أميرهم موسى بن أبي الفضل، وأعادته إلى أبيه الذي اعتقله، وأودعه السجن فنفرد خدمه في الجهات (3). يفهم من الأحداث السابقة أن بني عامر أصيبوا على المستوى الداخلي بالاغتيالات، وعلى المستوى الخارجي بالانقسام، واستغلوا كجند في الإمارات المرينية والعبدالوادية، وأصبح كل طرف منهم يقاتل الثاني، كذلك يستخلص من هذه الأحداث أن بني عامر ومن جملتهم حميان انقسمت إلى ثلاث أجنحة بعد غزو أبي الحسن المريني للمغرب الأوسط، فقد حسم بنو عامر بن يعقوب موقفهم من الغزو المريني، فهم الذين كانوا وراء هذا الغزو، أما بنو عامر بن حميد فإنهم كانوا موالين لبني عبدالوادر، ولكن بعد مطاردة السلطان المريني لهم استسلم البعض منهم للسلطان،

(1) العبر: ج 7- ص 259-260- السلاوي: الاستقصا- ج 3- ص 133-134 د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: القبائل

العربية- ص 157

(2) العبر: ج 7- ص 259-260 - يحيى بن خلدون: بغية الرواد- ج 2- ص 28- السلاوي: الاستقصا- ج 3- ص 133-

134 د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب- ص 188

(3) د. عبدالحميد حاجيات: أبوهم موسى الزياتي- ص 25

وتقرّد البعض الآخر بزعامة صغير بن عامر وفر وأتباعه من بني عامر بن حميد ولجأوا إلى موطن الذواودة، ونزلوا على يعقوب بن علي وقد استقر بهم المقام عنده، وقد تضاربت آراء المؤرخين حول موقف بني عامر بن حميد وبني عامر بن شافع وحميان أتباع صغير بن عامر، فذهب بعض المؤرخين والباحثين أن صغير بن عامر وفد على السلطان المريني أبي الحسن وشارك معه في معركة القيروان، والبعض الآخر من المؤرخين والباحثين ذهب إلى القول بأن بني عامر بن حميد واجهت السلطان أبي الحسن المريني عندما غزى تلمسان والراحج أن بني عامر بن حميد واجهت السلطان أبي الحسن المريني دفاعاً عن إمارة بني عبدالواد. ولكن عندما سيطر السلطان المريني على المغرب الأوسط وتطلع إلى غزو إفريقيا، فاحتمالاً راجع صغير بن عامر موقفه من بني مرين، خاصة بعد أن لاحظ أن أمراء بني عبد الواد انضموا إلى جيش أبي الحسن المريني في معركة القيروان (1)، وأربما كان صغير بن عامر وأتباعه من ضمن جيش بني عبدالواد الذي أعلن انضمامه إلى الجيش المريني في معركة القيروان وكان ذلك في عهد أبي تاشفين، حتى شبوا نار الفتنة بالدعي بن هيدور شبیه أبي عبدالرحمن بن السلطان أبي الحسن، وقد ساعد هيدور المشبه بأبي عبد الرحمن بن أبي الحسن الناقمين على الدولة المرينية من الديالم وأولاد ميمون بن غنم بن سويد فاجتمعوا له وبايعوه (2). ولما بلغ السلطان أبو الحسن خبر مبايعة عرب بني عامر بن حميد وعرب سويد والديالم والعطاف لهيدور المشتبه بأبي عبدالرحمن. بعث بونزمار لخاربتهم فنهض ونزمار إليهم، وأوقع بهم وقضى عليهم ومزق جمعهم (3)،

(1) د. عبد الحميد حاجيات: أبو جهو موسى الزياتي - ص 25

(2) العبر: ج 6 - ص 53 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو جهو موسى الزياتي - المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر - 1980 -

ص 84 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 157

وفر صغير بن إبراهيم وأتباعه من بني عامر بن حميد(1) إلى القفار وقطعوا العرق الرمل الذي يعد سياجا على مجالات العرب، ونزل صغير وأتباعه بقلعة والد واستقروا بها. واحتل صغير وقومه مكانة خاصة في بلاط بني عبدالوادر(2) بسبب ولائه لإمارة بني عبدالوادر.

ج3- دور بنو عامر بن حميد وحميان في عهد الأميرين أبي سعيد وأبي

ثابت: بعد أن تحول عرب سويد إلى خدمة بني مرين، اتسعت رقعة الدولة المرينية خاصة خلال عصري أبي الحسن علي بن عثمان وابنه أبي عنان في الفترة من 731هـ إلى 759هـ. 1331م-1358م(3)، واتصل ملك بني مرين مابن برقة إلى السوس الأقصى، وفي المغرب الأقصى قام الصراع في البيت المريني حول السلطة، وتأرجحت طاعة مدن المغرب الأقصى بين أبي الحسن وابنه أبي عنان على أن تقرر مصير الصراع بينهما على أرض المغرب الأوسط ويبد قبائله العربية(4)، فقامت سويد بقيادة عريف وابنه ونزمار وأنصارهم من عرب حصين والعطاف والديالم للقضاء على ثورة أبي عنان ومحالفه من بني عبدالوادر عرب بني عامر، والتقوا جميعا بوادي ورك من بلاد العطاف في 750هـ- 1348م(5) وهزمت سويد وأحلافها. فلجأ الأمير الناصر بن أبي الحسن إلى أمير بسكرة ولجأ عريف بن يحيى إلى أبي عنان بالمغرب الأقصى(6) وفي المغرب الأوسط اجتمع إلى أبي الحسن المريني عدد كبير من عرب سويد والديالم والعطاف والحرث وحصين(7).

(1) د. عبد الحميد حاجيات: إحياء الدولة الزيانية- الجزائر في التاريخ- ج3- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1984-

ص401- د. يحيى بوعزيز: المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الوادر- ص20

(2) العبر: ج7- ص260

(3) نفسه ص260- يحيى بن خلدون: بغية الرواد- ج2- ص28- د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزياني- ص84

(4) نفسه: ص260- يحيى بن خلدون: بغية الرواد- ج2- ص28- السلاوي: الاستقصا- ج2- ص171-172

(5) نفسه: ص260- بغية الرواد- ج2- ص28- د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزياني- ص84

(6) بغية الرواد: ج2- ص28- السلاوي: الاستقصا- ج2- ص172

(7) العبر: ج7- ص260- بغية الرواد- ج2- ص29

بقيادة ونزمار بن عريف بن يحيى السويدي ومن التف حوله من عرب الثعالب، فرحف بهم إلى تلمسان، والتقى بقوات بني عبدالواد وحلفائهم من عرب بني عامر بقيادة الأمير ثابت (1)، فهزمت القوات المرينية وقتل الناصر بن أبي الحسن، وفر أبو الحسن ووليه ونزمار بن عريف إلى الصحراء، حتى بلغ سجلماسة بالمغرب الأقصى عازما على استرداد ملكه، وزحف أبو عنان لملاقة أبيه وكتب عريف بن يحيى إلى ابنه ونزمار بن عريف ينصحه ومن معه من عرب سويد بالتخلي عن أبي الحسن مهددا إياه بقتل ابنه عنتر بن ونزمار الموجود معه فآثر ونزمار رضا أبيه ولحق ببسكرة (2)، مما اضطر إلى اللجوء إلى جبل هنتاة بلاد المصامدة بالأطلس الكبير. وفي عهد السلطان أبي عنان المريني ارتفعت مكانة ونزمار بن عريف أمير عرب سويد، فأقطعه أبو عنان بلاد السرسو وقلعة ابن سلامة وكثيرا من بلاد توجين (3). والتف بنو عامر بن حميد ومن معهم من بني عامر بن شافع وحميان حول الأميرين وهما أبوسعيد بن عبدالرحمان بن يحيى بن يغمراسن وأخوه أبو ثابت، وغادرا إفريقية متجهين نحو عاصمة أسلافهم تلمسان لإحياء إمارة بني عبدالواد تمكن السلطان أبو الحسن المريني أن يستميل بطون بني عامر بن حميد وأولاد رباب أورياب في بعض نسخ ابن خلدون وتم له ذلك بواسطة عريف بن يحيى، وفي نفس الوقت ذكر عبدالرحمان بن خلدون بقوله: "ثم عاد أبوبكر إلى قومه بني عامر بن حميد، والتحقوا جميعا بإمارة بني عبدالواد، واستخدموا قبائلهم لأبي سعيد عثمان ابن عبدالرحمن بن يحيى بن يغمراسن الدائل بتلمسان بعد واقعة القيروان (4).

(1) العبر: ج 7-ص 117-118-279-283-يحيى بن خلدون: بغية الرواد-ج 1-ص 153-154

(2) العبر: ج 6-ص 52 حاجيات: بد الحميد حاجيات: إحياء الدولة الزيانية-ص 401 أبو زيان الدراجي: نظام الحكم في دولة بني عبدالواد-ص 204

(3) العبر: ج 7-ص 119 و 285-يحيى بن خلدون: بغية الرواد-ج 1-ص 156-السلوي: الاستقصا ج 2-ص 171-172

(4) ينظر إلى العبر: ج 6-ص 47

يفهم من نص ابن خلدون أن بني عامر بن حميد وربما بني عامر بن شافع وحميان بعد أن انتهوا من معركة القيروان وتم الإفراج عن أبي بكر من طرف أبي الحسن، التحق بنو عامر بن حميد ومن معهم من بني عامر بن شافع وحميان بإمارة بني عبدالوادر، وسخروا قبيلهم لخدمة أمير أبي سعيد بن عثمان. وقد حد ابن خلدون تاريخ التحاق بنو عامر بن حميد بأبي سعيد بن عثمان وكان ذلك سنة 750هـ. فر صغير بن إبراهيم إلى الصحراء كعادته، وأقام بالقفر وأخذ يترقب ما يحدث ولحق به أكثر قومه من بني معرف بن سعيد (1) فارتحل بهم في كل مكان واتصل صغير وقومه بأولاد حسين من المعقل الذين تخلوا عن السلطان أبي عنان سنة 755هـ (2)، وهاجموا مع أولاد حسين سجلماسة حتى فاجأهم جيش أبي عنان وهم بنكور، فاكسح الجيش المريني عامة أموالهم وأثخنوا فيهم قتلا وأسرا (3)، واحتلت سويد وبني عامر بن يعقوب مكانة في بلاط بني مرين في عهد السلطان أبي عنان، واستولت سويد وبني عامر بن يعقوب على مجالات بني عامر بن حميد، الذين بقوا مشردين في الصحراء إلى أن توفي أبي عنان (4). وقد تغافل بعض المؤرخين والباحثين عن دور بني عامر وحميان في عهد أبي سعيد وأبي ثابت حيث ذكر يحيى بن خلدون أن بني عامر بن حميد وشافع ومن جملتها حميان ساهمت في جيش أبي سعيد وأبي ثابت فالأول أي أبو سعيد كان يتولى السلطة السياسية وإدارة شؤون الدولة، والثاني أي أبو ثابت كان يتولى الشؤون العسكرية، فماهو دور بنو عامر بن حميد وشافع وحميان العسكري في عهد أبي سعيد وأبي ثابت؟ حسب ماجاء في المصادر التاريخية أن بني عامر وحميان شاركت في

(1) العبر: ج 6 - ص 53 - يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 2 - ص 28 - السلاوي: ج 3 - ص 133 - 134 - مبارك بن محمد

الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 373

(2) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 1 - ص 246 - ابن عودة المازري: طلوع سعد السعود - ج 1 - ص 179

(3) ابن عودة المازري: طلوع سعد السعود - ج 1 - ص 179 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو جهو موسى الزياتي - ص 75

(4) د. عبد الحميد حاجيات: أبو جهو موسى الزياتي - ص 75

جيش أبي ثابت، ولكنها تخاذلت عنه مما أدى إلى هزيمته في ايسلي أمام قوات أبي عنان المريني وكان سبب هذه المعركة أن استنجدت قبيلة مغراوة بالسلطان أبي عنان الذي طلب من أبي ثابت رفع الحصار عنها، فأبي السلطان أبو ثابت ولما سمع أبو عنان بموت علي بن راشد أنف وتحرك اتجاه تلمسان، ولقيه أبو سعيد وأبو ثابت بجيش بلغ منه الإعجاب بأنقاد ونزلوا باسلي، وبنومرين بمزغان. فكان مصاف القتال بوادي القصب*، واستمر أبو ثابت لتلمسان فأقام بها يوما واحدا، ولحق بالجزائر، فاجتمع عنده جيش عظيم، ورجع مغربا لعدوه فكان مصاف القتال بوادي شلف، ف وقعت حربا فنكص بنومرين الأعقاب، فحمل ونزمار بن عريف على أبي ثابت، فردهم على أعقابهم وحصلت الهزيمة، ففر أبو ثابت وأبو حمو موسى الثاني والوزير يحيى بن داود في اتجاه المنطقة الشرقية في ثياب التنكر(1)، فأرصدتهم صاحب بجاية، فأخذهم فقال لهم الآخذون من هو ثابت منكم، فتقدم أبو حمو وقال لهم أنا فأطلقوا غيري، فورد عليهم من يعرف أبي ثابت وهو ونزمار بن عريف، فحملهم إلى أبي عنان المريني فقتله في عشر رمضان سنة 752هـ، وذهب يحيى بن خلدون بقوله "...أنه وفي أول هذا الشهر أي في غرة محرم فاتح سنة اثنتين وخمسين اتفق أن وصل من تونس محمد بن عمر الجمي مجتازا على مغراوة، فقتلوه غيلة بمازونة تعديا لحدود الله وخرقا لحجاب السلم، فاهتاجت لذلك حماية السلطانين، ونهض لحربهم السلطان أبو ثابت بقبيله وألافهم يوم الاثنين غرة محرم فاتح سنة 752هـ، واستجاش سويد وبني عامر وأقدم عليهم فلم يثبتوا للقاءه وتذموا بمعقل أجزواو..."(2).

* وعند ابن عودة المزاري ولما حمى الوطيس خدعت بنو عامر على عادتهم وجرت الهزيمة أبي سعيد وكب به فرسه، فأخذ وقتل

يوم السبت حادي عشر جمادي الأولى سنة ثلاث وخمسين وسبع مائة للهجري ينظر إلى: طلوع سعد السعود - ج 1 ص 179

(1) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزباني - ص 75

(2) ينظر إلى بغية الرواد - ج 1 ص 246

يفهم من رواية يحيى بن خلدون أن بني عامر شاركت في معركة إيسلي، ولكنه لم يحدد يحيى بن خلدون فرعاً من فروع بني عامر، وربما كان يقصد بني عامر بن حميد وشافع وحميان التي شاركت إلى جانب أبي ثابت ضد مغراوة.

أ- دور بنو عامر وحميان العسكري في عهد أبي حمو موسى

الثاني (ينظر إلى الملاحق ص) ما بين 1359م - 1390م: لعب بنو عامر بن حميد وشافع وحميان دوراً بارزاً في إمارة بني زيان خاصة في عهد أبي حمو موسى الثاني، حيث ذكر عبد الحميد حاجيات "...لعب بنو عامر دوراً في حركة أبي حمو موسى الثاني لإحياء الدولة الزيانية، وأضاف أن الصراع بين أمراء بني زيان، أدى إلى أن تلعب قبيلة بني عامر دوراً حاسماً في بلاط بني زيان..." (1). وفي قرية بريكة من بلاد الحضنة لقي بني عامر وشيوخهم صغير، وكانوا قد طردوا من أراضيهم بالمغرب الأوسط فغادروا منطقتهم والتجأوا إلى تلك الناحية في منتصف شوال 759هـ (2). وفي رواية المزاري "...إلى أن جاءه من المغرب سقير بن عامر الهلالي رئيس بني عامر بقبيله ومعه مغراوة فجاءوا مغربين به لجبل عياض ومنه للزاب وريغة ووارقلا وجبل مزاب وواد زرفون..." (3) ولكن السؤال الذي يطرح نفسه كيف عرف بنو عامر قوم سقير أن أباهم كان متمركزاً بهذه الناحية؟ وكيف عرفوا أنه ينسب إلى أسرة أمراء بني عبدالواد؟ ربما بلغ صغير بن عامر شيخ بني عامر بن حميد خبر وجود أبي حمو بهذه المنطقة بحكم كان بنو عامر بن صغير بمنطقة بريكة، وأبو حمو موسى الثاني كان رفقة عرب الذواودة، كذلك بهذه المنطقة. فإن اللقاء كان سهلاً بينه وبين بني عامر.

(1) د. عبد الحميد حاجيات: أبو موسى الزياني - ص 84

(2) نفسه: ص 84

(3) ينظر إلى: طلوع سعد السعود - ج 1 - ص 181-182

أوأن أبا حمو موسى الثاني قد اتفق مع حلفائه من بني عامر قوم صغير أن يتم اللقاء بهذه الناحية. وربما كان بنو عامر بن حميد وشافع حميان على علم بأن ابن أخ أبي سعيد وأبي ثابت كان برفقتهم، وربما وصلتهم أخبار أنه اتجه إلى تونس بعد ما ألقى القبض على أبي ثابت، وبعد أن قتل عمه أبوسعيد عثمان الثاني. وقضى أبو حمو سنة كاملة متنقلا في جنوب إفريقية، فصحب الذواودة في معظم هذه الفترة (1) وساهم في غاراتهم على بعض النواحي، إلا أنه لم يفتأ يتطلع إلى موطنه، ويتربص لأعداء قومه منتظرا الفرصة التي تمكنه من إحياء الدولة الزيانية (2)، ولا شك أنه حاول أثناء هذه الفترة استئلاف الذواودة واستمالتهم لمساعدته على تحقيق هدفه، وأمنيته وأمنية قومه وأحلافهم في المغرب الأوسط وهي طرد بني مرين من المغرب الأوسط (3). فكانت مقاومة الخطر المريني في المنطقة الغربية من إفريقية أول مرحلة نحو بلوغ ذلك الهدف. وقد ذكر عبد الرحمان بن خلدون "... أن الذواودة اجتمعوا إلى الحاجب أبي محمد بن تافراكين، ورغبوه في لحاق أبي حمو بن يوسف بالمغرب من غربته، وأنهم ركابه لذلك ليجلب على تلمسان ويحصل للسلطان أبي عنان شغلا عنهم..." (4)، وفي رواية السلاوي "كان بنو عامر بن زغبة من عرب هلال خارجين على السلطان أبي عنان منذ استيلائه على تلمسان، وكانت رياستهم إلى صغير بن عامر بن إبراهيم، ولما رجع أبو عنان إلى فاس، اعتزم صغير على الرحلة بقومه إلى وطنهم من صحراء المغرب، وظهر أبو حمو موسى الثاني بن يوسف أخو السلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن (5)

(1) العبر: ج 7-ص 53

(2) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني - ص 85

(3) نفسه: ص 85

(4) نفسه: ص 85

(5) ينظر إلى الاستقصا - ج 2 - ص 22

لطلب ملك أسلافه بتلمسان، وكان مستقرا بتونس منذ غلبهم أبو علي على أمرهم، فرحل صغير من الصحراء والتحق بوطن الذواودة، ووفد على يعقوب بن علي الذي كان في خلاف مع السلطان أبي عنان (1)، وتوسل إليه صغير من أجل مساعدته على نقل أبي هو الثاني من إيالة بني حفص من الموحدين والتوجه به إلى تلمسان وإنهاء الحكم المريني به، فأرسلوا معه وأعطوه الآلة (2). يبدو أن مسيرة أولاد عثمان بن سباع مع أبي هو في اتجاه الحصنة كانت ترمي إلى ذلك، ثم إن اللقاء مع قوم سقيرين عامر كان من شأنه أن يقوي عزيمة الجميع للغارة على بني مرين وأحلافهم (3). وانتقل أبو هو ورفاقه إلى مقرة لتجسس أخبار الجيش المريني، ثم توجهوا نحو الزاب على ثنية غنية بين جبل أوراس عبر جبال عياض ونزلوا بريغ، ثم تابعوا سيرهم إلى الجنوب واستقروا مدة بوارجلا (4). والظاهر أن هذه المسيرة كانت ترمي إلى الفرار من العدو المريني وإيهامه بالتوجه نحو الشرق مما يجعل حدا لمطاردته (5). أو ربما كانت تهدف هذه المسيرة إلى الابتعاد عن الجيش المريني ومباغتته لأبي هو ورفاقه، أو احتمالا أن أبا هو اتبع هذه الاستراتيجية لإرهاق الجيش المريني، ولكن أبا هو وأحلافه من بني عامر قوم صغير.

(1) لسان الدين بن الخطيب: نفاضة الجراب في علة للإغتراب - تحقيق د. أحمد مختار العبادي - مراجعة عبد العزيز الأهواني - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة - دون تاريخ - ص 10 - العبر: ج 7 - ص 259 - 260 - السلاوي: الاستقصا ج 3 - ص 133 - 134 د. عبد الحميد حاجيات: إحياء الدولة الزيانية - ص 401 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 157 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 380 - رابح بونار: المغرب العربي - تاريخه وثقافته - ط 3 - دار الهدى - عين مليلة - الجزائر - 2000 - ص 296

(2) د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزياني - ص 86

(3) مؤلف مجهول: زهر البستان - ورقة 8 ط - يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 2 - ص 22 - 23 د. عبد الحميد حاجيات: نفسه: ص 85

(4) د. عبد الحميد حاجيات: نفسه - ص 86

(5) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 2 - ص 23 - 24 - مؤلف مجهول: زهر البستان - ورقة 9 د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزياني - ص 86

توجهوا بعد ذلك نحو الغرب فمروا بمنطقة الزاب. ومن ثم قصدوا إلى الشمال الغربي، سالكين طريق وادي زرفون(1)، وهناك حل موسم عيد الأضحى فأقاموا بتلك الناحية أياما إلى أن بلغهم نبأ استقرار سويد بوادي ملال، فأغاروا عليهم وفاجؤوهم بذلك الموضع، فهزموهم وقتلوا بعض أبطالهم مثل عثمان بن ونرمار بن عريف، وسبوا نساءهم وغنموا الإبل والمال(2)، فنال بنو عامر ما كانوا يأملونه من الانتصار على أعدائهم والانتقام منهم وكان ذلك في أواخر ذي الحجة 759هـ(3)، ومكث أبوحمو وصغير وجماعتهما بوادي ملال يتربص الأخبار بعض الأيام وفي السادس أو السابع من محرم 760هـ-1359م حتى فوجئوا بخبر وفاهم من بلدهم ألا وهو وفاة السلطان أبي عنان وجنازته بفاس في 27 ذي الحجة 759هـ-5 ديسمبر 1358م(4) وعندئذ أدرك أبوحمو ورفاقه من بني عامر وحميان أن الفرصة سانحة للقيام بحركة في اتجاه تلمسان، ورأى أبوحمو وصغير أن آن الأوان لطرد بني مرين وأحلافهم عن تلمسان ونواحيها، فعزما على القيام بحركتهما لإحياء دولة بني عبدالواد(5). ورافق أبوحمو الثاني صغير بن عامر وصوله بن يعقوب بن علي وزيان بن عثمان بن سباع وشبل بن أخيه ملوك من بني عثمان ومن البدو دغار بن عيسى بن رحاب بقومه من سعيد، وصاروا مع أبي حمو ورفاقه من بني عامر إلى تخوم بلاده(6)، وكان الغرض من مسيرة أبي حمو رفقة أولاد عثمان بن سباع وبني عامر هو شن الغارات على جنوب المغرب الأوسط وعلى ناحية سجلماسة(7).

(1) العبر: ج-6-ص52-السلامي: الاستقصا ج2-ص05 مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج2-ص373

(2) د. عبد الحميد حاجيات: أبوحمو موسى الزياتي-ص86-د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: المرجع السابق-ص188

(3) نفسه: ص86

(4) السلامي: الاستقصا-ج2-ص06-عبد الحميد حاجيات: أبوحمو موسى الزياتي: ص86

(5) العبر: ج-6-ص52-يحيى بن خلدون: بغية الرواد-ج2-ص24-25-د. عبد الحميد حاجيات: أبوحمو موسى-ص87

(6) د. عبد الحميد حاجيات: أبوحمو موسى-ص87

(7) السلامي: الاستقصا-ج2-ص05

وذلك لشغل أبي السلطان أبي عنان المريني عن مهاجمة بلاد إفريقية، أما أولاد عثمان بن سباع من الذواودة فإنهم قرروا العودة إلى أراضيهم بغرب إفريقية، وكان موت أبي عنان تنبئ باضمحلال النفوذ المريني بإفريقية (1). فتوجه أبوحمو ورفاقه إلى سبخة كبود، ثم إلى درج ومن هناك إلى التل عن طريق ثنية فرتون ثم انتقلوا إلى عين الحجر وقصدوا بعد ذلك وادي يسر، وهو من روافد وادي تافنة، ثم توجهوا نحو تلمسان مارين بتيط وشقوف، ولما اقتربوا من تلمسان تصدت إليهم الحامية المرينية بوادي الصفصيف على مسافة 5 كلم من المدينة فلم تستطع مواجهتهم ومدافعهم، وولت منهزمة واعتصمت بتلمسان في 25 صفر 760هـ (2). وكان على تلمسان آنذاك محمد بن السلطان أبي عنان يتولى شؤونها بمساعدة مربيه سعيد والأمير يغمراسن بن عثمان بن سليمان المريني، ولم يكن الاستيلاء على تلمسان بالأمر الهين، وذلك أن عدد جنود الحامية كان لا يقل عن ثلاثة آلاف من بينهم ألف وثمانمائة من بني مرين (3). وعندئذ أقبل على أبي حمو بعض أهالي تلمسان فأخبروه عن عورات البلد وأغروه بأغادير لقرب مناله بشيع أهله (4). وقسم أبوحمو جيشه إلى فرقتين: إحداهما تصم بني عبد الواد وغيرهم من الزيانيين بقيادة ابن برغوث، تتخذ طريق العقبة الواقع في الجهة الشرقية من تلمسان، والثانية تشمل عرب بنو عامر ومن جملتهم حميان التي اتجهت نحو باب كشوطة الواقع في الجهة الغربية من المدينة، وكانت هذه الخطة ترمي إلى شغل معظم الحامية المرينية في الجهة الغربية (5). ليتسنى لابن برغوث ورفاقه اقتحام المدينة من الجهة الشرقية بأغادير.

(1) د. عبد الحميد حاجيات: أبوحمو موسى الزياتي - ص 87

(2) مؤلف مجهول: زهر البستان - ورقة 12 ظ - عبد الحميد حاجيات: نفسه - ص 87

(3) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 2 - ص 28 - د. عبد الحميد حاجيات: أبوحمو موسى - ص 88

(4) نفسه: ص 28 - د. عبد الحميد حاجيات: أبوحمو موسى - ص 88

(5) نفسه: ص 28

ولما ظهرت جموع أبي حمو وهم من بني عامر وحميان، وتصدى لمدافعتهم جنود الحامية المرينية، وهم يطلون عليهم من شراريف الأسوار بعد أن أغلقوا أبواب المدينة، توجه ابن برغوث ومن معه نحو باب العقبة ولم يمض قليل من الوقت حتى ملكوا أغادير(1)، وانتهى الأمر باستسلام حامية بني مرين، ودخول أبي حمو مع حلفائه تلمسان محققا بذلك آمال قبيلته وأهالي بلاده في الخلاص من الاحتلال المريني، وإحياء الإمارة الزيانية في فاتح ربيع الأول سنة 760هـ - 1359م(2). بينما ذكر يحيى بوعزيز بقوله: "وعاد بنوريح إلى بلادهم، وسار أبو حمو الثاني مع عدد كبير من أنصاره عبر المسيلة والزاب وواد يسر، ومضيق وهران. وقد تعرض أبو حمو وبنو عامر لهجوم من طرف سويد التي لقيتهم، واستطاع بنو عامر إلحاق الهزيمة بسويد، وقتلوا شيخها ابن عيسى عريف وأسروا أخاه أبا بكر، وعلي بن عمر من بني عامر أطلق سراحه وعملوا على نجدة أبي حمو، وفي الوقت الذي فرغ بنو عامر من حربهم مع سويد، دخل أبو حمو الثاني إلى تلمسان رفقة بني عامر وبني زغبة ربما حميان ودخلوا إليها من المغرب، وتغلبوا على عساكر بني مرين، وانتزعوا تلمسان منهم أوائل سنة 760هـ - 1359م(3) ولم يجد ابن السلطان أبي عنان والي تلمسان مفرا من اللجوء وحاشيته وقومه إلى صغير بن عامر زعيم عرب بني عامر حمايتهم. فأحسن إليهم وأجارهم وأعادهم إلى بلادهم في حماية فرسان عرب بني عامر(4).

(1) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ص. 28-30 د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني - ص. 88

(2) وعن دخول قوات أبي حمو إلى تلمسان ذكر يحيى بن خلدون أن سكان أغادير كانوا قد وعدوا أبا حمو على لسان الفقيه عبد الرحمان بن مخلوف الشامي بنصرته ضد بني مرين وأنهم فتحوا باب العقبة لابن برغوث فتمكن من الدخول إلى

أجادير. ينظر إلى بغية الرواد - ج 2 - ص. 28-30

(3) ينظر إلى: المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبدالواد - ص. 13

(4) العبر: ج 7 - ص. 123 و 302 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص. 103

ضارباً بذلك المثل لأخلاق العربي في إخفار ذمة اللاجئ الطالب للحماية حتى وإن كان من الأعداء، ونوه الشعراء بدور بني عامر في إحياء إمارة بني زيان، ونددوا بهزيمة أعدائها من عرب سويد. تسربت كردوسين من آل عامر ومن آل إدريس الشريف بن القاسم. رجال إذا جاش الوطيس تراهم أسود الوغى من كل ليث ضبارم. وولت سويد ثم خلت مجيرها وشيخ حماها في الثرى أي جاثم (1). ويعود نجاح أبي حمو الثاني وحلفائه بني عامر وحميان في حركتهم على تلمسان إلى الأوضاع السياسية بإفريقية والمغرب الأوسط قبيل سنة 760هـ، التي تمثلت في فشل أبي الحسن المريني في بعث دولته بسبب منافسة ابنه أبا عنان، وتعاون أبو حمو الثاني مع أبي إسحاق الحفصي (2)، واستعداد أبو حمو الثاني ملك بني عبد الواد، وأطلق عليها اسم الدولة الزيانية بعد أن كانت تسمى بإمارة بني عبد الواد (3). يظهر من هذه الأحداث أن حركة أبي حمو كانت ترمي إلى مقاومة الاحتلال المريني للمغرب الأوسط والحد من هجمات القوات المرينية على إفريقية، وأن القوات التي شاركت في هذه الحركة، كانت تضم خاصة قبيلة بني عامر خاصة بني عامر بن حميد وشافع وحميان وبعض من رياح وقليل من الزناتيين ممن كانوا قد هاجروا قبل ذلك إلى إفريقية (4). ولم تتخذ الحركة شكلها السياسي الموجه إلى إحياء دولة بني عبد الواد. إلا بعد أن ورد خبر وفاة السلطان أبي عنان، حيث ظهر أن الفرصة سانحة للقيام بمحاولة قد تكون ناجحة (5).

(1) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - 2 - ص 28 - مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب - ص 159

(2) نفسه: ص 401 د. عبد الحميد حاجيات: إحياء الدولة الزيانية - ص 402 - د. يحيى بوعزيز: المراحل والأدوار - ص 20

(3) د. يحيى بوعزيز: المراحل والأدوار - ص 20 - رابع بونار: المغرب العربي وثقافته - ص 290

(4) العبر: ج 6 - ص 52 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني - ص 84

(5) د. عبد الحميد حاجيات: إحياء الدولة الزيانية - ص 402

وبناء على هذه الاعتبارات يمكن الخروج بنتيجة وهي أن حركة أبي حمو حظيت بتأييد بني عامر ومساعدتهم (1). وكان بنو عامر بن حميد وشافع وحميان، لأن بني عامر بن يعقوب فقد حددت موقفها من سويد منذ الشقاق الذي وقع بين فرعي بني عامر، يهدفون من وراء هذه الحركة إلى مناهضة سويد أعدائهم بالدرجة الأولى، أما دور أبو حمو موسى الثاني لم يكن دون الرئيس المدبر بآتم معنى الكلمة، فترشيحه للإمارة لم يكن حسب التقاليد المألوفة، إذ لم يكن ابن سلطان ولم يعين من طرف مشيخة بني عبدالواد (2)، وإنما اتجهت أنظار عرب بني عامر إليه للأسباب السياسية المذكورة، ولم يكن ذلك لاحتياجهم إلى رئيس يقودهم إلى النصر، بل لتكتسي عمليتهم طابعا شرعيا فهم إذ يغفرون على المغرب الأوسط يقومون بإعادة أمير على عرش أجداده ويساهمون حينئذ في أخذ حق ورد عدوان (3). وهنا تتجلى خطورة مشاركة بني عامر في هذه الحركة، وأهم ما يلاحظ فيها أن عرب بني عامر كانوا ينتظرون منذ زمن طويل فرصة للدخول إلى التل والاستيلاء على مراعيه الخصبة التي كانوا محرومين منها ربما من طرف عرب سويد وليس من طرف بني عبدالواد، ومنذ بداية النصف الثاني من القرن الثامن الهجري خصوصا خلال فترة حكم أبي حمو الثاني ازدادت قوة بني عامر وحلفائهم من القبائل العربية بالمغرب الأوسط، وضعفت قبائل زناتة فتمكنت زغبة سائر البلاد بالإقطاع من أبي حمو طوعا أو كرها حتى طردوا زناتة على سيف البحر (4)، والواضح أن دفاع هذه القبائل عن المغرب الأوسط هو في الواقع دفاع عن مصالحها من الضياع. وكان أبا حمو بإقدامه على التحالف معهم، قد التزم نحوهم بترضية هذه الرغبة.

(1) العبر: ج 6 - ص 53 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب - ص 160

(2) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياتي - ص 90

(3) العبر: ج 6 - ص 47-48 - ج 7 - ص 302 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 158

(4) يحيى بن خلدون: بغية الروادج 2 - ص 39 و 50-51 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث ص 178

الأمر الذي سيجعل بني عامر يحتلون مكانة سامية (1) في بلاط بني زيان وفي أوضاع الإمارة السياسية والاقتصادية مدة طويلة (2) ورغم الأزمة المالية التي كانت تعاني منها الإمارة الزيانية، إلا أن أبا جمو الثاني كافأ أنصاره وحلفائه من بني عامر بن حميد قوم صغير وشافع وحميان والمعقل حينما وفدوا لتهنئته، فكساهم جميعاً رغم كثرة عددهم البالغ نحو ثمانية آلاف (3)، ووهب رؤساءهم الخيل الأصيلة التي أخذها من فرسان بني مرين، وأقطعهم الأراضي ومنحهم الامتيازات فأنفق بذلك جل ما ألفاه في بيت المال وسروجها المرفهة والأسلحة الخجلة بالجواهر بجانب منحهم المال (4). وشرع أبو جمو الثاني في تنظيم شؤون دولته، وأمام هذه التطورات السياسية التي حصلت بالمغرب الأوسط، لم يبق بنو مرين مكتوفي الأيدي (5)، خاصة عندما وصل إلى بلادهم عرب سويد بعد هزيمتهم بوادي ملال، فرغب عرب سويد بني مرين على الزحف إلى تلمسان. وكان بنو مرين بايعوا بفاس الأمير الصغير أبي بكر السعيد بن أبي عنان إلا أن زمام الأمر كان بيد الوزير الحسن بن عمر الفودودي في بلاط بني مرين. وفي أوضاع الإمارة السياسية والاقتصادية مدة طويلة الذي قرر حشد الجيش من أجل استرجاع تلمسان ومايليهما، فنهض القائد مسعود بن عبدالرحمان بن ماساي. إلى تلمسان في جيش يبلغ عدده تسعة آلاف مقاتل وحينما بلغ الجيش المريني بلاد بني عبدالواد (6). وحل قرب وادي الزيتون،

(1) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 2 - ص 39 و 50-52 د. عبد الحميد حاجيات: أبو جمو موسى الزياني - ص 92

(2) نفسه: ص 93

(3) د. عبد الحميد حاجيات: أبو جمو موسى الزياني - ص 93

(4) نفسه: ص 94

(5) العبر: ج 7 - ص 302-303 - السلاوي: الاستقصا ج 2 - ص 104 د. عبد الحميد حاجيات: أبو جمو موسى الزياني - ص 94

(6) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 2 - ص 59-62 - مؤلف مجهول: زهر البستان - ورقة 27 ظ - د. عبد الحميد حاجيات: أبو جمو موسى الزياني - ص 95

رأى أبوهم مغادرة تلمسان لقلعة ما كان لديه من الجنود والتحق بقبيلة بني عامر بن حميد وشافع وحميان في الجنوب أوائل جمادي الأولى 760هـ (2)، وهذا ما يبين أن قوات بني عامر وحميان لم تكن حاضرة في هذه المحنة بتلمسان، كما توضح هذه الحادثة أن أباهم كان يعتمد على بني عامر بن حميد قوم صغير وشافع وحميان بصفة تكاد تكون مطلقة، وأن مصير بني زيان كان مرتبطاً ببني عامر وحميان. ويلاحظ أن السلطان أبيهم الثاني الزياني كان يلجأ إلى بني عامر بن حميد وشافع وحميان عندما تتعرض إمارته للغزو المريني، وبعد ذلك بقليل استولى ابن ماساي على تلمسان وأخذ يعمل لإعادة النفوذ المريني في سائر أنحاء المغرب الأوسط (3)، أما أبوهم الثاني فإنه عسكر بعيون يسر ثم توجه نحو الجنوب وفي درج لقي بني عامر بن حميد وشافع وحميان ثم استقر بتاحلت (4). وبعث إلى المعقل يأمرهم بشن الغارات على بني مرين وقطع الطريق الواصلة بين تلمسان وفاس، فسألت في ذلك أحوال ابن ماساي وقواته، وأرسل لحرب قبيلة المعقل ابن عمه عامر بن عبدالله قائد حامية وهران (5)، فانهزم عامر بن عبدالله وقتل أثناء المعركة وعادت جنوده في أسوأ حال إلى وجدة (6)، وهذا ما يبين استماتة قبائل المعقل وبني عامر بن حميد وشافع وحميان في حربها ضد قوات بني مرين التي أرسلها الوزير الحسن بن عمر الفودودي لاسترداد تلمسان وإحاقهم الهزيمة حتى اضطروهم إلى الانسحاب وهم عراة حتى حدود الدولة المرينية (7). في سنة 760هـ - 1359م

(1) العبر: ج 7-ص 302-303 يحيى بن خلدون: بغية الرواد ج 2 ص 5962. عبد الحميد حاجيات: أبوهم موسى ص 95

(2) يحيى بن خلدون: بغية الرواد- ج 2-ص 62-د. عبد الحميد حاجيات: أبوهم موسى الزياني-ص 95

(3) د. عبد الحميد حاجيات: أبوهم موسى الزياني: ص 95-د. أبو ضيف عمر أحمد: القبائل العربية-ص 159

(4) العبر: ج 7-ص 302-303-السلامي: الاستقصا- ج 2-ص 104

(5) نفسه: ص 303-يحيى بن خلدون: بغية الرواد- ج 2-ص 62-د. عبد الحميد حاجيات: أبوهم موسى الزياني-ص 95

(6) نفسه: ص 303-بغية الرواد- ج 2-ص 62

(7) د. عبد الحميد حاجيات: أبوهم موسى الزياني-ص 95

وكان لهذا الحادث وقع سيء على الجيش المريني بتلمسان. إن الانتصار للجيش الزياني في هذه المعركة ضد بني مرين كان ذلك بفضل مؤازرة بني عامر ابن حميد وشافع حميان لأبي حمو الثاني، وقد أدت هذه المشاركة إلى إحداث تغيرات سياسية في البلاط المريني، حيث أعلن خلع السعيد وعين الأمير يعيش بن علي المريني على العرش. وكان الجنود قد سئموا من استبداد الوزير عمر الفودودي على الحكم، وشقوا بذلك عصا الطاعة، وعندئذ خشي ابن ماساي على نفسه أمام هذا الوضع (1). فلجأ إلى تنصيب أمير آخر يدعى منصور بن سليمان، فاجتمعت كلمة الجيش عليه ورأى مصالحة أبي حمو (2)، وعززت مكانة أبي حمو موسى الثاني في البلاط الزياني فوق عقد صلح معه، وأرسله إليه مع أبي بكر يحيى بن موسى الحمي، وغادر بجموعه تلمسان، فعاد إليها أبوحمو ودخلها في غرة جمادي الثانية 760هـ - 1359م (3). وكان من نتائج الصلح المبرم بين منصور بن سليمان وأبي حمو الثاني، أن بعث منصور بن سليمان أبا يعقوب والد السلطان أبي حمو وأبا تاشفين ابنه، عندما وجدهما بفاس مكرمين، وذلك لتمكين روابط المودة بينهما، فوصلا إلى تلمسان في 7 رجب 760هـ (4). وفي هذه الفترة بويع بفاس أبوسالم بن أبي الحسن المريني، وبعث برسول إلى أبي حمو الثاني في شأن الصلح طالبا منه أن يكف عن مطاردة القوات المرينية المتمركزة في المنطقة الشرقية وجاء ذلك في فاتح شوال 760هـ (5)، وبعد ذلك بقليل المريني رسولا آخر إلى أبي حمو، يطلب منه إيقاف العمليات الحربية في المنطقة الشرقية بعث السلطان أبوسالم واقترح عليه عقد صلح في ذلك الشأن.

(1) العبر: ج 7-ص.ص 259-260-يحيى بن خلدون: بغية الرواد-ج 2-ص 59-62

(2) نفسه: ص.ص 259-260-يحيى بن خلدون: بغية الرواد-ج 2-ص 62

(3) يحيى بن خلدون: بغية الرواد-ج 2-ص 62

(4) نفسه: ج 2-ص 62-د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني-ص 98

(5) نفسه: ص 63

وقد تأزم الوضع بين أبي حمو وأبي سالم في الأشهر الأولى من سنة 761هـ، بسبب مواصلة الهجوم الزياني على الحاميات المرينية المتواجدة بالمغرب الأوسط من جهة ولما علم السلطان المريني أبو سالم بمغادرة عبدالله بن مسلم درعة بجاية المنطقة والتحاقه بأبي حمو من جهة أخرى (1). وقد دفعت هذه الأسباب أبو سالم المريني أن يغزو إمارة بني زيان، حيث بدأ بتعبئة أحلافه في المغرب الأوسط فقام زيان بن أبي يحيى الراشدي يدعوه قومه بني راشد إلى مؤازرة أبي زيان حفيد السلطان أبي تاشفين الأول الملقب بالقبي، وظهر أبو زيان في الناحية الغربية بجبل يزناس. وقد التف حوله أتباع من بني مرين من المعقل وبني يزناس، وقد تصدى أبو زيان الراشدي لجيش أبي تاشفين بن أبي حمو والشيخ عمران اللؤلؤي في فاتح ربيع الأول 761هـ - 1360م (2)، ولما بلغ أبو حمو خبر قدوم أبي سالم وحل بتاوريرت وهي منطقة حدودية بين الإمارات الزيانية والمرينية غادر تلمسان مرة ثانية في 29 رجب 760هـ، بعد أن وجه أحلافه من بني عامر بن حميد وبني عامر بن شافع وحميان والمعقل تحت قيادة ابن مسلم نحو الجنوب في 4 جمادي الثانية 760هـ، فتركوا بأميسون (3)، وزحف السلطان أبو سالم وقواته إلى تلمسان، فدخلها في 6 شعبان 761هـ - 1360م فاتبع أبو حمو وجيشه استراتيجية حربية محكمة، وهي ضرب قوات بني مرين من المؤخرة حيث تمكن بنو عامر بن حميد وشافع وحميان من إرغام السلطان أبي سالم على الانسحاب من تلمسان وذلك بمهاجمتهم مدن الحدود المرينية مثل وطاق وبلاد ملوية وكرسيف مخربين زروعها ومحطمين عمراها (4) مما أقلق أبا سالم وجعله

(1) د. عبد الحميد حاجيات: نفسه - ص 98

(2) العبر: ج 7 - ص 261 - بغية الرواد: ج 2 - ص 260 - 261 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى - ص 99

(3) نفسه: ص 261 - بغية الرواد: ج 2 - ص 261 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 132

(4) العبر: ج 7 - ص 260 - 261 - بغية الرواد: ج 2 - ص 260 - 261 - زهر البستان: ورقة 38 و 40 ظ - د السلاوي: ج 2 -

ص. ص 131 - 132 - د. عبد الحميد حاجيات: نفسه - ص 99 - مصطفى أبوضيف: المرجع السابق - ص 159

يتخوف من هذا الهجوم، وخشي أن يتجه أبوحمو وجيشه إلى فاس، ويتفاقم الأمر فقرر العودة إلى بلاده وإخلاء تلمسان في 11 أو 12 شعبان 761هـ تاركاً عليها أبا زيان القبي (1)، ويعود الفضل في انسحاب السلطان أبي سالم من تلمسان إلى استماتة بني عامر بن حميد وبني عامر بن شافع وحميان، ولما بلغ أباحمو خبر مغادرة أبي سالم تلمسان عاد إليها وبعث وزيره ابن مسلم في مقدمته بجيش للاستيلاء عليها وطرد أبي زيان القبي ففر أبو زيان القبي، ويبدو أن الصراع بين أمراء بلاط بني زيان بدأ بتحريض من بني مرين بين أبي حمو الثاني وأبي زيان القبي الذي التحق بأولاد عريف من قبيلة سويد بجبل وانشريس في 4 رمضان 761هـ (2). وبعد ذلك دخل أبوحمو الثاني تلمسان في 8 رمضان 761هـ، وبعد أيام جهز جيشاً من قومه لمطاردة أبي زيان القبي والقضاء على فتته في 18 رمضان 761هـ (3)، ففضى عيد الأضحى بتاسلة بالحدود الغربية (4). فحاصر أبوحمو الثاني وأنصاره من بني عامر بن حميد وشافع وحميان وأولاد حسين من المعقل أبا زيان ورفاقه، وبعث جيشاً لمطاردة أبي بكر بن عريف في ناحية السرسو، فانهمز أبا بكر ثم اقتحم أبوحمو الجبل. واضطر أبو زيان ومحمد بن عريف إلى الفرار نحو الصحراء في أوائل ذي القعدة 761هـ (5). وعندئذ التحق أبو زيان واستجار بقبيلة ذوي عبيد الله الذين كانوا قاطنين بسهل أنقاد قرب وجدة فأجاروه ولما تفرق شمل أولاد عريف اتجه أبوحمو موسى الثاني وجيشه من بني عامر بن حميد وشافع وحميان ناحية شلف لطرد بني مرين

(1) د. عبد الحميد حاجيات: أبوحمو موسى الزباني - ص 99

(2) العبر: ج 7 - ص 261 - بغية الرواد: ج 2 - ص 79 - زهر البستان: ورقة 40 و. - السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 132

د. عبد الحميد حاجيات: أبوحمو موسى الزباني - ص 99 - د. مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق - ص 158

(3) العبر: ج 7 - ص 261 - بغية الرواد: ج 2 - ص 80 - زهر البستان: ورقة 40 و - د. عبد الحميد حاجيات: أبوحمو موسى -

ص 100

(4) زهر البستان - ورقة 42 و. ظ

(5) بغية الرواد - ج 2 - ص 83 - 84



عنها، ولمواجهة حلفائهم من مغراوة، بينما توجه الوزير ابن مسلم إلى تلمسان في كتيبة فوصلها في 23 ذي القعدة 761هـ، أما أبوحمو فقد طارد نسيوخ مغراوة الذين حالفوا بني مرين، فاعتصموا بتنس وكان قائدهم عثمان بن أبي تجلاء المريني فحاصرها أبوحمو الثاني ثلاثة أيام ثم فتحها عنوة وقتل قائدها في آخر سنة 761هـ (1). وبعد أن استرجع أبوحمو الثاني ناحية شلف، بعث بوزيره ابن مسلم إلى الغرب للإغارة على ذوي عبيدالله، فالتقى بهم بسهل أنقاد فانهزمت عبيدالله، وتفرق شملها في أوائل ربيع الأول 762هـ وفرأبوزيان إلى تاوريت حيث التحق بالإمارة المرينية بعد أن فشلت محاولته (2). يستنبط مما سبق ذكره أن بني عامر بن حميد وبني عامر بن شافع وحميان لعبوا دورا عسكريا بارزا في كل مراحل نشاط أبي حمو العسكري لاستتباب الأمن والسلم في المغرب الأوسط، بل أكثر من هذا ساهم بنو عامر بن حميد وبنو عامر بن شافع وحميان في استقرار إمارة بني زيان، بل يلاحظ أن الإمارة استرجعت هيبتها وقوتها بفضل الجهود التي بذلها بنو عامر بن حميد خاصة قوم صغير وبنو عامر بن شافع وحميان في جميع أطوار الإمارة الزيانية، ويظهر ذلك من مطالب سلاطين بني مرين الذين كانوا في كل مرة يطالبون بالصلح. وكان لوزمار بن عريف رئيس عرب سويد بالمغرب الأقصى الدور الحاسم في تحقيق ذلك (3). وكان من نتائج المعارك التي خاضها أبوحمو الثاني ضد أبي سالم وأنصاره من عرب سويد أنه تم خلع أبي سالم المريني من سدة الحكم، وسادت الفوضى والاضطرابات في البلاط المريني، وبعد أن فتح أبوحمو الثاني الجزائر (4)، التجأ نسيوخ قبيلة

(1) العبر: ج7 ص 285- بغية الرواد- ج2- ص89- د. عبد الحميد حاجيات: نفسه- ص102- د. مصطفى أبوضيف: القبائل العربية- ص192

(2) د. عبد الحميد حاجات: أبو حمو موسى- ص103

(3) بغية الرواد: ج2 ص108- زهر البستان- ورقة 75 ظ- 78 و- د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى- ص104

(4) نفسه: ص108- زهرة البستان- ورقة 75 ظو 78 و

مغراوة إلى بجاية. فاستقبلهم أميرها إسحاق إبراهيم بن السلطان يحيى الحفصي (1) وتوسع بنو عبدالوادر على حساب موطن مغراوة، وعندما رفض الأمير أبو إسحاق تلبية طلبه القاضي بتسليم شيوخ مغراوة (2) عندئذ أمر أبوحمو قواد الناحية الشرقية باقتحام إمارة بجاية، فاستولى عمر بن موسى المطهري على تدلس عنوة في صفر أو جمادي الأولى 763هـ - 1362م (3)، فحاول إسحاق استرجاع تدلس فضايقتها، فانفض أبوحمو وزيره ابن مسلم إلى الشرق لرد عدوان أبي إسحاق وحمية تدلس في 21 رجب 763هـ - 1362م (4)، والغالب على الظن أن بني عامر بن حميد وبني عامر بن شافع وحميان قد ساهمت عسكرياً في حماية تدلس، وربما كان يقودهم ابن مسلم؛ لأن قوات بني زيان التي كانت متمركزة في الجهة الشرقية، لم يكن بمقدورها صد عدوان أبي إسحاق، فاستولى ابن مسلم على فحص حمزة وعلى بلاد بني حسن، وهي موطن أبناء عمومة حميان من بني يزيد، وربما تعرض بنويزيد لمضايقة جيش أبي حمو، وجاس خلال الوادي الكبير، ثم عرج يسارا آخذاً على ثنية تاغزوت وبيطار فاستضاف أيضاً زواوة وما إليها، وقبض على شيع الموحدين في شوال 763هـ - 1362م (5). ويشير المؤرخون والباحثون أن أباحمو الثاني تعرض إلى حركة خطيرة قام بها خالد بن عامر أخو صغير الذي توفي بعد سنتين بسنان رمح عن غير قصد فاخترقه وهلك لوقته. ويعود سبب ذلك أن صغير بن إبراهيم كان يريد أن يصلح بين حين من قومه (6). لكنه راح ضحية تلك الفتنة، وعين أبوحمو أخوه شعيباً على قبيلة بني عامر مما

(1) د. عبد الحميد حاجيات: أبوحمو موسى الزياتي - ص 104

(2) نفسه: ص 104

(3) زهر البستان ورقة 66 ط 69 و - د. عبد الحميد حاجيات: أبوحمو موسى الزياتي - ص 105

(4) د. عبد الحميد حاجيات: أبوحمو موسى - ص 105

(5) نفسه - ص 105

(6) العبر: ج 6 - ص 53 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 373

خالدا(1)، وفي رواية عبدالرحمان ابن خلدون "...وتولى بعد وفاته رئاسة بني عامر بن حميد أخوه خالد بن عامر ويرادفه عبدالله ابن أخيه صغير..."(2). ويبدو من رواية عبدالرحمن بن خلدون أن الذي تولى رئاسة بني عامر بن حميد هو خالد أخ صغير، وليس شعيبا وربما كان قرار أبي حمو الثاني المتمثل في تعيين شعيب سببا في ارتكاب خالد جريمة قتل في حق أخيه شعيب لمنافسة بينهما، واحتمالا أن بني عامر بن حميد انقسموا على أنفسهم بسبب هذه الجريمة التي اقترفها خالد في حق أخيه شعيب، بحيث قسم منهم إلى جانب خالد وقسم منهم إلى جانب أبي حمو موسى الثاني، وربما قد أثر هذا الانقسام على بني عامر بن شافع وحميان، وكان رد فعل أبي حمو الثاني أن سجن خالد بسبب ارتكابه لهذه الجريمة. فانتقم خالد من أبي حمو الثاني حيث بايع أبا زيان بن السلطان أبي سعيد ونصبه منافسا لأبي حمو في العرش(3)، وجاء به من المنطقة الغربية، مستغلا غياب جيش بني زيان الذي كان يقوده ابن مسلم في الناحية الشرقية. فزحف أبوزيان بن أبي سعيد رفقة خالد بن عامر(4)، ولكن لم يذكر المؤرخون هل خالد بن عامر فر إلى بني مرين، واحتتمى بهم بعد أن قتل أخيه؟ أم أن أبا حمو الثاني ألقى به في السجن، وبعد خروجه اتصل ببني مرين. وكيف اتصل خالد ابن عامر بأبي زيان بن أبي سعيد؟ وكيف دخل خالد بن عامر بأبي زيان بن أبي سعيد إلى تلمسان؟. ربما فر خالد بن عامر من سجنه إلى إمارة بني مرين.

(1) استطاع أبوزيان أن يفر من سجنه بفاس، ويلتحق بقبيلة أولاد حسين من المعقل، ثم اتصل بخالد بن عامر. يومها برزت أهمية ومكانة خالد بن عامر بين أمراء بني زيان. ينظر إلى: مؤلف مجهول: زهر البستان - ورقة 78 و - ظ - وإلى د. - عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني - ص 105

(2) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 2 - ص 115 - مؤلف مجهول: زهر البستان - ورقة 78 ظ - 79 ظ - د. عبد الحميد حاجيات: نفسه: ص 106. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 158

(3) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى - ص 106 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: المرجع السابق - ص 158

(4) العبر: ج 7 - ص 263 - يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 2 - ص 113

وفافوض في شأن أبي زيان بن أبي سعيد مع السلطان المريني الذي أطلق سراحه، واتفق مع الوزير المريني عمر بن عبد الله، وعندما أفرج عن أبي زيان بن أبي سعيد، دبر خالد في خطة لإدخال أبي زيان إلى تلمسان ومنافسة أبي حمو الثاني. ولإحباط مؤامرة خالد بن عامر وأبي زيان بن السلطان أبي سعيد، بعث أبو حمو فوراً إلى عبد الله بن مسلم يأمره بإنهاء العمليات في المنطقة الشرقية، والرجوع بالجيش إلى تلمسان (1)، وفي نفس الوقت جهز جيشاً من فرسان تلمسان وأحوازاها، وبعثه بقيادة الشيخ عمران بن موسى اللؤلؤي لملاقاة خالد وأبا زيان بن السلطان أبي سعيد وقواتهم (2)، ووقع اللقاء بجبل بني ورديد المطل على مدينة تلمسان من جهة الجنوب، فانهزم خالد بن عامر وجموعه، وتركوا كثيراً من الغنائم والأسرى في منتصف شوال 763هـ - 1362م (3). ثم رأى أبو حمو أن يصانع بني عامر، الموالين له فبذل لهم ما أرضاهم من المال (4). ربما كان أبو حمو الثاني يريد إبعاد بني عامر بن حميد وبني عامر بن شافع وحميان عن خالد بن عامر، حتى لا تنحاز إليه وفي الوقت نفسه الحفاظ على توازن قواته العسكرية خاصة وأن الظرف لم يكن في صالح أبي حمو، إذا فقد قوة مثل قوة بني عامر؛ لأن المنافس هو ابن عمه، وبعد أن انهزم خالد بن عامر فإنه رافق أبا زيان بن السلطان أبي سعيد إلى بلاد الدواودة حيث أجارهم شيخهم يعقوب بن علي (5). وبعدها التحق أبو زيان ببجاية عند الأمير أبي إسحاق وطلب منه المساعدة والدعم، وكان الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا بن السلطان أبي يحيى

(1) العبر: ج 7-ص 263- بغية الرواد- ج 2-ص 113

(2) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى- ص 106- د. مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق- ص 159

(3) نفسه: ص 132- مؤلف مجهول: زهر البستان- ورقة 86و- 87- ورقة 92ظ- 93ظ- د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو

موسى- ص 107

(4) بغية الرواد: ج 2- 135- د. عبد الحميد حاجيات: نفسه- ص 108

(5) يحيى بن خلدون: بغية الرواد- ج 2- 135- د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى- ص 108- د. مصطفى أبو ضيف: المرجع

السابق- ص 156

الحفصي ينافس آنذاك أبا إسحاق على بجاية. وقد استعان ببعض قبائل الأعراب وربما من بين هذه القبائل بني يزيد أبناء عمومة حميان التي بقيت مستقرة بفحص حمزة وبلاد بني حسن قصد الاستيلاء عليها. وقد أرسل أبو عبدالله محمد بن أبي زكريا حاجبه أبا زكريا يحيى بن خلدون صاحب كتاب بغية الرواد في شهر صفر 764هـ - 1363م (1) مستنجدا بأبي هو الثاني طالبا مساعدته ضد أبي إسحاق، فوجد يحيى بن خلدون عند أبي هو بعض الاستعداد لتلبية طلبه، مما شجع الأمير أبا عبدالله على الوفادة بنفسه في 8 جمادى الثانية 764هـ - 1363م (2) مجددا طلبه لأبي هو الثاني. ولكن أبا إسحاق أمير بجاية كان قد بعث في تلك الأثناء وزيره إلى أبي هو يعرض عليه الصلح، ويلتزم باعتقال أبي زيان ويطلب منه ألا يساعد أبا عبدالله في شيء، فرفض أبو هو الثاني بهذا الاتفاق، ولم يجب طلب الأمير أبي عبدالله (3)؛ لأن المنافس لأبي هو الثاني يوجد عند أبي إسحاق، وليس بيد أبي عبدالله محمد، وبما أن أبا إسحاق لى رغبة أبا هو الثاني في إلقاء القبض على أبي زيان بن السلطان أبي سعيد فطلب إسحاق أولى من طلب أبي عبدالله محمد بن السلطان أبي زكرياء. ولما بلغ أبو زيان بن السلطان أبي سعيد خبر بما كان يدبر على حسابه، فلم تمر إلا أيام قلائل حتى وصل إلى تلمسان نبأ فرار أبي زيان بن السلطان أبي سعيد من بجاية إلى فحص حمزة عند أبي الليل بن موسى شيخ بني يزيد (4) وكان هذا الأخير حائقا على أبي هو لما قام به الوزير ابن مسلم من غارات في تلك الناحية قصد إخضاع بني يزيد فباع الشيخ أبو الليل أبا زيان بن أبي سعيد، وخلع طاعة أبي هو وبدأ يغير بقومه على نواحي المدينة. الأمر الذي جعل أبا هو يشعر بخطور الموقف. وكان يخشى ثورة عامة بين قبائل

(1) بغية الرواد: ج 2 - ص 135 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزياتي - ص 108

(2) العبر: ج 7 - ص 263 - بغية الرواد: ج 2 - ص 135 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزياتي - ص 108

(3) نفسه: ص 264 - بغية الرواد: ج 2 - ص 136

(4) بغية الرواد: ج 2 - ص 136 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزياتي - ص 108

الناحية الشرقية، فبعث أبوحمو الثاني مرة أخرى وزيره ابن مسلم إلى الجهة الشرقية، واعتصم الشيخ أبو الليل وقومه بجبل جرجرة، فحاصره جيش بني عبدالوادر⁽¹⁾، ودام الحصار إلى أن أذعن أبو الليل للطاعة، والتزم صرف أبي زيان بن السلطان أبي سعيد عن بلاده، فانصرف إلى تونس في رمضان 764هـ - 1363م⁽²⁾. وعاد ابن مسلم إلى تلمسان بعد أن أعاد سلطة بني عبدالوادر في فحص حمزة، وأبعد عن تلك الناحية خطر الأمير أبي زيان بن السلطان أبي سعيد⁽³⁾. ويبدو من هذه الأحداث أن أبناء عمومة حميان وهم بنويزيد القاطنين بفحص حمزة وبلاد بني حسن، بقيادة شيخهم أبي الليل، قد وقفوا إلى جانب أبي زيان، وخالفوا أبا حمو الثاني، وتعرضوا لحصار حتى أعلن شيخهم الإذعان والطاعة لأبي حمو وتشير المصادر التاريخية أن أبا حمو هاجم بني يزيد عندما أراد الاستيلاء على بجاية، مما جعل أبو الليل ينتقم من أبي حمو مستغلا وجود ابن عمه أبي زيان، فكيف كان موقف حميان وبني عامر من هجوم أبي حمو على أبناء عمومتهم في فحص حمزة؟ بعد سيطرة بني عبدالوادر على المغرب الأوسط تمكنوا من اقتطاع أوطان حمزة من نواحي بجاية، وصارت من أملاكهم وتمكن بنويزيد من الاستقلال بأوطانهم وتوزيع جبايتها على بطونهم خلال فترة ضعف الدولة الموحدية، وأثناء الصراع الذي دار بين أبي زيان وأبي حمو الثاني حول السلطة ثار عرب بني يزيد، وناصروا أبا زيان فأسرع أبو حمو بإرسال قواته التي قامت بتدمير وطن حمزة وبني حسن، وأصاب أبو حمو بعمله هذا مقتلا من عرب بني يزيد نظرا لبدء موسم الحصاد في ذلك الوقت⁽⁴⁾. مما اضطر عرب بني يزيد بزعامة أبي الليل للهروب إلى حصن. جرجرة فحاصرت قوات أبي حمو فأعلن

(1) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج2 - ص135 - د. عبدالحميد حاجيات: نفسه - ص108

(2) د. عبدالحميد حاجيات: أبو حمو موسى - ص108

(3) نفسه: ص108. مصطفى أبو ضيف عمر: القبائل العربية - ص156

(4) العبر: ج6 - ص41-42 و51 - بغية الرواد: ج2 - ص. ص133-135

طاعته وأعطى ولده رهنا على ذلك(1)، إن استيلاء بني عبدالوادر على نواحي بجاية وهي بلاد حمزة وبني حسن ربما أدى إلى حرمان بني يزيد من الامتيازات التي تحصلوا عليها من الدولة الموحدية، ومن الجباية التي كانوا يأخذونها من زواوة وكان رد فعل بني يزيد هو الانتقام من أبي حمو(2)، ويلاحظ أن بطون بني يزيد كانوا لا يزالون يستقرون بمنطقة بجاية، وفي الوقت نفسه لم يذكر المؤرخون موقف حميان وبني عامر من جراء ما أصاب أبناء عمومته على يد أبي حمو الثاني، وهل بقيت حميان وبني عامر بن حميد محافظة على ولائها لبني عبدالوادر؟ لا شك أن حميان وبني عامر بقيت على ولائها للإمارة الزيانية؛ لأن أي موقف سلبي اتجه به بني زيان سيؤدي إلى حرمانهم من الإقطاعات والامتيازات التي قدمتها الإمارة الزيانية لهم في صحراء تلمسان وفي أرياف تلمسان وكذلك في المنطقة التالية الممتدة من تسالة إلى جبل هيدور بوهران، وفي رواية عبدالرحمان بن خلدون وعندما ظهر أبوزيان بن السلطان أبي سعيد عم أبي حمو يطالب بملك أجداده دخل في حرب مع ابن عمه أبي حمو الثاني، تخلت زغبة عن أبي حمو باستثناء بني عامر التي بقيت مخلصه له(3) وفي أوائل سنة 765هـ - 1364م تأزم الوضع من جديد بين إمارة بني زيان وإمارة بني مرين(4)، وكان لنبا موت ابن مسلم أسوأ الأثر في نفوس مقاتلي الجيش الزياني، فانحاز الكثير منهم إلى جيش أبي زيان القبي وخاصة قبائل العرب، ولكن لم يذكر المؤرخون لماذا انحازت قبائل العرب إلى أبي زيان. القبي وانحرفت عن أبي حمو؟

(1) د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب - ص 160

(2) العبر: ج 7 - ص 127 - د. مصطفى أبوضيف: القبائل العربية - ص 160

(3) ينظر إلى: العبر - ج 7 - ص 127 - يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 2 - ص 135 - مؤلف مجهول: زهر البستان - ورقة 90 و 93 ط -

د. عبدالحميد حاجيات: أبو حمو موسى - ص 109

(4) يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 2 - ص 146 - د. عبدالحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني - ص 109 د. مصطفى

أبوضيف: المرجع السابق - ص 161

إذ تألفت قبائل العرب من أولاد حسين وسويد وبني عامر بن حميد وشافع وحميان مناصرين منافسه أبا زيان، وأمام تشنج الوضع اتخذ أبو حمو جملة من الإجراءات ففي 4 ذي الحجة 765هـ - 1364م بعث عثمان بن مسلم أخا الوزير للقاء العساكر والربط من جاشها (1). وفي 8 ذي الحجة 765هـ بعث لمساعدته جيشا آخر بقيادة ابنه أبي تاشفين، وخرج أبو حمو الثاني بنفسه في 11 ذي الحجة 765هـ في اتجاه الأعداء، وعندما قرب من البطحاء لقي جيوشه راجعة فثناها عن وجهتها، وأقام عسكره بالبطحاء بينما كان جيش أبي زيان معسكرا ياغيل ايزان قريبا منه. وفي 25 ذي الحجة 765هـ (2)، وقعت معركة البطحاء التي شنها أبو زيان القبي وجموعه المتكونة من قبائل عرب أولاد حسين من المعقل بقيادة أحمد بن رحو بن غانم، واتفقوا مع عرب سويد بقيادة ونزمار بن عريف وبني مرين وأبي زيان القبي منافسه على السلطة على مهاجمة بلاد منداس من المغرب الأوسط (3)، على جيش أبي حمو فزحفت إليهم قوات بني عبدالوادر، ولكنها هزمت كلها في 765هـ - 1364م هزيمة نكراء، وغادر أبو حمو الثاني تاركا وراءه آلاته ومتاعه للعدو، وجمع حرمه وأمواله وقصد عاصمته يبغي النجاة (4) عندئذ ضرب أبو زيان وأنصاره خيام معسكرهم بالبطحاء، بينما اتبع أحمد بن رحو شيخ أولاد حسين أبا حمو يريد إلقاء القبض عليه والقضاء على أمره قبل أن يصل إلى تلمسان، مغتتما فرصة هذا النصر المفاجئ فاعترض له بسيق، لكنه لم ينجح في مهمته وقتل أحمد بن رحو، وتابع أبو حمو طريقه إلى تلمسان فدخلها في 28 ذي الحجة 765هـ (5)

(1) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى - ص 110

(2) نفسه: ص 110

(3) العبر: ج 7 - ص 266 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى - ص 111

(4) نفسه: ص 82 - يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 2 - ص 146 و 151

(5) نفسه: ص 130 - بغية الرواد - ج 2 - ص 195 - 196

وكان لأولاد حسين مكانة عند الأمير أبي زيان القبي، فكان يشاورهم في أموره ويطمئن إلى رأيهم دون بني عامر بن حميد وشافع وحميان مما جعل هؤلاء يغضبون من تصرف أبي زيان القبي، ويسخطون من استبداد المعقل أولاد حسين عليهم⁽¹⁾، وكان خالد بن عامر شيخ بني عامر بن حميد آنذاك معتقلا في تلمسان بأمر من أبي هو الثاني، فرأى السلطان إطلاق سراحه وشرط عليه أن يبعد قومه عن طاعة أبي زيان⁽²⁾، وقد استطاع خالد بن عامر أن يصرف قومه عن أبي زيان القبي، ودب الشقاق في صفوف قوات أبي زيان، أي بين أولاد حسين وبني عامر⁽³⁾، ويتضح مدى أهمية اعتماد بني عبدالوادر على بني عامر، وارتبط ذلك باستمرار وقوة دولتهم، ولم ينقذه من الهزيمة سوى إطلاق سراح خالد ابن عامر الذي استألف عرب زغبة تحت قيادته، وتمكن من القضاء على تحالف المعقل وسويد وبني مرين⁽⁴⁾، بل استطاع أيضا أن يساعد أبا هو الثاني في مهاجمة ونزمار بن عريف في 766هـ-1365م على الحدود المرينية، وحطم وطنه كرسيف، ونهبت بنوعامر محاصيله انتقاما لتدمير سويد لقصورها بالصحراء مما اضطر ونزمار بن عريف إلى الهروب إلى معاقل الجبال⁽⁵⁾، ولما ضرب أبوزيان وقواته من المعقل وسويد، نزل بنوعامر بوادي يسر، ثم انصرفوا نحو الصحراء اخذين على ثنية فرتون طريقهم المعتادة إلى الجنوب، وعندما انخزل بنو عامر عن أبي زيان القبي ضعفت قواته، وانتهى أمره بعد أن تفرقت جموعه من حوله بدون قتال⁽⁶⁾، والتحققت حاشيته من وجهاء بني عبدالوادر بأبي هو الثاني.

(1) العبر: ج7-ص82. د. عبد الحميد حاجيات: أبو موسى الزياتي-ص112

(2) د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى-ص111

(3) نفسه: ص113

(4) العبر: ج7-ص127-بغية الرواد-ج2-ص146 و151

(5) نفسه: ص130-بغية الرواد-ج2-ص195-196

(6) بغية الرواد-ج2-196-د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى-ص112

بعد أن عفا عنهم. تمكن أبو حمو الثاني من تفكيك التحالف الذي كان بين قبائل العرب وأبي زيان القبي، باستقطاب بني عامر إلى جانبه، واستطاع أن يجعل حدا لمنافسة أبي زيان القبي، حيث منح قبيلة بني عامر الأموال والإقطاعات (1)، ويرى عبد الحميد حاجيات أن خضوع الأمير أبي حمو لمطالب قبائل العرب سويد وبني عامر فتح بابا يؤدي إلى إضعاف دولته، ويسير بها حتما إلى التفكك والانهيار، وبعد ست سنوات من حكمه بدأت الأوضاع السياسية تعرف تطورا خطيرا، وأخذت إمارة بني زيان تتنازل عن امتيازات هامة لفائدة عرب زغبة (2). وكانت هذه الفترة الأولى من عهد أبي حمو أقوى فترات إمارته، شملت سلطته فيها جميع بلاد المغرب الأوسط وتمكن خلالها أن يعيد قوة الإمارة الزيانية (3) وكانت قبائل العرب لا تشكل خطرا كبيرا على عرشه إلى أن انهزمت قواته بالبطحاء. وعندئذ اتضح لعرب زغبة ما يمكن لهم أن يستفيدوا من خلال مساهمتهم في الحروب القائمة بين أبي حمو الثاني ومنافسيه من قبيلته أو أسرته بالانحياز إلى جانبه أو بتأييد خصومه (4)، لقد أدركت قبائل العرب ضعف أبي حمو موسى الثاني، وأخذت تضغط على السلطة الزيانية خاصة بعد معركة البطحاء التي انهزمت فيها قواته، وقد نجم عن هزيمة البطحاء تراجع نفوذ أبي حمو في المناطق الشرقية، حيث انضمت العرب القاطنة وربما من بينها أبناء عمومة حميان من بني يزيد إلى أبي زيان القبي، وفي نفس الوقت أعربوا عن ارتياحهم لفشل السلطان أبي حمو موسى الثاني وعزموا على العمل للقضاء على إمارته، إذا امتنع عن تلبية مطالبهم (5). ولا شك أن أبا حمو الثاني اعتمد منذ تأسيس إمارته

(1) بغية الرواد-ج2-ص 196-د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني-ص 113

(2) العرب: ج7-ص 128-بغية الرواد-ج2-ص 196

(3) لنفسه: ص 129-د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني-ص 113

(4) بغية الرواد-ج2-ص 197

(5) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني-ص 114

على بني عامر ومن جملتهم حميان، بل أكثر من هذا فإن بني عامر بن حميد بقيادة صغير هي التي ساهمت في إعادة إحياء إمارة بني عبدالوادر، وبالتالي فكان يرى بنو عامر بن حميد وشافع وحميان أنهم لهم الحق في الإقطاعات والامتيازات قبل غيرهم من القبائل الأخرى، ويبدو أن عدم التزام أبي حمو الثاني بمواقفه اتجاه بني عامر بن حميد وشافع وحميان وتخليه عن قبيلة بني عامر من جهة وتنوع حلفائه من فترة إلى أخرى من جهة أخرى هي التي جعلته يصل إلى هذه المرحلة من الضعف، بل أنه فقد إدارة الحكم، وأصبحت قبائل العرب بني عامر وسويد والمعقل هي التي تتحكم في سياسة إمارة بني عبدالوادر. وقد أدرك أبو حمو الثاني الغرض من انحياز قبائل العرب بما فيهم بني عامر لمنافسه أبي زيان القبي فقام بتلبية رغباتهم وذلك لتجنب خطرهم والاستراحة من فتنتهم(1). ويبدو أن الطريقة التي عالج أبو حمو الثاني بها فتنة الأعراب، فتحت الباب على مصراعيه أمام طمعهم في الاستيلاء على الأراضي الغنية والحصول على إقطاعات واسعة على حساب إمارة بني زيان(2)، وفي تقديري أن هذه الرواية تحتاج إلى مراجعة، فقبائل العرب من خلال المسار التاريخي للأحداث سواء كانت عرب سويد أو بني عامر، أو المعقل هي التي كانت تتحكم بصورة مباشرة أو غير مباشرة في سياسة الإمارة الزيرية في عهد أبي حمو موسى الثاني، بحكم أنها هي التي نصبت السلطان أبي حمو الثاني على عرش بني عبدالوادر، بل كانت لها القدرة والقوة اللازمة والكافية لاستغلال أراضي التل الخصبة دون الرجوع إلى أبي حمو الثاني أو مطالبته بهذه الامتيازات. فسياسة الأمر الواقع التي كانت تفرضها هذه القبائل على السلطة الزيرية في كثير من الأحيان هي التي كانت تدفع بأبي حمو الثاني إلى منحها المزيد من الإقطاعات والامتيازات.

(1) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزيري - ص 114

(2) نفسه: ص 114

فإمارة بني زيان كانت قوية إلا بفضل هذه القبائل، ويظهر ذلك من خلال انهماكها المتكررة في غياب قبيلة سويد أو بني عامر، أو المعقل أورياح ويذكر عبد الحميد حاجيات "...ستكون مواقف العرب كلها مستوحاة من هذه الأغراض متسمة بهذا الطابع الذي اضطبغت به مواقفهم السياسية في ذلك العصر، والذي يهدف إلى إثارة الفتن للضغط على السلطان ونيل ماتصبو إليه نفوسهم..."⁽¹⁾. وبعد أن تمكن أبو حمو الثاني من إحباط محاولة أبي زيان القبي بفضل عودة قوة بني عامر بن حميد وشافع وحميان إلى الجيش الزياني، اعتقد أنه حسم الخلاف في المغرب الأوسط، وأخذ يتطلع إلى منطقة الحدود الشرقية؛ لأنها منطقة ساخنة في الصراع الحفصي الزياني، وكان يفكر في معالجة شؤونها، ومدافعة هجوم أمير بجاية الحفصي عليها، ذلك أن الأمير أبا عبد الله الحفصي استولى على بجاية سنة 765هـ الذي اغتتم فرصة هزيمة أبي حمو الثاني في البطحاء للاستيلاء على تدلس وإجلاء بني عبدالوادر عنها⁽²⁾. وعندئذ أنقض أبو حمو الثاني وزيره عمران بن موسى لاسترجاعها، فحاصرها أياماً ولكنها امتنعت عليه، وعاد إلى تلمسان من دون أن تسفر مهمته عن أية نتيجة في أوائل 766هـ - 1365م⁽³⁾، وربما يعود فشل عمران بن موسى في محاصرة تدلس إلى قلة جيشه أو عدم مشاركة بني عامر بن حميد وحميان في هذا الحصار ورغم الاتفاق الذي وقع بين أبي حمو الثاني وأبي عبد الله الحفصي ضد أبي العباس بن عم أبي عبد الله الحفصي والمصاهرة التي تمت بينهما في أوائل ربيع الثاني 767هـ - 1366م⁽⁴⁾، إلا أبا حمو لم يتمكن من استعادة بجاية؛ لأن أبا العباس الحفصي وجه له جيشاً بقيادة بشير، واستعان بالأمير ابن عم أبي حمو وهو أبا زيان. ابن السلطان أبي سعيد

(1) ينظر إلى أبي حمو موسى الزياني - ص 114

(2) العبر: ج 7 - ص 267 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني - ص 115

(3) نفسه: ص 268 - يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 2 - 166

(4) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني - ص 115

الذي كان آنذاك رهين السجن بقسنطينة، واصطدم أبو حمو الثاني بجيش القائد بشير قبل أن يصل إلى بجاية، وأبدى جيش بشير مقاومة شديدة ومنعت الجيش الزياني من أن يلحق به الهزيمة ويقضي عليه. ولما شعر أبو حمو بما لم يكن ينتظره من استعصاء قوة أعدائه، ألقع عنهم وراح يضرب الحصار على بجاية معتقدا أنه يفتحها بمساعدة الساخطين على أبي العباس من سكان بجاية، ولكن خاب أمله في أتباعه العرب واختل التوازن في صفوف جيشه، وانقلب هجومه إلى هزيمة شنعاء⁽¹⁾. وأسر وقتل فيها كثير من جنوده، والتحق الباقون بمنافسه أبي زيان، فلم يسع أبا حمو إلا الفرار بنفسه، تاركا لعدوه حرمة وكثير من المال والعتاد، فكانت أكبر هزيمة عرفها أبو حمو في حياته في 8 ذي الحجة 767هـ - 1366م⁽²⁾، وقد نجم عن هزيمة أبي حمو في بجاية أن تقوى أبو زيان ابن عمه ومنافسه على السلطة، بما انضم إليه من الجيش المهزوم، وأعلن عرب المناطق الشرقية، وربما من بين هذه القبائل العربية بني يزيد أبناء عمومة حميان المستقرين بفحص حمزة وبلاد بني حسن تأييدهم لأبي زيان، فأصبح يحتل لأول مرة مكانة هامة في المغرب الأوسط⁽³⁾ وصار بإمكانه أن يطالب بعرش أبيه معتمدا على قوى لا يستهان بها وأتباع كثيرين. ويبدو أن الهزيمة العسكرية التي مني بها أبو حمو في بجاية، أدت إلى انهيار معنويات قواته، وشنت شملها وقضت على كثير من أبطال فرسان بني عبدالواد، وقد نجم عن ذلك أن ضعف نفوذ أبي حمو الثاني في كثير من نواحي المغرب الأوسط، وأقطعها ما طلبوه من البلاد رغم اشتطاطهما، إلا أن تيار ثورة أبي زيان وارتفاع أمره أغراها بالانضمام تاركا حماية باقي

(1) العبر: ج 7-ص 270- بغية الرواد: ج 2-ص 182-183

(2) العبر: ج 7-ص 270-271- بغية الرواد: ج 2-ص 182-183- د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني-

ص 116

(3) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني- ص 116

البلاد لأولاد عامر بن إبراهيم، وأولاد عسكر المخلصين له من بني عامر ومحمد بن عريف وبعض عرب سويد(1). ولما خذل عرب المغرب الأوسط أبا حمو الثاني وزالت هيئته من نفوس قبائل العرب، وأخذت قبائل الغرب في المغرب الأوسط توجه أنظارها نحو أراضي التل الخصبة، وترى أن الفرصة سانحة لها للاستيلاء على تلك الأراضي وإنهاء ماشيتها وأموالها وبعد أن ذقت حياة الشظف والعناء في الجنوب(2)، وأدركت عرب زغبة أن الوقت حان للسيطرة على الأراضي الزراعية الخصبة، وفي رواية الميلي "...فلما تمكن الضعف بني عبدالواد أيام أبي حمو الثاني، نزل أبوزيان جبل تيطري سنة 767هـ، وقام بدعوته حصين وسويد وبعض بني عامر، وكاد أن يتغلب على تلمسان ودامت ثورته نحو اثني عشر سنة، توالى فيها على أبي حمو الهزائم، وتغلبت على كثير من التلول..."(3). انحازت قبيلة حصين إلى جانب أبي زيان بن السلطان أبي سعيد وكانت مستقرة ناحية تيطري الجبلية، وكان سبب ذلك أن سئمت قبيلة حصين من دفع الضرائب للسلطان أبي حمو الثاني. فارتكبوا صعب الشقاق لمغبة العز وبائعوه على الموت الأحمر، ووثقوا بمعصمهم من جبل تيطري أن دهمهم عسكر السلطان(4). ويلاحظ أن أبا حمو الثاني لما فشل في صد عدوان ابن عمه أبي زيان بن السلطان أبي سعيد، نهض بنفسه وخرج من تلمسان في 27 جمادي الأولى 768هـ - 1367م. فجمع ما قدر عليه من الجنود، وبعث رسله إلى قبائل العرب يعرض عليهم الأموال والاقطاعات، ثم مر بقلعة بني سلامة حيث كان مقر أبي بكر شيخ سويد، فطلب منه مشايعته ضد أبي زيان وذلك في شعبان 768هـ - 1367م.

(1) العبر: ج 7 - ص 130 - بغية الرواد - ج 2 - ص 196 - 197

(2) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياتي - ص 117

(3) ينظر إلى: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 374

(4) العبر: ج 7 - ص 271 - ابن عودة المزارى: طلوع سعد السعود - ج 1 - ص 186

وانضم إليهما خالد بن عامر وقومه، ولكن هذا الحلف لم يلبث أن افترق شمله، وذلك أن أبا بكر بن عريف وخالد بن عامر انفصلا عن أبي حمو بعد قليل، فطاردهما قصد إرغامهما على طاعته، وتبعهما إلى ناحية جرجرة ووادي الدوم، وربما كان فرارهما إلى ناحية بجاية أن وجد أبو بكر بن عريف وخالد بن عامر الدعم والحماية من أبناء عمومة حميان وهم بني يزيد، ولكنه لم ينجح في إخضاعهما، وعاد إلى تلمسان بعد أن شنوا عليه الغارة وهزموا عسكره وهبوا ذخائره (1). ثم التحق بنو عامر المواليين لخالد بن عامر وسويد والدياليم والعطاف بأبي زيان بن السلطان أبي سعيد، فاعتقد أن الأمر صار سهلاً، وأن أيام أبي حمو الثاني أصبحت معدودة، فقصد أبو زيان والمدن في طريقه تنحاز إلى جانبه كتنس ومستغانم ومزغران ووهران (2). إلى أن بلغ وادي مينا ياغيل إيزان، فعسكر قرب البطحاء منتظراً قدوم أبي حمو الثاني، وعازماً على القضاء عليه، أما السلطان أبو حمو الثاني فإنه خرج من تلمسان في 6 ذي القعدة 768هـ (3)، وأمر أتباعه المقيمين آنذاك بتاسالة، وربما من بني عامر المنشقين عن خالد بن عامر وشافع وحميان بالتوجه نحو البطحاء وعندما بلغ معسكر أبي زيان انقض على مقدمة جيشه بغتة، فتراجعت مهزومة، وأحدث ذلك قلقاً واضطراباً وسط باقي جيش أبي زيان وأحلافه، فتفرقوا من حوله وغادروا ساحة القتال، وانصرفوا إلى مناطقهم المختلفة (4). وعندما شعرت قبائل العرب بقوة أبي حمو الثاني ووفد شيوخ سويد والدياليم والعطاف على أبي حمو الثاني، والتمسوا منه العفو، وأعربوا له عن إذعانهم لطاعته كما بعثت المدن بيعاتها إلا مدينة الجزائر (5).

(1) العبر: ج 7-ص 272- يحيى بن خلدون: بغية الرواد- ج 2-ص 196

(2) بغية الرواد- ج 2-ص 196- ابن عودة المزاري: طلوع سعد السعود- ج 1-ص 186- د. عبد الحميد حاجيات: ص 121

(3) نفسه: ص. ص 197-198

(4) نفسه: ص 198- د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى- ص 121

(5) العبر: ج 7-ص 272-273- د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى- ص 122

وانقلب الوضع فبينما كان أبو حمو الثاني يقوم بمحاولة يائسة للدفاع عن عرشه، أصبح بعد انتصاره في البطحاء يطارد عدوه، ويسترجع نفوذه في المنطقة الشرقية (1). وتوجه أبو حمو الثاني بعد انتصاره على أبي زيان ابن عمه وأتباعه، فر خالد بن عامر وأبو بكر بن عريف إلى الجنوب، توجه أبو حمو الثاني عبر ناحية شلف إلى بسيط مليانة في محرم 769هـ - 1368م (2) فافتتحها وأصلح أحوالها وحصنها، وبعث رسله إلى الذواودة من رياح على حين طاعتهم إليه من يعقوب بن علي بن أحمد وعثمان بن يوسف بن سليمان بن علي أميري الذواودة للتفاوض معهم في تأسيس حلف معهم وكانت الظروف مواتية لتحقيق هذا الحلف، بحيث كان الذواودة من بني رياح في نزاع مع أبي العباس الحفصي صاحب قسنطينة وبجاية، واتفق معهم للحركة على الأمير أبي زيان ابن عمه منافسه على السلطة وبعدها إلى بجاية (3). ربما لتقوية صفوف جيشه فضمنوا له طاعة البدو من الرياح وبعثوا عليه ذمتهم على ذلك، فردها وثوقاً بهم، بهذا أصبح لأبي حمو الثاني حلفاء جدد يستعين بهم على مواجهة عدوه، ثم عاد إلى تلمسان في 15 ربيع الثاني 769هـ - 1368م. ويبدو أن أبا زيان بن السلطان أبي سعيد ارتحل من بجاية واتجه إلى أنصاره وهم حصين، واعتصم هناك بجبال تيطري (4). وقرر أبو حمو الثاني العمل للقضاء على منافسه أبي زيان، فنهض بجيشه في 7 شعبان 769هـ - 1368م، وقد اجتمع إليه الكثير من عرب زغبة واتجه نحو المنطقة الشرقية، وبدأ السير إلى الجنوب لتصفية أنصار أبي زيان وعلى رأسهم خالد بن عامر وأبي بكر بن عريف، ولكنهم فروا إلى الصحراء (5).

(1) العبر: ج 7 - ص 273 - بغية الرواد: ج 2 - ص 202 - 206 - د. عبد الحميد حاجيات: نفسه - ص 122

(2) ينظر إلى العبر: ج 7 - ص 272 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 168

(3) العبر: ج 7 - ص 130 - 131 - بغية الرواد: ج 2 - ص 200 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: المرجع السابق - ص 160

(4) بغية الرواد: ج 2 - ص 200

(5) العبر: ج 7 - ص 130 - 131 - بغية الرواد: ج 2 - ص 200 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياتي - ص 122

وأخذ إليه السير يعقوب بن علي وعثمان بن يوسف بمن معهم من جموع رياح حتى نزلوا بالقطعة حذاهم، قصد مع أحلافه من الذواودة جبال تيطري للقضاء على أبي زيان، وانضم إلى منافسه بنو عامر وسويد يقودهم خالد بن عامر وأبوبكر بن عريف. حاول أبوحمو الثاني ضرب الحصار عليهم إلا أن هؤلاء لم يهلوه وهاجموا بعنف، فاختل جيشه وانهمز ونجا بنفسه إلى تلمسان عن طريق الجنوب، ورجع الذواودة إلى بلادهم في شوال 769هـ - 1368م (1). وفي رواية عبدالرحمان بن خلدون "...وبادر أولاد عريف وخالد بن عامر إلى الدواودة ليشردهم عن البلاد قبل أن تتصل يد السلطان بيدهم فصباحهم يوم الخميس في أواخر ذي القعدة 769هـ، ودارت بينهم حرب شديدة وأجفل الدواودة أولاً، ثم كان لهم الظهور مرة أخرى..." (2). واضطر أبوحمو الثاني للاستعانة بعرب رياح بإفريقية بزعامة الذواودة، وأحرز نصراً على الثائرين عليه في 768هـ - 1367م، وقتل الكثير من عرب زغبة (3). واعتقل أبوحمو شيوخ زغبة الذين اضطرتهم الظروف للصبر على احتمال تجبرهم واستبدادهم كعبدالله بن شيفر وسعد بن العباس وزيان بن يعقوب وزرين بن رحو بن منصور ومنديل بن يحي الصغير، وكافأ أحلافه الجدد من رياح ووزع الثياب الفخمة على فرسانهم، وأعطى مرسوم الخدمة لزعمائهم مع مبلغ كبير من المال (4). فزحفوا في 769هـ - 1368م لمحاصرة عرب حصين بحصن تيطري أو أشير، وما أن تخاذلت رياح وانسحبت عائدة إلى أوطانها، حتى وقعت الهزيمة بأبي حمو الثاني بعد عودة حلفائه الذواودة إلى بلادهم.

(1) د. عبد الحميد حاجيات: أبوحمو موسى - ص 123

(2) ينظر إلى العبر: ج 6 - ص 53 - د. مصطفى أبوضيف: المرجع السابق - ص 160

(3) العبر: ج 7 - ص 131 - بغية الرواد - ج 2 - ص 202 - 206 - 208 - 223 - د. عبد الحميد حاجيات: أبوحمو موسى الزياتي -

ص 123

(4) العبر: ج 7 - ص 131 - بغية الرواد - ج 2 - ص 223 - د. مصطفى أبوضيف: القبائل العربية - ص 161

أصبح أبو حمو الثاني في موقف يدعو إلى القلق، وكاد أن يقتل لولا أنصاره من عرب أولاد عسكر بن معرف من بني عامر الذين هموه حتى عاد إلى تلمسان فأحسن إليهم، وأطلق سراح المعتقلين من زعماء عرب زغبة، من جديد أبي زيان في الزحف إلى تلمسان، وضعف السلطان الزياني وتراجع جيشه الذي كان يضم في صفوف بني عامر وحميان يطارده أبو زيان وحلفائه، وتوغلوا في البلاد إلى أن بلغوا سيرات قبلة مستغانم⁽¹⁾، بينما ذكر عبدالرحمان بن خلدون أن انحازت كافة عرب زغبة إلى الأمير أبي زيان الذي اتبع آثار المنهزمين ونزل بسيرات، خرج السلطان أبو حمو الثاني في قومه ومن بقي معه من بني عامر، وتقدم خالد بن عامر على مصادمته ففله السلطان وأجفل القوم من ورائه⁽²⁾. ويلاحظ أن أبي حمو الثاني استخدم حنكته السياسية بعد أن فشل عسكرياً، حيث أدرك أهمية محالفه من عرب بني عامر وغيرهم من العرب، فهادن خالد ابن عامر زعيم عرب بني عامر وأبا بكر بن عريف من عرب سويد، فعمل على إبعاد الأتباع عن أبي زيان وبذل لهما الأموال الكثيرة وتلطف في استئلاف خالد بن عامر للعودة لخدمته مقابل مبلغ كبير من المال حتى يتمكن من مقاومة أنصار أبي زيان⁽³⁾. وبادر خالد بن عامر بالانفصال عن أبي زيان، وانحاز إلى أبي حمو الثاني، وتفرقت كثير من القبائل الأخرى عن أبي زيان، فعاد إلى معتمنه بالمنطقة الشرقية في ذي الحجة 769هـ - 1368م⁽⁴⁾. وفد محمد بن عريف من عرب سويد على أبي حمو الثاني فعافاه عنه، وبعث معه الوزير عمران بن موسى للحاق بأبي بكر بن عريف لاستقصاء الشرط الذي التزم في أبي زيان. يبدو من خلال الأحداث السابقة أنه بمجرد التحاق خالد بن عامر بأبي حمو الثاني

(1) العبر: ج 7-ص 274- بغية الرواد: ج 2-ص 207

(2) يحيى بن خلدون: بغية الرواد- ج 2-ص. ص. 207_208

(3) العبر: ج 7-ص 274- يحيى بن خلدون: ج 2-ص. ص. 223-22

(4) نفسه: ص 274- بغية الرواد- ج 2-ص 223

حتى تلاشى حلف أبي زيان وانضمت جموع عرب زغبة إلى أبي حمو مما يبين وزن خالد وقومه من بني عامر بن حميد وشافع وحميان في المعادلة السياسية والعسكرية في المغرب الأوسط، والغالب على الظن أن فريقاً من بني عامر وحميان بقي محالفاً لأبي حمو الثاني لأن هناك جماعة من بني عامر لم تنضم إلى خالد بن عامر وبقيت شيعاً لأبي حمو الثاني. إن تجدد الصراع بين أبي حمو الثاني وابن عمه أبي زيان في ذي القعدة 770هـ - 1369م، وتمادي الكثير من عرب المنطقة الشرقية، وربما من بينهم عرب بني يزيد والثعالبة وحصين وغيرهم في مد يد المساعدة لمنافسه أبي زيان وخاصة أبوبكر بن عريف (1)، خشي أبو حمو الثاني مرة أخرى أن يستفحل الأمر فنهض إلى الشرق بجميع ما كان لديه من الجيوش التي كانت تتكون من بني عامر وحميان، وقرر إتباع سياسة الشدة والحزم إزاء سويد وأحلافهم (2) بعد أن أخفقت سياسة اللين والمداهنة، وحثه على اتخاذ هذا الموقف خالد بن عامر عدو سويد اللدود (3). ويلاحظ أن أبا حمو الثاني أخذ برأي خالد بن عامر فكلف وزيره عمران بن موسى وأجازه إلى الأندلس وأمر بسجن محمد بن عريف وسعد بن العباس في ذي الحجة 770هـ - 1369م (4)، ظناً منه أن محمد بن عريف أفسد علاقة سويد وبني يعقوب والديالم والعطاف بالإمارة الزيانية، مما جعل أبو حمو الثاني يلقي القبض على محمد بن عريف رئيس سويد اعتقاداً منه أن محمد بن عريف حرض عرب زغبة على الابتعاد عن أبي حمو ومن خلال هذه الأحداث يخلص عبد الحميد حاجيات إلى نتيجة وهي أن أبا حمو الثاني ارتكب خطأ عندما أخذ برأي خالد بن عامر الذي كان يقضي بالفتك بعرب سويد. حيث قال: "...وهذا الإجراء إن دل على شيء فإنما يدل على

(1) ينظر إلى أبي حمو موسى الزياني - ص 124 - د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: المرجع السابق - ص 169

(2) نفسه: ص 126

(3) العبر: ج 7 - ص 274 - 275

(4) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني - ص 124

الدور الهام الذي أصبح يلعبه بنو عامر في الدولة الزيانية، وعلى ما قد ينجم عن ذلك من العواقب الوخيمة على العرش الزياني، وذلك أن تحالف أبي حمو مع بني عامر يفرض على أبي حمو الثاني معاداة عرب سويد، ولاشك أن هذه الوضعية أفقدت أبا حمو سلطته المطلقة وهيمنتته على سائر قبائل المغرب الأوسط، فأصبح سلطان فئة، وخصم فئة أخرى ناصبته عداؤها وأبت إلا مناصرة منافسه أبي زيان...⁽¹⁾. ويبدو أن بني عامر بن حميد التي كانت موالية لخالد بن عامر هي التي راجعت نفسها وأعلنت طاعتها لأبي حمو، بينما سويد أعلنت عداؤها له فكيف يمكن لأبي حمو أن يوفق بين طرفي نقيض من جهة، وأن أبا حمو هو الذي استقطب خالد بن عامر وقومه، فهو الذي أعاد مكانة بني عامر في بلاط بني زيان من جهة أخرى. ويبدو أن عبد الحميد حاجيات قد أجاب على ذلك في قوله "...وقد سبق لنا أن ذكرنا دور بني عامر بعد معركة البطحاء ومغادرتهم صفوف أنصار أبي زيان بعد أن أزروه وأيدوه مما أدى إلى تراجع جموعه وانقضاضهم من حوله..."⁽²⁾. ويقال أن سويد في هذه المواقف أصعب انقيادا من بني عامر وأشد حذرا منهم، وهذا ما يبين صدق نية بني عامر تجاه بني عبدالوادر، ففي الوقت الذي أعلن محمد بن عريف طاعته لأبي حمو الثاني، كان أخوه أبوبكر متماديا في عصيانه⁽³⁾، والظاهر أن أبا بكر بن عريف لم يثق بأبي حمو الثاني بسبب وجود خالد بن عامر إلى جانب السلطان، وأن هذا الأخير أصبح يأخذ برأي خالد بن عامر، بل يستشيريه ولا يرد له طلبا، وقد نجم عن موقف أبي بكر أن غضب

(1) العبر: ج7 ص131 - عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني - ص126

(2) العبر: ج7 - ص200 - ابن عودة المزارى: المصدر السابق - ص181

(3) د. عبد الحميد حاجيات: نفسه - ص126 - د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص189

أبو حمو على قومه سويد وأغراه خالد بن عامر عليهم، فأغار السلطان على أراضي سويد في 770هـ - 1369م وزحف بهم لمهاجمة حلفاء أبي زيان من العرب فدمر أوطان عرب الحرث وأولاد عريف، ودمر في أوائل صفر 771هـ - 1370م قلعة بني سلامة وكانت مقرا لهم (1). وحطم زرعها ونهب مخازنها، وعاد إلى تلمسان بعد أن انتقم من أولاد عريف أعدائه وأعداء بني عامر التقليديين (2). وكانت نتيجة ذلك أن غادرت سويد المغرب الأوسط، واتجهت إلى المغرب الأقصى حيث عملت على توتر العلاقات بين بني زيان وبني مرين، فكان ذلك من أهم العوامل التي أدت إلى حركة السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن المريني إلى تلمسان واستيلائه عليها في أوائل 772هـ - 1371م (3). ويذهب عبد الحميد حاجيات إلى القول أن هذه المرحلة من عهد أبي حمو الثاني والتي دامت ست سنوات، تميزت بتضعف نفوذ قبيلة بني زيان، وسيطرة عناصر قبيلة زغبة على الموقف سواء في شرق المغرب الأوسط أو في غربه، وأصبح الصراع القديم بين بني عامر وسويد يحتل المكانة الأولى في الحياة السياسية أما المنافسة بين أبي زيان بن السلطان أبي سعيد وأبي حمو الثاني، فإنها لم تستمر إلا باستمرار الصراع بين بني عامر وسويد (4). وقد استغل السلطان عبد العزيز المريني فرصة الصراع بين أبي حمو الثاني وقبيلة سويد لينتقم من أبي حمو الثاني الذي استطاع أن يستقطب المعقل الخارجي عن طاعة بني مرين، وقد سبق لعبد العزيز المريني أن بعث إليه مرارا في شأهم فلم يلب طلبه. لقد أثر تدمير قلعة بني سلامة على سويد، فأرادت أن تثار لنفسها من أبي حمو الثاني وأتباعه فالتحق أبوبكر بن

(1) العبر: ج 7 - ص 131 - بغية الرواد - ج 2 - ص 202 - 203 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني - ص 126 -

د. مصطفى أبوضيف: القبائل العربية - ص 161

(2) العبر: ج 7 - ص 131 - د. مصطفى أبوضيف: القبائل العربية - ص 161

(3) نفسه: ص 131 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني - ص 126

(4) ينظر إلى أبي حمو موسى - ص 127

عريف مع قومه وأحلافهم من الديالم والعطاف بالمغرب الأقصى حتى احتل بسائط ملوية من تخوم المغرب الأقصى، وسار إلى أخيه الأكبر ونزمار بمقره من قصر مراده الذي اختطه يارجاع وادي ملوية في ظل دولة بني مرين وتحت جوارهم لما كان ملاك أمرهم بيده (1)، وبقيت علاقة الصداقة قائمة بين أمراء بني مرين وشيوخ قبيلة سويد منذ جدهم عريف بن يحي مع أبي سعيد وابنه أبي الحسن وابنه أبي عنان مستغيثا بالسلطان عبدالعزيز المريني، وكان أخوه ونزمار بن عريف يحتل مكانة هامة في بلاط بني مرين، فبذل كل جهده في إقناع السلطان عبدالعزيز ورغبه في الاستيلاء على تلمسان والمغرب الأوسط، الأمر الذي يرفع من شأنه وشأن الدولة المرينية (2). وبعد مدة من التفاوض حصل ونزمار وأخوه أبوبكر بن عريف على موافقة عبدالعزيز المريني فأمر السلطان المريني بحشد الجيوش وبعد قضاء عيد الأضحى لسنة 771هـ - 1770م وألقى زمامه بيد ونزمار بن عريف وعسكر بساحة فاس وبعث الحاشرين في الثغور والنواحي من المغرب الأقصى، فتوافدت الحشود ببابه (3). وعندما بلغ أبو هو الثاني خبر ارتحال السلطان المريني، كان حينها معسكرا بالبطحاء، فأغذ السير إلى تلمسان بجيشه وذخائره واستشار مقريبه، فاستقر رأيهم على مغادرة عاصمته، والتوجه نحو الجنوب الشرقي من المغرب الأوسط، فبعث أبو هو الثاني إلى أتباعه من عبيد الله والأحلاف من عرب المعقل، فلم يلبوا طلبه بل تحيزوا إلى ملك المغرب الأقصى. فأجمع رأيهم على التحيز إلى بني عامر (4)، وفي محرم 772هـ - 1771م خرج أبو هو الثاني من تلمسان مشرقا. والتحق ببني عامر بن حميد

(1) ابن عودة المازري: المصدر السابق - ص 181 د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزياني - ص 127 - د. مصطفى

أبوضيف: القبائل العربية - 189

(2) السلاوي: الاستقصا ج 4 - ص 57 - ابن الأحرر: تاريخ الدولة الزيانية - ص 31 - ابن عودة المازري: نفسه - ص 181

(3) د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى - ص 127 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 161

(4) نفسه: ص 127 - د. مصطفى أبوضيف: نفسه - ص 161

وشافع وحميان وأخذ يتربح أخبار بني مرين، بينما استولى السلطان عبدالعزيز المريني على تلمسان في 10 محرم 772هـ - 1371م (1)، وسرح وزيره أبا بكر في أثر أبي حمو وأتباعه وقد بلغ البطحاء، وفي تلك الأثناء التحق ونزمار بن عريف مع قومه وأحلافهم بآبن الكاس وساروا جميعاً لمطاردة أبي حمو وبني عامر وكان أبو حمو وبنو عامر بن حميد وشافع وحميان قد اتجهوا نحو الزاب وإلى أن حلوا ظاهر قرية الدوسن قريباً من فهرشدي أو جدي (2)، فحاول أبو حمو استمالة أولاد محمد من رياح إلى جانبه، عندئذ فاجأهم الجيش المريني ففر بنو عامر أمام العدو، فانهزم أبو حمو الثاني ومن بقي معه هزيمة كبرى، وترك معسكره وأمواله وذخائره للعدو وانسحب عن ساحة الحرب في اتجاه الجنوب يبغي النجاة أوائل ربيع الأول 772هـ - 1371م (3). وجاء في رواية عبدالرحمان بن خلدون بقول: "...وكانوا قد أبعدوا وكان يقصد السلطان أبا حمو وبني عامر المذهب، ونزلوا على الدواودة وسرحني إليهم يومئذ السلطان عبدالعزيز يحملهم على طاعته، والعدول بهم عن صحابة بني عامر وسلطانهم، وسرح فرج بن عيسى بن عريف إلى حصين لاقتضاء طاعتهم واستدعاء أبي زيان إلى حضرته أو نبذهم عهده وانتهينا جميعاً إلى بني زيان، ففارقه أولياؤه ولحق بأولاد يحيى بن علي بن سباع من الدواودة، وانتهيت أنا إليهم فحفظت عليهم الشأن، كما كانت مرضاة السلطان، وحذرتهم شأن أبي حمو وبني عامر، فأوفدت مشيختهم على ونزمار والوزير أبي بكر بن الكاس فدلوهما على طريقه وأغذوا السير وبيتوهم بمنزلهم على الدوسن..." (4). آخر عمل الزاب من جانب المغرب، ففضوا جموعهم

(1) العبر: ج 7 - ص 277 - يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 2 - ص 239 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى - ص 128

(2) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى - ص 129 - د. مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية - ص 162

(3) بغية الرواد - ج 2 - ص 239 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياتي - ص 128

(4) ينظر إلى العبر: ج 7 - ص 277

وانتهبوا جميع معسكر السلطان أبي حمو بأمواله وأمتعته وظهره ولحق قلهم بمصايب(1). يبدو من رواية عبد الرحمن بن خلدون أنه كان بنفسه رسولا للسلطان عبدالعزيز المريني رفقة فرج بن عيسى بن عريف، ويبين أن أبي حمو ورفاقه من بني عامر قد التجأوا إلى منطقة الزاب والتحقوا بالذواودة، ويقول عبدالرحمن بن خلدون أن السلطان عبد العزيز المريني كلفه بقضية أبي حمو الثاني ورفاقه قصد العدول عن موقفه، ويعلن طاعته للسلطان عبدالعزيز، وأن يتعد عن بني عامر. ولكن لم يشير ابن خلدون إلى الأسباب التي دفعت بالسلطان المريني أن يطلب من السلطان أبي حمو الثاني أن يتخلى عن بني عامر، ربما كان غرضه الاستفراد ببني عامر والانتقام منهم بتحريض من عرب سويد من جهة، والحد من سلطة بني عامر على عرش بني زيان، لأن ابن خلدون استخدم كلمة وسلطانهم من جهة أخرى، وإضعاف قوة أبي حمو وبالتالي الانتقام منه، ويضيف ابن خلدون أن فرج بن عيسى ابن عريف كلف من طرف السلطان عبدالعزيز المريني كرسول إلى قبيلة حصين لإعلان طاعتها، وفي نفس الوقت أن يعترف أبو زيان ابن عم أبي حمو الذي كان يقيم عند قبيلة حصين بسلطان عبدالعزيز المريني، وإلا تتخلى عنه قبيلة حصين، وحينما علم أبو زيان بخبر ابن خلدون وما أسفرت اتصالاته بقبيلة حصين ونتائجها، حتى لجأ إلى قبيلة الذواودة مما جعل ابن خلدون يتصل بأولاد يحيى بن علي بن سباع، ويخبرهم برسالة السلطان المريني بشأن أبي زيان الزياتي، ويضيف ابن خلدون في هذه الرواية أن السلطان عبدالعزيز قد حذر قبيلة حصين من أبي حمو وأتباعه من بني عامر، وربما كان هدف السلطان المريني هو إبعاد قبيلة حصين عن مخالفة أبي حمو وبني عامر حتى لا يقوى على جيش بني مرين وأنصاره عرب سويد، خاصة وأن المنطقة التي تتمركز فيها قبيلة حصين تساعد أبو حمو. وبنو عامر على شن هجومات

(1) العبر: ج7-ص82 - السلاوي: الاستقصا ج4 ص57 د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب - ص160

على عرب سويد وقوات بني مرين، إلا أن الرواية تبين أن مشيخة قبيلة حصين أعلنت طاعتها للسلطان المريني عبدالعزيز، حيث وفدت على ونزمار ووزير السلطان المريني أبي بكر بن الكاس ودلتهما على طريق أبي هو ورفاقه، الذين كانوا لاجئين بالدوسن، حيث غدر بهم الجيش المريني، وفضوا جموعهم وفر بعضهم إلى مصاب، ورجعت قوات السلطان عبدالعزيز من الزاب، فسلكت على قصور بني عامر بالصحراء قبلة جبل راشد التي منها أربا وبوسمغون وما إليها أي قصر الشلالة وعسلة وتيوت وغيرها من القصور الأخرى، فنتهبوها وخربوها وعاثوا فيها وانكفوا راجعين إلى تلمسان(1). انتقاما لما وقع لسويد من طرف بني عامر في قلعة بني سلامة. يستخلص من رواية ابن خلدون أن بني عامر بن حميد وشافع وحميان لم يتخلو عن أبي هو الثاني، بل ذاقوا محنة اللجوء إلى الصحراء رفقة أبي هو الثاني، وعانوا في تلك المناطق الواسعة، وفي هذا الموضوع يقول عبدالرحمن بن خلدون "...وجنود بني مرين تتعقب السلطان الزياني وأهله وأتباعه، وفر بنو عامر وأبوحمو إلى الصحراء وطال ترددهم فيها(2). غير أن أبا هو الثاني وبني عامر المخالفين له استطاعوا أن يتقوا شربني مرين وسويد رغم إصرار هؤلاء من جهود لمطاردهم. وفي رواية السلاوي "...واتصل خبره بأبي حمو فجمع الجموع وهم باللقاء، ثم اختلفت كلمة أصحابه، وتفرق عنه العرب من بني معقل، فأجفل وأشياعه من بني عامر بن زغبة فدخلوا القفر..."(3). ويظهر من رواية السلاوي أن بني عامر قد رافقوا أبي هو الثاني في منفاه بالصحراء، وتقاسم بنو عامر محنة المنفى عكس ما ذكره ابن عودة. المزاري أن بني عامر غدرت بأبي هو وأتهمهم بالخيانة للسلطان الزياني

(1) د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى - ص 128 - د. مصطفى أبو ضيف: نفسه - ص 160

(2) العبر: ج 6 - ص 53 - ابن عودة المزاري طلوع سعد السعود - ج 1 - ص 182 - رايح بونار: المغرب العربي - ص 297

(3) السلاوي: ج 4 - ص 58 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى - ص 128

بقوله "...وخرج أبو حمو وتوجه إلى المغرب، فدوخه وبعد الواقعة سقى بن عامر، فحمله بجنائز الملوك ودفنه بالعباد، وكان في موته راحة له، لأنه خادعه غفلة، وأراد غدره لميله لبني مريين فأراحه الله منه، وتلك عادة بني عامر بكبيرهم وصغيرهم..." (1) عندئذ قرر أبو حمو وأتباعه من بني عامر بن حميد وشافع وحميان الإغارة على ناحية تلمسان، فتوجهوا نحو الشمال قاصدين التل، وقد سلك الطريق نحو الغرب محاذيا الطرف الصحراوي جنوب الأطلس، (2) حيث مر بالمزاب ومتليلي وتماسين، ثم الجزء الجنوبي عبر وادي درمل ووادي فجيج وثم اتجه نحو غدير البقر المعروف بالأبيض رما الأبيض سيدي الشيخ، وأقام في أربا قبل مواصلة مسيرته (3). وقد ذكر يحيى بن خلدون أن أبا حمو الثاني الذي كان ينظم المقاومة ضد المرينيين بقوله: "...وارتحل أمير المسلمين إلى قصر أربا... ثم رحل إلى مسيف ثم إلى جبل بين تاجرنا والمناقيب، فخرابة عنتر... ونزل أبيض عنتر وذلك في فيفري 1371م، ويشير يحيى بن خلدون أيضا أن الأمير أبا حمو الثاني بقي بالجنوب الغربي الجزائري منذ نهاية 1371م وبداية 1372م حيث جاء في قوله فخيم في الصفيصة... ثم في تاجرنا والمناقيب، ثم توقف في شمال تيوت إلى درم فجيج... وصرف منه العير بأثقاله كلها للثطون بقصر أبي سمغون من بلاد بني عامر..." (4)، ويبدو من نص يحيى بن خلدون أن أبي حمو الثاني كان يقيم عند بني عامر وحميان كلما تعرض للمضايقة من طرف بني مريين.

* وهي البيوض الحالية التي تقع شمال المشرية

(1) ينظر إلى: طلوع سعد السعود - ج 1 - ص 182

(2) خليفة بن عمارة: تاريخ البوكرية - 2004 - ص 71

(3) نفسه: ص 71

(4) ينظر إلى: بغية الرواد - ج 2 - ص 208 - العبر: ج 7 - ص 131

وكان بنو عامر بن حميد وشافع وحميان تضمن له الحماية من أعدائه. وقد حدث فتورا في العلاقات بين خالد وأبي هو الثاني، بعد أن داخل بنو مرين خالد بن عامر في شأن الالتحاق بهم والانفصال عن أبي هو الثاني، واستطاع عبدالله بن عسكر بن معرف بن يعقوب ومعرف هو أخو إبراهيم بن يعقوب، وكان عبدالله بطانة السلطان أبي هو وجاسوسه⁽¹⁾ أن يفرق بين خالد بن عامر والسلطان أبي هو الثاني، مما جعل خالد بن عامر يتخلى عن أبي هو الثاني وتبعهم الوزير عمران بن موسى وغيره من وزراء أبي هو منحازين إلى بني مرين، وينضموا إلى السلطان عبدالعزيز المريني، وجاءت بخالد عساكر بني مرين، وألحق أضرارا بأبي هو ومن معه من العرب⁽²⁾، وعندما حدث تخاذلا في صفوف رجال أبي هو تراجع عن محاولته، بل تابع سيره نحو تلمسان قاصدا عدوه، ومواجهها ما كان في المنطقة في تلك المنطقة من القوات المرينية فلقبها بأوماكرا، ولكنه انهزم شر هزيمة واستولى العدو على طعنه بما اشتمل من مال وذخيرة وأهل وولد، وأفلت أبو هو الثاني مع ابنه أبي تاشفين وقليل من الأقرباء والأتباع في 25 شوال 773هـ - 1372م⁽³⁾. ثم عاد أبو هو الثاني إلى تجواله في القفر، فداق مرارة عدم الاستقرار في عاصمته، وصعب عليه الخلاص من خصومه، فاضطر إلى مفارقة أبنائه مدة ثم اجتمع بهم في قصر أبي سمغون الواقع في أراضي بني عامر الجنوبية في أواخر ذي القعدة 773هـ - 1372م⁽⁴⁾، وقصد بهم الصحراء فرارا من العدو، واستقر بتيكورارين في جنوب الصحراء مما يتاخم بلاد السودان بعد أن ترك أبنائه في أحياء بني عامر آخر 773هـ - 1372م⁽⁵⁾.

(1) العبر: ج 6 - ص 53 - بغية الرواد - ج 2 - ص 208 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب - ص 161

(2) نفسه: ج 6 - ص 53 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب - ص 161

(3) نفسه: ج 7 - ص 278 - 279 و 288 - يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 2 - ص 256

(4) نفسه: ج 7 - ص 279 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزباني - ص 129

(5) نفسه: ج 6 - ص 54 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 162

ويلاحظ أن موطن بني عامر بن حميد وشافع وحميان كان ملجأ لأبي حمو وأهله وقد كثر تردده على موطن بني عامر وحميان كلما واجهته مصاعب، مما يبين مدى ارتباط بني عامر ابن حميد وشافع وحميان بإمارة بني زيان، خاصة في وقت الشدة، ومرض السلطان عبدالعزيز المريني سنة 774هـ وعاد إلى المغرب برفقة عبدالله بن أخي صغير، ولحق بهم ساسي بن سليم بن داود شيخ بني يعقوب، بسبب مقتل أبناء محمد بن عريف على أيدي قومه بني يعقوب خلال الفتنة التي حدث بينهم⁽¹⁾، فلحق ساسي بخالد يريد منه الدعم وببلاط بني مرين، ولكنهم عادوا إلى أوطانهم، وبعد أن توفي السلطان المريني عبدالعزيز في 22 ربيع الثاني بداء خطير والحصار الغزو المريني عن المغرب الأوسط، بلغ خبر وفاته إلى أبي حمو الثاني عاد من المنفي بالصحراء إلى تلمسان مع أنصاره من عرب يغمور بن عبدالله من أولاد خراج برياسة عبدالله بن صغير أحد زعماء عرب بني عامر⁽²⁾ في 24 جمادي الأولى 774هـ — 1373م بعد غيبة دامت سنتين⁽³⁾. وكان ونزمار بن عريف قد نصح أخويه أبا بكر ومحمد بالتحالف مع أبي حمو الثاني، واغتنام فرصة خديعة خالد بن عامر لإحلال سويد محل بني عامر في مخزن دولة بني زيان، ووافق ذلك حنق أبي حمو على خالد ابن عامر وقومه، فعمد إلى تغيير سياسته تجاه قبائل زغبة⁽⁴⁾. وأصبح يعهد إلى سويد مهمة الدفاع على كيان دولته. يلاحظ أن أبي حمو دخل في صراع مع بني عامر، بعد العداء الذي وقع بينه وبين خالد بن عامر، فعندما بدأ أبو حمو يوجه جيوشه بقيادة عطية بن موسى إلى ناحية شلف في أواخر جمادي الأولى 774هـ — 1373م⁽⁵⁾.

(1) العبر: ج 7 - ص 281 يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 2 - ص 270 - 274

(2) نفسه: ص 270 - 274 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 162

(3) نفسه: ص 281 - يحيى بن خلدون: بغية الرواد - ج 2 - ص 270 - 274

(4) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياتي - ص 131

(5) العبر: ج 7 - ص 131 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 161

وعجز علي بن هارون على مقاومة هجوم عطية بن موسى، تحالف مع خالد بن عامر وقومه وقبيلة توجين وغيرهم في رجب 774هـ - 1373م، هاجم بعض هؤلاء الأحلاف ومن بينهم بني عامر جيش عطية بن موسى فحاصروه بها، بينما اتجه خالد بن عامر وأتباعه صوب تلمسان قصد الاستيلاء عليها⁽¹⁾، وكان رد فعل أبي حمو الثاني أن بعث جيشاً معززاً بأحلافه الجدد من سويد بقيادة ابنه الأمير أبي تاشفين لصد خالد بن عامر فانهمز هذا الأخير وانصرف بقومه إلى الصحراء في شوال 774هـ - 1373م وفي أول 775هـ - 1374م توجه الأمير أبو تاشفين بالجيش والأحلاف من سويد وغيرهم صوب الجنوب لرد عادية خالد بن عامر وقومه⁽²⁾. فأقام بالسرسو ثم عاد إلى ناحية شلف لغزو علي بن هارون وقبيلته مع قبيلته مغراوة. لم يرض بنو عامر بجلاتهم عن أراضيهم في المغرب الأوسط لفائدة سويد وانتهاء نفوذهم في الإمارة الزيانية التي أحيوها بعد الاستيلاء المربني، ودافعوا على كيانها مدة طويلة⁽³⁾، ولم تفلح مساعيهم في الحصول على مساعدة بني مرين فلما يسوا من ذلك قرر عبد الله بن صغير أو سقير وقومه العودة إلى أوطانهم والدفاع عنها بالقوة وانتهزوا فرصة غضب أبي بكر بن عريف عندما عزل أبو حمو الثاني صديقه يوسف بن عامر بن عثمان عن إمارة وانشريس فاستمالوه إليهم، وبايعوه جميعاً الأمير أبا زيان وأوفدوا رجالاً لهم عليه بمكانه من مجالات رياح، فوصل ونصبوه للأمر⁽⁴⁾. إلا أن أتباع أبي حمو من سويد ومحمد بن عريف توجهوا في أول سنة 777هـ - 1376م صوب المخالفين، وزحف عبد الله بن سقير وأبو بكر بن عريف وأتباعهما. إلى مازونة، قصد مفاجأة

(1) العبر: ج 7-ص 134-137- بغية الرواد: ج 2-ص 309 و 270 و 308

(2) بغية الرواد: ج 2-ص 298-د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى: 146-د. مصطفى أبوصيف: القبائل العربية في المغرب-ص 162

(3) العبر: ج 7-ص 284-د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى-ص 134

(4) يحي بن خلدون: بغية الرواد: ج 2-ص 329-د. عبد الحميد حاجيات: نفسه-ص 134

القائد عطية بن موسى ولكن محاولتهم لم تنجح وانهمزوا شر هزيمة في 4 ربيع الأول 777هـ، فأوسعهم قتلا وأسرا وسلب طبل أبي زيان وأعلامه (1). وعندما اجتمع جيش أبي هو بجيش عطية وأبي تاشفين وانفض أتباع أبي زيان من حوله وعاد عبدالله بن سقير إلى المغرب الأقصى وأصحر أبوبكر بن عريف، ثم عرض عليه أبو هو الثاني ما أرضاه من المال والاقطاعات، أما أبوزيان فإنه رجع إلى بلاد الدواودة، وقد خاب أمله وذلك في ربيع الثاني 777هـ (2). وعندما فشل خالد بن عامر في استمالة بني مرين عزم بنو عامر على الرجوع إلى أراضيهم، ومناجزة الحرب لسويد خصومهم، وغادروا المغرب الأقصى، متجهين نحو المغرب الأوسط، وعلمت سويد بنواياهم فأعدت لهم ما استطاعت من عدة، واستنفرت حلفاءها العطاف والسلطان أبا هو فأمر ابنه أباتاشفين المستقر آنذاك بجبل هواره بالاستعداد لصرختهم (3)، ولما وصل بنو عامر إلى أعالي وادي مينا توجه إليهم أبو تاشفين وضم جيشه إلى سويد والتقوا ببني عامر في تلك الناحية في 2 ذي الحجة 777هـ - 1376م (4)، وخرج لهم جيش السلطان أبي هو مع ابنه تاشفين، وزحف معه سويد والديالم والعطاف، فأقعوا بهم على وادي مينا بغليزان، وقتل عبدالله بن صغير وأخوه ملوك وبعض أقربائهم، إن تحالف بني عبدالواد وأولاد عريف قد أثار خالد بن عامر وابن أخيه عبدالله بن صغير وإخوانهم من سائر بنو عامر، وعملوا على فشل هذا التحالف والقضاء عليه، وتصارع بنو عامر وسويد، فأغار عبدالله بن صغير وقومه على جبل راشد وطن العمور وأحلاف سويد ودارت بينهم المعارك انتصر فيها عرب سويد وأحلافهم، فيعود بنو عامر وبنو يعقوب من زغبة للإغارة على البلاد، فتعترضهم عرب سويد وتدور بينهم

(1) د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزباني - ص 144

(2) العبر: ج 7 - ص 302 - د. عبد الحميد حاجيات: نفسه - ص 150

(3) نفسه: ص 303 - د. عبد الحميد حاجيات: نفسه - ص 152

(4) د. عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى الزباني - ص 152

المعارك طوال النهار والليل مشعلين النيران مخافة البيات، وفي الصباح نشبت الحرب بين الفريقين وحمى الوطيس إلى بعد الظهر، فأنهزم بنو عامر وقتل كثير من أبطالهم كعبدالله بن سقير وأخيه ملوك والعباس بن موسى بن عامر وغيرهم* في 3 ذي الحجة 777هـ، ففر بقية من كان مع خالد إلى الصحراء، واتصل خالد بالديالم والعطاف فاتفقوا على الخلاف(1)، وبعثوا إلى الأمير أبي زيان الذي كان يقيم بوطن بني رياح، فجاءهم وبايعوه وأقاموا له الدعوة بالجزائر ثم وفدوا على سالم بن إبراهيم رئيس الثعالبية وصاحب وطن متيجة، وكان متخوفاً من أبي حمو(2) وأمكنه سالم من الجزائر، ثم توجهوا إلى مليانة وحاصروها، فامتنعت عليهم وعادوا إلى الجزائر وفي تلك الأثناء مرض خالد بن عامر وتوفي بها بعد أيام قليلة من مبايعة أبي زيان(3). ولكن تولى أمر بني عامر بعد خالد مسعود من بعده ابن أخيه صغير، فزحف إليهم أبو حمو رفقة سويد وأتباعه من بني عامر، واستخدم سالم وخرج أبو زيان إلى مكانه من وطن رياح ولحق مسعود وقومه بالصحراء(4)، وانتهى الحلف القديم بينهم وبين أبي حمو الثاني(5). ولحق ساسي بن سليم ببيعقوب بن علي وقومه من الذواودة، وبعد ذلك عاد بنو عامر جميعهم إلى أبي حمو فأمنهم وقدموا عليه وأظهروا البر والرحب بالمسعود وساسي، وطوى لهم على السوء، ولكن أبو حمو مكر بهم(6).

* وانجلى المعركة الضاربة بين القبائل العربية في المغرب الأوسط عن مقتل عبدالله بن صغير وأخيه ملوك والعباس ابن عمه ومحمد بن زيان وموت خالد متأثراً بجراحه

(1) العبر: ج 7-ص 284- بغية الرواد- ج 2-ص 328-330- د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو الزياتي-ص 136

(2) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى-ص 136

(3) العبر: ج 7-ص 289-290- بغية الرواد- ج 2-ص 328-330

(4) نفسه: ج 7-ص 291

(5) نفسه: ص 291

(6) بغية الرواد- ج 2-ص 330

وكلف ابنه أبا تاشفين للقبض على المسعود وعشرة من إخوانه بني عامر بن إبراهيم، وقام أبو تاشفين ومن معه من العرب إلى أحياء بني يعقوب، وكانوا بسيرات منطقة مستغانم وكانت سويد تترصد لهم بوادي مينا بغليزان، ففاجأوا بني عامر بمكانهم، مما جعل بقية بني عامر (1) شريدا إلى الصحراء ولكن أبو تاشفين اعترضهم بجبل العمور، وقضى على من بقي من بني عامر، ونجاساسي بن سليم إلى الصحراء في جماعة قليلة من قومه (2)، ونزل على النضر بن عروة. وتولى رئاسة بني عامر سليمان بن إبراهيم بن يعقوب عم صغير وكان رديفه عبد الله بن عسكر، فبعث لهم صاحب المغرب السلطان أبو العباس أحمد بن الولي أبا سالم بالشفاعة في المسعود وإخوانه بمساعدة ونزمار بن عريف (3)، والذي كان أيضا سببا في نكبة أبي حمو وإخوانه، وعاد بنو عامر إلى الخلاف، وخرجوا على الصحراء. واجتمع لهم الكثير من أولاد إبراهيم بن يعقوب. وانضم أيضا من بقي من بني يعقوب من مواطنهم إلى شيخهم ساسي ابن سليم، ونزلوا جميعا مع عروة، وأوفد ساسي إخوانه إلى السلطان أبي العباس صاحب إفريقية، فرحب بهم ولكن أبو حمو بعث من اغتاله (4). ووفد بعدها على السلطان أبي العباس صاحب إفريقية علي بن عمر بن إبراهيم وهو ابن عم خالد بن محمد، وكبير النفر المخالفين من بني عامر لأبي حمو، ووفد معه سليمان بن شعيب بن عامر فوفدوا عليه بتونس، يطلبون حمايته، فقبل منهم وأكرمهم ورجعوا إلى قومهم، وبعد ذلك عاد علي بن عمر إلى خدمة أبي حمو. وقدمه على بني عامر وأدال به سليمان بن إبراهيم الذين بالصحراء، ونزلوا مع بني يعقوب بإحياء أبي بكر بن عريف (5).

(1) العبر: ج 7-ص 303 و 755-د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزباني-ص 152

(2) د. عبد الحميد حاجيات: نفسه-ص 152

(3) العبر: ج 7-ص 756-د. عبد الحميد حاجيات: نفسه-ص 153

(4) نفسه: ص 303-د. عبد الحميد حاجيات: نفسه-ص 153

(5) نفسه: ص 303-بغية الرواد-ج 2-ص 330

يبدو أن بني عامر ومن معهم من حميان بقوا مخلصين لأبي حمو الثاني رغم أنه أخطأ في حقهم، إلا أنهم ضحوا من أجله، بل قتل الكثير منهم في معركة الغيران (1)، وكان عددهم أقل من عدد أعدائهم، ومع ذلك بقوا صامدين من أجل نجاة السلطان. اتبع أبي حمو السلطان خطة جديدة تعتمد على مصادقة سويد واستعمال نفوذهم هؤلاء في المغرب الأوسط، ونفوذهم في المغرب الأقصى لإقامة السلم مع بني مرين. وبعد هذا الانتصار الذي حققه أبوحمو وابنه أبوتاشفين وحلفائه من عرب سويد، انتفض شيخ الثعالب سالم بن إبراهيم على أبي حمو الثاني في أول سنة 778هـ - 1377م (2). ويبدو أن الصراع في البيت الزياني عاد إلى الواجهة بين أبي الثاني وابنه أبي تاشفين وتزامن مع صراع السلطان أبي العباس المريني وابن عمه عبد الرحمان بن أبي يفلوسن، وتجاوز حدود الإمارات الزيانية والمرينية، ووظفت قبيلة بني عامر وحميان في هذا الصراع، حيث ذكر عبد الحميد حاجيات "... أن تخريب قصر مرادة يدعو إلى التساؤل عن العوامل التي جعلت أبا حمو يقدم على تدمير قصر مرادة، بالرغم من أن العلاقات بينه وسويد كانت ودية بعد وفاة السلطان المريني عبدالعزيز، وما تلا ذلك من نكبة بني عامر وهزيمتهم..." (3). ويظهر أن منافسة أبناء أبي حمو الثاني على الحكم وما امتازت به من عنف قد جعلت أبا تاشفين يعتمد على سويد في دفاعه على حقوقه مما دفع بأبي حمو إلى البحث عن مؤدين لعرشه، وقد يكون قد رجع آنذاك إلى التحالف مع بني عامر، الأمر الذي يبين ما حدث لقصر مراده من تخريب. وربما يعود سبب هذا التخريب إلى العداء بين بني عامر وسويد (4)، وقد يكون أبوحمو طاوع بني عامر على تخريب القصر كرد فعل

(1) العبر: ج 7 - ص 756 - السلاوي: الاستقصا - ج 4 - ص 76

(2) العبر: ج 7 - ص 756 - الحسن الوزاني: وصف إفريقية - ص 56

(3) ينظر إلى أبي حمو موسى الزياني - ص 153

(4) ينظر إلى بحجة الناظر - ص 25

على ما أصاب قصور بني عامر في عهد السلطان عبدالعزيز المريني والنكبة التي لحقت بهم في معركة وادي ميناو لكسب تأييدهم ضد ابنه أبي تاشفين وأنصاره سويد في الصراع الذي قام بينهما (1). ويبدو جلياً من خلال هذه الأحداث مدى تأثير بني عامر وسويد بالصراع الطويل القائم بين بني زيان وبني مرين وانعكاس ذلك على العلاقات بين قبائل بني زغبة، بسبب انتشار الفتن في المغرب الأوسط والتنافس على الحكم بين أمراء الدولة الزيانية (2)، إن إقدام أبي حمو الثاني وبني عامر على تخريب قصر مرادة كان خطأ فادحاً، تمخضت عنه حوادث خطيرة أدت إلى تدهور الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط (3). كما أن تخريب قلعة بني سلامة سنة 771هـ كان له عواقب وخيمة، مما أدى إلى استيلاء السلطان عبدالعزيز المريني على المغرب الأوسط مدة سنتين بتحريض من سويد (4). ويبدو أن بني عامر عند دخولها رفقة أبي حمو الثاني إلى المغرب الأقصى استغلت الفرصة للانتقام من سويد؛ لأن سويد قد سبق وأن خربت قصور بني عامر مستغلة الوجود المريني في المغرب الأوسط، أما بالنسبة لقلعة بني سلامة وما أصابها من تخريب فقد حدث ذلك على يد أبي حمو الثاني، وما يمكن قوله أن الصراع في بلاد المغرب كله، كان قائماً بين قبائل زناتة، وأقحمت القبائل العرب فيه، بل شجعت الظروف السياسية في تغذية هذا الصراع، ويبدو من الأحداث أن بني عامر بقيت على ولائها لأبي حمو الثاني وشاركت في النزاع القائم بين السلطان وإبنه أبي تاشفين، وأصبحت الدولة الزيانية تعيش حرباً أهلية، حيث أدى التهافت على السلطة إلى صراع بين أبي حمو الثاني وإبنه أبي تاشفين، وانحاز إلى جانب أبي حمو الثاني أقوام من عرب ناحية متيجة وشلف. ومن بني

(1) العبر: ج 7-ص 757- بغية الرواد- ج 2-ص 330

(2) نفسه: ص 757- د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني- ص 153

(3) بغية الرواد- ج 2-ص 331- د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني- ص 154

(4) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني- ص 154

عامر، بينما كان أبو تاشفين مؤيداً من طرف سويد و قبيلة بني عبدالواد. اتبع أبو حمو الثاني رفقة بني عامر طريق الجنوب متجهين نحو المنطقة الغربية إلى أن بلغوا قرية تامة الواقعة غربي تلمسان (1)، بغية الإطاحة بابنه أبي تاشفين، ولكن ابنه اتبع خطة عسكرية محكمة، حيث عزم على توجيه ضرباته إلى الجهتين الشرقية والغربية، للقضاء على إخوته وأبيه، فأرسل جيشاً إلى شلف بقيادة ابنه أبي زيان ووزيره محمد بن عبدالله بن مسلم وسار هو بجيش آخر نحو أبيه (2). فكانت النتيجة أن قتل ابن أبي تاشفين، وتوجه أبو حمو إلى زاء، واستنجد بالأحلاف من قبيلة المعقل، لبوا طلبه وعاد إلى قرية تامة فنازلها (3)، وأقبل أبو تاشفين بجيشه المدعم بعرب سويد، فعسكر قبائله، وبقي الفريقان على تلك الحال إلى أن بلغ أبا تاشفين خبر هزيمة ابنه ومقتله، فتأثر كثيراً لذلك النبأ، وقرر الانسحاب إلى تلمسان، فعاد إليها وأبو حمو في أثره، وحاول أبو تاشفين إغراء أتباع أبي حمو بالأموال، لكسب أنصار جدد، لكن محاولته باءت بالفشل، ولما وصل خبر إلقاء القبض على مولاه سعادة (4). وعندئذ لم يجد أبو حمو أية صعوبة في الاستيلاء على تلمسان في رجب 790هـ، فاستعاد عرشه واستدعى إليه أبناءه من المنطقة الشرقية فأتوه (5). ويلاحظ أن عرب سويد قد غدرت بأبي حمو الثاني في أواخر أيامه، ومما يبين ذلك أن شيخهم محمد ابن عريف ساهم في تحريض ابن السلطان الزياني أبا تاشفين ضد أبيه أبي حمو الثاني، بل أكثر رافق أبا تاشفين إلى المغرب الأقصى لتحريض بني مرين ضد أبي حمو. لما اتصل أبو حمو الثاني بخبر زحفهم إلى تلمسان، غادرها مع أتباعه بني عامر والخراج، وقصدوا جبل ورنيد

(1) العبر: ج 7 - ص 757 - بغية الرواد - ج 2 - ص 331 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني - ص 154

(2) نفسه: ص 757 - السلاوي: الاستقصا - ج 4 - ص 76

(3) بغية الرواد - ج 2 - ص 331

(4) د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني - ص 155

(5) العبر: ج 7 - ص 758 - بغية الرواد - ج 2 - ص 331

الواقع جنوب مدينة تلمسان والمطل عليها، وأقام بمكان من ورائه يدعى الغيران. وفي تلك الأثناء ورد موسى بن يخلف إلى تلمسان، واستولى عليها مقيماً بها دعوة الأمير أبي تاشفين، فأرسل إليه أبو حمو ابنه عمير، فأسر به بعد أن أسلمه سكان المدينة وحمله إلى أبيه (1)، فأمر بتعذيبه وقتله ثم تمكن حلفاء أبي تاشفين من معرفة مقر أبي حمو فقصدوه، وباغتوه في الغيران والتحم القتال بين الفريقين، فلم يلبث أنصار أبي حمو أمام الجيش المريني الذي كان يفوقهم عددا وعدة (2)، وكب بأبي حمو فرسه، فسقط على الأرض، وأدركه بعض أصحاب أبي تاشفين فقتلوه قعصا بالرماح، وجاءوا برأسه إلى ابنه أبي تاشفين والوزير ابن علال في أول ذي الحجة 791هـ (3). وذكر عبدالقادر المشرفي بقوله: "... وبقي بنو عامر وحميان بالقفر إلى أن ملك أبوحمو موسى بن يوسف الزياني الثاني وذلك في حدود نيف وستين من القرن الثامن الهجري الموافق لنيف وستين من القرن الرابع عشر الميلادي، وكان من أعياص ملوك بني زيان، وقد فتك أبو عنان المريني بالدولة الزيانية وكاد أن يستأصلهم، ونقلهم من ضواحي تلمسان واتصلت مجالاتهم بها إلى جبل هيدور، وهو جبل مطل على وهران، وتارقة وملاتة وطاء وجبالا، فبقوا بها إلى أن نقلهم من ملاتة بوطائها وجبالها مع الدوائر والزمالة في أعوام الستين ومائة وألف 1747م - 1748م وفي ولاية عصمان أو عثمان باي سكنوها فهم بها إلى الآن..." (4). ومسكن هؤلاء ويقصد حميان من ملاتة بأرض الحفرة وما والاها، فأكثرهم بقي بالقفر إلى الآن. وهؤلاء أتوا أي الجزء الآخر من حميان مع بني عامر، وانتقلوا بانتقالهم إلى ضواحي تلمسان.

(1) العبر: ج7-ص758- بغية الرواد-ج2-ص331

(2) بغية الرواد-ج2-ص332-د؟ عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني-ص155

(3) العبر: ج7-ص758- السلوي: الاستقصا-ج4-ص76

(4) بغية الرواد-ج2-ص332-د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني-ص155

ثم إلى الحل الذين هم فيه الآن(1). وذكر المشرفي ويقصد بني عامر وحميان وأنزلهم ببلاد تاسالة، ولكن لم يوضح في روايته من الذي أنزل بني عامر وحميان بتاسالة هل السلطان أبو عنان المريني، أم السلطان الزياني أبو حمو الثاني، والراجح السلطان الزياني أبو حمو الثاني وأشار رابع بونار أن قبيلة بني عامر كانت تستقر بموطنها بصحراء تلمسان إلى غاية تولي أبو حمو الثاني الحكم في الدولة الزيانية ما بين 760هـ - 791هـ(2). بينما انقسمت حميان إلى قسمين فانتقل قسم منها إلى تاسالة، والباقي استقر بصحراء تلمسان، حيث قال "...ودامت هذه القبيلة ويقصد حميان في موطنها إلى عهد أبي حمو الثاني فانتقل بعض أفخاذها إلى تاسالة، والباقي إلى الصحراء..."(3). ينظر إلى الخريطة رقم 4 ص 443 خلاصة القول يستخلص أن بني عامر خاصة بني عامر بن حميد وشافع وحميان رافقوا أبي حمو موسى الثاني الزياني منذ خروجه من إفريقيا إلى غاية وافته، ويبدو أن قبيلة بني عامر ومن جملتهم حميان قامت بدور بارز في إحياء الإمارة الزيانية إحيائها، إذا كانت العلاقات بين بني عامر وبني زيان تتغير من حين لآخر من الود إلى العداء، وانعكست هذه العلاقات سلبيا على بني عامر حيث أصبحت أحياءها تتقاتل فيما بينها من أجل الظفر بمكانة في بلاط بني زيان، واستمر عرب بني عامر كحلفاء مخلصين لدولة بني عبد الواديساهمون بستة آلاف فارس على الأقل مجهزين بخيولهم وآلاتهم في جيش سلطان تلمسان ضد بني مرين(4) لم يتوقف دور بنو عامر وحميان على العمل السياسي والعسكري في إمارة بني زيان بل ساهموا أيضا في نشاطها الاقتصادي والثقافي.

(1) عبد القادر المشرفي: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسماعيليين بوهران من الأعراب بني عامر - ص 27

(2) Noél:op.cit.p151

(3) ينظر إلى: المغرب العربي - ص 293

(4) عبد القادر المشرفي: بهجة الناظر - ص 27

الفصل السادس:

دور بنوعامر وحمياؤ الإقتصادى والثقافى

فى المغرب الأوسط

المبحث الأول: دور بنوعامر وحمياؤ الإقتصادى

1- التجارة (تجارة القوافل)

2- تنمية الثروة الحيوانية

المبحث الثانى: دور بنوعامر وحمياؤ الثقافى

1- نشر اللغة العربية

2- الموروث الشعبى الهلالي

1- دور بنوعامر وحميان الاقتصادي:

لا يخلو أي مجتمع من المجتمعات من النظم الاقتصادية مهما كانت درجة تخلفه وبدائيته ولا شك أن الظاهرة الاقتصادية هي نتاج التفاعل المستمر والاحتكاك الدائم القائم بين عنصري الطبيعة أو البيئة والإنسان (1)، فالسلوك الاقتصادي هو سلوك إنساني وهو سلوك مكتسب ينتقل بالتعليم والتربية والإعداد للحياة، حيث أن ظواهر الاقتصاد لا تظهر فجأة، وهي ليست شيئا فطريا أو إفرازا طبيعيا أو إنتاجا غريزيا، وإنما ينبغي النظر إلى الظواهر الاقتصادية على أنها أشياء اجتماعية يتوصل إليها الإنسان بفضل كفاحه الدائم وصراعه العنيد مع بيئة فيزيقية صارمة (2)، وباستخدام طاقاته العقلية وقوته الفكرية، والنظم الاقتصادية ليست موجودات معزولة بذاتها، بل تتداخل تداخلا قويا مع بقية النظم الاجتماعية، لذلك ينبغي عند التعرض لأي مظهر من مظاهر النظام الاقتصادي أن تدرس علاقته بالبناء الاجتماعي للعلاقات الاقتصادية تأثير على الأفراد منذ القدم سواء في العمل أو خارجه (3)، وهي طريقة لتوثيق العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وتقوية أواصر المحبة، وتوضح صور العلاقات الاقتصادية في المناسبات الكبرى مثل الزواج أو منزل جديد (4). إن العلاقات الاقتصادية منتشرة في جميع المجتمعات سواء كانت مجتمعات بدائية أو حديثة. لقد تميزت المجتمعات البدائية بالبساطة وعدم التعقيد في حياتها الاقتصادية ولا شك أن للنظام الاقتصادي في المجتمعات البدوية كما في غيره من المجتمعات الحضرية والريفية دورا بارزا أو هاما في حياة الأفراد والجماعات (5)، وأن الاختلاف يعود إلى

(1) د. محمود عودة: أسس علم الاجتماع - دار النهضة العربية - 1967-206 ص د. عبد الحميد لطفي: علم الاجتماع - دار

النهضة العربية - بيروت - 1981 - ص 78

(2) د. أحمد الخشاب: التفكير الاجتماعي - ص 238

(3) د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع - نظريات وتطبيقات - دار النهضة العربية - 1984 - ص 113

(4) د. سهرير عبدالعزيز محمد يوسف: الاستمرار والتغير الاجتماعي - ص 35

عدم وجود أساس الاقتصاد الحديث في المجتمعات البدوية. وقد تنوعت الأنشطة في المجتمعات البسيطة ومنها الزراعة والرعي والجمع والالتقاط ومرحلة القنص ومرحلة صيد السمك والنشاط التجاري، وكون حميان وبني عامر قبيلة بدوية هلالية كانت تعيش ولا تزال على حرفة الرعي والنشاط التجاري. فالعوامل الرئيسية المحددة للملامح اقتصاديات المجتمعات البدوية هي الحيوان والتجارة والآبار والعيون (1).

1-2- دور بنو عامر وحميان التجاري: لقد ذكر المؤرخون أن القبائل العربية وهي عرب زغبة بما فيهم بنو عامر وحميان وسعوا نطاق هذه التجارة بين التل والصحراء، واحتكروا تموين بعض المدن الإفريقية مقابل توزيعهم لمنتجاتهم (2) كما سيطرت القبائل العربية على طرق التجارة الداخلية بعد أن توقفت حركة البربر، فلا يجتازها غيرهم إلا بخفارة، وقد قامت بالمبادلات التجارية أحسن قيام (3). ومن بين هذه القبائل العربية التي ساهمت في الحركة التجارية خاصة تجارة القوافل قبيلة بنو عامر وحميان وذلك منذ هجرتهما إلى صحراء تلمسان في عهد الإمارة الزيانية سنة 1236م، هذه التجارة التي يصنفها الاجتماعيون كخاصية من خصائص النشاط الاقتصادي في المجتمع التقليدي (4). وذكر أحد الباحثين أن نشاط تجارة القوافل يعود إلى العرب البدو الذين أسسوا مسالك وراو بط سهلة، وأكثرها متبعة عبر الواحات (5). إن التنقلات الظرفية الموسمية للرحل وقد أسسوا علاقات تجارية وسهلوا مبادلات السلع (6).

(1) د. عبد المجيد مزيان: النظريات الاقتصادية - ص 240

(2) Jacquot Félix :op.cit.p265

(3) د. محي الدين صابر. د. مليكة لويس كامل: البدو والبدو - سرس الليان - 1966 - ص 10

(4) د. عبد الفتاح الغنيمي: موسوعة المغرب العربي المجلد الثالث - ص 153 م مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق ج 2 ص 188

(5) مبارك بن محمد الميلي: نفسه: ص 18 - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر - ص 138

(6) Jacquot Félix:op.cit.p265

وهؤلاء البدو قد زودوا سكان القصور الصحراوية بالقمح المستورد من التل ومن أسواق الشمال، ويقومون ببيع التمر والإنتاج الحيواني. لقد سيطر بنو عامر وحميان إلى جانب ذوي عبيد الله على الطريق التجاري المار عبر قصور الصحراء مثل تمنطيت وتيكرارين، وهي كثيرة موارد الماء، الذي يعتبر الفرع الثاني الممتد من سجلماسة ثم درع إلى أود فشت ثم النيجر⁽¹⁾، فيقول ابن خلدون "... وكلها ممشاة للعرب ومختصة بعبيد الله من المعقل، وربما شاركهم حميان من جموع بني عامر بن زغبة خلال ناجعتهم حتى تيكراين..."⁽²⁾. ويبدو أن بني عامر وحميان لم يتجاوزوا في تجارتهم قصور توات حسب رواية ابن خلدون، وأما عبيد الله فيزيدون إلى قصور توات وبلد تمنطيت، ترافقهم قوافل إلى بلاد السودان، وربما كانت هذه القوافل تعتمد على حماية بعض فرسان عبيد الله في الجزء الأخير من الطريق، نظرا لطوله من ناحية وكبر حجم القوافل من ناحية أخرى⁽³⁾. لقد كان بنو عامر وحميان يشكلون قبيلة تابعة سياسيا وإداريا واقتصاديا إلى دولة بني زيان، فالغالب على الظن أنها كانت تزود أسواق تلمسان بما تحتاجه من منتجات غذائية حيوانية كالسمن واللبن المجفف، والماشية والصوف والوبر، وكل ما يتعلق بالإنتاج الحيواني (ينظر إلى الخريطة رقم 5 ص 444)

(1) د. محمد السويدي: بدو الطوارق بين الثبات والتغير - دراسة سوسيو-أنثروبولوجية في التغير الاجتماعي - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1986 - ص 34

(2) D. Atallah Dhina: les états de l'occident musulman

Au 13^{et} 14^{et} 15^{siècles}; institutions gouvernementales et administratives; opu. Alger; 1984; p 357

El-Ayyashi: voyages dans le sud de l'algerie; trad Berbrugger; paris; 1846; p. 45-46

(3) ينظر إلى العبر: ج 7 - ص 56 - 57 - د. مصطفى أبوضيف: القبائل العربية - ص 324 - د. الحبيب الجنماني: المغرب الإسلامي - الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3-4 هـ) (9-10 م) - الدار التونسية للنشر - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1978 - ص 179

وربما كانت قوافل بني عامر وحميان تستورد من تلمسان الأغذية والبرانس والقمح والشعير وغيرها. ولم يقتصر نشاط بنوعامر وحميان التجاري على المناطق الداخلية، بل ساهمت في ربط قصور الصحراء بقصور بني عامر بحيث كانت قوافل بني عامر وحميان التجارية تقوم بتصدير المنتجات الغذائية الحيوانية كالسمن واللبن المجفف ورؤوس الماشية والصوف والوبر، والشاي والقباعات المزخرفة بريش النعام ونسيج الصوف والأقمشة وفليج الخيام والبرانس والأغذية والحبوب التي كانت تستوردها قبيلة بني عامر وحميان من المنطقة التلية⁽¹⁾، وكانت قوافل بني عامر وحميان تستورد من قصور الصحراء التمر والملح، ومن أهم أسواق الصحراء التي تعود عليها بنوعامر وحميان هي فقيق وتيميمون وقورارة وتمنطيت، وبودة ومدن مصاب كغرداية وقرارة وعين صالح وأسواق قصور بني عامر كبوسمغون ومغرار والشلالة وتيوت والعين الصفراء⁽²⁾، أما أسواق المنطقة فكان بنو عامر وحميان يتعاملون تجاريا مع بني عامر وحميان الذين يسكنون منطقة وهران وسيدي بلعباس، ويذكر أحد الضباط الفرنسيين أن نشاط بني عامر وحميان التجاري امتد إلى أسواق تافيلات، ربما كان بنوعامر وحميان يسلكون الطريق التجاري ذهابا وإيابا الذي يبدأ من تلمسان في اتجاه الجنوب الغربي إلى تافيلات أو إلى سجلماسة سابقا⁽³⁾، حيث تمر القوافل بقلعة ابن الجاهل وهي قلعة منيعة كثيرة الثمار والأنهار، ويتصل بها جبل تارني وهو مايليه جبال معمورة⁽⁴⁾، والغالب على الظن أن جبال الأطلس الصحراوي الغربي التي بها قصور متجاورة لمدينة تيزيل وهي أول الصحراء، ومنها يسافر إلى تافيلات

(1) - Jacquot Félix :op.cit.p266-

(2) العبر: ج 7- ص 57-26- Jacquot Félix:op.cit. د. الحبيب الجنماني: المغرب الإسلامي- الحياة

الاقتصادية والاجتماعية (ق 3-4هـ) - ص 179

(3) د. الحبيب الجنماني: المغرب الإسلامي- ص 180

(4) نفسه: ص 180

أوربا كان يسلك بنو عامر وحميان الطريق التجاري المار عبر قصور بني عامر، ومنها فقيق إلى تافيلات، وكان بنو عامر وحميان يقومون بتخزين حبوبهم في قصور بني عامر.

1-3- دور بنو عامر وحميان في تنمية الثروة الحيوانية: لقد ساهمت بنو عامر وحميان من جملة عرب بني هلال في المجال الاقتصادي عند دخولهم إلى المغرب الإسلامي، ولم يكن دورهم سلبيًا فقط كما يروج بعض المؤرخين والباحثين، بل كان دورهم إيجابيًا فقد نقلوا خبرتهم الطويلة إلى المغرب الأوسط في تنمية الثروة الحيوانية، وقد تأثرت القبائل الزناتية بخبرة القبائل العربية الهلالية في هذا المضمار، فأخذوا عنهم تربية الخيول وتحسين أنسابها (1)، وكان من الطبيعي أن يهتم بنو عامر وحميان بأنعامها فهي لا تستطيع أن تستغنى عنها، وارتبط بنو عامر وحميان بهذه الأنعام التي رسمت لهم الانتجاع الموسمي، وقد طبقوا على حيواناتهم ما ألفوه في مجتمعهم من العصبية الأبوية وأفادوا من القواعد البيولوجية في الاحتفاظ على سلامة أنسابها وسلالاتها، وبخاصة فيما يتصل بالإبل والخيول (2) وتعتبر الخيول أهم عند حميان وبني عامر من الإبل؛ لأنهم كانوا يدافعون بها عن غيرها مما يملكون ويحمون بها حريمهم وأعانتهم على الإغارة والنجاة، وتصحبهم حيثما يكونون حتى أصبحت هذه العلاقة الحيوية بين الفرسان والخيول يضرب المثل في التعاطف والتآلف (3). ويبدو أن صلة بني عامر وحميان بالخيول العربية الأصيلة قديمة، فمن أشهر خيول أسلافهم بني هلال بن عامر الأعوج وذوي العقال (4). وفي بداية الدولة الموحدية كانت تعتمد في تجهيز جيوشها من الخيول (5)

(1) عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي - القاهرة 1056هـ - ص.ص. 88-89

(2) علي بن عبد الرحمن: حلية الفرسان وشعار الشجعان - نشر محمد عبد الغني حسن - القاهرة - 1949 - ص 43

(3) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة - ص 215 و 418

(4) ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 77

(5) ينظر إلى بغية الرواد: ج 1 - ص 19 - محمود بوعياض: المرجع السابق - ص 33

على إفريقية، أمر عبد المؤمن بن علي باستجلاب الخيل له من جميع طاعاته بالعدوة وإفريقية، وفي عهد المنصور الموحدي أمدته تلمسان في 580هـ-1184م بثمانمائة فرس معولة لأهل الأندلس كانوا برفقة من أنضاف إليهم من عرب زغبة(1) وربما كانت إمارة بني عبدا لواد تعتمد على خيول حميان وبني عامر، كما اعتمدت على خيول عرب سويد، ولم يتوقف دور حميان وبني عامر على تربية الخيول، واختيار الأصيلة منها، بل ساهمت أيضا في تربية المواشي وفي اختيار السلالات منها، كذلك في تنميتها وزيادة عددها حتى أضحت المنطقة غنية بثروتها الحيوانية خاصة الأغنام(2). وذكر يحيى بن خلدون أن أهل الأرياف في المغرب الأوسط قد اعتنوا بالزراعة ورعي الأغنام، وعن أهل تلمسان أن غالب تكسيبهم الفلاحة وحوط الصوف لصنع الثياب الرقيقة، ورعي الأغنام(3). لقد فرضت البيئة الجغرافية والمناخية على قبيلة بني عامر وحميان أن تقوم بتربية الأغنام بالدرجة الأولى؛ لأنها عبارة عن مراعي طبيعية تتوفر على مختلف النباتات والأعشاب التي تعد علفا طبيعيا للأغنام، ويذكر فليكس جاكو أن قطع أهل الصحراء خاصة المنطقة التي نصفها ويقصد منطقة بني عامر وحميان يتكون تقريبا من الأغنام، وقليل من الأبقار، وعددا لا بأس به من الماعز، أما الجمل فليس وسيلة للنقل فحسب بل يمكن استهلاك لحمه، وشرب حليب الناقة، واستغلال وبرها. وكان الفرد العامري والحمياني الواحد يملك حوالي ألفين جمل، وأربع مرات من الأغنام، وهذا القطيع الهام والذي فاق الحد لا يمكن رعيه بارتياح وبدون عناية، فقد اهتدى العامري والحمياني إلى طريقة وهي تقسيم قطيعه من الأغنام إلى أربع مجموعات وتكون كل مجموعة من مائة رأس(4).

(1) محمود بو عياد: المرجع السابق-ص33

(2) نفسه:ص33

(3) ينظر غلى بغية الرواد-ج1-ص140

(4) ينظر إلى: Expédition du général Cavaignac. 267

تسمى المجموعة الواحدة بالعصا، وقسمت الإبل كذلك إلى مجموعات وكل مجموعة تتألف من مائة رأس تسمى بالإبل (1). وكانت حميان وبنوعامر تستأجر أحيانا جمالها للقوافل فالنسبة للحميان تعتبر مصدر كسب المنفعة، ولكل مجموعة راعي (2). إن تفاعل قبيلة بني عامر وحميان مع البيئة الطبيعية والمناخية من جهة وتفاعلها مع القبائل الأخرى العربية والزناية من جهة أخرى، جعلها تكتسب ثقافة بدوية، بالإضافة إلى موروثها الشعبي الهلالي الذي يخزن كثيرا من تجارب السلف، وبقائها محافظة على هذه الأشكال التقليدية، استطاعت قبيلة بنوعامر وحميان من خلال هذه الثقافة أن تعرف سن الشاة وتصنيفها حسب اللون، وأن تعطى أسماء لكل شاة، حيث تسمى الشاة التي لا تتعدى سنة واحدة بالخروفة أو الخروف، وهو الصغير الذي لم تتعدى سنه السنة الأولى من ولادته، واستطاع الحمياني والعامري أن يصنف الخرفان إلى شتوي، وهو الذي ولد في فصل الشتاء وربيعي الذي ولد في فصل الربيع، والحوالي والحولية، وهي الخروفة التي بلغت السنة، وجاءت التسمية من الحول أي السنة، وهي التي يمكن جزها وهي المفضلة عند الحمياني، سواء تربيتها أو أكل لحمها وبيعها، أما النعجة وهي التي سبق لها وأن ولدت، وهي كذلك مصنفة إلى السادسة والقارح الشارف وأما الحولي فإذا بلغ سنا معينة يصبح كبشا، ولمعرفة عمر النعجة أو الكبش أو غيره من أصناف الأغنام، فهناك طريقة وهي فتح فاه النعجة، وتسمى في ثقافة العامري والحمياني بفر النعجة، ولم يقتصر على معرفة السن بل كذلك اللون بحيث صنفها إلى الدغمة، وهي المفضلة عند الحمياني؛ لأنها تعد من سلالة المنطقة والشقرة (ينظر إلى الصورة رقم 01 رقم 445).

(1) ينظر إلى: Expédition du Général cavignac-p.p.275-276

(2) Ibid:p276.

2- دور بنوعامر وحميان الثقافي: انتشر العرب خلال الفتوحات الإسلامية المتتالية والتي تميزت بظاهرة المد والجزر خلال القرن الأول الهجري، وأثرت هذه الفتوحات في بلاد المغرب، وبعد أن انتقلت إدارة بلاد المغرب المفتوحة إلى الأمويين، ظهرت خلافات القبائل العربية والعصية القبلية (1)، واستقرت في القرن الثاني الهجري، وظهر الأدارسة في المغرب الأقصى، وبنو صالح الحميريون في الريف المغربي، وبنو الأغلب في إفريقية وشيعتهم من بني تميم، وفي النصف الأول من القرن الرابع الهجري. ورث بنو عبيد بالمغرب هذه الممالك المستقلة، ومناصريهم من بني حمدون الجذاميين بالمسيلة والزاب، إلى أن جاءت القبائل العربية الهلالية في منتصف القرن الخامس الهجري (2). نجحت القبائل العربية الهلالية في نشر اللغة العربية والإسلام في جميع أنحاء المغرب، لإتفاق أساليب حياتهم وتجانسها مع الحياة البربرية في السهول والجبال، فقد كان العرب قبائل بدوية رعوية أو شبه رعوية تغطي ظهور الإبل والخيول، مما سهل امتزاج العنصرين حيث تكون جنس خليط واستعرب البربر، وتوغل اللغة العربية بين البدو البربر، بعد أن كانت قليلة الانتشار (3). إذا كان بنوعامر وحميان ينتسبون إلى بني هلال، فإن بني هلال كان لهم الفضل في نشر اللغة العربية وتعريب قبائل زناتة وصنهاجة في المغرب الإسلامي، فإذا كانت الفتوحات الإسلامية الأولى نجحت في نشر الإسلام واللغة العربية، فإن الهجرة الهلالية أتت لتضيف الدم العربي، وتعديل التكوين الجنسي والعنصري لسكان المغرب، حتى أصبح العنصر البربري القديم لا يلتبس إلا في معاقل الجبال (4). ذات الطبيعة

(1) د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 277

(2) عبد العزيز بن عبد الله: معطيات الحضارة المغربية - المغرب - 1957 - ص 60

(3) د. عبد الحميد يونس: الهلالية - ص 76 - الميلي: تاريخ الجزائر - ج 3 - ص 154 - دائرة المعارف الإسلامية - مادة بربر - ج 3 -

ص 508

(4) نفسه: ص 508 - د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 259

الوعرة، ولا يميز إلا ببعض الظواهر اللغوية، وقيل أن الزحف العربي الأول أعطى للبربر العقيدة الإسلامية، فإن الزحف العربي الثاني أعطاهم اللغة العربية (1). كما أدخلت الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب النمط المعيشي البدوي، والعادات الشرقية والموروث الشعبي الهلالي من شعر بدوي وحكايات وأمثال شعبية وغيرها من أشكال الحياة البدوية (2). وقد ذكر المؤرخون المستشرقون أن بني هلال لعبوا دورا بارزا في نشر اللغة العربية بشمال إفريقيا، فإذا كانت غزوات بني هلال قد أتت لهذه البلاد بالخراب والفوضى في البداية، فإنها أعطت سكانها عنصرا عربيا انصهر شيئا فشيئا في الشعب البربري، وكانت نتيجة هذا الاتصال المستمر منذ الحادي عشر الميلادي (3). والواقع أن مساهمة بني هلال في تاريخ المغرب الإسلامي بقطع النظر عن وجهها السياسي، فقد أفادت المنطقة ودعمت وجودها العربي بالمفهوم الحضاري (4). وكانت الهجرة الهلالية تضم مجموعات من القبائل العدنانية والقحطانية التي استقرت في الشمال الإفريقي واندجت معها البرابرة التي تعربت هي أيضا حتى تداخلت الأنساب واندجت مع القبائل العربية فيما بينها ومع البربر (5). هذا المزيج بين عرب بني هلال وسليم من ناحية أخرى كانت من الناحية اللغوية هي تعريب وانتشار اللغة العربية في الأرياف، وذكر ألفرد بل "... إن العرب الذين حكموا الشمال الإفريقي من القرن الثامن الميلادي إلى القرن الحادي عشر الميلادي لم يعربوا سوى المدن وبعض ضواحيها، فإنه ابتداء من القرن الحادي عشر حدث تعريب الأرياف بفضل نفوذ العرب البدو مع الغزوة الهلالية..." (3). وكان عبد المؤمن أول من عمل على جلب العرب الهلالية من إفريقيا

(1) د. أبو القاسم سعد الله: آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر - ص 59

(2) عدد من المؤلفين: الوطن العربي - النواة الأولى والامتدادات عبر التاريخ - ط 1 - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت -

2003 - ص 08

(3) ينظر إلى: الرق الإسلامية في الشمال الإفريقي - ص 213

إلى المغرب واتباع ولده أبو يعقوب يوسف وحذى حذوهم يعقوب المنصور الذي عمل على نقل بطون بني هلال إلى المغرب الأوسط والأقصى وإذا كان ابن صاحب الصلاة ذكر أن المهم أن نعرف أن هناك فرق بين تصرف عبد المؤمن وولده من جهة، وتصرف الحفيد من جهة أخرى فالأولان كان جلبهما الزاب وريغ وراكلا وما وراء من القفار للمغرب الهلالية تقربا وتألفا، بينما كان عمل الثالث بدافع تغريهم وعقابهم بسبب تأييدهم لبني غانية(1). ورغم أنه منذ القرن الخامس الهجري إلى القرن العاشر الهجري قد تداولت على بلاد المغرب ست دول كبرى بنو حماد والمرابطون والموحدون والحفصيون وبنو مرين، وبنو زيان وسمي عصرهم بالعصر البربري، فإن مبارك بن محمد ذكر أنه شاء الله أن يكون للعرب وجود جنسي في العصر البربر السياسي، مؤثرون في البربر في العربي سياسيا ودينيا، وفي العصر البربري اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا أيضا(2). وسيطرت مختلف القبائل العربية بالمغرب على الطريق الثاني الخاص بواحات الصحراء، ففي الجزء الأول منه سيطر الذواودة من رياح على مجالات، أما بالنسبة للجزء الثاني منه فقد ورث عرب المعقل قصور زناتة بالصحراء، بعد أن طردوها إلى الساحل وفرضوا عليها الأتاوات، وهذه القصور مثل توات وبودة وتمنطيت وتيكورارين(3). وكانت طبيعة القبائل العربية واتفاقها مع إخوانهم البربر، طبيعة الأرض التي انتشر فيها الإسلام وتسربت إليها جموع البدو من القبائل العربية، فقد كانت هذه البلاد تحيط بالصحراء الكبرى شمالا(4) في المنطقة الممتدة

(1) ينظر إلى: المن بالإمامة ص 173 و 259 - ابن أبي زرع: القرطاس - ص 164 - السلاوي: الاستقصا - ج 2 ص 150 - 15

(2) ينظر إلى: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 168 - د. حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية -

القاهرة - 1964 - ص 9 - 10 د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 279

(3) العبر: ج 6 - ص 33 - 57 - 59 - 61

(4) عبد الرحمان زكي: تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقية الغربية - القاهرة - 1961 - ص 50 - د. حسن إبراهيم

حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية - ص 11

من حدود مصر الغربية حتى المحيط الأطلسي⁽¹⁾. وجنوبا في النطاق الرعوي الذي يحيط بهذه الصحراء من الجنوب من مصب نهر السينغال حتى السودان⁽²⁾. ويلاحظ أن القبائل العربية قد تسربت إلى غربي القارة الإفريقية عن طريقين هما الأول: الطريق الساحلي عبر حوض السينغال وهو الطريق سبق وأن سلكه المرابطون والثاني طريق التجارة الذي يبدأ من إفريقية الشمالية متجها صوب الجنوب عبر واحات الصحراء إلى المدن الكبرى في السودان، فقد سيطرت عرب ذوي حسان على الطريق الأول بعد أن غزوا قبيلة كزولة، وتمكن الشبانات منهم من فرض إرادتهم على زكز وخس من قبيلة لمطة. وصيروهم تابعين لهم وفرضوا الضرائب عليهم⁽³⁾، فعندما نزع بنوعامر وحميان إلى صحراء تلمسان في عهد الإمارة الزيانية سنة 1236م احتكوا ببني عبد الواد وبني مرين، وسكان قصور الأطلس الصحراوي والتي تعرف بمنطقة القصور مثل بوسمغون والشلالة القبيلة والظهرانية وتيوت ومغرار الفوقاني والتحتاني وأربا الفوقاني والتحتاني وعن سفيصة، وهم كذلك عناصر زناتية التي كانت ولا تزال تتكلم اللغة الزناتية أو الشلحة، يطلق على سكانها بالشلوح. تمكن بنوعامر وحميان من التأثير على قبائل المنطقة لغويا، بحيث استطاعوا أن يفرضوا اللغة العربية والعادات والتقاليد الهلالية على هذه القبائل، كتربية الخيول واختيار السلالات منها، والكرم ونصرة المظلوم وإخفاء ذمة اللاجئين الطالب للحماية⁽⁴⁾، والشعر البدوي وبالتالي يصعب اليوم التمييز بين قصر تسكنه زناتة وقصر تسكنه العرب الهلالية؛ لأن كلاهما يستخدم اللغتين العربية والزناتية في حديثه العادي، خلال فترة الإمارة الزيانية.

(1) العبر: ج 6 ص 58-67-70-274

(2) العبر ج 7 ص 123 و 302-السلامي: الاستقصا- ج 2- ص 103

(3) مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث- ج 2- ص 189-190

(4) العبر: ج 6 ص 274-الملي: نفسه- ص 189-190- د. مصطفى ابوضيف احمد عمر: المرجع السابق- ص 225

ويلاحظ أن بني عامر وحميان لا يزالون محافظين على مفردات اللغة العربية الفصحى في كلامهم وفي أشعارهم، وفي الوقت نفسه تأثر بنوعامر وحميان بلغة زناتة، مما أدى إلى ظهور لغة مستعجمة وهي اللغة الدارجة التي هي عبارة عن خليط بين العربية الفصحى واللغة الزناتية ونتيجة الاختلاط والتفاعل الاجتماعي بين بني عامر وحميان والقبائل الزناتية، وكذلك نتيجة عملية التأثير والتأثر، وفي هذا الشأن يقول مبارك بن محمد المليي "...فعن بني هلال إنما فسد لسانهم بالجزائر لاختلاطهم بالبربر، ومع هذا فالهلاليون أثروا من حيث اللغة في البربر أكثر مما تأثروا بهم..." (1). وربما قد اشترك بنوعامر وحميان والذواودة من رياح على مجالات الزاب وريغ ووركلا لقطعهم الطريق الرمي، ونزولهم قليعة عندما كانوا بالقفر، أيام وقد تجاوز بربر زناتة مع عرب بني عامر وحميان، وفي عصر الموحدين تسرب الهلاليون إلى الصحراء حيث نمت اللغة العربية وازدهرت وبعد ذلك بقرون تبعثهم قبائل بني سليم في هذه الأقاليم ومن هذه القبائل بني هلال أولاد سيدي الشيخ وأولاد جرير (2). واختلطوا وتصاهروا وسادت اللغة العربية عكس ما روج له ضباط مكاتب الشؤون العربية بأن العلاقة التي تجمع بربر قصور بني عامر بعرب بني عامر وحميان كانت علاقة اقتصادية منفعية سرعان ما تزول وتنتهي. وقد ذكر شارل أندري جولييان بقوله "...وقد غلبوا على زناتة في معظم نواحي المغرب الأوسط، والغالب هنا ثقافي أكثر مما هو سياسي أو عسكري، فإن الزناتيين ظلوا دائما أقوىاء، ولكن الذين استقروا منهم تحولوا إلى حضر وزراع وهؤلاء يتغلب عليهم العرب البدو..." (3).

(1) ينظر إلى تاريخ الجزائر في القديم - ج 2 - ص. ص 189-190 - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر - ص 138 - عبد الرحمن

الجيلالي: تاريخ الجزائر العام - ج 1 - ص 162

(2) عبد الرحمن زكي: حركة الإصلاح الديني في غرب إفريقيا - مدريد - 1966 - ص 139

(3) ينظر إلى ابن الأحرر: تاريخ الدولة الزيانية - ص 34

الباب الثاني:

الدراسة الثقافية

الموروث الشعبي عند حمياؤ وبني عامر

الفصل الأول:

الفنون التقليدية والأدب الشعبي عند بني عامر وحماة

المبحث الأول: الفنون التقليدية:

- أ- فن صناعة فليج الخيمة
- ب- فن صناعة الأفرشة والملابس
- ج- فن صناعة العطوش والراحلة
- د- فن صناعة أدوات الخيمة

المبحث الثاني: الأدب الشعبي:

- 1- الألغاز الشعبية
- 2- الأمثال الشعبية
- 3- الرقص والغناء
- 4- الشعر الشعبي أو الملاحون
- 5- الحكاية الشعبية

1-تعريف الموروث الشعبي: يعتبر الموروث الشعبي لكل مجتمع الجذر والذاكرة، التي تحتوي على مكونات وعيه التاريخي من علوم وآداب وفنون وغيرها، وهو بذلك يصيغ شخصيته ووجدانه وهويته وخصوصياته، ومثلما لا يمكن لأي فرد أن يتنكر لماضيه ولمكوناته الأولى، البيئية والوراثية كذلك لا يمكن لمجتمع أن يتنكر لماضيه، ويتجاوز تركيبته الروحية والفكرية. قد تتفاوت نظرة الباحثين والدارسين للتراث الشعبي، نظرا لتباين خلفياتهم الجغرافية والحضارية والثقافية، إلا أن ثمة اتفاق على تعريف الموروث الشعبي بأنه مجموعة العادات والتقاليد والآداب والفنون والحرف والصناعات ومختلف المهارات والمعارف الشعبية التي أبدعها المجتمع بفئاته كافة، وساغها على مر الزمن، وهذا يعني أن لكل مجتمع تراثه الفكري والعلمي والاجتماعي، مما يعكس صورة حية عن واقعه في مرحلة ما في إطار الزمان والمكان. ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حين أخذت القوميات الحديثة في أوروبا بالظهور والتشكل، أصبح الموروث الشعبي يواكب هذه المرحلة الجديدة، وهذه الروح القومية، معلنا ولادة علم جديد اصطلح عليه بعلم الفولكلور⁽¹⁾، وأصبحت الماثورات الشعبية تفرض حضورها كمادة من مواد العلوم الإنسانية، تستوجب الدراسة والبحث في إطار الدراسات التي تتناول خصائص وميزات ثقافية قومية⁽²⁾، على أن هذه الخصائص من أهم العوامل المساعدة في دعم العلاقات الإنسانية بين الشعوب. وقد اختلفت الدراسات وتنوعت الاتجاهات في طرائق تناول هذا العلم نتيجة للظروف التاريخية التي مر بها هذا الفولكلور⁽³⁾.

(1) إسماعيل الحسين: موروثنا الشعبي - الهوية الضائعة - مقالة - صحيفة يومية تصدر عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر - ط1 - العدد 1057 سبتمبر 2001 - ص01 من موقع أنترنت:

temp/098L09bw.htm.p01sur 4pages

(2) حسن حسني عبدالوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية - تونس - بدون تاريخ - ص173

(3) محمود أبو عياد: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط - ص58 - إسماعيل الحسين: موروثنا الشعبي - ص02

مع التأكيد على أهمية دراسته، انطلاقاً من جملة اعتبارات، منها الاستناد إلى الثرات ونتائج أسلاف مجتمع ما يعد ضماناً لاستمرارية وجود هذا المجتمع بهويته وخصوصياته المميزة، ويحقق التوازن في المعادلة بين الماضي والحاضر والمستقبل⁽¹⁾، كما يعد الموروث الشعبي أحد العناصر الأساسية لمقومات أي مجتمع لاحتوائه خلاصة تجاربه وخبرته التراكمية، وأن الانتهال من تجارب الأسلاف يعني تجرداً لأفكار المهمة للأجيال القادمة وأن الاتصال والتواصل بماضي المجتمع، وروحه المتجلي في نتاجه يعزز الاندفاع الإيجابي الذي تتطلبه الحياة المعاصرة، ويضمن في الوقت نفسه التوازن لتفاعل عطاء وفكر مجتمع مع العطاء والفكر العالمي. فلا اقتباس إلى حد الذوبان، ولا انغلاق إلى حد الوقوع في الذاتية⁽²⁾. فما مكانة الموروث الشعبي في قبيلة حميان وبني عامر؟ تنتسب قبيلة حميان وبني عامر أو المجتمع الحمياني والعامري إلى بني هلال، وكما جاء عن مبارك بن محمد المليي نقلاً عن ابن خلدون فالهلاليون بداءة ظواعن، يسكنون بيوتا خفيفة الحمل يوم ترحلهم⁽³⁾ وإذا كان ابن خلدون قد ذكر أن بني عامر وحميان من بطون بني يزيد كانوا بطونا وناجعة ولم يكونوا حلولا⁽⁴⁾، أي أنهم كانوا بدواً رحلاً ولم يكونوا مستقرين، وإذا كان بنو عامر وحميان يملكون موروثاً شعبياً هو جزء من الموروث الشعبي الهلالي. فمما طبيعة الموروث الشعبي العامري الحمياني الهلالي؟ يتمثل الموروث الشعبي العامري الحمياني في الفنون التقليدية، ويقال أن الفنون التقليدية لم توجد من فراغ بل وجدت نتيجة التفاعل بين الأفراد والجماعات والبيئة المحيطة خلال الزمان والأحقاب الماضية.

(1) إسماعيل الحسين: المرجع السابق-ص 02

(2) ينظر إلى تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج 2-ص 187

(3) العبر: ج 6-ص 41-د-مصطفى أحمد أبو ضيف: المرجع السابق-ص 156-أحمد توفيق المدني: المرجع السابق-ص 138-

مبارك بن محمد المليي: نفسه-ص 20

(4) العبر: ج 6-ص 41-مبارك بن محمد المليي: المرجع السابق-ج 2-ص 178

وبحكم عوامل الارتباط الحسي والوجداني والمعنوي بين أبناء المنطقة الواحدة المشتركة في العادات والتقاليد واللغة والعقيدة والآمال الواحدة، إن الفنون تمارس بشكل دائم وبتكرار تلقائي خلال أجيال متعاقبة، تبعا للمناسبات الخاصة بكل فن من الفنون التقليدية. إن إمعان النظر في فنون الشعوب البدائية يثبت بجلاء أن الإحساس الجمالي غريزي لدى معظم الناس بغض النظر عن وضعهم الذهني، وفكرة إنتاج أشياء نافعة للإنسان في استعمالاته اليومية، فكرة قديمة قدم الإنسان (1)، فقد كان الإنسان البدائي يجمع الحراب التي يستعملها في الصيد إما بزخارف هندسية محفورة قوامها الخطوط المتوازية والمتقاطعة أو المثلثات، أو يرسم أشكال الحيوانات عليها، ومع بدء الحضارة الزراعية وما تقتضيه من استقرار بدأت تظهر أنواع أخرى من الفنون الشعبية التطبيقية التي تغطي حاجات الإنسان التي تزايدت مع تزايد الوعي الحضاري نتيجة التجارة، وكان ميدان الفنون الشعبية واسعا وثريا في الفنون اليومية مثل الأثاث والحلي وأوعية المأكول والمشرب وأدوات الزينة (2)، وكلما مارس الفنان الشعبي هذا الإبداع اليومي تميزت هذه الأشياء بجمال أشكالها ومناسبتها لوظيفتها، والفن الشعبي هو خليط من الفنون النفعية التي يحتاجها إليها الإنسان في حياته اليومية، وجميع القيم الجمالية التي تميز العمل الفني الإبداعي. وقد كان الفن الشعبي طوال العصور يسير جنبا إلى جنب مع الفن الرسمي والتراث العربي غني بالفنون الشعبية في الأدب والغناء والموسيقى والفنون التشكيلية والزخرفة (3)، هذه الفنون تكشف عن قدرات ومهارات الفنان الشعبي الذي ينفذها في يسر وبساطة.

(1) هيام السيد: الفن الشعبي - من موقع أنترنت: Islam online.Net ص01 من 03 صفحات

(2) نفسه: ص01 - محمود أبو عياد: المرجع السابق - ص58 - أندري برينان وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر - ص209 -

Jacquot Félix: op. Cit. p283 - مونكري وات: البدو - ص128

(3) هيام السيد: الفنون الشعبية - ص02 - د. غوستاف لوبون: حضارة العرب - نقله إلى العربية عادل زعتر - (د.م) - ص128

(د.ت) - ص344



وكان الفنان الشعبي هو التيار الصحي الذي تحتفظ الجماهير العريضة من خلاله بضميرها الفني وحسها الجمالي(1). وبخاصة عندما تضعف الدولة وتنحسر عنها قدراتها الإبداعية في فنون الحاكمين، وفي هذه الفترات تقل سطوة التقاليد الفنية الرسمية، وتزداد طلاقة الفنون التي تقترب من الفنون الشعبية. ودائما يلاحظ أن الفن الشعبي يتجه إلى الإعتراف بالبطولة وتمجيدها، واعتبار أبطال القصص الشعبي هم المثل العليا، وكانت قصص أبو زيد الهلالي وعنترة بن شداد تمثل دائما كل منهما فارسا يمتطي جواده وقد سل سيفه البتار. كل ذلك من الفنون المتوارثة المنحدرة من آلاف السنين، وهي تعكس أشكالاً وموضوعات مستمدة من التراث أو من الأسطورة(2)، أو من ذكريات غامضة تسلفت عبر سنوات طويلة منحدرة من جيل إلى جيل يعرفها، وقد لا يعرفها مدلولها، وكثيرا ما ترمز الأشكال المختلفة في الفن الشعبي إلى أسطورة أو معتقد فطري، كما تشير الألوان المستعملة إلى معان خاصة رمزية متصلة بالفطرة الإنسانية، تستمد الفنون الشعبية باستخدام الخامات المحلية والوحدات التي تسمد من البيئة، ومن خلال دراسة الفن يمكن تتبع الكثير من جذور الفنون الأصلية التي يبدو أن بني عامر وحميان فقدوا الكثير منها بعد أن دخل على حياتها الكثير من التغيرات التي تفصل بين حاضر فنونهم وماضيها، والفن الشعبي هو فن جمالي لا يعرف الفردية لأنه فن الجماهير العريضة، والفنان الشعبي لا يتناول سوى الموضوعات التي يعرفها معرفة متوارثة وتتجاوب مع احتياجات المجتمع الذي يعيش فيه، فالرسم عند الفنان الشعبي يمثل واقعا أكثر مما يمثل واقعا بصريا كذلك فإن الرسم تعريف للأمور بواسطة الرسم كبديل للكلام وهو يوضح في صورة واحدة مجموعة مشاهد كأنما يحكي قصة، كما أنه يرسم الأشياء المرئية مادام غير المرئي معروفا.

(1) هيام السيد: الفن الشعبي: ص 02 - إسماعيل الحسين: المرجع السابق - ص 03

(2) نفسه: ص 02 - Jacquot Félix: op.cit.p284 - إسماعيل الحسين: موروثنا الشعبي - ص 03

كما أن الفن الشعبي لا يعترف بقواعد المنظور. يعتمد الفنان الشعبي في زخرفته منتجاته على عنصرين الأول الوحدات الهندسية البسيطة. ويغلب استعمالها في المنتجات التي تفرض صناعتها والخامة المستعملة فيها هذه الوحدات أي الزخارف الهندسية في أغلب الأمر وليدة طريقة الصناعة نفسها (1)، والعنصر الآخر الزخارف العضوية البسيطة التي تعتمد على خطوط منحنية لينة أيضا كفرع صغير أو أزهار بسيطة التركيب أو حركة أمواج المياه ورجرجرتها، وبالطبع فإن الميل إلى التزيين طبيعة كامنة في الإنسان، وكان دائما المطلوب من وحدات الزينة الشعبية في مختلف الأماكن ومختلف الشعوب أن تلفت النظر سواء بسبب اللون أم الشكل أم الصوت (2)، وكل العناصر محققة في الحلي الشعبية، وأغلب زخارف الحلي هندسية قوامها الخطوط والمثلثات، ويغلب أن تكون مشغولة بخيوط رفيعة من المعدن ذهب أو فضة والتصوير الحائطي كان من أهمل أساليب لذلك الفن، كما كانت تتعدد أشكاله واستخدماته من أعمال الكليم والحصير والسلاسل وأواني الفخار والأباريق المزخرفة بالأشكال الهندسية وأعمال التطريز على الملابس والحلي وغيرها تبعا للبيئة الخاصة التي يعيش فيها الفنان الشعبي والخامات المتاحة له في هذه البيئة (3)، فالبيئة الزراعية مثلا كانت تفرض على الفن الشعبي وفنائه ونوعا خاصا من الفنون مثل صناعة الفخار، حيث تتوفر الطينات الصالحة له في أماكن كثيرة (4)، كذلك درج الكثير من الفلاحين على غزل الصوف والقطن بمغازل يدوية لتمييز هذه المنسوجات ألوانها الطبيعية، وزخارفها الكثيرة ذات الخطوط العريضة بألوان طبيعية داكنة، أما البيئة الصحراوية أو البدوية فإن صناعات الجريد تأخذ المقام الأول حيث يكون النخيل مصدرا هاما من مصادر الخامات الأولية اللازمة للحرف الشعبية

(1) السلاوي: الاستقصا - ج 2 - ص 164

(2) د. مصطفى أحمد أبوضيف: المرجع السابق ص 257 - د. غوستاف لوبون: المرجع السابق ص 344

(3) هيام السيد: الفن الشعبي - ص 02

(4) إسماعيل الحسين: موروثة الشعبي - ص 03

فيصنع من الجريد الأقفاص والكراسي والأسرة والموائد الصغيرة بتصميمات جميلة. أما الأماكن الرعوية التي تقوم الحياة فيها على رعاية الأغنام والماعز. فإن الصناعة الشعبية التي تفرض نفسها هي نفسها هي صناعة السجاد والأكلمة ذات الزخارف الهندسية بألوان وغزل الصوف المأخوذ من صوف الغنم(1). وبسبب صدق وأصالة الفن الشعبي، فإن المثقفين كانوا ولا يزالون يسعون إلى استلهامه ثقة من أصوله مضمونة الجذور نابعة من الأرض والتقاليد والتراث ومن حاجة الإنسان العادي للحياة، والأدب الشعبي بكل أشكاله والعادات والتقاليد(2)، وقد تم اختيار نماذج من هذا الموروث الشعبي، كالحكاية الشعبية والحكاية الخرافية والشعر الشعبي والأمثال الشعبية والألغاز الشعبية الأكثر تداولاً في مجتمع حميان وبني عامر. وقبل إبراز الموروث الشعبي عند بني عامر وحميان يلاحظ أن القصص الشعبية المتداولة في المجتمع العامري والحمياني لها بعدها التاريخي والثقافي، فقصة بنت الخص والشيخ ذياب، تظهر مدى ارتباط بني عامر وحميان بأسلافهم بني هلال، وإذا كانت القصص تختلف من راوي إلى آخر، إلا أنها لا تزال تتناول شخصيات من بني هلال، لقد مر استقرار العرب بالمغرب الإسلامي بمرحلتين أساسيتين: من بداية سنوات الفتح وتأسيس المدن الإسلامية والدويلات الإسلامية ببلاد المغرب وحتى أواسط منتصف القرن الخامس الهجري(3)، والثانية من أواسط القرن الخامس الهجري وانتقال القبائل العربية من هلال وسليم والمعقل إلى بلاد المغرب، وانتقالها وامتزاجها مع العناصر المستقرة من بربر(4).

(1) هيام السيد: المرجع السابق - ص 02

(2) نفسه: ص 02

(3) د. مصطفى أحمد أبو ضيف: المرجع السابق - ص 257

(4) نفسه: ص 257

وإذا كانت المرحلة الأولى قد امتازت باستقرار المجاهدين المسلمين الأوائل (1) فكانوا يستوطنون الأمصار والمدن، فإن المرحلة الثانية كانت تتميز بأن المستقرين كانوا من بدو العرب وهم عرب بنو هلال وسليم، الذين انتقلوا بأحيائهم وحللهم وخيامهم، وجاوروا أهل البلاد من البربر الذين يسكن جمهورهم المداشر وكهوف الجبال لانعدام وجود الخيام ببلاد المغرب إلا في القليل النادر (2) وكانت خيام العرب من الوبر والصوف، يسهل فكها عند سفرهم لغزواتهم وحروبهم بظعنهم وسائر حللهم وأحيائهم من الأهل والولد (3). قبل إبراز فن صناعة فليج الخيمة، ينبغي توضيح مكونات مسكن بني عامر وحميان، وسكنائهم الخيام وشظف العيش وذلك راجع إلى تحمل مشاق المناخ الصحراوي والقاري الشديد الحرو والبرد. إن البادية ليس بها مسكن ثابت، بل هناك بيوت شعر، ترحل مع البدوي أينما حل، ويُعد البدوي مسكنه بنفسه (4)، وبيت البدوي مصنوع من صوف الغنم، وتقوم المرأة بغزلها ونسجها على شكل قطع تخطط ما بينها حتى تشكل بيتاً كاملاً، وتتعدد أشكال البيوت في البادية، وتتسع وتضيق كل حسب مقدراته وحاجاته، فالفقير بالبادية يسكن ما يسمى بالعدة، وقد يكون أعمدته قليلة، قد تكون ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة، والغني في خيمة واسعة يتجاوز أعمدتها أعمدة بيت الفقير (5)، فالخيمة كمظهر من مظاهر الموروث الشعبي، من أين يتكون بيت البدوي المترحل؟ وأين يتم وضعه؟ أي ماهو المنزل* الذي يختاره العامري والحمياني لوضع خيمته؟

(1) د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 257

* المنزل: هو المكان الجديد الذي يتم اختياره لتوضع فيه الخيمة، وعادة ما تتجنب الأسرة البدوية العامرية والحميانية النزول في مكان سبق وأن استقرت فيه أسرة أخرى، وتعرف ذلك من خلال بقايا الرماد أو بقايا الحيوانات.

(2) د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 257

(3) د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 258

(4) دة: سهير عبد العزيز محمد: الإستمرار والتغير في البناء الاجتماعي - ص 177

(5) نفسه: ص 177

ولماذا اختار العامري والحمياني الخيمة كمسكن له؟ وهل الخيمة تعكس الحياة الاجتماعية لمجتمع البدو الرحل؟ وما هو شكل الخيمة؟ تختلف خيمة بنوع عامر وحميان عن خيمة الطوارق فخيمة بنوع عامر وحميان تصنع من صوف الغنم وشعر المعز في حين خيمة الطوارق من وبر الإبل وشعر، وتصنع من الجلد المدبوغ الذي تحاط عدة قطع منه إلى بعضها ويصنع من الجلد خصيصا لهذا الغرض، ويكون ذا لون أحمر غامق بحيث يتناسب ولون جبال الهقار (1). يلاحظ أن أدوات الخيمة في المجتمع العامري والحمياني سواء التي تستخدم في الطبخ؛ أو في مجالات أخرى تم صنعها بتكنولوجيا بسيطة، وتتميز بالخفة ومادتها الأولى الجلد والحلفاء، وربما يعود سبب إلى طبيعة الترحال التي تتطلب أدوات خفيفة سهلة الحمل. عادة ما يلاحظ شكل الخيمة كروي أو بيضوي، حيث ذكر حمدان خوجة "...لقد سبق أن قلنا أن الخيمة تصنع من الوبر وهو قماش مصلع بالأحمر، أو بالألوان الأخرى، وتأخذ هذه الخيام شكل المكور والمثبت بأدوات من الخشب..." (2)، وسبب اختيار الشكل الكروي يعود إلى العامل الإيكولوجي؛ لأن الشكل الكروي يسمح بتسرب مياه الأمطار على جوانب الخيمة، ولا يسمح لها بالترسب فوق سطح الخيمة، وكذلك يسمح بتوزيع أشعة الشمس، ولا يجعلها عمودية على سطح الخيمة، وقد راعى بنوع عامر وحميان الظروف المناخية في تحديد شكل الخيمة، وبالتالي يستخلص أنه كانت هؤلاء تصورات مسبقة حول شكل الخيمة، والشكل الكروي دفع ببني عامر وحميان كبداية لرحل أن يختاروا مقاييس الأعمدة المناسبة لهذا الشكل، التي غالبا ما تكون متدرجة، فالأعمدة الوسطى التي تسمى بأعمدة القنطاس أو الركيزة، وهي أعمدة خشبية

(1) د. محمد السويدي: بدو الطوارق بين الثبات والتغير - ص 217

(2) ينظر إلى المرأة تقديم وتعريب وتحقيق د. محمد العربي الزبيري - ط 2 - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر - 1982 -

غير منحوتة بطريقة فنية، وإنما عبارة عن جذوع أشجار يبلغ طولها ما بين 1.7م و2م، بينما يتراوح طول أعمدة الأطراف أو الجوانب ما بين 1.5م و1م. تختلف مساحة الفضاء الداخلي للخيمة من أسرة إلى أخرى في قبيلة بني عامر وحميان ويتوقف ذلك على الإمكانيات الاقتصادية والمالية، وعدد أفراد الأسرة، فالأسرة الغنية والثرية غالباً ما تكون مساحة الخيمة واسعة، وتقاس ثروة المالك باتساع الخيمة وبعدد أوتادها التي تشدها (1). ويحيط بها عدد من الخيام صغيرة الحجم تسمى بالعشة، فالعشة التي تقع على يسار الخيمة الرئيسية فهي مخصصة للأبناء المتزوجين وتستخدم للنوم والراحة فقط (2) وكذلك توجد خيم الرعاة الذين يتم توظيفهم، عند صاحب الخيمة لغرض رعي الغنم واختيار موقع عشة* الأبناء المتزوجين على اليسار وكذلك الرعاة لا تسمح لصاحب الخيمة أن يرى زوجات أبنائه ورعائه والعشة التي تقع على يمين الخيمة الرئيسية عادة ما تكون مخصصة للضيوف الأجانب (3). الذين ليست لهم علاقة قرابية بأسرة صاحب الخيمة وغالباً ما تكون مسافة خيمة الضيوف بعيدة بحوالي 70م أو أكثر لأسباب قيمية وأخلاقية منها الحياء والحشمة والوقار، واختيار الموقع لم يكن من باب الصدفة، وإنما موقع عشة الضيوف على يمين الخيمة الرئيسية، بحيث لا يسمح للضيف أن يرى الحريم عند دخوله وخروجه من الخيمة أثناء القيام بالعمل المتري، ولا ينبغي أن يسمع صوت النسوة أثناء حديثهن أو بكاء الأطفال أو صوت أواني الطبخ، تنقسم الخيمة إلى قسمين (4).

(1) د. محمد السويدي: المرجع السابق - ص 217

(2) عبد الجبار الراوي: البادية - ط2 - مطبعة العاني - بغداد - 1949 - ص 227 - دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 45
*العشة: هي شكل من أشكال الخيم، ولكنها صغيرة الحجم، وفضاءها الداخلي ضيق مقارنة بالخيمة العادية، وغالباً ما تصنع من بقايا قطع فليج الخيمة الرئيسية، وتخصص للنوم بالنسبة للذكور المتزوجين، أو لاستقبال الضيوف عند فقراء بدو حميان وبني عامر، هذه المعطيات استخلصتها من خلال المقابلة التي أجريتها مع كبار السن والشيوخ الذين عاشوا حياة البدو من حميان.

(3) د. محمد السويدي: بدو الطوراق - ص 217 - د. غوستاف لوبون - المرجع السابق - ص 345

(4) نفسه: ص 345 - عبد الجبار الراوي: المرجع السابق - ص 257 - دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 45

القسم الأيمن منها يخصص للرجال أو للزوج، وأحياناً للضيوف، ولصغار الأغنام لتحميها من برد الشتاء، وتسمى بالمربع، ويستخدم كذلك لنوم الزوج والزوجة، والقسم الأيسر للنساء أو الحريم ويسمى بالمحرم والطعام⁽¹⁾ ويمكن للمرأة أن تستقبل في هذا القسم ضيفاتها من النساء، وتخزن فيه حاجاتها وحاجات البيت من حبوب وأغذية⁽²⁾، ويفصل بينهما حاجزا يسمى بالرحل يستعمل القسم الأيمن للطبخ ونوم الأطفال غير المتزوجين، والقسم الأيمن ولا يحق لزوجة الابن أن تدخل هذا القسم الأيمن عند وعود شيخها، وهذا يعود إلى ارتباط المجتمع العربي البدوي المترحل بالقيم الاجتماعية الصارمة المتعارف عليها. وذكر حمدان خوجة في وصفه للخيمة وتقسيماتها "...تحاط الخيمة بحجارة توضع عليها الأواني والذخائر اليومية، ويخصص جزء منها للطبخ وفيه توجد الطناجر والقذور وهي من الطين، لكن الصحون والمعلق خشبية، كذلك الأوعية التي تحفظ السمن، وغشاء الخرفان. وفي المطبخ تربي الدواجن، ويستعمل الجزء الآخر من الخيمة لاستقبال الضيوف وللاجتماعات الودية، ومن داخل الخيمة يقول كنت أسمع حركة وخوار العجول⁽³⁾. عكس ما ذكره حمدان خوجة لا تربي الدواجن في المطبخ، بل يبني للدواجن كوخاً صغيراً، ويوضع بجوار الخيمة مجموعة أحجار توضع عليها قرب الماء وأواني اللبن والسمن، أو تعلق في أعمدة الخيمة بالداخل، وكذلك تعلق أدوات الإنارة سراج⁽⁴⁾، وهذا ما يبين مدى خضوع تشكيل البيت للظروف الايكولوجية، أي ظروف البيئة الطبيعية والاجتماعية التي يعيشها العامري والحمياني البدوي، فقد كيّف العامري والحمياني بيته مع جو صحراء تلمسان الحار صيفا والبارد شتاء.

(1) دة. سهر عبد العزيز: المرجع السابق - ص 177

(2) نفسه: ص 177

(3) ينظر إلى: المرأة - ص 71 - د. غوستاف لوبون: نفسه - ص 345

(4) دة. سهر عبد العزيز: المرجع السابق - ص 177

وتربط الخيول عن يمين الخيمة. وتوضع زريبة الغنم أمام الخيمة، وقبل ذلك كانت الغنم تحرس من طرف صاحبها أو من طرف الراعي، بحيث ينام في وسطها، بوضع حبل في عنق أو في رجل الشاه ويربط الحبل كذلك في يديه، ففي حالة أي خطر فإن الشاه تدفع بالحارس إلى اليقظة. إن بيت البدوي المرحل كبدا بني عامر وحميان خفيف الحمل يسهل نقله من مكان لاخر حيث الترحال والتقل الدائم سعيًا وراء الكلاء والماء، وعندما يصل الظعن إلى المكان تنوخ البعير (1)، وتقم النساء بإنزال القش كما يسمى في لغة بني عامر وحميان، والإسراع في بناء الخيمة تتكون الخيمة من ستارين:

أ- الستار الأمامي أو القبلي: الذي غالبا ما يكون في اتجاه القبلة لاعتبارات دينية وعقائدية بالدرجة الأولى، وهو تحديد اتجاه القبلة لغرض أداء الصلاة، ولأسباب صحية دخول أشعة الشمس إلى الفضاء الداخلي للخيمة. وفي كثير من الأحيان يكون مفتوحا بهدف دخول وخروج أفراد الأسرة والضيوف الذين لهم علاقة قرابية بتلك الأسرة،

ب- الستار الخلفي أو الظهراني: ففي غالب الأحيان مغلق، عكس خيمة الطوارق التي يكون فيها الستار الخلفي مفتوحا على الدوام (2)، ويستخدم لخروج النساء الأجنيات أو نساء الأسرة إذا كان هناك ضيوف أجانب، وكذلك يستعمل لغرض التهوية في فصل الصيف، تقوم خيمة بنوع عامر وحميان على أربعة وعشرين عمودا، وتشد على بعضها بواسطة حبال مصنوعة من الصوف الممزوج بشعر الماعز، أما أطراف الخيمة فتشد إلى الأرض بواسطة أوتاد صغيرة كانت تصنع سابقا من الخشب (3) ثم أصبحت تستعمل الأوتاد الحديدية، بعدما توفر الحديد في المنطقة، وبدأت الصناعة اليدوية في القصور (4)،

(1) حمدان خوجه: المرأة - ص 71 - عبد الجبار الراوي: البادية - ص 257 - دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 45

(2) د. محمد السويدي: المرجع السابق - ص 218 - حمدان خوجه: المرأة - ص 71

(3) حمدان خوجه: المرأة - ص 71 - د. غوستاف لوبون: المرجع السابق - ص 344 - مونكرمي وات: البدو - ص 16

(4) نفسه: ص 71 - دة. سهير عبدالعزيز محمد يوسف: الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي - ص 45

ج- الملظمة: وهي عبارة عن فتحة دائرية الشكل تعلو سطح الخيمة*، وتقع عادة في القسم الأيسر عكس خيمة أولاد سيدي أحمد المجذوب التي تقع في القسم الأيمن، قطرها يختلف من خيمة إلى أخرى. يتراوح قطرها ما بين 70 سم ومتر تستعمل لخروج دخان النار والتهوية ودخول أشعة الشمس، وفي أسفلها مباشرة يحدد موضع النار لغرض الطهي والطبخ والتدفئة في فصل الشتاء، ويسمى موضع النار بالكنون. وكان القدر يُوضع فوق ثلاث أحجار في شكل مثلث، وتسمى بالمناصب وربما قد أخذ الحداد هذا الشكل الهندسي في صناعته للمناصب الحديدية من خلال موضع الأحجار، وكانت الأسرة في مجتمع بني عامر وحميان تستعمل وقود الحيوانات الجافة والخطب في الطهي أو التدفئة(2).

د- الخوالف: التي تمثل جوانب الخيمة، والتي تنقسم إلى الخالفة اليمنى وتقع في القسم الأيمن من الخيمة، والخالفة اليسرى وتقع في القسم الأيسر، وتتمثل وظيفة الخالفة في التهوية خلال فصل الصيف* وكمخرج عند الضرورة خاصة الخالفة اليسرى، ويتم رفع غطاء الخوالف بأعمدة قصد تلطيف درجة الحرارة داخل الخيمة، ويطلق على ظاهرة رفع غطاء الخوالف أو السواتر إسم التشمير، وفي فصل الشتاء يوضع الغطاء، ويحاط بالخلفاء لغرض التدفئة، والحفاظ على درجة الحرارة داخل الخيمة وتسمى طريقة وضع الغطاء بالدلاس. ويبدو أن الظروف المناخية قد دفعت بالعامري والحمياني لاكتساب هذه الثقافة للتكيف مع مناخ المنطقة، الذي يتميز بارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف

*تتسع خيمة البدوي لأهله وضيوفه وصغار الغنم في البرد القارس، خوفاً عليها من البرد، وترفع بعمودين فقط، وبعضها مرفوع بثلاثة أعمدة، وأربعة وخمسة وستة وسبعة، وقد تزداد، البيوت التي ترفع بثلاثة تسمى مثولثا، وذات أربع أعمدة تسمى مروج، وذات خمس أعمدة بالمخموس. ينظر إلى: دة سهير عبدالعزيز: المرجع السابق-ص45

*توضع الخيمة والخوالف في مكان محدد حيث تكون في اتجاه معاكس للرياح الشرقية، مراعيًا في ذلك اتجاه الرياح، التي تتنوع إلى رياح غربية وتسمى في لغة المنطقة بالبحري، ورياح شرقية التي غالبا ما تكون محملة بالرمال، وتسمى بالريفي وهي حارة.

التي تصل إلى 40 درجة مئوية وانخفاضها في فصل الشتاء والتي تصل أحيانا إلى مادون الصفر. وذكر أحد المؤرخين المستشرقين في وصفه للخيمة إن الثقافة المادية للبدو تقوم على التنقل، فالخيمة السوداء المصنوعة من شعر الماعز، ذات نسيج فضفاض يسمح للهواء بأن يتخللها ومع ذلك فإن أليافها تنتفخ عندما تبتل (1) تمنع المطر من اختراق جدران الخيمة، وفي الصيف توفر لمن يقيم بها حامي من الظل المرغوب كثيرا، وتفتح من الجوانب لكي يتخللها النسيم، وفي الشتاء تكون دافئة بسبب إغلاق جانبيها (2).

ج- فن صناعة فليج الخيمة: إن حرفة النسيج قديمة قدم الإنسان، حيث يقال أن الإنسان القديم تعلم النسيج من الألياف الطبيعية النباتية، التي قلدها نسيج الحصر الذي ظهر قبل نسيج الصوف والشعر ثم القطن والحرير، ولم يلبس الإنسان الملابس المنسوجة بل المصنوعة من الجلد، وفي الأيام التي تلت يلاحظ أن حرفة النسيج قد بلغت حدا كبيرا من التقدم والرقي، كما حدث ذلك في بلاد الرافدين ومصر والهند والصين، وتختلف المواد المستعملة في النسيج باختلاف نوع الصوف عند الرعاة منذ أقدم العصور، ولكنه كان نادرا في عصر الحضارات النهرية، ففي بلاد مصر أصبح نسيج الكتان أكثر انتشارا بينما القطن والحرير كانا بعد لم يعرف باتا، وقد عرف الحرير إلا ابتداء من القرن الرابع الميلادي في عصر الإمبراطورية الرومانية وفي جزء من العالم فقط (3).

ج1- تعريف الفليج: هو نسيج قوي أقوى من الأنسجة الأخرى الخاصة بجوانب الخيمة، وهي مقاطع مستطيلة الشكل يبلغ طولها حوالي 1م، وعرضها أقل بقليل (4).

(1) د. غوستاف لوبون: المرجع السابق - ص 344 - مونكري وات: البدو - ص 16 - دة سهر عبد العزيز: المرجع السابق - ص 45

(2) نفسه: ص 344 - مونكري وات: نفسه - ص 16 - 17

(3) سعاد أحمد بويرنوسة: النسيج في التاريخ الليبي - من موقع انترنيت: [http://www.Tawalt.com/letter-](http://www.Tawalt.com/letter-display.cfm?lgp01sur17)

display.cfm ?lgp01sur17 د. محمد السويدي: المرجع السابق - ص 218

(4) دة سهر عبد العزيز: المرجع السابق - ص 185

ثم تحاط هذه المستطيلات حتى يتكون الحجم الذي يغطي سقف البيت، وفي الخيمة العادية تحتاج إلى خمسة أو ستة أفلاج كي تكسو السقف أو تزيد، ويستخدم فيها النسيج القوي كي يتحمل الظروف المناخية من شمس ومطر، بينما ارتفاع الخيمة حوالي مترين أو يزيد في حالة الخيام الكبيرة الخاصة بالشيخ أو كبار القبيلة من رؤساء الأفخاذ والأغنياء⁽¹⁾. وقد يتم جز صوف الغنم عادة في منتصف فصل الربيع؛ لأن الغنم لا تحتاج إلى الصوف في فصل الصيف؛ لأن هذا الفصل ترتفع فيه درجة الحرارة، ولكن يترك صوف الغنم في فصلي الخريف والشتاء بسبب انخفاض درجة الحرارة لقد فرضت الظروف الطبيعية والمناخية. وطبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية البدوية على قبيلة بني عامر وحميان التفكير في نسج فليج الخيمة لتجديد غطاءها. ويبدو أن المرأة العامرية والحميانية اكتسبت حرفة النسيج من خلال صناعتها لفليج الخيمة وبالتالي فالصوف يقيها من شدة البرودة. وينتج عن عملية الجز ما يسمى بالجزء*، ويتم لفها بعد عملية الجز، ويختلف وزنها حسب كثافة الصوف وسن النعجة، ويصنف الصوف حسب اللون والنوع، اللون يترك عادة لصنع الجبة والبرنوس والهدون والخيدوس، فالصوف ذو اللون الأبيض يستعمل لصناعة البرنوس، والصوف ذو اللون الأسود يستخدم لصناعة الخيدوس، واللون الرمادي والأحمر والوبر لصناعة الهدون، أما الجبة أو ما تسمى عند بني عامر وحميان بالجلابة. وكذلك يصنف الصوف حسب النوعية، فصوف الظهر أفضل كونه يتميز بطول أليافه وجودته، بينما صوف البطن والساقين فهو قصير الألياف ولونه أقل بياضا من صوف الظهر، ويستغل عادة لصنع الوسادة والزرابي والجربي والفراشية.

ج2- طريقة صنع الفليج: كيف يتم تجهيز الصوف وشعر الماعز الخاص بالنسجة الفليخ أو الخيمة؟ وذلك بقص صوف الغنم وشعر الماعز في الربيع، أما الجمل فيأخذ وبره

(1) دة: سهير عبدالعزيز: الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي - ص 185

*الجزء: تمثل صوف الشاة بعد عملية الجز.

في السقوط من جسمه في فصل الصيف، فتجمعه النساء ثم يمشط الشعر والصوف، وينشروا أن يهوى، ويخفف استعدادا لغزله ونادر ان تجد بدوية، وكما يقال بيدها المغزل، وذلك أثناء رعيها لماشيتها أو في أوقات الراحة (1)، ونسيج الخيمة يختلف في جودته ونوعه تبعا لنوع الصوف والشعر الذي يغزل منه، فمنه ما يصنع من الشعر الخالص النقي الخالي من الخليط، ومنه المخلوط، وشعر الماعز أقوى من صوف الغنم الأبيض (2)، وتقام الخيام أو بيوت الشعر حسب نظام لا تدخل فيه الصدفة، فقد يكون البيت أو الخيمة نحو الشرق خاصة في الشتاء ليحصل البدوي على دفء الشمس، وفي باقي الفصول الأخرى يراعي اتجاه الرياح أو قد تفتح البيوت تجاه القبلة، وبيت البدوي له حرمة، فإذا قصده لاجئا أو استجار به أحد فإن من واجب صاحب البيت أن يحمي ويدافع عن هذا اللاجئ (3) ويمزج شعر الماعز وصوف الغنم. يختلف نسيج الفراشية والمخدة*. والزربية أو الفراش، حيث يترك جزء من الألياف وتسمى بالخملة، ويكون سمكها غليظا عن الجربي والحايك والوسادة التي تنسج بشكل دقيق، ويكون سمكها رقيق بحيث لا تترك ألياف الصوف. أما الوبر فلا يتم غسله أو تنظيفه، بل يستغل مباشرة خاصة وبر الحيران، إلا أن استغلاله يشكل صعوبة بالنسبة للمستخدمي الوبر، واستعماله مرهق ومتعب، نظرا لميزته كالقطن يتطاير ويتقطع، أما وبر الناقة فيوضع فوقه الرمل، فيخرج الشعر الموجود به وعندئذ يترع هذا الشعر حتى يبقى الوبر صافيا لأن الشعر لا يجوز استعماله في صناعة الملابس أما

(1) دة. سهير عبدالعزيز محمد يوسف: الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي - ص 185

(2) نفسه: ص 185

(3) نفسه: ص 186

* المخدة: أو الوسادة، وهي توضع أسفل الرأس أثناء النوم وعادة ماتأخذ أشكال هندسية إما دائرية أو مستطيلة، تصنع من الصوف

إذا كان المراد صناعة فليج الخيمة، فإن المرأة العامرية والحميانية تفضل وبر الناقة. لأن شعر الوبر يفيد في هذه الحالة كيف تتم عملية نسج الفليج؟ أول خطوة يغسل الصوف بالماء المغلي بطريقة جيدة. لأن الصوف بعد عملية الجز، يكون دسما ويلتصق به التراب مما ينتج عنه ما يسمى بلغة أهل المنطقة بالوذح مما يعطيه متانة، وعندما يقترب الصوف يجف، يضرب بعضا تكون رقيقة لكي يحل ويترك حتى يجف من الماء. وتسمى هذه العملية بالخبط. ويستخدم المشط في تنقية الصوف، وكذلك لتنظيف شعر الماعز، ثم تستعمل آلة أخرى تسمى بالقرداش، لتحويل الصوف وشعر الماعز. ثم تأتي الخطوة الثانية وهي الغزل باستخدام المغزل لتحويل الصوف وشعر الماعز إلى ألياف لتسهيل عملية النسيج. ويتم غزل الصوف وشعر الماعز معا بشكل جيد حتى يصبح يتميز بالمتانة، باستخدام ما يسمى بالمبرم، أما الوسائل التي تستعمل في عملية نسج الفليج هي المنشع، المدرة والصوصية*. ثم تأتي مرحلة صبغ الصوف باستعمال مادة الشبوب، وهي قشور الرومان، فيعطي للصوف لونا أصفرا، ويوضع الصوف في مادة تسمى أجاج مما يعطيه لونا أسودا. وإذا لم توضع مادة الشبوب في الصوف كمادة أولى، فإنه لا يمكن أن يعطى لونا أسودا. ويلاحظ أن بني عامر حيان باعتبارها قبيلة بدوية، كانت تقتصر في صناعتها على ماهو ضروري، لأن الصنائع في العمران البدوي تبقى مقتصرة على الصناعة البسيطة التي تحتاج إليها البدوي والخاصة بالوسائل الضرورية، وهي ليست غاية في ذاتها، وإنما هي وسيلة للعيش، ولهذا لا تكتسب الجودة والاتقان ويكون تقدما بطيئا بخلاف العمران الحضري الذي يزخر بالسكان، فإن الصنائع فيه لا تكون وسيلة لغيرها، وإنما هي غاية في حد ذاتها خاصة بالكماليات (1).

* الصوصية: وهي قطعة خشبية مصفحة تساعد في عملية النسج.

(1) المقدمة-ص720-د: ألبير نصري نادر: من مقدمة ابن خلدون-ص144 و146-147-إدريس خيضر: التفكير

الاجتماعي-ص129

الشأن ذكر ابن خلدون "أن العرب أبعد عن الصنائع وذلك لأنهم أعرق في البداوة، وأبعد عن العمران الحضري، وما يدعو إليه من الصنائع" (1). ويبدو أن ابن خلدون كان يقصد العرب في هذا النص الأعراب البدو الذين هم أعرق في البداوة، وأبعد عن الحضارة، وكل من كان على شاكلتهم، وهذا الحكم جاء نتيجة للقاعدة التي يقول فيها إن الصنائع لا تكمل إلا بكمال العمران الحضري وكثرة سكانه، لأن البدو همهم الوحيد هو المعاش الضروري من الخنطة وغيرها (2)، وذكر أيضا "...ثم إن الصنائع منها البسيط ومنها المركب، والبسيط هو الذي يختص بالضروريات، والمركب هو الذي يكون للكفايات، والمتقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته أولا، ولأنه مختص بالضروري، ويكون تعليمه لذلك ناقصا، ولهذا لا توجد الصنائع غالبا إلا عند الحضر الذي هو متأخر عن البدو..." (3). يستخلص من نص ابن خلدون أن الصنائع توجد في الحواضر، وضعيفة في الأمصار الصغيرة والبدو؛ لأن الصنائع تحتاج إلى تعليم وتدريب وإلى مهارة وذكاء. وهذه الخصائص يكتسبها الفرد من المجتمع في الحواضر، وليس في البدو والبدوي غير مستقربل يعيش حياة الترحال، وهذه الحياة لا تسمح بتعلم الصنائع، ولا يمكن له أن يتحكم في تقنياتها، فحياة الترحال والبداوة تفرض عليه العزلة، والصنائع تتطلب الاحتكاك والتفاعل مع الغير لاكتسابها. ويبدو أن ابن خلدون قد لاحظ ذلك من معاشته، ومشاهدته لبدو حميان وسكان قصور بني عامر*. وتنسج أطراف الفليج بالوبر*.

(1) المقدمة: ص 720 - د. ألير نصري نادر: عن مقدمة ابن خلدون - ص 146 - 147

(2) نفسه: ص 721

(3) نفسه: ص 721

* قصور بني عامر: وهي قصور الأطلس الصحراوي الواقعة جنوب موطن حميان، ويسمىها أندري نوشي بقصور حميان. ينظر إلى

الجزائر بين الماضي والحاضر - ديوان المطبوعات الجامعية - 1982 - ص 281

* الوبر: هو صوف الإبل، لونه عادة أحمر

وفي حالة عدم توفره يترك غزل أطراف الفليج على لونه الأصفر. وفي هذه الحالة لا توضع مادة أجاج* في غزل الأطراف. أما في الخطوة الثالثة وهي مرحلة النسيج، حيث يتم نسيج الصوف وشعر الماعز معا، يختلف نسيج الفليج عن الزرابي، فالفليج ينسج أفقيا على مستوى الأرض، بينما الزرابي تنسج عموديا على مستوى الأرض، لا يتعدى عرض الفليج 50 سم، أما طوله يكون حسب طول الخيمة. لا يختلف نسيج الفليج عن الزرابي، ففي مرحلة النسيج يوضع عمودان بدل الخشبيتين والنيرة والقصبية وتستعمل ثلاثة ألواح مستطيلة الشكل يبلغ طولها 70 سم حسب قياس الخيم، تسمى اللوحة الوسطى بالنيرة، حيث يتم لف الخيوط على اللوحة الوسطى، ثم ربط خيوط النسيج باللوحة الأولى والثالثة، وتسمى هذه الخيوط بالسدو الذي ينسج باستعمال لوحة لضرب ألياف الصوف وشعر الماعز مع خيوط السدو تسمى بالصوصية، وتكرر عملية ضرب الألياف إلى غاية عملية النسيج، ثم استخدام المنشع الذي يساعد على تمرير الخيط، ثم المدرة التي تستعمل للنسج مكان الخلالة*. كانت طريقة النسيج بسيطة، وهي أن تشد سدى الثوب في وضع أفقي بين ماسكين وأوتاد في الأرض، ولذلك يجلس النساج القرفصاء، ويستخدم خشبيتين تدفعان بين الخيوط، وكانت خيوط اللحمة تنسق وتحكم بخشبة معقوفة، ثم تطورت إلى مشط له دعامتان مثبتتان في الأرض (1)، وبعد نسيج أربعة من قطع الفليج. يتم ربط هذه القطع مع بعضها البعض باستخدام المخيط. يصبغ الفليج بمادة ترابية تسمى بالحمري*.

في مكان الخياطة أي عند التقاء قطع الفليج ويصبح لون الفليج أحمر أو بني وأسود

* أجاج: هي مادة تشبه الطين تستخدم في تلوين الصوف إلى لون أحمر

* الخلالة: هي آلة يدوية معقوفة من الأسفل، أعلاها تصنع من الخشب، وأسفلها من الحديد، لها أسنان مثل أسنان المشط، تستخدم لضم ألياف النسيج، وهي أساسية في عملية النسيج.

(1) سعاد أحمد بوبرنوسة: النسيج في التاريخ الليبي - ص 05

* الحمري: مادة طينية لونها أحمر

يتميز لون الفليج بخليط من اللون الأسود والأحمر. أما الطريدة* أو الطريقة فإنها تنسج بنفس الطريقة التي ينسج بها الفليج، ولكنها تختلف عنه من حيث العرض، حيث يبلغ عرضها 20 سم، أما طولها يساوي طول قطعة الفليج وطول الخيمة، وتستخدم الطريدة لحماية الفليج من التمزق، نتيجة اهتراء الخيمة بسبب الرياح أو العواصف، ونفس الشيء بالنسبة للكسر والذارعة. وتوضع عليها الأعمدة المركزية، أثناء رفع الخيمة أو بعبارة أخرى سمك الخيمة وعادة ما تتوسط الطريدة الخيمة، وتوجد غالبا فوق الرحل وتحدد طبيعة الصوف إما غليظا أو رقيقا. فإذا كان الغرض أن يكون الصوف غليظا، في هذه الحالة يتم بتغليظ العميتة* أو الألياف. وإذا كان الهدف هو أن يكون الصوف رقيقا، ترقق العميتة أو الألياف أثناء عملية المشط. أما في مرحلة الغزل، فإذا كان الغرض هو استخدام الخملة، ففي هذه الحالة تتم عملية الحلج أو البرم، أي لف الغزل لفا محكما، أما إذا كان الغرض هو نسج المدقوق، تستعمل عملية ما يسمى بالرخف، أي أن يكون لف الغزل لفا ضعيفا، حتى تكون عملية الدق سهلة.

ب- فن صناعة الأفرشة والملابس: أما فيما يتعلق بغزل الوسادة والفراشية أو الزربية الصغيرة والمخدة والجربي والحايك، فيستعمل المغزل اليدوي العادي، أما في غزل الملابس كالهodon* والبرنوس والخيدوس تستخدم المغيزلة*، وهي تشبه المغزل ولكنها اصغر منه طولا وحجما. ويغزل بها على الساق. أما الزربية أو الفراش، فيستعمل في غزلها المبرم*. ويغزل الصوف كذلك على الساق وينبغي أن يكون هناك خيطان أثناء عملية

* الطريدة: وهي عبارة عن قطعة من الصوف تنسج مثل الفليج، طولها يساوي طول الخيمة، وعرضها لا يتعدى 20 سم، تستخدم للفصل بين الأعمدة وقطع الفليج حتى لا تتعرض إلى التمزق. * العميتة: هي لف الصوف بعد عملية المشط. * المغيزلة: وهي أداة يدوية لها نفس شكل المغزل، ولكنها أصغر منه * الهodon: يشبه الخيدوس والبرنوس، ولكنه يختلف عنهما من حيث اللون، فلونه أحمر في غالب الأحيان. يوضع فوق الملابس الداخلية، ويدل لباسه على الأبهة والترف والغنى والجاه. * المبرم: وهو مغزل تعلوه صنارة حديدية معقوفة

الغزل. مثل الهدون والخيدوس والبرنوس، قبل عملية غزل خيوط الملابس فإنها تمر بمرحلة المشط، وتسمى في عرف أهل المنطقة بالتبداد*. وبعد التبداد تأتي عملية التحويل، فبعد استعمال القرادش يعمت الصوف، أي يلف لتوحيد اللون، وبعد مرحلة الغزل تأتي مرحلة أخرى وهي السدوة*. كيف تتم عملية السدوة أو النسيج؟ يوضع وتدان بقدر طول النسيج، فإذا كان على سبيل المثال الجبة، يكون طول النسيج 3م و50سم، أو 3م للنسيج، و50سم للقص؛ أي يبقى كما يسمى بالقيام. وهذا القياس يستعمل للنوع الغربي داخل الخيط، يحدد عرض اللباس الذي يسمى الخشي. وعند ما يتم الانتهاء من الخشي. أي عندما يتم العرض، ينشر القيام المسري على خشبتين وتبدأ عملية الخياط، أما إذا أرادت المرأة صناعة جبة من الحجم العريض الواسع، فإنها تضطر إلى استخدام القياس 2م و50سم. يمرر القيام بين وتدين بنفس الوتيرة، ويسمى اللوح ويوضع كل خيط ثم يطوى وتتطلب هذه العملية مهارة؛ لأن أي خلل فيها يؤدي إلى خلل في عملية النسيج ومن وسائل النسيج الخشبيتين والطاوي والنيرة والفصبة والخلالة والعضاضة ومجموعة من الحبال تختلف في النوع والطول. بعد عملية الطي تعلق الخشبتان، وتبدأ عملية النيرة وهي مخالفة القيام، فما هو أمامي يصبح وراء القصبة، وما هو خلفي يشد إلى الأمام بخيط على عمود يسمى النيرة، وتبدأ عملية النسيج وهي إدخال الخيط ودقه بالخلالة بالتناوب تارة وترفع القصبة، وتوضع تارة أخرى وعندما يعلو طول النسيج تبدأ عملية القلب. يلف ما نسيج على الخشبة السفلى، وتحل الطية العلوية لمواصلة عملية النسيج، وبنفس النشاط حتى يتم الانتهاء من نسيج الجبة أو الجلابة، وتعطى الجبة للخياط أو البيداي* فالخياط هو الذي يستعمل المكنة في عملية الخياطة، وعمله أكثر إتقاناً كيف يتم نسيج الهدون والخيدوس

*التبداد: معناه استخدام آلة القرادش، أو قردشة الصوف دون تعميته أو بشمه مرة أخرى

السدوة: أي بداية مراحل النسيج البيداي هو الذي يستخدم يده في الخياطة

والبرنوس؟ يتم بنفس الطريقة الفنية التي صنعت بها الجبة، ولكن الهدون أو الخيدوس أو البرنوس يختلف عن الجبة في القياس وكذلك في أي أسلوب النسيج، حيث ينسج في المنتصف وتبدأ عملية الزيادة إلى غاية الوصول إلى طرف المنسج ويقدر قياس هذه العملية ب1م، وتسمى بعملية التزريميم* . ثم ينسج بطريقة عادية ويقدر طول هذه العملية 50سم، ثم ينسج غطاء الرأس أو ما يسمى بالقلمونة بمفردها مثل الجبة، وتعلق محاذية للنسيج. ثم تنسج وتدمج في المنسج أي إلصاقها نسجا وليس خياطة ويقدر طول غطاء الرأس 1م، ثم يواصل النسيج بحوالي 50سم، وتبدأ عملية التزريميم. أي النقصان إلى غاية المنتصف من المنسج، وتشكل هذه العملية مرحلة صنع أجنحة الهدون أو البرنوس أو الخيدوس ويلاحظ في هذه المرحلة أن طول الهدون أو الخيدوس أو البرنوس يقدر ب4م؛ أي بزيادة مترين عن الجبة، ثم يقدم للخياطة. كيف تتم صناعة الزربية الصغيرة أو الفراشية والوسادة؟ كيف تنسج الحملة؟ كصناعة الزربية أو الفراشية والوسادة، تحضر سدوة الزربية والوسادة مثل بقية أنواع النسيج الأخرى، ولكن ها تختلف في نسيجها عن الجبة والبرنوس وغيرهم، حيث يتم قطع ونسج خيوط النسيج ولكن الزربية تختلف عن الوسادة في طريقة قطع ونسج الخيوط، والوسادة تدجج عندما يقترب فرقة النسيج تنتهي من إنجازها؛ أي تخط يدويا باستخدام ما يسمى الإشفة أو الإبرة* ذات حجم غليظ، ويختار لوان مختلفان وتبدأ عملية التضراب، أي إدخالهما في بعضهما. وتخطيهما في الوسادة فيزيدها جمالا ورونقا، وهذا العمل هو شكل من أشكال الزخرفة التي تضيفي جمالا على صناعة الزربية أو الوسادة، أما الرسومات والألوان يتركها لصاحبة النسيج، وتختلف الرسومات والألوان حسب ذوق كل امرأة تحترف هذه الصناعة

* التزريميم: وهي عملية تحضير للنسيج أرضا

* الإبرة: تأخذ شكل الإبرة، ولكنها غليظة، وأعلها مغلف بقطعة خشبية

في المجتمع العامري والحمياني فهناك من تختار رسومات نباتية، وأخرى رسومات حيوانية أولها بعدها التاريخي والديني أما الجربي* فينسج مثل الجبة، باستخدام رسومات وألوان مختلفة، ويكون مصبوغا كالوسادة، ويفضل أن يخصص للعروسة، أما الحايك فينسج مثل الجربي ولكنه خالي من الرسومات ويستخدم فيه غالبا لونين مختلفين. يختار اللون الطبيعي في غالب الأحيان حتى لا يتعرض لونه للتلف أثناء عملية الغسيل. أما الزربية فتتميز بالطول الذي يقدر ب9 و10م. وعرضها حوالي 2م50سم، وتصنع مثل الوسادة والفراشية وهي من نوع الخلة، حيث يستعمل في قطع خيوط النسيج المخصصة لصناعة الزربية آلة حادة كالسكين، ولا يستخدم المقص لترك الخيوط أو الخملة عشوائية، وينبغي أن تكون ذات سمك، وتستهلك الزربية كمية كبيرة من الغزل بسبب طولها وعرضها، ويكون لوها عادة أبيض لتحديد الرسومات، ولا يظهر مع الخملة أي قصير جدا والأسود والأحمر ويكون مزدوج الخيوط للقطعة أي الخملة وكذلك لون أحمر ذات خيط واحد فقط للنسيج أي وضع بين الخملة* والخملة. أما القيام يصنع من الصوف والشعر وذلك للمتانة، وتقطع الخملة ثم تنسج ثلاث أو أربع خيوط ثم تقطع وهكذا التناوب، أما أطرافها تنسج مثل الجربي وتسمى بالحاشية، وتداخل الخيوط يشكل رسومات وتسمى التازرة وهي المقياس الرئيسي لجودة أوردائها، ويمكن صناعة الحقائق الصوفية والمخدة الدائرية باستخدام الصوف. ويبدو أن هذا الفن قد اكتسبته الأسرة العامرية والحميانية عن طريق التقليد والمحاكاة وبالتالي فإن فن صناعة الفليج يشكل تراثا شعبيا، توارثته الأجيال الهلالية البدوية جيلا عن جيل ويلاحظ كذلك أن الأسرة العامرية والحميانية البدوية.

* الجربي: هو نوع من الأغطية الحايك، ولكنه خالي من الخملة أي من بقايا القطع الصوفية

* الخملة: هي بقايا الألياف الصوفية التي تبقى خارج الزربية

(1) أندري برنيان وأندري نوشي وإيف لأكوست: الجزائر بين الماضي والحاضر - ديوان المطبوعات الجامعية -

قد اعتمدت على الإنتاج المحلي على صوف الغنم وشعر الماعز. ويقول أندري برنيان وآخرون "...فكانت الأسر العربية تصنع المنسوجات من الفليج والخيام والحايك واللحاف، فصناعة الخيمة من الصوف عبارة عن مسكن للبدو، وكذلك لعدد كبير من سكان الأرياف والرعاة، والخيمة أصبحت ذات سعر مرتفع تتطلب عملا طويلا مقابل عدة مئات من الفرنكات، وفي موضع آخر يقول فكانت قبائل المخزن والبدو يسكنون الخيام المركبة من الفليج، وهي قطع صوف تقوم النساء بنسجها من إنتاج الحيوان وتغطي مساحات كبرى..."⁽¹⁾. خلاصة القول أن فليج يعتبر في حد ذاته الخيمة، وبالتالي فالأسرة العامرية والحميانية البدوية كانت تعطي الأولوية لصناعة الفليج وكانت تخصص قسما من الصوف لهذا الغرض. وكانت المرأة العامرية والحميانية حريصة في صناعته، حتى لا تتعرض الخيمة إلى القدم، وبالتالي تصبح الأسرة العامرية والحميانية مهددة بقساوة الطبيعة والعواصف، خاصة عند سقوط الأمطار، وتمكنت المرأة العامرية والحميانية أن تكتسب خبرة فائقة في نسجه، لأنه يعد من الضروريات في حياتهم البدوية، ولا شك أن ثقافة صنع الفليج انتقلت من جيل إلى جيل أوتوارتها الأجيال أو أنها اكتسبت من خلال الممارسة والتقليد.

ج- فن صناعة العطوش والراحلة: وإذا عزمت القبيلة على الرحيل، ركبت نساؤها الهوادج اثنتين اثنتين، والهوادج نوع من السلال التي توضع على ظهور الجمال، وتصنع من أغصان الدفلى، ويطن أسفلها بجلد الضأن ويستر أعلاها بنسيج للوقاية من تقلب

(1) ينظر إلى: الجزائر في الماضي والحاضر - ص 280

* لقد اسقيت هذه المعلومات من خلال المقابلة التي أجريتها مع العجائز، والنساء اللائي يحترفن صناعة النسيج والغالب على الظن أن المرأة الحميانية قد اكتسبت هذه الحرفة من خلال احتكاكها بالمرأة الزناتية؛ لأن مصادر الضباط الفرنسيين تشير إلى أن بني عامر وحميان كانت تصدر الصوف والجزء إلى قصور بني عامر، وكان بنو عامر وحميان يستوردون منها الزرابي والبرنوس

من هذه القصور. ينظر إلى: Jacquot Félix: op.cit.p284

الريح ووهج الشمس ويأخذ الأعرابيات بعد أن يجثمن في الهوادج في طعن البر بمطاحنهن اليدوية الصغيرة ويهيئن العجين، ثم يجزن الخبز في أول موقف على الملة*؛ أو على موقد صغير أو على الرضف* ويستعملن بعرجال جمال وقودا(1). يصنع العطوش من أعمدة الخشب، ويضعون الصوف بالنواش* من الحملة مثل سرج الخيول، يخصص للعائلة الثرية الغنية ويوضع فوق الجمل. ويستخدم خاصة أثناء الزفاف، حيث تنقل العروس رفقة أمها بداخله إلى بيت الزوجية، وأيضا يستعمل العطوش أثناء عملية الترحال، ويعتبر بمثابة ستار وحاجب، ووسيلة وقار وحشمة بالنسبة للزوجة والحريم بصفة عامة أثناء الارتحال، ولا يستخدم للطحين والعجين كما ذكر غوستاف لوبون. أما الراحلة وتشبه العطوش ولكنها تختلف عنه من حيث الحجم والشكل، تصنع من أعمدة الخشب، فهي أصغر حجما من العطوش، وهي مخصصة لفرد واحد وغالبا ما يستخدمها شيخ القبيلة أو الأسرة أثناء قيامه بعملية الصيد.

ج- أدوات الطبخ ووسائل التخزين: تحتم حياة الترحال الدائم أن تكون الجماعة البدوية خفيفة الحركة لكي تتمكن من مواجهة كافة الظروف الصعبة والمتغيرة التي تواجهها أثناء ترحالها، وخفة الحركة هذه تستدعي أن تكون الجماعة البدوية بسيطة في مسكنها وملبسها ومعداتها(2).

*النواش كثير الألوان للترزين العطوش

*الجمر الرماد الحار

*الحجارة الحماة

(1) د. غوستاف لوبون: حضارة العرب - ص 344

(2) د. صلاح مصطفى القوال: علم الاجتماع البدوي - ص 367. محمد السويدي: المرجع السابق - ص 33

يرى ك. بلونجرون (C. Blanguernon) "... أن أثاث البدو يتميز بالخفة والليوننة، ذلك لأن هذا الأثاث يتحتم على البدوي أن يحمله على ظهر حيوان لمسافات طويلة، ولهذا يصبح الوزن الثقيل العدو الرئيسي للبدوي، فلا غرابة إذن أن يراعي البدوي عند دبغ جلود الأكياس خفيفة ومرنة في ذات الوقت..."⁽¹⁾ وبالتالي فقد اعتمدت المرأة في مجتمع بني عامروحميان البدوي في صناعتها لأدوات الطبخ، ووسائل التخزين على تكنولوجية بسيطة، حيث كانت تستغل المواد الأولية المتوفرة في البيئة الطبيعية كالحلفاء والسونغاء، وعلى جلود الشاه والمعز. فهناك أدوات تصنع من جلد الماعز وأخرى من جلد الشاة الكبيرة، وبعض الأدوات من جلد الخروف، وأخرى من الحلفاء والسونغاء، وكل أداة توظف في مجال معين وتتمثل أدوات الطبخ في الكسكاس الطباق ووسائل التخزين كالعكة والشكوة والقربة والقينة والمحقن والقراوش والحلاب والمخفية والشداد والظفيرة، كيف يتم صنع هذه الأدوات والوسائل؟ وهل لكل صناعة أداة أو وسيلة من هذه الوسائل فن خاص بها؟ تتميز كل أداة أو وسيلة بفن خاص في صناعتها وبمادة أولية خاصة بها، بحيث لا يمكن تحويل جلد الماعز إلى شكوة لغرض استخدامه في وضع الحليب، ويلاحظ أن للظروف الطبيعية، ونمط المعيشة دور في اختيار مادة الجلد والحلفاء لصناعة الأدوات الضرورية التي تتناغم مع حياة البدو في صحراء تلمسان، فالمنطقة فقيرة من حيث المواد الأولية كالحديد والنحاس والطين، فحلت الحلفاء والجلد محل المواد الأولية الأخرى، ولذا لا توجد أواني فخارية وإذا وجدت فهي مستوردة. وتعد هذه الصناعة اليدوية من اختصاص المرأة وليست من اختصاص الرجل، ومن أدوات الطهي التي تصنع من الحلفاء*.

Blanguernon claudel: le Hoggar; paris; édition arthard; 1965; p98(1)

* لقد استخلصت هذه المعطيات من خلال مقابلي لكبار السن والشيخ من قبيلة حميان الذين عاشوا حياة البدو

ج1 الكسكاس: يصنع الكسكاس من الحلفاء، حيث تقوم المرأة بطريقة فنية تتمثل في لف ألياف الحلفاء باستعمال الإشفة أو عود الدفلة بعد نحتة بطريقة فنية وتقنية حتى يصبح رقيقا مثل الإشفة أو الإبرة، حيث توضع مجموعة من ألياف الحلفاء أو السونغا، ثم تدخل باستعمال الإشفة ألياف أخرى أسفل الألياف الأولى وتكرر هذه العملية، عدة مرات حتى تتشكل دائرة في الأسفل قطرها حوالي 6سم، وهي عبارة عن فتحة تسمح بدخول بخار إلى الطعام أو الكسكسي من الأسفل، كلما اتسع حجم الكسكاس، ويزداد قطره حتى يصل إلى 30سم ويبلغ ارتفاعه حوالي 40سم تتوقف المرأة عن عملية اللف، ويأخذ الكسكاس عادة شكلا مخروطيا، في هذه الحالة يمكن استخدامه في عملية الطهي، ويلاحظ أن الحلفاء تستخدم لعدة وظائف، بالإضافة إلى صناعة أدوات الطبخ ومستلزمات الخيمة، تستعمل كذلك في التدفئة وكوقود في الطبخ

ج1-1 القنينة: تصنع من الحلفاء وبنفس الطريقة التي يصنع بها الكسكاس، إلا أن الاختلاف بينهما في الشكل، فالقنينة قطر قاعدتها أوسع من الكسكاس، حيث يبلغ حوالي 40سم وارتفاعها أقل من ارتفاع الكسكاس حيث يبلغ حوالي 30سم، وعندما يصل الارتفاع إلى حدود ما ذكر سابقا، تتوقف المرأة عن لف ألياف الحلفاء. تستخدم القنينة أثناء عملية حلب الأغنام أو المعز، وكذلك لوضع الحليب أو اللبن.

ج1-2 الطبق: يصنع من الحلفاء وطريقة صنعه لا تختلف عن الكسكاس أو القنينة، وإنما يختلف عنهما في الشكل، فقاعدة الطبق أوسع من الكسكاس والقنينة، حيث يصل قطرها حوالي 50سم أو أكثر وأقل وارتفاع الطبق أقل من الكسكاس والقنينة بحيث لا يتعدى 10سم، ويتميز الطبق بتنوع الأحجام، فهناك صغير الحجم وكبير الحجم، يستخدم لوضع الكسكسي أو أثناء تناول الوجبات الغذائية ووضع الدقيق أو السميد قبل أن تحل

* لقد استخلصت هذه المعلومات من خلال المقابلة التي أجريتها مع الشيوخ والنساء من قبيلة بني عامر وحميان

الطاولة محله ولا يزال يستعمل إلى اليوم في تحضير الكسكسي بل في تناول الوجبات الغذائية خاصة في الخيام.

ج1-3 المحقن: يصنع أيضا من الخلفاء، وبنفس الطريقة الفنية البسيطة، التي يصنع بها الكسكاس والقينة والطبق، إلا أنه يختلف عن هذه الأدوات في الشكل، بحيث يأخذ شكلا مخروطيا، يحتوي على فتحة صغيرة ضيقة قطرها لا يتعدى 3سم، توجد على مستوى قاعدته، ويزداد في الاتساع كلما زاد ارتفاعه وقطره حتى يبلغ حوالي 40سم يستعمل في عملية تفريغ الحليب واللبن داخل الشكوة أو الماء داخل القربة*.

ج1-5 القراوش: يصنع من مادة الخلفاء، ويأخذ شكلا دائريا، يبلغ قطره حوالي 40سم وارتفاعه حوالي 40سم، يشبه في شكله القفة الصغيرة، يستخدم لوضع المعلاق، يعلوه مقبضا مصنوع من الخشب أو الحديد أو معلاق، ويعلق القراوش في سطح الخيمة من الداخل. وحسب أهل البدو كانت الأوتاد والمهراس تصنع من الخشب، بينما كانت أواني الأكل تصنع من الحديد. أما نماذج الأدوات التي تصنع من الطين والخشب، وربما كانت هذه الأدوات تستورد من خارج المنطقة لأن صحراء تلمسان لم تكن تتوفر على المادة الأولية خاصة مادة الطين والخشب.

ج1-6 الحلاب: يصنع من الطين شكله أسطوانى، ارتفاعه حوالي 20سم، وقطره 10سم تعلوه فتحة ضيقة، يستعمل لشرب الماء أو الحليب أو اللبن.

ج1-7 المخفية: تصنع من الخشب، وهي عبارة عن قصعة صغيرة، تأخذ شكلا دائريا يبلغ ارتفاعها حوالي 10سم وقطرها حوالي 50سم، تستخدم في وضع الكسكسي. وفي تناول الوجبات الغذائية، وهي خاصة بالأسرة ذات العدد المحدود ويلاحظ أن البدوي العامري

* الشوب: أو الشب هو عبارة عن قشور الرومان، ويستعمل في ديق عندا يصبح يابسا.

* تعلق القربة على ثلاثة أعمدة متساوية الطول بجبل يشد في أعلى الأعمدة، وتسمى بالحمارة

والحمياني كان مرتبطا وملتصقا بالطبيعة، فكان لباسه وأدواته كلها من الطبيعة ومن الحيوان، وهذا ما يسمى بالعلاقة الايكولوجية أو العلاقة بين الإنسان والطبيعة⁽¹⁾ وبالتالي يمكن إسقاط نظرية العمران البدوي على مثل هذه المجتمعات.

ج1-8 القربة: تصنع من جلد الماعز وتحتفظ المرأة بالشعر، وعلى سلامة الجلد وشكله الطبيعي تتم صناعة القربة بطريقة فنية تتمثل في دبغ جلد الماعز بمادة الشبوب* أو العرعار* لإزالة الرائحة الكريهة، بالإضافة إلى الملح لمقاومة الميكروبات والجراثيم التي توجد في الجلد، يربط الجلد من الأمام، ويترك مفتوحا في مؤخرته، حتى يسمح للمرأة بدبغ الجلد وعملية الدبغ تتجلى في حك الشبوب على الجلد، ويترك لمدة شهر كامل حتى يؤدي الشبوب مفعوله، أو يدبغ بواسطة العرعار، وعندما تزول رائحة الجلد، تفتح مقدمة الجلد وتغلق مؤخرته، وتوضع مادة القطران* ليعطي رائحة طيبة وتساعد على عذوبة الماء وبرودته في فصل الصيف، تربط القربة بحبل من المقدمة والمؤخرة، ثم تعلق في أعلى سطح الخيمة من الداخل في مكان به ظل وبارد، وفي اتجاه الهواء البارد الغربي الذي يساعد على برودة الماء، إن فكرة استخدام جلد الماعز والمواد النباتية المستعملة فيه لتبريد الماء، ربما اكتسبتها قبيلة بنو عامر وحميان من تجارب أسلافهم، وحثمية الظروف المناخية التي كانت تتميز بشدة الحرارة وارتفاعها في فصل الصيف⁽²⁾.

ج1-9 الشكوة: تصنع من جلد الشاة الكبيرة، وطريقة صنعها لا تختلف كثيرا عن القربة ويكمن الاختلاف في مواد الدبغ، بحيث يستعمل في دبغ جلد الشاة لكي تصبح شكوة العرعار والملح ومادة التايذة وتدوم فترة الدبغ إحدى وعشرين يوما. وعندما يمتص الجلد

(1) د. محمد السويدي: بدو الطوارق - ص 77

(2) دة. سهير: الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي - ص 186

* القطران: هو عبارة عن سائل لونه أسود، يستخلص من شجرة العرعار، يستعمل داخل القربة لأعطاء رائحة طيبة للماء
* العرعار: هونبات طبيعي لون أوراقه خضراء، ينمو في جبل عنتر بالمشيرة، يستخدم في دبغ الجلود وكذلك لأغراض صحي

مادة التايذة* يصبح لونه أحمر، وبالتالي يمكن استعمال هذا الجلد لوضع الحليب.

ج1-10 المزود: يصنع من جلد الماعز الصغير، ويتم دبغه بالملح والشبوب، وطريقة صنعه

لا تختلف عن الشكوة والقربة، بل يحتفظ الجلد بلونه الأبيض يستعمل لتخزين الدقيق .

ج1-11 العكة: تصنع من جلد الخروف، أو من جلد الماعز الصغير وبنفس الطريقة التي

تصنع بها القربة والشكوة ويتم دبغ الجلد بمادة العرعار والتمر والملح وتستعمل لتخزين

الزبدة أو السمن، وغالبا ما يضاف إليه عصير التمر، الذي يسمى بالرُّب ويصبح لون

السمن أحمر وتتناول الأسرة عادة هذا النوع من السمن في الفطور(1).

ج1-12 الضبية: تصنع من جلد الخروف الصغير، ولا تختلف في طريقة صنعها عن

الشكوة والقربة والعكة، وإنما يوجد الفرق في مواد الدبغ، حيث يستعمل الشبوب والملح

والفرينة، ويتم حك الجلد وبعد ذلك يصبغ بمادة الصباغة، مع اختيار لون الصباغة

وتستعمل الضبية لوضع أدوات الزينة مثل الحنة والمسواك، والكحل*، والبخور وغيرها

ج1-13 الشداد: يصنع من صوف الشاة حيث يتم تحويل صوف الشاة بعد غسله إلى

الألياف، وهذه الألياف تظفر وعادة ما يكون الشداد طويلا يتراوح طوله ما بين 3م

و4م، يستعمل لربط الخيول والحمير وأغنام الحلوب، ويسمى بلغة أهل المنطقة بالدراس*.

ج1-14 الصماط: كان يصنع من الصوف المصبوغ، لونه يشبه لون العمارة، وطريقة نسجه

لا تختلف عن الزرابي والأفرشة، وينقسم إلى قسمين ويشد كل قسم بالآخر بواسطة حبل

* التايذة: هي عبارة عن مادة ذات لون أحمر توجد داخل جذع الشجرة

(1) دة. سهير: المرجع السابق - ص 187

* الكحل: هو عبارة مسحوق أسود يوضع على جوانب العينين غالبا ما يستعمل كمادة طبيعية للتجميل عند المرأة.

* الدراسات: معناه أداة تستخدم لربط الغنم الحلوب، أو التي يتم جلبها إلى السوق، في شكل صفيين متقابلين ومتعاكسين، أي أن تكون رؤوس الأغنام في اتجاه معاكس، حتى تسهل عملية حلب الأغنام أو يتم عدها في السوق

يستعمل الصماط أثناء الذهاب للسوق وتوضع بداخله السلع.

ج1-15 العمارة: تصنع كذلك من الصوف، وهي على شكل مستطيل، أو دائري طولها حوالي 40 سم وعرضها حوالي 20 سم يعلوها حبل مشدود تستخدم لعلف الحصان أو الفرس

2- الأدب الشعبي:

كانت الأشكال التعبيرية للأدب الشعبي في مجتمع بني عامر وحميان تستخدم خاصة في أوقات الفراغ أو الترويح*، وإذا كان الترويح يتطلب تحرر الإنسان من وظائفه الاجتماعية ومن جميع أنشطته الأخرى خارج عمله(1)، فقد عرفه جوفر دومازوديه (Joffre Dumazedier) بأنه "يتمثل في مجموعة من المشاغل التي يولع بها الإنسان، سواء ليتسلى بها، أو لينمي معلوماته وتكوينه الشخصي، أو يشارك بها في الأنشطة الاجتماعية التطوعية، بعد أن يكون قد تخلص من واجباته المهنية والعائلية والاجتماعية"(2). إن البيئة الريفية والبدوية في القارة الإفريقية، تتمتع بطبيعة متنوعة، في الوقت الذي تتحدد فيه حاجات سكانها في أنها محدودة وسهلة الإشباع، ولهذا كانت فكرة الترويح غير مميزة كوحدة أو منظمة مستقلة بذاتها عن بقية النشاط الأخرى(3). لأن العمل والراحة والترويح، مظاهر متناغمة ومتكاملة في حياة المواطن الإفريقي، بعكس الحال في المدينة حيث ينفصل وقت العمل عن وقت الفراغ(4). فالترويح في القطاعات البدوية والريفية في المجتمع الإفريقي(5) يمثل فرصة

* ينظر إل Cornic Michel: Sociologie des Loisirs; in "la

sociologie; Paris. Cepl; 1970p. p276-293

(1) ينظر إلى- vers ma civilisation du Loizir; Paris; Editions du seuil; 1962p22

(2) Joffre Dumazedier : op.cit.p.p22-28

(3) cornic Michel : op.cit.p.p276-293

(4) Ibid. P. p276-293. محمد السويدي: بدو الطوارق - ص 233

(5) Joffre Dumazedier : op.cit.p22

لتمية بعض المظاهر الفنية كالشعر والقصص والأغاني والرقص، أو لاكتساب نمو جسماني أو للقيام ببعض الأنشطة كالسباق والمبارزة أو لإحياء حفلات عائلية أو ثقافية أو حفلات الزواج، يلاحظ أن الترويح في المجتمع البدوي العامري والحمياني كان يتميز بنوعين: نوع تقوم به النساء كالغناء والقص والحكايات الشعبية والرقص وتنظيم الحفلات، ونوع ثان يقوم به الرجال ويتمثل في صيد الحيوانات البرية والسباق على الخيول، والقيام ببعض الألعاب في حدود حياتهم البدوية⁽¹⁾ إن الترويح بالبادية قد يكون تقائيا أو مقصودا ومخططا له، وهو متعدد الأشكال والأهداف جماعيا أو فرديا، كما أن الترويح قد يكون مجرد حرفة تمتهنها فئات أو جماعات خاصة كحرفة لا حبا في الترويح، وللترويح بالبادية أهداف جماعية حيث يؤدي إلى زيادة أواصر الود والألفة بين ممارسيه⁽²⁾، وللترويح البدوي أشكال مختلفة، فهناك الفنون الشعبية البدوية، وهي ترتبط ارتباطا وثيقا بمختلف صور الحياة البيئية والاجتماعية والدينية والفكرية السائدة، وتعتبر الأساطير البدوية من الفلكلور الذي لا يخلو منه مجتمع بدوي⁽³⁾، ومن هذه الأساطير ما يتصل بنشأة هذه المجتمعات أو الخوارق التي أتاها أبطال هذه المجتمعات الشعبيون، ومنها ما يتصل بالعالم الآخر كالملائكة أو الشياطين أو ما يتصل بالجن، وهذه الأساطير رواة يجيدون فن الإلقاء حتى يمر معهم الليل دون ملل⁽⁴⁾. وتمثل الأمثال الشعبية والسير الشعبية البدوية حصيلة خبرة في الحياة وتعكس تجاربا للأجيال الجديدة، وتقال الأمثال الشعبية كحكمة مستخلصة أو يروى المثل وأصله. والغناء البدوي شيء يكاد يكون فطريا، والبدوي العربي يحتفل بكل مناسباته السعيدة بالغناء، كما يغني أيضا في المناسبات

(1) Cornic Michel: op.cit.p293

(2) دة. سهرير عبدالعزيز محمد يوسف: الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي - ص 52

(3) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 280-285

(4) دة. سهرير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 52

غير السارة(1)، فهو يغني في المناسبات الدينية والأعياد والمواسم، وفي حفلات العرس والولادة، وأيضاً أثناء العمل مثل رعي الماشية. أو أثناء الحرب، وعند وفاة عزيز أيضاً نائحا أو باكيا، ومن الغناء ما يؤدي منفردا أي يؤديه فرد واحد، والباقي يستمعون، ويسمى بالسامر، ومنه ما يؤدي أثناء سير الجماعة البدوية ويسمى بالحداء، وهو يصاحب رحلة البدوي الطويلة طلبا للرعي(2).

1- الألغاز الشعبية: تعددت وتنوعت أشكال التعبير الشعبي عند بني عامر وحميان، ومن أهم هذه الأشكال التعبيرية الألغاز الشعبية، ولكن أمام غياب التدوين والكتابة والاهتمام أصبحت هذه الألغاز عرضة للنسيان والضياع، ورغم أن منطقة بني عامر وحميان كانت غنية بهذا النوع من أشكال التعبير الشعبي، إلا أنه أصبح في العقود الأخيرة قليلا، بسبب عدم الاهتمام من جهة وموت معظم الذين كانوا يتداولون الألغاز من كبار السن من الشيوخ والعجائز من جهة أخرى، أو كما يقال أن موت شيخ هو ترجمة لضياع مكتبة أو إحراقها(3). ويبدو من خلال مقابلي لبعض الشيوخ، استخلصت أن الموروث الشعبي بصفة عامة خاصة النظري منه، هو في طريق الزوال والاندثار، حيث يجيبك الشيخ بعبارة واحدة ما بقات الدنيا، وراحوا مواليتها وما باقت محاجية ولا معاني، وراني نسيت لي كنا نقولوه بكري، اليوم رانا في دنيا أخرى. وبالفعل لقد جمعت بعض الألغاز الشعبية بصعوبة كبيرة فهي قليلة بسبب ما أصاب كبار السن من النسيان من جهة، وانقراضهم من جهة أخرى، وعدم التداول المستمر جعلها عرضة للزوال.

(1) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص. 284-285

(2) نفسه: ص. 284-285 - دة. سهرير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص. 52

(3) د. محمد سعيدي: مقدمة في اللغز الشعبي - مقالة - مجلة التراث الشعبي تصدر عن قسم الثقافة الشعبية - جامعة تلمسان

1- مفهوم اللغز لغة: لقد تناول اللغويون في معاجمهم معنى اللغز، ففي لسان ابن منظور لغز: ألغز الكلام، وألغز فيه بفتح الغاء ومعناه عمى مراده بتشديد الميم. وأضمه على خلاف ما أظهره، واللغزما ألغز من كلام، أو الكلام الملبس وقد ألغز في كلام، يلغز إلغازا إذا ورى فيه وعرض ليخفى والجمع ألغاز مثل رطب وأرطاب، واللغز واللغيز واللغز واللغيزي والإلغاز وكله حفرة يحفرها اليربوع في حجره تحت الأرض (1). وقيل هو حجر الفأر واليربوع بين القاصعاء والناقعاء، سمي بذلك لأن هذه الحيوانات تحفره مستقيما إلى الأسفل، ثم تعدل عن يمينه وشماله عروضاً تعترضها، تعميه ليخفى مكانه بذلك الإلغاز والجمع ألغاز، وهو الأصل في اللغز، واللغيزي واللغيزاء والألغوزة: كاللغز لغز اللغز واللغز لغة: ما ألغزت العرب من كلام فشبهت معناه واللغز بضم اللام وتشديده والألغاز: حفرة يلغزها اليربوع في حجره يمنة ويسرة يلوذ بها (2).

1-1 مفهوم اللغز اصطلاحاً: يتكون من جملة أو أكثر تحمل دلالات واستعارات يطرح صاحبها سؤالاً يريد من خلاله الإجابة عنه، ويكون الذي يطرح عالماً بالجواب. كما يتطلب السؤال الإشارة إلى ملامح الجواب بطريقة واضحة وخفية تارة أخرى (3)، وهو عبارة عن خطاب لغوي، يتطلب حل مشكلة فكرة، تذكر صفاته البعيدة والقريبة، ومن تلك الصفات يستطيع المسؤول بأعمال شيء من الفكر الاهتداء إلى موضوع السؤال والألغاز نوعان: نوع خفيف يختص بالمجالس والمفاكهات (4).

(1) د. عبد المالك مرتاض: الألغاز العشبية الجزائرية في الغرب الجزائري - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر 1982 ص 95 - د. نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي - ط 3 دار المعارف - 1981 ص 215 - ص 98 د. محمد سعيدي: مقدمة في اللغز الشعبي - ص 12

(2) د. عبد المالك مرتاض: الألغاز الشعبية - ص 98 - د. محمد سعيدي: مقدمة في اللغز الشعبي - ص 12

(3) د. نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير - ص 215 - محمد المرزوقي: المرجع السابق - ص 42 - 43

(4) محمد المرزوقي: المرجع السابق - ص 43

يقتصر فيه غالبا على ذكر الصفات القريبة للشيء المسؤول عنه، ويستطيع الاهتداء للحل كل ذي نباهة وذكاء، ونوع معقد تذكر فيه صفات المسؤول عنه البعيدة فيصعب حله إلا على من كان يمتلك ذكاء خاصا وتمرينا على حل هذا النوع غالبا بألغاز الرباط التي تلقى في الأعراس من طرف الشعراء متظاهرين بالمقدرة والبراعة(1).

1-1-2 مميزاته: يمتاز بالغموض والالتباس والأشكال والالتواء في بنيته اللغوية الشكلية وأي شيء نعت باللغز فهو غامض وغير واضح، ولغز المرء في حديثه أي كساء بمسحة من الغموض واللبس ولم يبينه(2)، ولم يفصح عن مقصوده، وبالتالي يصعب تفكيكه وفهمه من الوهلة الأولى، وأوليس فهمه في متناول كل الناس، ويتطلب مستوى من المعرفة والتفكير والبداهة والذكاء، قد يكون نص اللغز في قالب شعري أو نثري، يتميز بالسجع والجناس والموسيقى والإيقاع الداخلي الخفيف والسريع(3).

1-1-3 نشأته: إن اللغز قديم قدم الإنسان فهو قديم قدم الأسطورة والحكاية(4). لقد اقترن ظهور اللغز منذ أن بدأ الإنسان يتساءل عن الكون. فالكون كان لغزا بالنسبة في حد ذاته بالنسبة للإنسان الأول أو البدائي وكذلك عن الطبيعة والحيوان. فاللغز يشير إلى غموض الحياة وهو في نفس الوقت يمثل إدراك العقل البكر(5). وارتبط اللغز بالإنسان منذ أن نطق لأول مرة بالألفاظ التساؤلية الأولى حول الظواهر التي حيرته وبقيت مجهولة بالنسبة إليه هي لماذا؟ وكيف؟ وأين؟ ومتى؟(6).

(1) د. عبد المالك مرتاض: المرجع السابق-ص215. محمد سعيد: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق-ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر-1998-ص98-

(2) د. عبد المالك مرتاض: الألفاظ الشعبية-ص98-د. نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير-ص215

(3) نفسه ص95

(4) د. محمد سعيد: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق-ص99

(5) محمد المرزوقي: المرجع السابق-ص.ص42-43

(6) د. محمد سعيد: الأدب الشعبي-ص95

1-1-4وظيفته: إن اللغز كجنس أدبي يقوم بعدة وظائف نفسية واجتماعية وتاريخية ثقافية، فهو وسيلة أساسية للتربية ذلك لأن الأطفال والكبار معا كيف ينظرون إلى المشكلة من كل جوانبها، ثم يحتفظون بعد الكد والتفكير بحس فكاهي، وتتمثل هذه الوظائف في الترفيه واختبار الذكاء. فاللغز في حقيقة كنهه هو وصف شيء معين بأوصاف شيء آخر فالألغاز عبارة عن عملية شحذ الذهن والعقل وقد يكون شبيها على مستوى المظهر فهو لا يهدف إلى ذكر الأشياء بمسمياتها الكلية المصطلح عليها (1)، وهي إجمالا مواقف عقلية على ذهن حي متفتح وعقلية تعيد الأشياء إلى أصلها، أما الغاية من طرح هذه الألغاز فهي للترفيه واختبار الذكاء (2). فما هي أهم الألغاز الشعبية المتداولة عند بني عامر وحميان ؟

1-1-5 نماذج من الألغاز الشعبية عند بني عامر وحميان:

شمر الستار يبانو الخرفان: معناه عندما يفتح الفم تظهر الأسنان.

طيها طي كتاب ولونها لون غراب: الخيمة

أنا نجري وأبى يجري والبيض يطيح من حجري: الغربال

عندي ثلاثة جمال: واحد يأكل ما يشبع: النار، واحد يسرح ما يروح: الدخان.

واحد يبرك ما ينوض: الرماد.

عندي مطمورة في ذاك الدير، ما عرفتها قمح والا شعير: المرأة الحامل الذي يجهل ما

في بطنها هل ذكر أم أنثى.

نعجتي بالبرقية كتفتك كتاف ايدي، وخبطت الشرق وخبطت الغرب لقيتك كيما هي: المطمورة.

(1) محمد المرزوقي: المرجع السابق-ص43

(2) د. نبيلة إبراهيم: المرجع السابق-ص216 -د. محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق-:ص102

ثلاث وقوف: الحمارة، واحد منسوف: الشكوة، واحد يضرب ويشوف: المرأة التي تمخض الشكوة. ظهره عايب وشعره شايب يضري ضربة المصايب: السيف.

طق هنا وطق ليهه وطق شق البحر منهيه: البرق. راه راه والعلام وراه: اليربوع. عند عبيد مقعور* من ساقه: المخيط. امي بركانة لابسة عباية والركبة عريانة: الدجاجة. مهراز واس واس، حكمها جن بوركاز: المكحلة، أي البندقية. بغلتي واقفة وكرشها* تكتك: عندما يكون عدد كبير من الأفراد داخل الخيمة. حجيرتي صمصم* ويفتحها غير العظم: حبة الرمان.

باها بنت باها ماتعرف وجهها من قفاها: البيضة. حاجيتك ما جيتك ماخلق من بيضة، ماخلق من رحام، ياكل التشيشة والكسرة* ويلحق الطعام: آدم عليه السلام.

حاجيتك ما جيتك بالطلبة ياعارف ياشادين بالعمائم، حاجة طالعة مع الكاف* ما عندها لاراس ولا قوايم*: الغيم.

حاجيتك ما جيتك في السما تبقس* وفي لرض تحوس وعندها قايمة واربع روس: المدرة. بوه بوه دون من امه وعتى من بوه: البغل.

لياتشق السما واش يلاقيه، وليا نشف البحر واش يمليه، وليا شر السلطان واش يغنيه: السما مايتشق والملايكة فيه، البحر ماينشف والوديان صابة فيه والسلطان

ما يشر ورعيته دايره به، يعرف لوقات ومايصليش: الديك.

* مقعور: معناه به فتحة

* صمصم: الحجر الذي يتميز بشدة الصلابة* الكرش: معناها البطن* قوايم: الساقين

* الكسرة: هي نوع من الخبز يتم تحضيره على مطبخ عادي أو الكون.

* الكاف: المكان الوعر، أو الكهف* القوايم السيقان* تبقس: تلمع

1-1-6 دراسة الألفاظ الشعبية في مجتمع بني عامر وحميان:

يلاحظ أن الألفاظ الشعبية المتداولة في مجتمع بني عامر وحميان استخدمت فيها الألفاظ والمفردات المحلية الدالة على طبيعة لغة الداريجة وعلى البيئة الاجتماعية والطبيعية المحيطة بمجتمع بني عامر وحميان، والتي تفسر كذلك نمط الحياة الاجتماعية السائدة، وتبرز مدى التفاعل بين البدوي العامري والحمياني مع بيئته الطبيعية، وعملية التأثير والتأثر. تتكون الألفاظ الشعبية من حيث الشكل من جملتين إلى ثمانية جمل، منها ماهي سجعية مثل طيها طي كتاب ولونها لون غراب، أمي بركانة لابسة عباية والركبة عريانة. يبدو أن كلمات اللغز تم انتقاؤها من ثقافة بني عامر وحميان المادية واللامادية، مثل الستار الخرفان، الجمل النعجة، أما الإجابة عن اللغز يظهر أنها تدور حول ما يحيط بمجتمع بني عامر وحميان البدوي، وتبين أيضا الخصائص البدوية، والوسائل المستخدمة في المجتمع البدوي مثل الخيمة، المظمورة، الشكوة، الدجاجة، اليربوع الحمارة، ما تبين الألفاظ طبيعة التفاعل الاجتماعي، وتفاعل حميان مع البيئة الايكولوجية التي يعيشون فيها، وتدل هذه الألفاظ على المستوى الثقافي ومحدودية التفكير الذي اقتصر على المحيط البدوي الضيق، وتكشف هذه الألفاظ عن ذهنية البدوي التي تبقى متشبثة بواقعها الاجتماعي، أما عن الهدف من وراء هذه الألفاظ الشعبية التي كانت تتداول بين أفراد مجتمع بني عامر وحميان، ربما كان للترفيه واختبار ذكاء الفرد العامري والحمياني، وربما كانت الألفاظ وسيلة أساسية من وسائل التربية والتعليم. إن حياة البداوة التي تتميز بشظف العيش والعزلة، وانعدام وسائل الترفيه والتسلية، والتعب والارهاق الجسماني الذي كان ينال من الفرد العامري والحمياني في النهار، هو الذي دفعه إلى استعمال الألفاظ ليريح عن نفسه من جهة، ويحافظ على تماسك الأسرة، وتمتين العلاقات الاجتماعية الأسرية.

2- الأمثال الشعبية: إن التعبير المثلي شكل قديم من أشكال التعبير الشفهي في حقل التواصل الاجتماعي، وتبادل الثقافة بين الناس، يظهر في كل عصر ومكان (1)، ويتردد يوميا على ألسنة الناس ويكاد يكون مفهومه عاما لجميع الأمثال عند جميع الشعوب، ومن الأمور التي تسترعي الانتباه أن الناس سرعان ما تميز المثل عن غيره، من أساليب الكلام المعتاد، ذلك لأن المثل قول سائر يجمع في بنيته عناصر تكوينية وفنية محددة، تساعد على الذبوع وسرعة الانتشار (2). من هذا المنطلق ينبغي طرح السؤال عن معنى المثل لغة واصطلاحا وعن خصائصه العامة التي يتميز بها، وسر شعبيته وديمومته وإمكان انتقاله من عصر إلى آخر، وكذلك التعرف على أغراضه ووظائفه وشكله البنائي والأنماط والصيغ التي يرد فيها المثل، وتمثل الأمثال الشعبية دورا هاما في إنتاج المعنى، وفي تفهم سيكولوجية الشعب (3). قبل التطرق إلى ذكر الأمثال الشعبية الأكثر تداولاً وشيوعاً في قبيلة بني عامر وحميان. ما تعريف المثل لغة؟

2-1 تعريف المثل لغة: المثل معنى التشابه فالتمثيل هو قبل كل شيء التشبيه، ويرى المبرد أن المثل مأخوذ من المثل وهو قول سائر شبه به حال الثاني بالأول، والأصل في التشبيه وحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول (4). ويقول أبو هلال العسكري أن أصل المثل التماثل بين الشيئين في الكلام (5) ويرى علماء اللغة أن معنى المثل بالعربية يتصف بالسمو والعلو، فالأمثل هو الأفضل ولذا كثيرا ما يوصف المثل الأعلى (6).

(1) د. زاهي ناصر: أمثالنا العامة مدخل إلى دراسة الذهنية الشعبية دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 1996 ص 23

(2) ورد هذا التعريف للمثل في مجمع الأمثال للميداني - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة - 1955 - ص 5

(3) عبد الرحمن عفيف: الأمثال العربية القديمة - المجلة العربية للعلوم الإنسانية - العدد 10 - 1983 - ص 8

(4) صدقي جورج: معاني المثل ومشتقاته - مجلة المعرفة السنة السابعة - العدد 202 - 1978 - ص. ص 10 - 11

(5) عبد الرحمن عفيف: الأمثال العربية القديمة - ص 19

(6) د. زاهي ناصر: أمثالنا العامة - ص 23

فيقال المثل بالأعلى أي الأسمى والأكثر قربا من الحق وبكلمة أخرى أشبه بالحق(1). هناك عدة معان تدور حولها لفظة مثل منها الشبه والصفة والعبارة، والقول السائر بين الناس المشهور بين عامتهم وخاصتهم(2) وهذه اللفظة تناولتها المعاجم اللغوية العربية، يقول ابن فارس "الميم والثاء واللام أصل صحيح على مناظرة للشيء فالمثل بفتح الميم والمثل بكسر الميم والمثيل كالشبه بفتح الشين والشبه والشبيه لفظا ومعنى، والجمع أمثال وقد يستعمل الشبه بكسر الميم عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من هذه المعاني، أي معنى كان"(3)، وفي لسان العرب عند ابن منظور "وكل شيء ساوى شيئا حتى يكون مثله، فهو مكافأ بضم الميم والمكافأة بين الناس، من هذا يقال كافأت الرجل، أي فعلت به مثل ما فعل بي ومنه الكفاء من الرجال للمرأة، تقول إنه مثلها في حسبها"(4).

2-1-2 تعريف المثل اصطلاحا: تعددت مفاهيمه عند الأدباء، فهناك من يقول بأنه قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكى فيه بحال الذي مثله لأجله بأن يشبه مضربه بمورده، ويطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن والصفة الغريبة(5)، ويقول تايلور "...إن المثل جملة مصقولة محكمة البناء تشيع في مآثورات الناس باعتبارها قولا حكيما، وأنه يشير عادة إلى وجهة الحدث، أو يلقي حكما على موقف ما، وهو أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية..."(6).

(1) د. محمد بكر إسماعيل: الأمثال القرآنية - دراسة تحليلية - ط1 - دار المنار - 2000 - ص 09

(2) نفسه: ص. ص 09-10

(3) د. أحمد بن نعمان: سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجية النفسية - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر -

1988 - ص 336

(4) نفسه: ص 336

(5) نفسه: ص 337

(6) عبد الرحمن عفيف: المرجع السابق - ص 19

والمثل هو عبارات متداولة بين الناس تتصف بالتكامل ويغلب عليها الطابع التعليمي، وتبدو في قالب فني أكثر اتقاناً من أسلوب الحديث العادي (1). فالمثل الشعبي عبارة قصيرة تلخص حدثاً ماضياً أو تجربة منتهية وموقف الإنسان من هذا الحدث أو التجربة في أسلوب غير شخصي وأنه تعبير شعبي يأخذ شكل الحكمة التي تبني على التجربة أو خبرة مشتركة (2) ومن معاني المثل أيضاً الوجود الحسي الظاهر أي ما ينطبق على المشاهدة والرواية، وعلى هذا الأساس يتخذ المثل نهج المحاكاة، لكن المحاكاة لا تعني بالضرورة أخذ الواقع على علته، وإنما إجراء اختيار فيه يستند إلى قواعد واضحة، ومعايير محددة (3) هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن المثل ارتبط منذ زمن بعيد حتى اليوم بمفهوم الحكمة والقول المأثور، ودخل في الرواية والمشافهة وفي موروثات الشعوب، ومن هذا المنطلق أصبحت دراسته من بين أهم المصادر التي تساعد على اكتشاف التمثيل الاجتماعي للحكمة. ومما لا ريب فيه أن معاني المثل المتنوعة تبرز قيمته - الحقيقية والوظيفة التي يؤديها، ولماذا اختاره الناس وسيلة للتعبير؟ (4).

2-1-3 خصائص وصفات المثل الشعبي: يتميز المثل بخصائص وصفات متعددة

تتوزع بين صفات أدبية ولغوية وفنية، وتكون شرطاً أساسياً له وتسهم في تحديده وتبين على نحو واضح سر ذيوعه وانتشاره وديمومته، ويأتي في مقدمة هذه الصفات إيجاز اللفظ فالمثل صيغة لغوية تميل من غير إخلال بالمعنى إلى الإيجاز والقصر (5).

(1) التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1990 - ص 366

(2) نفسه: ص 366 - Salah Mohamed ouinissi: proverbes et devinétés chaoius e1-enag-Alger-2002-p1

(3) التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير الشعبي - ص 366 - فوزية لراي: صورة من القصة - مراجعة وتنقيح نفيسة الأحرش -

ط 1 - المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة - الجزائر - 2002 - ص 09

(4) د. زاهي ناضر: أمثالنا العامة - ص 24

(5) نفسه: ص 24

وأنة زبدة اختبار طويل مفرغة في قالب صغير، ويمكن القول بطريقة أخرى أن المثل اقتصاد لغوي. ولهذا دلالة عند الألسنيين، ويبدو أن المقصود هو التعبير عن الفكرة في أضيق حيز ممكن، باعتبار أن خير الكلام ما قل ودل (1)، ويبلغ الاختصار الشعبية حدا جعل المثل الواحد يكاد نصه يقتصر على كلمة أو كلمتين أو ثلاث كلمات، وهذا النوع من الأمثال يتصف بالبلاغة؛ لأن الإيجاز كما هو معروف سمة أساسية من سمات البلاغة، ووسيلة من وسائل الإيضاح في الحديث وبلوغ القصد من الكلام، وبقدر ما يكون المثل بليغا بقدر ما يسهل حفظه وتناقله بين الناس، ويحدث أثرا في ذهن السامع (2). والخاصية الثانية الواجب توافرها في المثل إصابة المعنى، وهي شرط من شروط بقاء المثل وتناقله بين الناس، ولا تتم إصابة المعنى إلا باللجوء إلى صيغ أدبية ولغوية تحقق تلك الغاية، لذلك ذهب بعض مؤلفي العرب على القول أن أصل معنى المثل الاشتقاقي هو العرض في صورة حسية (3). فالصورة تخاطب الحواس والانفعالات والخيال أكثر مما تخاطب العقل والمنطق (4)

2-1-4 طبيعة الأمثال الشعبية: ركزت بعض تعاريف المثل الشعبي على المضمون وبعضها على الشكل، والبعض الآخر على الوظيفة يلاحظ أن المثل الشعبي يتجنب أسلوب الوعظ والتوجيه، وينصب على المعنى بدون محاولة التحذير من العواقب، والنتائج التي يتوخاها القصاص الشعبي، ذلك أنه يطرح قضايا اجتماعية قد تختلف في واقعيتها أو عدم واقعيتها، ولكنها تأخذ صورة القضايا الاجتماعية ولو شكليا. ومن خلال القراءات المتعددة للمثل الشعبي أنه يركز على السلوك عندما يواجه موقفا ما.

(1) د. زاهي ناصر: المرجع السابق - ص 24

(2) زهايم رودلف: الأمثال العربية القديمة - ترجمة رمضان عبدالنواب - مؤسسة الرسالة - بيروت - 1971 ص. 26

(3) د. زاهي ناصر: أمثالنا العامة - ص 24

(4) زهايم رودلف: الأمثال العربية القديمة - ص 22

يتنوع المثل الشعبي في التعبير، وبالتالي يبدو من شكل بعض الأمثال أنها متعارضة أو يناقض بعضها البعض (1). بالإضافة إلى ذلك فالمثل الشعبي أقوى تأثيراً في العلاقات الاجتماعية، وألصق بحياة الناس حتى الآن، ومرد هذه الظاهرة أن المثل الشعبي لا يعالج قضية اجتماعية مرتبطة بظروف محلية معينة مثل القصة الشعبية، وإنما يركز على السلوك الإنساني في ظروف وحالات متغيرة سواء كان السلوك فردياً أو جماعياً، وارتباط المثل بالسلوك يعني الاهتمام بالفروق الفردية بين الأشخاص والجماعة (2)، ذلك أن ميول الناس ورغباتهم باقية ومستمرة، وإن تكيفت مع الظروف الاجتماعية. أو تعدلت حسب المواقف التي يوجد فيها الفرد والجماعة، والفرق واضح بين في القصص والشعر معا، فالقصيدة الغزلية على سبيل المثال قد تحتفظ بتأثير مدة أطول من شعر الحماسة أو شعر الرثاء لارتباط موضوع الغزل بعاطفة أقوى وأبقى، بينما لا تحافظ على قصيدة الحماس على نفس التأثير، لهذا قيل المثل الشعبي أهم من الشعر والقصة، وأقرب إلى الصدق في التعبير عن الظواهر الاجتماعية؛ لأنه لا يهتم بالظاهرة في حد ذاتها، وإنما يهتم بالسلوك الكامن وراء الظاهرة، لهذا يلاحظ أن المثل الشعبي يستخدم صيغة الفرد بكثرة وخصوصاً اسم موصول اللي، ولا يستخدم صيغة الجمع إلا قليلاً، وتعليل هذه الظاهرة واضح إذ ليس هناك قضية اجتماعية في طرح المثل، وإنما هناك دوافع سلوكية تطبق على الجماعة كأفراد لا كمجموعة (3). ويقول بعض الباحثين أن المثل الشعبي هو كثر أدبي واجتماعي في بنك الذاكرة لكل الأمم تدخره لأجيالها اللاحقة، وهو تجربة في مختبرات الأدب الشعبي تتذكره الأجيال وتستعين به للتغلب على صعاب الحياة (4).

(1) التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي - ص 107

(2) نفسه: ص 107

(3) نفسه: ص 107

(4) فوزية لرايدي: المرجع السابق - ص 09

وتتخذة معلما ونبراسا قهتدي به، وتستفيد منه عند كل امتحان يستشهد به الخطباء في كل محفل، ويرصع به الأدباء والشعراء قصصهم وأشعارهم، وهو إلى جانب القصة الشعبية والشعر الشعبي، وألوان أخرى يكون الخزان الذي لا يفنى والمعين الذي لا ينضب والذي يرجع إليه الرواة والمثل الشعبي يظهر أول ما يظهر إثر حادثة أو موقف لأحد الأفراد، فيقوم باختصاره في جملة أو جملتين، أو في بيت شعري ومتى توافق جرس اللغة واستساغته الجماعة تبنته ثم ينتقل إلى الجمهور العريض الذي ليس له حق اختراع (1). والأمثال الشعبية عادة ماتكون نتائج لقصة شعبية، أو حكاية شعبية.

2-1-5 الأنماط والصيغ التي يرد فيها المثل:

الأنماط اللغوية: تكتسب الأنماط اللغوية أهمية خاصة؛ لأنها تكشف عن جوانب هامة من مكونات الذهنية الشعبية، ويلاحظ فيها الإنسان العامي ينبض بوجدانه ويعواطفه، ويعبر عن قناعاته ومعاييره ومثله التي تشكل نظرته إلى الحياة (2)، وهي تركز في قسم كبير منها على علاقات التباين أو اللقاء أو التجاوز بين الواقع والمثل الأعلى، وأول مايلفت أن الأمثال تتجه باستمرار إلى مقارنة الأشياء بمثلها الأعلى، وقد يكون هذا الاتجاه دليلا على نزوع العقلية الشعبية إلى المثالية أو إلى ربط الواقع بالمثل الأعلى (3)، والمثل الأعلى بالنسبة للنص لا يتزل من السماء، وهو يعني بكل بساطة أي شيء يكون قائما أمام الذهن، ويشكل موضوعا للمثل، وينطبق على الواقع. فالمثل الأعلى هو إذن من صميم الحياة نفسها، وغودج واقعي ممكن التحقيق. إذ أحيانا يتكون من التجربة والعمل، أي من اتصال الإنسان بالأشياء وسلوكه تجاهها (4).

(1) فوزية لراي: المرجع السابق - ص 09 - هذه مجموعة أمثال شعبية دونتها عن كبار السن وشيوخ قبيلة حيان

(2) د. زاهي ناضر: أمثالنا العامة - ص 31

(3) نفسه: ص 32

(4) نفسه: ص 33

ولهذا يتوجب الكلام على منشأ واقعي تجريبي للمثال، أي أن التجربة هي مادة المثل الشعبي وموضوع له. والمثال في تجاوب مستمر مع الواقع والممكن، وهذا التجاوب لا يعني أخذ الواقع على علاته (1)، وإنما إجراء اختبار على أسس محددة، وانطلاقاً من الوضعية الشعبية، وتظهر واقعية المثال من ارتباطه بظواهر طبيعية أو حيثيات مجتمعية وإنسانية محددة، ويفصح النص عن هذا الارتباط باللجوء إلى الإحالات التاريخية والجغرافية والأسرية والفردية، وإلى الظواهر التي تحدث في الواقع المعاش، ومن بين الأنماط اللغوية: النمط القائم على المبالغة والمفاضلة، وعلى التشبيه وهو أكثر الأنماط اللغوية المستخدمة في الأمثال الشعبية، والمناظرات الكلامية أو النمط المشهدي الفكاهي (2).

2-1-6 الصيغ اللغوية: إن الصيغ اللغوية هي ملامح أصيلة في اللغة الإنسانية وهي بصفة عامة تعمل تحت مستوى الوعي، وتمثل دوراً دلالياً هاماً في إنتاج المعنى والتأثير الجمالي، وفي التعبير عن المواقف الوجدانية، وقد يتنوع بعض الأمثال في صيغته لكن يظل المضمون بدلالته وغايته واضحاً في بنية المثل (3)، وهذه فيما يلي أبرز الصيغ التي توجد بكثرة وغزارة في الأمثال الشعبية مع التركيز على دلالتها من وجهة النظر السيكلولوجية. صيغة افعّل التفضيل التي كانت شائعة في الأمثال الشعبية القديمة وتستخدم في الجملة المثلية للمبالغة في التشبيه أو للإشارة إلى الحالات التي يرقى فيها الواقع فيتجاوز المثل أو النموذج أو الحد المألوف ويعتمد عليها أحياناً للمقابلة أو المفاضلة بين أمرين أو ووضعتين (4). بالإضافة إلى صيغة التفضيل هناك صيغ أخرى كصيغة الأمر والنهي وصيغة الاخبار العادي، ثم الاستخبار والاستفهام والدعاء والتمني.

(1) د. زاهي ناضر: المرجع السابق - ص 34

(2) نفسه: ص 34

(3) نفسه: ص 35

(4) نفسه: ص 36

2-1-6 نماذج من الأمثال الشعبية:

الدخن ولا طافية: معناه الشيء القليل، أفضل من عدمه.

ضربة بالفاس ولا عشرة بالقدوم: يجب حمل كمية كبيرة من شيء ما مرة واحدة أحسن من حملها عدة مرات.

دجاج الرحلة يبات مكتف: ومعناه الشخص الذي يريد أن يسافر إلى مكان ما يجب أن يهيأ نفسه ليلة السفر، ولا يترك ذلك إلى الصباح، وجاء هذا المثل نتيجة حدث وقع للبدو الرحل الذين كانوا يتنقلون باستمرار مثل قبيلة بني عامروحميان، فكانت تقوم المرأة البدوية العامرية والحميانية عندما يحين وقت الرحيل، تقوم بربط الدجاج ليلا قبل فترة الرحيل، حتى لا يضيع الدجاج الوقت للرحل، وحتى لا تتم مطاردته والجري من ورائه.

راح يجيب السكة طاح في لقمار: ويطلق هذا المثل على الشخص ثقيل الحركة وجاء هذا المثل في شكل حكاية شعبية واقعية عن شخص أرسلته جماعة أن يأتي بسكة اخراث اليدوي، فقد تباطأ وعند عودته ويده السكة، وجد جماعته تقوم بعملية الحصاد امرأة بلا ولاد كي الخيمة بلاوتاد: ويدل هذا المثل على المرأة التي لم تلد، وتعاني من العقم، وشبهه صاحب المثل التي لا تلد كالخيمة التي تنعدم فيها الأوتاد، وبالتالي لا يمكن بناء الخيمة بدون أوتاد.

لا تضرب حتى تقرب ولا تصحب حتى تجرب: ويدل هذا المثل على أنه لا يقبل شخص ما على شيء، حتى تعرف حقيقته.

امشي مع الطريق اذا دارت، وادي بنت عمك اذا بارت: يدل هذا المثل على تفضيل الزواج من بنت العم، خاصة إذا دخلت مرحلة العنوسة

أنا نقول له داري خالية وهو يقول لي شحال اولادك: ينطبق هذا المثل على الشخص الغبي البليد.



الخاليها الطاويها الراقد فوقها: ويدل هذا المثل على الشخص الكسول والخامل، الذي لا يعمل ولا يكد، والذي لا يريد أن يجهد نفسه

لي حوس على حمار خالته إذا لقاها يغني وإذا ما لقاهاش يغني: وينطبق هذا المثل على أنا نقوله داري خالية وهو يقول لي شحال اولادك: ينطبق هذا المثل على الشخص الغبي البليد. الشخص المهمل غير المبالي.

جايت خيمتها حاذقت الدوار: وينطبق هذا المثل على المرأة التي تتكاسل وتتقاعس في خدمة بيتها، ولكنها نشيطة وحازمة في خدمة بيوت الآخرين.

اللي حرثه الجمل دكه: وينطبق هذا المثل على الشخص الذي لا يتقن عمله، ويضطر إلى إعادته، وتضمن المثل اسم حيوان وهو الجمل، والجمل لا يستخدم في عملية الحرث، وإذا ما استعمل في الحرث، فإن قدم الجمل من الأسفل ملساء، فكلما قام بعملية الحرث، إلا وقدمه تمحو خط الحرث، وهذا المثل كثير التداول بين أفراد قبيلة حميان، وعادة ما يوجه هذا المثل إلى الأبناء وكل من لا يتقن عمله.

اضرب الحديد مادامه حامي: استخدمت في هذا المثل صيغة الأمر، ويدل على ضرورة استغلال الفرصة عندما تكون مواتية، وفي حينها ولا تترك الفرصة تضيع.

اللي دارته المعفونة ياكلوه اولادها: وينطبق على المرأة غير النظيفة، والذي يأكل طعامها سوى أبنائها وزوجها، وينفر الآخرين من طعامها إذا علموا بقذارها.

اللي تلفته أجريه: ويدل هذا المثل على عدم تضييع الوقت، خاصة إذا كان مكلف بمهمة بالإضافة إلى السرعة والتنفيذ في انجاز عمل ما.

الهدرة والمغزل: فالشخص إذا كان يتكلم ويعمل عليه أن يقرن العمل بالكلام.

الفم المبلع ماتدخله ذبانه: وهذا المثل له دلالة تربوية وأخلاقية، فالشخص الذي يكون جالسا بين جماعة، ولا يعرف أفراد هذه الجماعة، فعليه بالسكوت أفضل من أن

يكثر من الكلام إلى حد الشرثرة، التي ماتؤدي إلى القذف في أعراض الناس، وتدفع بالشخص إلى الغيبة، أو ربما تؤدي إلى إيذاء شخص بين الجماعة عن غير قصد، وقد شبه صاحب المثل الفم المغلق لا تدخله الذبابة بالسكوت والصمت.

ما يحس بالجمرة غير المكوي بها: الجمرة هي بقايا النار والنار حارة، فلا يشعر بحرارة الجمرة إلا الذي اكتوى بهذه الجمرة، ويدل هذا المثل على الشخص الذي يعاني من مشكلة أو قضية ما تكون صعبة الحل، فلا يشعر بثقلها إلا الذي يشكو منها، ولا يشعر بها غيره*.

الكبش ما يعيا بقرونيه: ويدل هذا المثل على الشخص الذي يريد السفر في فصل الشتاء إلى مكان بعيد، ولا يرتدي ملابس الشتاء التي تقيه برد وقساوة الشتاء كالمعطف أو الجلابة فعليه بحملها حتى لو لم يرتديها، وشبه صاحب المثل الشخص الذي يرتدي ملابس الشتاء التي غالبا ماتكون ثقيلة الوزن، بالكبش الذي يتحمل ثقل قرونيه الملتوية.

كثير لصاحب يبقى بلا صاحب*: ويدل هذا المثل على أن الإنسان يجب أن يختار رفيقا واحدا الذي يقف معه في السراء والضراء، ويتجنب تعدد الأصدقاء؛ لأن الكثرة لا فائدة منها، وقد جاء هذا المثل من حكاية شعبية قيل أنها واقعية.

الشركة هلكة*: ويدل هذا المثل على المساهمة مع الغير في مشروع ما، وما يترتب عنه بعد ذلك من خسارة، التي ماتؤدي في غالب الأحيان إلى حد الصراع بين الشريكين.

2-1-7 دراسة الأمثال الشعبية عند قبيلة بني عامر وحميان: لقد اخترت

حوالي إحدى وعشرين مثلاً شعبياً الأكثر تداولاً بين أفراد قبيلة بني عامر وحميان، التي استخدمت فيها مفردات وألفاظ محلية، ذات دلالة تتعلق بالبيئة الاجتماعية التي يتفاعل فيها العامري والحمياني، تتكون هذه الأمثال الشعبية المختارة من حيث الشكل من كلمتين إلى ثماني كلمات، وإذا كانت بعض الأمثال سجعية، فإن الأمثال الشعبية المختارة ليست كلها سجعية، منها السجعية وعددها ثمانية مثل اللي تلفته أجريه، اللي حرثها الجمل دكه، أما من حيث الصيغ اللغوية، فهي متنوعة، منها الصيغ الدالة على الأمر والنهي مثل أضرب الحديد مادامه حامي، أمشي مع الطريق إذا دارت، وادي بنت عمك إذا بارت وهذه الصيغة اللغوية التي وردت في المثل أضرب الحديد مادامه حامي هي بقصد النصيح، وفي الجملة الثالثة بقصد الارشاد، وهناك جمل جاءت في صيغة الاخبار العادي مثل أنا نقول له داري خالية وهو يقول لي شحال أولادك، اللي حوس على حمار خالته، إذا لقاه يغني وإذا ملقاهش يغني، وقد جمعت هذه الجمل بين المؤلف والمعروف والمتعارف عليه، وتشغل صيغة الاخبار العادي عادة وظيفة تعليمية مثل الهدرة والمغزل.

• تتناول الأمثال الشعبية المتداولة عند بني عامر وحميان قضية المعاملة الاقتصادية كالشركة هلكة، حيث يقدم هذا المثل صورة سلبية عن كل ما يتعلق بنتائج المشاركة الجماعية في عمليات استثمار الممتلكات واستغلال الأموال، ويشكك في الجهد الجماعي والعمل التعاوني، ويكشف عن مواقف تتميز باللامبالاة، وبالمقابل فإنه يدافع بشكل واضح وصريح عن الملكية الشخصية، وعن التفرد بالمصلحة، ويدعو هذا المثل إلى الاستقلالية في العمل والتدبير، والواقع أن العمل المشترك يفرق ولا يجمع والشراكة تؤدي عاجلاً أم آجلاً على تضارب المصالح، ومن ثم إلى المنازعات والاختلاف.

وعلى ما يظهر من المثل أن العمل المشترك يضر أكثر مما ينفع، ففي الشراكة يلقي كل تبعات الأمور على صاحبه الأمر الذي يؤدي إلى فساد الأشياء.

• أما الأمثال الشعبية التي تعالج قضية الزواج الداخلي القرابي مثل امشي مع الطريق اذا دارت، وادي بنت عمك اذا بارت يحمل هذا المثل موقفاً من الزواج الداخلي القرابي، وهو موقف يسند الزواج الداخلي ويرره، ويعتبره الأفضل، لأنه يصون وحدة العائلة، ويحفظ تجانسها، ويتبدى هذا الاعتبار في هذا المثل الذي يدعو إلى تقديم الفتاة من الأقارب مهما تكن وضعيتها الاجتماعية عن الفتاة الغريبة.

• أما الأمثال الشعبية التي تعلق بالإنجاب، ويحدد هذا المثل بوضوح كل ما يرتبط بهذه الأمور من أعراف اجتماعية، ومقولات تعترف بأحكام القيم، كما يكشف المثل في الوقت نفسه عن جوانب هامة من مكونات الثقافة الشعبية، إن مفهوم العائلة كما يبدو من خلال هذا المثل يتصل بتعظيم قدر السلالة، ويرتكز على علاقة التلازم بين الزواج والإنجاب، والواقع أن المجتمع لم يكن يتقبل زواجا بدون إنجاب أو ذرية، ويفضل العامة الإنجاب المبكر، وكان يمقت المرأة التي لا تنجب، وشبهها بالخيمة بدون أوتاد، بحيث لا يمكن أن تنصب الخيمة بدون أوتاد.

• أما الأمثال الشعبية التي عالجت موضوع اختيار الصديق في العلاقات الاجتماعية، فإن المثل لا تضرب حتى تقرب، ولا تصحب حتى تجرب، يتفق هذا المثل مع وجوب التأني في اختيار الصديق، ومن المستحسن أن يحصل هذا الاختيار على أساس بعض المعايير والاعتبارات مثل التوافق والتجانس، وبعد العشرة والاختبار، ومن المؤلف أن يحصل التوافق أو التجانس على أساس التماثل والتناظر، أي عندما يكون الطرف الآخر نظيراً.

2-1-8 الحكاية الشعبية التي لها علاقة بالمثل الشعبي: كثير لصحاب يبقى

بلا صاحب أو حول الشخص الذي يتميز بتعدد الأصدقاء. قال لك واحد كان عند شحال* من صاح، فيهم السلطان واحد النهار بغى* يجربه اباه، قال له يا ولدي راني ذبحت واحد وراني مكفنها ومغطيه وراه في الخالفة، روح* لصاحبك وقول ليهم راه ابا قتل واحد ورواخوا عاونوه، الصاحب للي يمشي له يقوله انا خاطيني* اباك قاتل ومجرم وحننا بغيتنا نعاوننه، جا الولد مولي لاباه وقال له صاحبي ما بغاوش يجو يعاونوك في ازمتك، قال له اباه روح عند فلان وهو صاحب اباه، وقول له ابا راه قاتل واحد كي وصله وقال له جا صاحب اباه يجري، كي وصل قاله انا ما قتلت حتى واحد، وقلع الغطى على الكبش وشواه هو وصاحبه وكلاوه اب ذلك الولد كان متزوج بنت عمه وامراة اخرى برانية عليه، المرأة بنت عمه كي سمعت ولد عمها قتل قعدت تبكي وحاييره على ولد عمها والمرأة الأجنبية قالت له كي يجي السلطان نخبرها، كي سمع السلطان خبر القتل جا ومعه صاحب الحكم، كي رقبو* وصلوا خرجت المرأة البرانية وقالت للسلطان يا سيدي راجلي* قتل واحد، وبغى القاتل يهرب فوق عودها*، حرن* به العود لخطرش ولد عودة شارف، حتى لحقوا عليه السلطان وقبضوه، وراهم بلي ماهوش مقتول حقيقي ولكن كبش ذبحتها كي ولي السلطان، قال لولده كثير لصاحب يبقى بلا صاحب والمرأة البرانية لا تامن فيها والعود ولد الشارف لا تكسبه؛ لأنه يعجز عن الجري وعكس الحصان ولد الفرس صغيرة السن.

شحال: معناه عدد كثير من الأصدقاء رقبو: عندما ظهوروا

راجلي: معناه زوجي

*حرن: معناها عجز عن الهروب والجري

بغى: أراد روح: اذهب* رواخوا: معناها أقدموا على مساعدته

*خاطيني: معناها لست مسؤولا على ما ارتكبه أبوك من جريمة قتل، ولن أكون شاهدا على هذه الجريمة.

2-1-9 الحكاية الشعبية التي لها علاقة بالمثل الشعبي: اخدم الشاقي

للباقى: قال لك واحد الخطرة* كان واحد يخدم الليل مع النهار، ومكانش يريح وكان داير مطمورة في خيمته، كان يدس فيها الدراهم لي يقبضهم، وكان حارم مراته واولاده من الماكلة والكسوة، وكان واحد السيد* يشوف كيكان* ذات الرجل يخدم، وماهوش متهلي في روحه. وكان يدي مراته خطرة في العام لدار اباه. واحد خطرة مات ذاك الرجل، ومشى ذاك السيد لكان يتبع فيه ويشوف فيه، يخطب مراة ذاك الرجل لي مات اعطها له اباه ومن بعد خمسطاعش انيوم من زواجه بذيك المراة، دها لدار اباه، وكان خطرة يخدم خطرة مايخدمش، ولي يقبضها ياكله مع ذيك المراة واولا ليتامى، وكان يكسيها ومتهلي فيها مع ذوك اولاد، واحد نهار قد ذاك السيد يسول في روحه، قال بحالك ذاك الرجل مخلاش الدراهم وين كان يديرهم، واحد الخطرة ادها لخميمة اباه ووجي موالي وقعد يفتش حتى لقي المطمورة في الخيمة عامرة درايم، ادامن* ذوك الدراهم، واشرى لمراة الكسوة واولادها، وعمر قفة نتاع مصروف، ومشى خيمة نسييه، فرحت به مراته، وانسابه وقالوا هذا الرجل كريم، خير من لاول اللي كان بخيل، وبعدهما جات المراة لخميتها وقعدت ايامات، قالت لرجلها الزاوج* يافلان انت تخدم إي خطرة في الشهر. وتريح شحال من شهر وراك متهلي* وفي اولادي، انت خير من راجلي لاول كان بخيل ماهوش متهلي حتى في روحه، ومن كثر عليه تسوال، قال ليها اروحي نوريك وراها المطمورة عامرة درايم وقعد عايش فيها مع مراته والاولدها لاخدمة لا والو. وقال ليها اخدم الشاقي للباقي

* الخطرة: معناها ذات مرة، أو في يوم من الأيام، وفي بعض الأحيان يستخدم الراوي في بداية القصة، واحد النهار ويلاحظ أن القصيدة الشعبية أو الحكاية الشعبية مجهولة الزمن والمكان.

* السيد: معناه الرجل، وليس السيد الذي يقصده الرئيس أو المشتق من السؤدد، ويستعمل الراوي تارة بنى ادم، وبنو نادم. * ادامن: معناها أخذ قسطا من الدراهم* الزاوج: معناه الرجل الثاني* متهلي: معناه الاهتمام بشخص ما

وعيش يا مستراح. ويلاحظ أن المثل الشعبي نسجت حوله حكاية شعبية، أو أن المثل قد استخلص من هذه الحكاية الشعبية. ويبدو من خلال نص الحكاية أن هذه الأحداث قد سبق وأن حدثت في الواقع، ولا تزال تحدث ولكن الراوي نقل هذه الوقائع متجاهلاً عامل الزمن والمكان لأن وقائع هذه الحكاية يمكن أن تقع في أي مكان وفي أي زمن. تبدأ الحكاية بقال لك، بفعل ماضي قال وبقول شخص مجهول لك الذي ذكر يوماً غير معلوم ومحدد من أيام السنة، واستخدم الراوي فعل كان فعل ماضي ناقص، واستعمل كلمة واحد معناه شخص. واحد وهو مجهول في الحكاية، الذي كان يعمل ولكن لم يحدد الراوي طبيعة ومجال عمل هذا الشخص المجهول، ولم يحدد سنه هل هو كهل أو شاب، ولم يذكر نوع العمل أو الخدمة التي كان يقوم بها في النهار وفي الليل. بالإضافة إلى الأمثال الشعبية، فإن قبيلة بني عامر وحميان التي تنتسب إلى عرب بني هلال كانت تزخر كذلك بفنون شعبية أخرى كالرقص والغناء والموسيقى للترويح عن النفس في المناسبات والحفلات عند بني عامر وحميان إلا أن المحكي منه من حكم وأمثال تظهر صورتها معتمة غير واضحة، تتأرجح بين العطف والحنان والمدح والتحقير والتهميش أحياناً، خاصة إذا كان الكائن غير مصنف ضمن الهرم الاجتماعي البدوي ضمن منظور برغماتي الذي لا يعترف إلا بالعنصر المنتج (1).

3- الرقص والغناء: تؤدي الرقصات الشعبية الخاصة بالرجال والنساء في المناسبات مثل مناسبات الزواج والأعياد، ورقصات النساء أقل تنوعاً من رقصات الرجال، فللرجال رقصات متنوعة منها الرقصة الحربية، وتؤدي في الاحتفالات كالزواج، وهي مقترنة بالحرب في مجتمع الدراسة، فهي تقام عند الاستعداد لحرب (2). كما كانت تقام عند الانتصار

(1) د. زاهي ناضر: المرجع السابق - ص 34

(2) دة زسهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 236

في الحرب* وعودة المحاربين، وأيضا تقام في الأفراح والأعياد(1). الرقص هو فن وملكة طبيعية يمتاز بها الإنسان عن غيره من الكائنات الحية، فكل إحساس مجسد في حركات يتحرك التعبير فيها من خلال استلهامات واندفاعات الجسد، فيبرز نظام حركي يتحول في دائرة إحساسات ذات شكل إيقاعي(2)، وفي القديم كانت للشعوب البدائية صلة وثيقة بحياة الحيوانات، حيث كانت تصطاد الوحشي منها، وبالتالي نشأت رقصات يقلد الصيادون فيها رقصات الحيوانات، وهم محتفون وراء أقنعة يمكنهم من الاقتراب من الحيوان(3)، وعرف هذا الشكل من التعبير رواجاً وانتشاراً في الحضارات القديمة وفي القرون الوسطى، وشيئاً فشيئاً استطاع الإنسان أن يسيطر على هذه الهبة من الطبيعة محولاً ومطوراً إياها إلى صناعة فنية ذات شكل مدروس. ويعتبر الرقص أقدم الفنون إلى جانب الموسيقى والغناء، ومن خلال الصور والرسومات الصخرية يتضح أن الرقص كان يمارس(4)، تمتاز كل رقصة بميزاتها الخاصة حسب كل منطقة ولكن يلاحظ أن هناك تجانساً في الأنواع بين المناطق ويعود سبب ذلك إلى الترحال بالنسبة للبدو. فمماهي أنواع الرقصات والغناء عند بني عامر وحميان؟ يجهل أنواع الرقصات الشعبية عند بني عامر وحميان في القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي، وحتى المصادر التاريخية لم تشير إلى نوع الرقص عند العرب سواء بالنسبة للرجال أو النساء، بينما الغناء عند عرب بني هلال التي انتقلت واستقرت بالمغرب الإسلامي في القرن الخامس(5).

* كانت الحرب دائماً على أماكن الرعي والماء، وارض القبيلة إذا تم الاعتداء عليها من قبيل آخر.

(1) دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق-ص 236

(2) إبراهيم بملول: فن الرقص الشعبي في الجزائر- ترجمة أسماء سيفاوي ج 1- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر د. ت. د ص 32

(3) نفسه: ص 32- عاشور سرقمة: الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات- دار الغرب للنشر والتوزيع- 204- ص 20

(4) د. عبدالله ركيبي: الشعر الديني الجزائري- ط 1- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر- 1981- ص 35

(5) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب- ص 248- السلاوي: الاستقصا- ج 3- ص 54-

الهجري ومن بينهم بني عامر وحميان أهل المدر فأشعارهم موروثة عن أعراب الحجاز منذ أحقاب (1) وأجيال خلت. وقد تمسكوا بالمحافظة على سلامتها. ويبدو أن بربر إفريقية اقتبسوا منهم طرائق الغناء والإنشاد، ومن عادتهم أنهم إذا صاغوا قصيدة من أي نوع كان كان، فإنهم يتكفون من الانتساب إلى قول الشعر، ويتحاشون من الإنشاد بأنفسهم وينشده لهم بعض عبيدهم ذوي الخناجر الشجية في محافل الأعراس ومواكب الأفراح مصحوبين بعازفي الشبابات ودقاقي الطبول وبزعم حسن حسني عبد الوهاب أن هذا من التقاليد العربية في الجاهلية والعصر المخضرم في الإسلام (2). وبجانب ذلك يسمي العرب بنوع غريب من العزف الرمزي يعرف عندهم بطرق الصيد ويشبهه البعض بالمسفونيات في العصر الحديث، وكانوا يستخدمونه عند صيدهم للأسود (3) وكثيرا ما كانت تتحول الوقائع المادية بين القبائل العربية وغيرهم من الجماعات المعادية إلى ما يسمى في العرف الحديث بالحرب الباردة وينهض بها غالبا القادرون على التفنن في القول (4). فالرقصة التي كانت تمارس هي رقصة العلاوي التي تتميز بطابعها الحربي، إذ كانت تعبيرا عن مختلف مراحل القتال يتسلون بها بعد كل عودة من معركة ظافرة. فيتعاطى هؤلاء الجنود حاملين سيوفهم وبنادقهم إلى عروض متفنة ومنسقة، واثين مرة على خط مستقيم، وأخرى على شكل دائرة يضربون الأرض ضربات متتالية بالرجل اليمنى، متبوعة باليسرى، يتوقفون تارة، ثم ينطلقون إلى الأمام ثم إلى الخلف في حركة اهتزازية مستمرة للكتفين أي سلسلة حركات تسيرها إشارة الرئيس المزعوم للفرقة، وترافق هذه الرقصة موسيقى على الآلات

(1) حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية ص 254 د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: المرجع السابق ص 252

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب - ص 248 - السلاوي: الاستقصا - ج 3 - ص 64 - حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن

الحضارة - ص 253 - 254

(3) ينظر إلى ورقات من الحضارة - ص 254

(4) عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي - ص 90 - 91

النفخية مثل القصبة أو الغايطة، بينما يمسك البندير والقلال الإيقاع (1). ويبقى الاختلاف في الأسلوب بين مناطق غرب الجزائر، ويلاحظ هذا في الأداء السريع أو البطيء الذي يمكن ترجمته في المصطلح العسكري بالهجوم أو الدفاع، بحيث تمكن خاصية الحركة من تجديد الطريقة المتبعة في الرقصة. وتخضع هذه الحركات والخطوات إلى تسميات مثل قدرية ونصرية والبونيط (2). يبلغها الرئيس إلى الفرقة بأصوات كالمواء لا يفهماها إلا المؤدون، فيغيرون الصور والأشكال الحركية وهناك نوع آخر مشتق من العلاوي، إلا أنه لا يعتبر من نفس الصنف لما اكتسبه من صبغة دينية وهو المدح تؤديها فرقة، وترافق هذه الرقصة مدائح في حمد الله تعالى والصلاة على رسوله، تمتاز باستعمال الآلات الإيقاع التي توزع على جميع الراقصين (3)، وكما تختلف الآلات المكونة للجوق يختلف اللباس أيضا من منطقة إلى أخرى في غرب الجزائر ففي منطقة النعامة والبيض وسعيدة وسبدو يفضلون العمامة البيضاء والعباءة الفضفاضة المكمنة، بينما في منطقة عين تموشنت وسيدي بلعباس يتميز لباسهم بالعمامة الصفراء الضيقة الكور، ويرتدون عباءة زرقاء اللون مشدودة على الخصر، تخرقها فتحتين جانبيتين أسفلها ولا أكمام لها. بالإضافة إلى رقصة العلاوي التي يمارسها خصوصا أهل البدو من بني عامر وحميان في المناسبات والاحتفالات، فإن هناك رقصة أخرى وهي رقصة القرقابو التي أدخلها سكان توات المهاجرين إلى منطقة النعامة خاصة من السود (4)، نتيجة العلاقات التجارية الوطيدة التي كانت تربط بين منطقة توات والنعامة. وتوظيف أهل توات في الزراعة بالقصور، وارتباط بعض من فروع بني عامر وحميان بالطرق الصوفية المنتشرة في الصحراء مثل الكرزازية

(1) إبراهيم بلول: فن الرقص الشعبي - ص 33 - عاشور سرقمة: الرقصات والأغاني الشعبية - ص 18

(2) نفسه: ص 33

(3) عاشور سرقمة: الرقصات والأغاني الشعبية - ص 19

(4) نفسه: ص 19

والزبانية، ولا شك أن بني عامر وحميان قد تأثروا بهذا الفن الشعبي بسبب التفاعل بينهم وأهل توات ويطلق على هذه الرقصة في منطقة تيديكلت اسم داراني وتعود أصول هذه الرقصة الشعبية إلى عهد الرسول (صلع). ومن بين الآلات التي تستعمل في هذه الرقصة الشعبية هي الدندون (1) وكذلك القلال والقراقيب*، وربما يرجع اشتقاق تسمية هذه الرقصة من صوت تلك الصفائح الحديدية التي تحدث قرقة. ويبدو أن الذين يؤدون هذه الرقصة في منطقة النعامة هم من السود والخراطين، ويسمون بأولاد العبيد (2)، وهم يتوارثونها أبا عن جد، وهم يسمون كذلك بأولاد سيدي بلال. أما الأغاني التي تتردد فيها فإنها عبارة عن ذكر الله والرسول والصحابة والأولياء وغيرها بطريقة تتماشى مع الإيقاع، وهي تتجلى في الريثم البطيء، أما الريثم السريع فتتردد فيه بعض الأبيات مثل: يالساهلة يابوقمه أبرينكال العيون (3). وهي كلها أسماء مناطق، وهناك موسم محدد تتجول فيه هذه الفرقة، لتدخل البيوت الموجودة في القرية أو المدينة، وفي كل بيت تؤدي مجموعة من الأغاني، ومن الطقوس الغريبة التي تمارسها الفرقة، هي أنه إذا كان لدى العائلة التي يزورها ابن أو بنت مريضة، فإنها تضعها وسط الحلقة، ويدور أعضاء الفرقة حولها أو حوله، وهم يؤدون أغانيهم، ثم بعد ذلك يطلقون على الولد أو البنت بنت سيدي بلال، وهي كلها تدل على أن هذا الولد أو البنت أصبح واحدا منهم، ويعتقدون أنه سيشفى بتلك الأذكار الدينية، وتقوم هذه الفرقة في تجوالها بجمع القمح

(1) الدندون: آلة تقليدية دائرية الشكل وضع عليها الجلد من جهتين، ويضرب عليها بعضا خاصة،

* القراقيب: هي عبارة عن صفائح نحاسية، ذات شكل خاص يتم العزف بها بضرب بعضها على بعض

(2) عاشور سرقة: الرقصات الشعبية - ص 33

(3) نفسه: ص 47

4- الشعر الشعبي أو الملاحون*: يطلق بعض الناس على الشعر الملاحون اسم الأدب الشعبي أو الشعر الشعبي وكل الإطلاقيين خطأ، يجب تصحيحه عند علماء هذا الفن، وإذا كان اسم الأدب الشعبي لا يصلح أن يطلق على الشعر الملاحون بمقتضى هذا التعريف لأن وصف الشعر الشعبي يحدد الموضوع ويقصره على هذا الشعر المجهول المؤلف الذي توارثته الأجيال بالرواية الشفوية؛ أي الذي تغنى به الناس طويلا، وتناولته الرويات بالتبديل والتغير والتهذيب بما يناسب روح الشعب وفن الشعب، ويدخل في هذا الباب هذه الأغاني التي تسمع أحيانا ويرددها الناس، مثل الأغاني التي ترددها الأمهات لأطفالهن، ومثل بعض تعليقات الأعراس والختان(1). أما الشعر الملاحون فهو أعم من الشعر الشعبي إذ يشمل كل شعر منظوم بالعامية سواء كان معروف المؤلف أو مجهول، وسواء روي أو من الكتب أو مشافهة، وسواء دخل في حياة الشعب، فأصبح ملكا للشعب، أو كان من شعر الخواص، وعليه فوصف الشعر بالملاحون أولى من وصفه بالعامي بسبب أنه قيل بلغة الدارجة، أما وصفه بالعامي فقد ينصرف معنى هذه الكلمة إلى عامية لغته، وقد ينصرف إلى نسبته للعامية فقد كان وصفه بالملاحون مبعدا له من هذه الاحتمالات(2). اختلف الأدباء والنقاد حول مفهوم الشعر الشعبي والملاحون فهناك من يفضل تسمية الشعر الملاحون عن الشعر الشعبي لعدة اعتبارات منها أنه غير مجهول

* الملاحون: لهذه الكلمة دالتين: الدلالة الأولى من فعل لحن بتشديد الحاء، يلحن ومعناه قيل لكي يغنى، ولحن يلحن بفتح الحاء ومعناه فقد قواعد الإعراب أي أنه نطق بكلام عامي أو بلغة عامية غير معربة، وتستعمل كلمة ملاحون للدلالة على الشعر الذي لا يلتزم بقواعد اللغة الفصحى. ينظر إلى العربي دحو: الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى - ج1 - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1989 - ص25

(1) محمد المرزوقي: الأدب الشعبي في تونس - الدار التونسية - 1967 - ص51 - العربي دحو: الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى - ج1 - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1989 - ص25

(2) محمد المرزوقي: المرجع السابق - ص51 - العربي دحو: المرجع نفسه - ص25 - محمد كامل القدسي: أضواء على التراث الغنائي البدوي في الوطن العربي مقالة - مجلة الثقافة - العدد 116 - الجزائر - 1998 - 122

المؤلف والشعر الشعبي قد يكون مجهول المؤلف، بالإضافة إلى ذلك فالبيئة الأدبية بالمغرب تتماشى أكثر مع مصطلح الملحون من مصطلحي الشعبي أو العامي (1). وتستعمل كلمة ملحون للدلالة على الشعر الذي لا يلتزم بقواعد اللغة الفصحى، ويقال أن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) (2). والمتأمل في مصطلح الملحون يعتقد أنه الشعر الذي ذكر فيه حياة الشعب، ولغة هذا الشعر ومشافهته، والخلي من القواعد الصرفية والنحوية، أو على عدم احترامها في أثناء الإلقاء والتلاوة أو عند كتابته، وهذا لا يمس القواعد النحوية والصرفية فحسب بل يمس اللغة بشكل عام، وهذا يعني أنه لو كانت المسألة هكذا لا نفي الاسم عن هذا الشعر، ويكون الشعراء المدرسيون في عداد الشعراء الشعبيين، وهذا يؤدي إلى الخلط بين الشعبي والمدرسي (3) كذلك فإن قواعد اللغة الفصحى التي تؤدي إلى معان كثيرة منها النحوية والصرفية ورسم الكلمة ومنها تركيب الجملة تركيباً سليماً في الشعر الفصيح فإنها منعدمة في الشعر الملحون. ويقول أحد الأدباء أن الشعر الملحون لا يحقق كل عناصر الشعبية المتوفرة في القصيدة الشعرية، كما أنه يطرح سؤالاً من أين جاءت كلمة ملحون وما أصلها؟ هل المقصود بها من فعل لحن بتشديد الحاء الذي أطلقه ابن خلدون يلحن ويغنى (4). أما مصطلح الشعبي فهو يختلف عن الملحون، فهناك من الأدباء من ينسبه إلى الشعب أي أن هذا اللون من الشعر هو ملك الشعب، ويرى هؤلاء الأدباء أن الذين تناولوا هذا الموضوع على التسميات التي أطلقوها على الشعر محاولين إبعاد صفة الشعبية عنه، ويذهب هؤلاء الأدباء في تصورهم أن اختلاف الدارسين يمكن إرجاعه إلى عدم تحديد مفهوم الشعبية في الأدب.

(1) د. عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث ط 1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1981 - ص 363

(2) نفسه: ص 363

(3) العربي دحو: المرجع السابق - ص 25 - 26 - محمد كامل القدسي: أضواء على الغناء البدوي - ص 122

(4) نفسه: ص 26 - 27

ويقول عبد الحميد يونس "...إن الثقافة الجماهيرية بسفح الهرم، وعند القمة يوجد الأدب الرسمي، وعند القاعدة يوجد الأدب العامي، أما الأدب الشعبي فهو ذلك الذي يستطيع أن يتخلص من القمة هابطاً ليملاً السفح كله، أو ذلك الذي يستطيع أن يرتقي من القاعدة صاعداً ومنتشراً على السفح بأكمله..." (1). ويبدو من قول عبد الحميد يونس أن صفة الشعبية معناها الشمولية في الشعر الشعبي أكثر من العامية، ومعنى هذا أن الأدب الشعبي هو في حقيقته فضائل من الأدب الرسمي أو الأدب العامي استطاع أن يحوز على صفات خاصة في ظروف بيئة معينة (2). إن قصائد الشعر الملحون أو الشعبي، كما يسميه البعض تجمع بداخلها بين قيم الشعب المتوارثة في سذاجتها، وأسلوب معاشته للحاضر وتطلعاته نحو المستقبل، وهي في نفس الوقت تعبر عن عادات وتقاليد المجتمع، بما تحتويه من آراء أخلاقية وفلسفية (3). وهذه القصائد والأغاني كما يسميها بعض الدارسين تتألف من كلام منظوم ومن لحن وموسيقى وإيقاع شعبي خاص، وهي تتشكل حسب ظروف ممارستها وحسب إيقاع الكف أو صوت آلات المصاحبة للأداء ولظروفه ومناسباته، وهي كثيراً ما تكون من نتاج جماعي لا يعرف قائله، وقد تكون لشاعر شعبي معين، يعبر عن نفسه أو عن روح شعبه. وفي ذلك يقول هردز "إنني أرى أن الشعر عامة هو إنتاج شعبي يتطلب آذاناً كثيرة لتسمع، وحناجر كثيرة لتردد، ولقد ظل الشعر يعيش في آذان الشعب وعلى شفاهة يحفظ الأحداث والأسرار والمعجزات والآيات..." (4).

(1) ينظر إلى الهلالية - ص 95

(2) العربي دحو: الشعر الشعبي ودوره في ثورة التحرير - ص 25

(3) رابح بونار: المغرب العربي - ص 249

(4) نفسه: ص 249

4-1 نشأة الشعر الشعبي أو الملحون: يعود تاريخ نشأة الشعر الشعبي إلى تاريخ ظهور الموشحات بالأندلس، وإلى تاريخ انتشار قصائد الشعر الشعبي في منتصف القرن الرابع الهجري. تسرب الشعر الشعبي إلى المغرب الأوسط (1). عبر شعراء بني هلال الذين رافقوا الحملات العسكرية التي زحفت على القيروان سنة 442هـ، وإلى المغرب الأوسط سنة 460هـ (2). ويقال أن التاريخ لم يترك أي أثر لشعر منظوم باللغة الدارجة أو نوع من الشعر الشعبي قبل منتصف القرن الخامس للهجرة أي قبل الزحفة الهلالية سنة 442هـ، وبالرغم من الاعتقاد أن لغة التخاطب في ذلك الوقت، قد دخل عليها شيء من التحريف في الإعراب، واختلطت ببعض الألفاظ الدخيلة من البربرية، فإن الشعر العربي كانت نظمه مقصورة على الفصحى، وأن الأساليب والصور لم تتخط ما هو مستعمل في بغداد، واستمر ذلك حتى الزحفة الهلالية، وشعر بنو هلال لا يختلف في الواقع عن الشعر الفصيح، فلغته عربية فصيحة اختلطت بشيء قليل من اللهجة الدارجة التي لا تعدو التحريف الجزئي للكلمة الفصيحة في النطق وفي الإعراب، أما موازين الشعر فبقيت هي نفسها الموازين المعروفة (3). وعندما ازداد عدد بنو هلال وتغلبوا على إفريقية، وانتشروا في أقاليمها عربوا سكانها، وذاب العنصر البربري الأصيل أو كاد في العنصر العربي، فسادت لغتهم وانتشر شعرهم، ولم يبق بعد نحو قرن من استقرارهم بإفريقية والمغرب الإسلامي، فانحصر الشعر الفصيح في الحواضر، حيث توجد الثقافة ودوايب الحكومة، وليس معنى هذا أن أولئك الأعراب كانوا لا ينظمون الشعر الفصيح أو لا يفهمونه، بل المقصود أنهم ينظمون الشعر على طريقتهم المعروفة في أحيائهم (4).

(1) د. عبدالله الركبي: المرجع السابق - ص 363

(2) نفسه - ص 363

(3) محمد المرزوقي: المرجع السابق - ص 54

(4) نفسه: ص 54

كما ينجح بعض شيوخهم إلى النظم باللغة الفصحى، عندما يضطر لمخاطبة رجال الحكومة أو المثقفين. والشعر الشعبي أو الملحون البدوي فهو غني بالصور الشعرية الرائعة؛ لأن المقصود من نظمه هو تلك الصور المعينة والموازن المنعمة فيه أمر ثانوي عند الشاعر، ويمتاز الشعر البدوي خصوصا في الجهات التي يسكنها أحفاد هلال وسليم بمحافظته على الصور الشعرية المعروفة في الشعر العربي القديم خاصة الشعر الجاهلي، حيث لا يمكن التمييز بين صور شعر بني هلال، والشعر الجاهلي في وصف الفرس والجمال والمطر، وبين ما جاء به أمرؤ القيس في هذه المواضع بالذات (1). ويظهر أن لتوافق المناخ الذي عاش فيه القدماء والمحدثون واستمرار الحفاظ على العادات والتقاليد دخلا كبيرا في هذه الظاهرة الشعرية، فمناخ الجنوب مثلا يقارب مناخ الجزيرة العربية والطبيعة والأشجار متماثلة، والعادات والتقاليد (2). لم يهتم بالشعر الهلالي أحد من المتقدمين سوى عبد الرحمن ابن خلدون الذي تحدث عن بني هلال وأهمية أدبهم، وقد عني بالحديث عن شعرهم حيث جاء في قوله أن عرب بني هلال الذين عاصروه في القرن الثامن الهجري، والذين يسميهم بالمستعجمين عن لغة سلفهم من مضر "...كانوا يقرضون الشعر في عهده، وكان شعرهم يتميز بجميع العروض مثل ما كان عليه أسلافهم المستعربون ويأتون بالقصائد الطويلة التي تشتمل على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والثناء والهجاء، ويستطردون في الخروج من فن إلى فن في الكلام. وربما هجموا على المقصود لأول كلامهم وكان يبدأون في قصائدهم باسم الشاعر، وكان أهل مدن المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالأصمعيات نسبة إلى الأصمعي رواية العرب في أشعارهم..." (3).

(1) محمد المرزوقي: المرجع السابق — ص 59

(2) نفسه: ص 59

(3) ينظر إلى: العبر - ج 6 - ص 51 - رايح بن نار: المغرب العربي - ص 249

4-1-1 موازين الشعر الشعبي أو الملحون: لم تختلف موازين شعربي هلال عن الشعر القديم، وهو في الواقع الحلقة التي تصل بين الشعر الفصيح والشعر الشعبي الحديث لا في لغته وصوره فقط، بل حتى في ميزانه أحياناً، وشعربنو هلال يقارب ميزانه ميزان نوع من القسميم المثنى المتركب من غصين الموجود في الشعر اليوم (1). ومن أمثلة القسميم المثنى عند بني هلال الأوائل، قول خالد بن حمزة الكعوب من أولاد أبي الليل في القرن الثامن الهجري يقول (2):

وذا قول المصاب الذي نشأ
قوارع قيعان يعاني صعابها
يريح بها حادي المصاب إذا انتقى
فنونا من انشاء القواني عرابها
والتغير الذي أدخله بنوهلال على الشعر في ألفاظه وإعرابه استمر متدرجا مع العصور، ومع تقادم العهد بالعربية الأولى، واختلاط اللهجات وانتشار الجهل والأمية وتقلص الثقافة، إلى أن وصل إلى ما هو معروف اليوم من تغيير كامل في موازينه وألفاظه، حتى بعدئتما في موازينه بإبعاد اللهجة الحديثة عن اللهجة العربية الفصيحة وهنا أقول اللهجة، ولا أقول الألفاظ؛ لأن أغلبها عربي باق على أصله، ولولا أنه غير معرب، ويظهر أن تطور الموازين كان بطيئاً، فمن القسميم البسيط المأخوذ من موازين الإعراب الأول، تفرعت أنواع جديدة من القسميم كل نوع له ميزان خاص، ثم ازداد التطور فدخلت الموزومة، وهذه تفرعت إلى موازين مختلفة والظاهر أن الموزومة والمسدس والسوقة التي تشبه في هياكلها الموشحات والأزجال الأندلسية من طوالع وأدوار ومكبات ترجع إلى الموشحات والأزجال التي جلبها الأندلسيون (3).

(1) رابح بونار: المغرب العربي - ص 249

(2) محمد المرزوقي: المرجع السابق - ص 57

(3) نفسه: ص 57

4-3 الشعر الشعبي أو الملحون عند بني عامر وحميان: إذا كان بنو عامر وحميان ينتسبون إلى بني هلال*، فقد اكتفيت بما أورده ابن خلدون عن بني هلال من قصائد ومقطوعات قليلة يعود تاريخ بعضها إلى منتصف ق5هـ و8هـ كالأبيات الثلاثة التي وصف فيها الشاعر الهلالي انتصارات بني هلال على المعز بن باديس سنة 449هـ وهي (1):

لقد زار وهنا من أميم خيال
وأن ابن باديس لأفضل مالك
وأيدي المطايا بالزميل عجال
لعمري ولكن مالدیه رجال
ثلاثون ألفا قد هزمتهم
ثلاثة آلاف وذال ضلال

يبدو أن الشاعر في هذه الأبيات يفتخر بقومه بني هلال الذين حققوا انتصارا عسكريا على المعز بن باديس وجيشه الذي كان يفوق جيش بني هلال عددا وعدة، وتبدو أفكار النص واضحة ميسورة الفهم فلا تعقيد ولا غموض فيها، ويلاحظ أن أفكار النص شديدة الترابط، أما من حيث العمق فالأفكار عميقة لتشخيصها الحالة النفسية لهذا الشاعر الذي يعيش في مجتمع معجب به ومفتخر به. يلاحظ أن العاطفة في القصيدة عبارة عن افتخار واعتزاز برجال بني هلال، والقارئ يتجاوب مع الشاعر في افتخاره، فالعاطفة إذن قوية وصادقة؛ لأن الشاعر استطاع أن ينقل إلى المتلقي تجربة حياته مع قبائل بني هلال، وسيله إلى ذلك التعبير البسيط والصورة الجمالية أما أسلوب الشاعر ذو تعابير وألفاظ بسيطة حيث يلاحظ أنه انتقى ألفاظا موجبة عن العامة. فالشاعر كان واقعا في نقل الصورة

*تنوع قصائد الشعر الشعبي عند بني عامر وحميان منها القصائد الدينية كمدح الرسول (ص)، والغزل والرثاء وغيرها وكان بنو عامر وحميان يقرضون الشعر الملحون، مثل مصطفى بن إبراهيم الذي ينتسب إلى بني عامر الذي نظم قصيدة بفاس وكان عنوانها ماشين خبر ادركني. وقُسمت القصيدة إلى هدة وفراش، وربما يعود التقسيم إلى طبيعة موازين الشعر الملحون. أمارمضان بن عاشور، الذي ينتسب إلى حميان الذي نظم قصيدتين عنوانها عكاضية النعامة وأخرى عن حميان (ينظر الملاحق ص)

(1) ينظر إلى العبر: ج6 ص14

الاجتماعية لقبيلته ويبدو أن الشاعر في هذه الأبيات يرسم لوحة فنية عن قوة قومه. بالإضافة إلى الزخرف اللفظي، أما الأسلوب الخبري فهو الغالب على النص يلائم السرد وغرضه البلاغي إبداء الفخر والعزة. أما الأسلوب الإنشائي فورد في الأبيات وغرضه الإعجاب بالقوم، ويبدو أن الشاعر لم يهتم بالقافية ولم يتقيد بها وهذا كثيرا ما يوجد في الشعر الملحون، يلاحظ كذلك أن الشاعر حر التفكير متأملا فيما حوله من قبيلته، وتظهر في النص قيم اجتماعية، والرمز بها إلى العناية بالفكرة أكثر من العناية بالأسلوب. ومن قصائد العتاب، ماجاء عن شبل يعاتب إخوانه على موالاة شيخ ابن تافراكين القرن الثامن الهجري بقوله (1):

مقالة قوال وقال صواب

يقول بلا جهل فتى الجود خالد

هريجا ولا فيما يقول ذهاب

مقالة حيران بذهني ولم يكن

فإن نظم الشعر الشعبي أو الملحون وصوره الشاعرية لم تخرج عن شعر بني عامر وحميان الذي ورثوه عن أجدادهم بني هلال، خاصة وأن حميان كانوا أكثر بطون بني زغبة ناجعة، ولم يكونوا حلولا كما أشار إلى ذلك ابن خلدون (1)، وبقوا محافظين على تقاليد وعادات أسلافهم. وحتى البيئة الطبيعية والمناخية التي كان يعيش فيها بنو عامر وبنو حميان في القرن الثامن الهجري هي نفس البيئة الطبيعية والمناخية التي عاشها أسلافهم في شبه الجزيرة العربية وقال أحد شعراء وهو من رؤساء بني عامر وهو علي بن عمر بن إبراهيم المعاصرين لابن خلدون في القرن الثامن الهجري

أ- قصيدة في الغزل:

إذا كان في سلك الحرير نظام

معبرة كالدرد في يد صانع

وشاء تبارك والظعون تسام

أباحها منها فيه أسباب ما مضى

(1) العبر: ج 6 - ص 41 - رابح بونار: المغرب العربي - ص 134

غدا منه لام الحي حيين وانشطت
ولكن ضميري يوم بان بهم لنا
وإلا كأبراص التهامي قوادم
وإلا لكان القلب في يد قابض
لما قلت سما من شقا البين زارني
وخاملاً ياربوع كان بالأمس عامرا
وغيد تداني للخطر في ملاعب
ونعم بشوق الناظرين التحامها
واليوم مافيهما سوى البوم حولها
وقفنا بها طورا نسائلها
بعين سخنا والدموع سجام(1)

ب- تحليل قصيدة علي بن عمر بن إبراهيم من رؤساء بني عامر

القصيدة شكل شعري عالي التركيز والإيحاء، بلورته العبقرية، إنها تجسد نفاذا مباشرا وحادسيا في الطبيعة والحياة مدهشا بسيطا ومعقدا في ان واحد؛ لأنها تعبير عن معاناة الإنسان في طبيعته وميله، في انتمائه وشعوره إنه حقيقة يحياها في كيانه، الام دفينة وحرقة عميقة يعيش الشاعر نارها أوار حين ينطلق في التغزل والانغماس في الآخر، ليصور مكابדתه الحسية حين يرسم شكل محبوبته يازميل فنان عبقري، كأنها قطعة ماس من الدر في يد صانع، أحس رسم ونسج تقاسيمها خيوط حريزية محكمة. كالدرفي يد صانع إذا كان في سلك الحرير نظام. كل الظنون فيها لا تطاق؛ لأن الذي هوت نفسه لا يقوى إلا على ارتضاء الآخر نفسا زكية عالية الهمة وراح يلوم كل من ظلم بشطط وظلم حسنهما الفتان لم يعترف بالصباية والاحتكام إلى اللوم عسى يكسب مودة

(1) ينظر إلى العبر: ج 6- ط بيروت- 1959- ص 51- رابع بن نار: المغرب العربي- ص 134

الحبيب "غدا منه لام الحي حيين وانشطت" فالحياة في الحبيب حياتين للرضى والأخرى للغضب الذي يمثل البين والفراق ليحل الترجي والحنين بين نفسين، إذا الفراق بين الطرفين نار والفراق شوك يخرج الفؤاد "لكن ضميري يوم بان بهم لنا" فتغدو النفس سقيمة ومريضة من اللوعة والإشتياق، ترم على شوك القناد برام، لينجلي القلب منقبضا تقطعا من شدة الوجد والهيام.

"أتاهم بمنشار القطيع غشام" وقدشقي من عاش الفراق بينه وبين من ألفت روحه وقد عاش العربي منذ جاهليته الأولى ومن أكبر الفحول معاناة الهوى، وويل الجوى، فيروح كل يكي ليلاه على سبيل المستيمز، فما مناجاة ونداء الفراق إلا سبيل اخر يريده الشاعر للاجتماع بمحبوته ويقال: بأضدادها تتمايز الأشياء.

"قلت لما شقا الببين زارني" إذا كان ينادي بالفراق وخام، والفراق زيادة للشوق بين زوجين فيهما عفة الوقار وقداسة الأشجان التي تجعل الريع والمكان خالي، وإن كان مملوءا بالناس والحبيب غائب والحبيب كل الناس.

"ألا يربوع كان بالأسيس عامرا" فالمشتاق الذي فت أكباده الجوى يرى كل موطن خال من الحبيب خواء، وإن بدا عامرا بالناس، وإن كانت الحياة فيها متوفرة بأشكال دانية "بيحي وحلة والقطن لمام" وتسمو الروح بتباريح الغرام في شطحات العسق الأبدي حين تنادي المرأة وهي الكتمة غير المعلنة بمكونات نفسها فإن اقتربت ودنت من الذي فارق النوم أجفان عيونه كانت لبدنه علاجا ولقلبه دواء، فأذهبت عنه الاسقام والعلل ودوائه واستطب من كل العلل.

وغيد تداني للخطر في ملاعب
دجى الليل منهم ساهرا ونيام
يسعد ويفرح الملهوف إذا لقي الاستجابة بالشوق بعد النأي والفراق كطالب الماء في الصحراء أو شك الظمأ ان يهلكه، وفجأة يظهر له الماء دان وعلى مقربة منه.

"ونعم بشوق للناظرين التحامها" فالنجاة بعد أن كان الهلاك على وشك دعوة للتفاؤل والرضى والسؤدد، وما أطيب العيش بفسحة الأمل، وما أضيق العيش حين لا يلقى المحب إستجابة. "لنا ما بدا من مهرق وكظام" فيستحدي كل السبيل ويطلب كل المساعي، وحين لا يقوى يستكين إلى الصبر والسلوى ودفع النفس إلى الرضى والقناعة بالخال التي يجدها واقعيا، فلا الأحلام تجدي ولا الأوهام تداوي إنما مواجهة الواقع، وتحمل المصاعب والفراق بكل أناة وإن خلت الديار من الأحبة ولم يبق إلا البوم دليل التشاؤم.

واليوم مافيها سوى البوم حولها
ينوم على أطلالها ونيام
لعل الديار والاثار تشفع للمحب بالتذكر والخوف، واحتباس الأنفاس عند الذكريات عمرثان يعيشها المشتاق حين يتذكر الأيام الخوالي والسنون التوالي فلا يجد لنفسه غير الدموع أنيسا والصبر رفيقا واللوعة صاحبا.

"وقفنا بها طورا نسائلها" والوقوف على الأطلال هو إحياء وتجديد للذكريات يعيشها الشاعر في صفاء، وظهر ليذكر الحبيبة بالمكان الذي كان في الماضي عامرا وصار خلوا منها، فيذرف لها دموعا مغزار ويتششق القلب علة وتسقما، ويصير المكان موحشا مخيفا ويفرغ الشاعر من لحظة الذكريات لمواجهة واقعه المر، هناك يدرك أن كان يعيش طفولته المنقضية وأزمته الغابرة، فلا يمضي إلا على أشجان تحرق النفوس الزكية التي تقبل المعاناة والألم من أجل الحبيب، ويشقى الشاعر من لحظة الدفق الشعري حين يدرك أنه كان يعيش الوهم، وكان حبه سرايا سرعان ما تلاشى. وتعكس هذه القصيدة الشعرية وهي من نوع الغزل الواقع الذي كان يعيشه العامري والحمياني ويلاحظ أن هذه القصيدة الشعرية في ألفاظها وقوة أسلوبها هي أقرب إلى الشعر الفصيح منها إلى الشعر الشعبي.

4-الحكاية الشعبية: مصطلح الحكاية الشعبية جديد لا بالقياس إلى الأدب العربي وحده، ولكن بالقياس إلى الآداب العالمية أيضا، ذلك لأن السرد القصصي بالشعبية إنما كان استجابة مباشرة للإحساس بالحاجة إلى ضرب من التمييز بين إطار قصصي أدبي وآخر يتسم بالحرية والمرونة ومسيرة العقول والأمزجة والمواقف (1)، والحكاية بهذا المفهوم تستوعب أنماطا وأنواعا متفاوتة، وتستهدف وظائف متنوعة، وهي عبارة يغلب عليها الشمول وتعوزها باعتراف العلماء المتخصصين في المأثورات الشعبية الدقة والتحديد، هكذا يكون اصطلاح الحكاية الشعبية فضفاضا يستوعب ذلك الحشد الهائل من السرد القصصي الذي تراكم عبر الأجيال (2)، والذي حقق بوساطته الإنسان كثيرا من مواقفه ورسب الجانب الكبير من معارفه، وليس وقفا على جماعة دون أخرى، ولا يغلب على عصر دون عصر آخر. ولقد اثر العلماء هذا المصطلح لشموله واتساعه ومرونته وبخاصة لأن الإبداع الشعبي قلما يخضع للأحكام في الشكل والحرفية والاتجاه، ومن الخير تبعا لذلك أن يتم التمييز بين الحكاية الشعبية من غيرها.

4-1تعريفها لغة: الحكاية من فعل حكى يحاكي ومنها المحاكاة والتقليد ومجارة الواقع، والنسج على منواله فضاءا خياليا يقتنع البعض بوقوعه وحدوثه (3).

4-2تعريفها اصطلاحا: الحكاية هي محاولة استرجاع أحداث بطريقة خاصة ممزوجة بعناصر كالخيال والخوارق والعجائب ذات طابع جمالي، يؤثر نفسيا واجتماعيا وثقافيا فالحكاية الشعبية هي وصف لواقعة خيالية أو شبه واقعية أو واقعية أبدعها الشعب (4).

(1) عبدالرحمن عبدالخالق: الحكاية الشعبية في اليمن بين التوثيق والدراسة - من موقع أنترنت: <http://www.Yemenitta.com/conte.htm> p01 من 06 صفحات.

(2) نفسه: ص 01

(3) د. محمد سعيدي: أشكال التعبير في الأدب الشعبي - ص 133

(4) نفسه: ص 133

في ظروف حياته، ثم سجلها في ذاكرته، ورواها أفرادهم لبعضهم البعض بمرور الأيام وتوارثوها فيما بينهم عن طريق المشافهة من أجل المتعة والتسلية(1). أو هي تلك الحكاية التي تناقلها الناس عن طريق الرواية الشفوية منذ القدم، ويلعب الخيال الشعبي دورا كبيرا في صياغتها، وفي تأطير بعض الأحداث التاريخية والشخصيات بالمبالغة والغرائبية، وتقف الحكاية الشعبية عند حدود الحياة اليومية والأمور الدنيوية العادية، ذلك كمكر النساء ومكائد زوجات الرجل الواحد، وقسوة زوجة الأب على الطفلة المسكينة التي تتدخل العناية الإلهية لإنقاذها وتتداخل الحدود بين الخرافة والحكاية الشعبية(2). وقد عرفت نبيلة إبراهيم "...الحكاية الشعبية بأنها الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر، وهي إبداع حر للخيال الشعبي ينتجه حول حوادث مهمة وشخص ومواقع تاريخية... أو هي حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة، وهي تتطور مع العصر، وتتداول شفاهها كما أنها قد تحضى بالحوادث التاريخية أو العرف، أو الأبطال الذين يصنعون التاريخ..."(3).

4-3 تعريف الحكاية الخرافية: فالخرافة هي في حد ذاتها حكاية، ومصطلح الخرافة فهي من أصل خرف أي فساد العقل من الكبر، وقد خرف الرجل بالكسر ويخرف خرفا فمعناه فسد عقله من الكبر، وهو الحديث المستلمح من الكذب(4)، ويقوم هيكل الحكاية الخرافية الدلالي والشكلي على عنصر الخوارق، وعالمها سحري وعجيب، أبطالها في صراع دائم مع الغول والجن(5)، إن الحكاية الخرافية هي تجربة وقعت لبطل.

(1) د. محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق - ص 60

(2) نفسه: ص 63

(3) نفسه: ص. ص 56-58

(4) عبد الرحمن عبد الخالق: المرجع السابق - ص 01 من 06 صفحات

(5) د. محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق - ص 63

وبعد سلسلة من المغامرات والمخاطر أن تلعب فيها الخوارق دورا بارزا وتترجم هذا الدور من خلال حركة الجن والغول والمغامرات والوديان والحيوان المفترس منه إن فضاء الحكاية الخرافية فضاء عجيب وغريب (1)،

4-4-خصائصها: الحكاية الشعبية عريقة أي أنها ليست من ابتكار لحظة معروفة أو موقف معروف، أنها تنتقل من شخص إلى آخر بحرية ولا يزعم أحد أن الفضل يعود إليه وحده في أصلاتها، ويكون هذا الانتقال في الغالب الأعم عن طريق الرواية الشفاهية، فهي تسمع وتردد بقدر ما تسعف ذاكرة الراوي، وربما يحكيها كما سمعها، كما أنها تتسم بالمرونة التي تجعلها قابلة للتطور، بحيث يضاف إليها أو يحذف منها أو يعدل عباراتها ومضامينها وعلاقتها على لسان الراوي الجديد تبعا لمزاجه أو موقفه أو ظروف بيئته الاجتماعية، والمعول في جميع الأحوال إنما يركز على وظيفة الحكاية الشعبية فهي الأساس الذي يتحكم في الثبات أو الصيرورة أو الحذف أو الإضافة أو التعديل (2). وقد يكون الانتقال أدبيا خالصا، وذلك إذا كان الأصل في الحكاية التدوين من ناحية وتحقيق عبقرية مفردة لأديب معروف من ناحية أخرى (3). وكثيرا ما يوجد في دواوين الأدب الجامعة لذخائره وأعلاقه يكررها مؤلف عن مؤلف سابق عليه ويحكم عليها مع ذلك بأنها شعبية، والعلماء يتفقون أو يكادون على أن نسبة الحكاية إلى هذا المؤلف أو ذاك لا تعني شيئا بالنسبة لشعبيتها، لأن الفيصل في ذلك إنما يقوم على استقبال الطبقات الشعبية لها وترديدها إياها، وبذلك تخرج من جمود التدوين ومن طابع العبقرية الذاتية إلى التنقل الحر المتسم بالمرونة، وقد تحتفظ بمحورها الرئيسي وبملاحشخصيتها (4).

(1) د. محمد سعيدي: الأدب الشعبي - ص 63

(2) د. نبيلة إبراهيم: قصصنا الشعبية من الرومانسية إلى الواقعية - ط 1 - دار العودة - بيروت - 1974

(3) عبد الرحمن عبد الخالق: المرجع السابق - ص 2

(4) نفسه: ص 2

ولكنها مع ذلك تكتسب معظم الخصائص التي تسلكها مع قريناتها الشعبيات، وعلى الرغم من الانتباه إلى هذه الخصائص التي تميز الحكاية الشعبية، فإنه يلاحظ أن مجالها قديم وشامل (1). فقد دلت جميع الدراسات المتخصصة في الجماعات البدائية على كثرتها وتنوعها، على أن الناس في كل مكان، مهما تنوعت أنماط ثقافتهم يسردون الحكايات، وإن تفاوتت هذه الحكايات كما ونوعاً بين مختلف الجماعات الإنسانية (2). والواقع أن الأشكال الرئيسية للحكايات الشعبية عالمية، ومن الميسور أن يلاحظ الدارسون التشابه القوي بين المحاور الرئيسية وبين الشخصيات وبين الوظائف في حكايات مختلف الثقافات من الإنسان البدائي الذي كان يجمع الطعام أو الذي كان يعيش على فنن الأشجار إلى الفلاح المستقر (3). تتقاطع الحكاية الشعبية مع أشكال التعبير الأدبي الشعبي الأخرى مع المثل الشعبي والغز والنكتة، ولذا تتنوع الحكاية الشعبية إلى الحكاية المثلية وتتميز بنهاية نصوصها بمثل أو عبرة أساسية أراد المبدع الشعبي نشرها بين الناس، أما الحكاية اللغزية فهي الحكاية التي تقوم مضامينها على قاعدة لغزية تساؤلية تبتدئ بطرح لغز على البطل ويطلب منه البحث عن الحل والجواب الصحيح (4) كل شيء فيه حي يتحرك فضاء العلاقات المستحيلة والمتناقضة أحياناً والمنسجمة أحياناً أخرى بين البشر فيما بينهم وبين الحيوان والطبيعة (5). وتأتي الحكاية الخرافية في الإطار نفسه وإن تميزت عن الحكاية الشعبية بأن أبطالها هم من البشر أو الجن (6).

(1) د. محمد سعيد: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق - ص. 55-58

(2) ينظر إلى: أشكال التعبير في الأدب الشعبي - ط 3 - دار المعارف - القاهرة - 1981 - ص 133

(3) التلي بن الشيخ: المرجع السابق - ص 132

(4) د. محمد سعيد: الأدب الشعبي - ص 57

(5) نفسه: ص 57

(6) نفسه: ص 58

4-8 الحكاية الشعبية عند بني عامر وحميان: كان الفتيان والفتيات الصغيرات يلتفون حول الجد أو الجدة ليلا وبعد الانتهاء من العمل الشاق للاستمتاع بالحكاية، وكانت الحكاية قديما من الوسائل الهامة للتسلية في مجتمع الدراسة حين كانت وسائل التسلية والترفيه غير معروفة لهم وبعيدة عن إمكانياتهم البدائية البسيطة (1)، وكانت هذه الحكايات تروىها السيدات الكبار للأطفال، أما الرجال في البداية لم تكن أحاديثهم وسمهم إلا عن بطولات القبيلة وانتصاراتها، وكم تغلبت على مر الزمان والافتحار بماضيهم أو حاضريهم (2) لقد ذكر ضباط مكاتب الشؤون العربية أن منطقة حميان كانت تزخر بالأدب الشعبي من مرويّات خيالية وقصائد شعرية عجيبة، وكان الراوي يتميز بسمعة طيبة. ويملك شهرة بين قبائل المنطقة، وكانت تستقبله بحفاوة بالغة وكانت الحفلة تقام في خيام العشائر، وكان القوال يجلس في حلقات يستمع لرواياته جميع أفراد لأسرة، والتي تبيح للرجال باستخدام الخيال دائما، وذلك من خلال المعجزات المذهلة (1) كانت قبيلة حميان وبني عامر تروي حكايات شعبية، ربما انتقلت جيلا عن جيل عن طريق الرواية الشفاهية، مما جعل هذا التراث يتعرض للنسيان، فما هي أنواع الحكايات الشعبية المتداولة عند حميان وبني عامر؟ فالحكايات الشعبية الأكثر ذيوعا وشيوعا، والمتواترة بين أفراد قبيلة حميان وبني عامر حكاية بنت الخوص و الشيخ ذياب، وجحا والحكاية الخرافية الغول والغولة، وقصص الحيوانات كقصّة الذيب والقنفود، وربما انتقلت نصوص هذه الحكايات عبر التنقل والترحال، وربما عن طريق التفاعل الاجتماعي الذي كان يتم بين أفراد قبيلة بني عامر وحميان والقبائل الأخرى خلال فترة التنقل والترحال.

(1) دة. سهير عبدالعزيز: الامرجع السابق - ص 252

(2) نفسه: 252

E.Daumas: Moeursetcoutumesdel'algerie

(3)

traductionaDgeghloul.sindbad paris 1988.p193Jaquot Félix:op.cit.p112

وقيل أن المنطقة كانت ثرية بالحكاية الشعبية خاصة وأن الحياة الاجتماعية في البداوة كانت تتطلب ذلك في وقت الفراغ.

4-8 قصة بنت الخص: قالت بنت الخص لولدها في البيع والشري زيد الدراهم، وخلي الدراهم قال ليها ياما واش هذي* زيد الدراهم، وخلي الدراهم، قالت له: إذا عجبك حاجة زيد فيها الدراهم واشريها وإذا بغيت* تبيع حاجة، خلي منها الدراهم، وقمني* منها قالت بنت الخص: نوصي ولدي على الصلاة والدين، لخطوش الصلاة عمود الدين وتوصي ولدي كي تتوض الصباح افطر، وإذا عرضوك ما تسخف* ولزعكوك* ماترفش*. لقد استخدم الراوي أسلوباً بسيطاً، وتعبيراً سهلاً بلغته الدراجة المحلية حتى يفهمه السامع، ويبدو أن القصص تعتمد جهل المكان والزمان، ولكن القصة تناولت اسم امرأة يعتقد صاحبها أنها معروفة. في سيرة بني هلال مما يبين أن قبيلة لا تزال مرتبطة بتراث أجدادهم بني هلال، وحتى ولو أن القصة الشعبية عرفت نوعاً من التحريف، إلا أن القصص يبرز ذكاء المرأة الهلالية، والنصائح التي كانت تقدمها لابنها، عن كيفية تسيير شؤونها خاصة إذا تعلق الأمر بمسألة البيع والشراء، وكذلك التأكيد على التمسك بالدين والعقيدة، وتناولت القصة الشعبية أيضاً نصيحة تحثه على كيفية توطيد العلاقات مع الغير.

4-9 تحليل نص الحكاية الشعبية الأولى بنت الخص: يلاحظ أن الراوي بدأ الحكاية الشعبية في شكل ألغاز وتم حل هذه الألغاز في سياق نص الحكاية، يبدو أن هذه

* واش هذي: أي ما معنى عبارة زيد... الخ.

* اذا بغيت: إذا أردت

* قمني: استريح.

* زعكوك: طردوك.

* ما تسخف: لا تطمع.

* ماترفش: معناه تجنب الغضب

الحكاية قصيرة تناولت بعض التجارب التي يجب على الرجل خاصة أن يتفادها في حياته لأن الحكاية تبين أن بنت الخصى كأمراة كانت تتصف ببعض المميزات، أفضل من بعض الذين يزعمون أنهم رجال ومن بين أنصاف الرجال التي تعتبر بنت الخصى نفسها أحسن منهم حالا. الرجل الذي يجاور عائلة زوجته ودلالة هذا الكلام أن الرجل الذي يجاور أب زوجته وإخوتها فهو معرض للإهانة والشتن إذا صدر خطأ منه اتجاه زوجته، أو ربما تستغله عائلة زوجته لغرض ما أو تحتقره، وتخط من قيمته. وتقول بنت الخصى أيضا أنها أفضل من يأتمن في الذي يطلب منه شيئا ما، ولكنها تشبه أي بنت الخصى من يعمل الخير، ويجده عند الشدة، وهي أفضل من شخص كسول حامل، لا يعمل والناس من حوله في حيوية ونشاط دؤوب، وأحسن من المريض طريح الفراش، وأحسن من رجل ديوث، وشخص يجرب لباسه مع الأرض، وتقول كذلك أنها أفضل من لا يفي بالعهد من البخيل، ومن لا يزوج ابنته وهي بالغة سن الزواج، وأفضل من رجل طلبت منه زوجته التطليق ولم يطلق معها حتى أواني البيت ومنها المعلقة التي تأكل بها. ويلاحظ أن القصة انتهت بنصيحة وجهتها بنت الخصى لابنها، تحذر من السير عندما يكون مع جماعة، أن لا يمشي في مؤخرة الجماعة ولا في مقدمتها؛ لأنه يتعرض للمخاطر والهلاك، وعليه أن يطبق مقولة خير الأمور أوسطها. يبدو أن القصة الأولى والثانية عن بنت الخصى أنها امرأة تمتاز بالذكاء والحكمة وتشارك القصة الأولى مع الثانية أن شخصيات القصة تتمثل في بنت الخصى وابنها وتحتوي كل قصة على نصائح موجهة لابنها بمنطقة بني عامر وحيدان وكانت تتميز بالحكمة في شكل ألغاز شعبية ومن بين هذه الحكم أي يتأقلم ويتكيف مع كل الظروف لكي يعرف كيف يواجه الحياة الصعبة، يبدو أن قصة بنت الخصى من خلال الراوي أنها عبارة عن ألغاز موجهة لابنها، تريد من خلالها اختبار ذكاء ابنها وفي الوقت نفسه تقديم نصائح وتوجيهات لابنها من أجل مواجهة الحياة، ويلاحظ أن القصة الأولى اقتصرت على تقديم توجيهات حول مسألة البيع والشراء.

1-2 قصة بنت الخصى: تقول بنت الخصى أنا خير من ثلاثة في ثلاثة، أنا خير من جاور نسيبه، وأنا خير من يتامن في طليبه، ولي يدير الخير ويصيبه، تقول بنت الخصى أنا خير من لي راقد والناس قعود، وخير من الممدود* على عمود، وتقول أنا خير من مغلوب امراته وجرار كساته، وخير من يقول كلمة ومن لا وفاه وخير من دار قصعة ولا ملاها وخير من لي كبرت بنتها ولا عطاها، وخير من الرجل لي قالت له امراته طلقني وما طلقش المغارف* معها وتقول بنت الخصى لولدها لا تجي في الشاو* تتصدع ولا تجي في لعقاب* تتقطع.

1-3 قصة بنت الخصى*: تقول بنت الخصى ولدي ينحن وينثنى، جوع وكول العسل خيار الاسم الرسول وخيار اللبسة سهول وخيار الماكلة جوع وكول، ولدي ما يرقد ليلة يخاف ولا يرقد ليلة الضياف واصبر فمار واصبر شهر، واصبر يوم واصبر الدهر. يبدو أن نص القصة أو الحكاية الشعبية هو عبارة عن مجموعة من الألغاز وبالتالي فهي تصنف من الحكايات الشعبية اللغزية، ويلاحظ أن صاحب هذه الحكاية أراد أن يبين أن بنت الخصى كانت أقوالها هي جملة من الألغاز والحكاية اللغزية كثيرا ما تقوم نصوصها على قاعدة لغزية تساؤلية تبتديء بطرح لغز على البطل ويطلب منه البحث عن سؤال، أما الإجابة عن هذه التساؤلات الموجودة في نص قصة بنت الخصى. يعتقد صاحب الحكاية الشعبية أن بنت الخصى عاشت في منطقة الشط الشرقي وكانت في نظره تتميز بالحكمة، فالإجابة عن معنى ولدي ينحن وينثنى، أي يتكيف مع جميع الأوضاع، ولغز جوع وكول بالعسل معناه أن الجوع يجعل الأكل لذيذا ولغز خيار الاسم الرسول وخيار اللبسة سهول،

*المغارف: وهي المعالق التي تستعمل في الأكل، وكانت المعالق تصنع من الخشب

*الشاو: معناها المقدمة.

*لعقاب: معناها المؤخرة، تستخدم هذه الكلمات أثناء رعي الغنم.

*ماتترقش: لا تجوع

*الممدود: الشخص المريض غير القادر على الحركة

وخيار المأكلة جوع وكول، ومعناها أي اسم من أسماء الرسل فهو جميل، واللباس سهل يستر العورة ويراعي ما يناسب المناخ، أم الأكل عندما تجوع يصبح لذيذا ولغز ولذي ما يرقد ليلة، فالخوف من الغارات لا يترك الإنسان ينام، ولا يمكن أن ينام لأن للضيوف قيمة، ولغز أصبر نهار إلى آخر اللغز، وعندما رأى ولدها أن نص أخذ شكل القصة، قال لها أرجو تفسيره وتوضيحه فقالت له: صبر نهار ليوم البارود، وأن تثبت في ساحة الوغى، ولا تحرب أو تستسلم واصبر شهر لرفيق السفر؛ لأن السفر يجعل صاحبه يقف على حقيقة رفيقه، واصبر عام لراعي الغنم؛ لأن الراعي عادة ما يتفق مع صاحب الغنم سنة كاملة، والذي بإمكانه أن يجدد العقد ويواصل العمل أو يتوقف، واصبر الدهر معناه أن تصبر لمشاكل العائلة ومتطلباتها اليومية.

1-2 قصة الشيخ ذياب بن غانم: كان الشيخ ذياب شيخ قوم وكان من الصباح لصباح يطل على الخيل واحد المرة شاف الخيل شباع ومركدة ومن بعد شاف واحد الجدعة نقزت سبع عودات راقدات، وماهيش له نتاع واحد ذمي، واليوم لآخر كي جا في الصباح لقها راقدة، وشافها تنفس وتضرب في الزرع تديه وتجيبه، وفي الصباح لآخر قال ليهم الشيخ ذياب بن غانم الرحلة ولا المقام، ومشى اضرب لذيك الجدعة إبرة في الركبة وصبحت حابسة. والمرحول ارحل، الذمي قعد يدبب* في الجدعة مابغتش تمشي له، قال الشيخ ذياب للذمي واش باغي دير بها، قال لها تبيع لي الجدعة وتتهنى منها. قال الذمي للشيخ ذياب تسومني فيها، قال الذمي* للشيخ ذياب اعطيني فيها ستين ناقلة فيها عشرة حمر.

1-3 قصة الشيخ ذياب: النموذج الثاني: قال الشيخ ذياب لمرته روجي خوتك ضيفة وقولي ليهم هذا اللغز نتاع لكحل مناش، وليبض مناش ومرر مناش وطيب مناش، ولو كان

* يدبب: معناه كان يريد الركوب فوقها، لم تنهض بقيت جالسة

ما يخلوش هذا اللغز ماتجيش، كي وصلت لدار اباها، قالت لحوثما هذا اللغز، ما القساوش
الحل، وهي جاي وحايره خميتها، لقات ولدها، قالت له اباك راه باغي يطلقني ولكان ما
يتحلش اللغز، قال ليها ولدها وشتهو اللغز، كي خبرته باللغز، قال ليها: لكحل مناش مناش
كي السم في رروس لحناش، ولبيض مناش كي الجير على لحواش، ومرر مناش كي مسوت
الحبيب على لنعاش، وطيب مناش مكانش كي لولاد يلعبوا على الفراش، وثلاثة يورث
البلادرافقت من ولا وثوب الدلالة، وفرج المرة المسبلة وثلاثة يورث لهبال دخول السوق
بلا مال، وليعشق النسي في عنق الرجال وليحب الحرب ومعدوش الرجال، ثلاثة يجبو
القلب المني والغني ولعب لولاد الحلال، واحد جاها لي باغي الجنة يقرى كتابها واحد
صاها لي باغي يقرى حراهما والشمس راحت في مغربها، والدنيا فانية وحنى في اعقابها.

1-4 قصة الذيب والقنفود*: قال لك واحد النهار كان الذيب والقنفود عطشانين
وكانوا يمشو لقاو حاسي فيه الماء، ولقاو في الحاسي زوج دلو، واحد يطلع وواحد يستزل،
قال الذيب للقنفود: نتا قنفود لول، ومن بعد أنا قنفود، نزل القنفود وشرب، ومن بغى يطلع
ماقدش، طلب من الذيب باه يعاونه ما بغاش الذيب يعاونه، دبر حيلة باش الذيب يهود
دار روجه يقسم في اللحم، وقعد يقول أي القنفود الحاضر اعطوه والغايب انسوه كي
اسمع الذيب كلام القنفود، طل في قاع الحاسي، شاف روجه في ما الحاسي، حسب راهم
يقسمو في اللحم، ود في الدلو الزاوج، الذيب ثقیل على القنفود القنفود جا طالع والذيب
هود كي تلقو في نص الطريق، قال الذيب للقنفود وراك طالع، قال له القنفود: هذه هي
الدنيا واحد طالع واحد مهود.

* الذمي: هو الشخص المتدين باليهودية

1-5 قصة الغول والغولة*: قال لك واحد النهار دخلت جنية على امرأة في خيمة، لقات الجنية لمرأة تمشط في شعرها، بغات الجنية تعاند ذيك المرأة بغات المرأة تقضي على الجنية دارت القطران فوق راسها، عاندتها الجنية والمرأة دارت روحها تشعل في نار على راسها، عاندتها الجنية وكانت النتيجة أن احترقت الجنية وتخلصت منها تلك المرأة.

تحليل نص الحكايات الشعبية: يلاحظ أن قبيلة حميان انتشرت بها هذه الحكايات منها الخرافية وقصة الحيوانات، يبدو أن لهذه الحكايات وظيفة تقوم بها، وأن لها قيم اجتماعية وثقافية إن الدافع الأول لهذه الحكايات هو نفس بالدرجة الأولى، مبتغاه المتعة والتسلية والترويح عن النفس، والتحليق إلى عالم الأمل، والإفصاح عن المكبوتات النفسية والاجتماعية. ويلاحظ أن الأسرة قد وظفت في الحكاية الخرافية الجن كبطل في نصها قابله الإنسان، وحاولت إخضاع عالم الغرائب والعجائب إلى الواقع، بينما في حكاية القنفود والذئب أرادت الأسرة الحميانية أن تبين ذكاء القنفود وحيلة الذئب، ولكن يبدو أن ذكاء القنفود تفوق على حيلة الذئب، يظهر من نص الحكاية أن الأسرة الحميانية وظفت الحيوان في حركية النص وأبطاله من الحيوان، خلاصة القول أن الموروث الشعبي خاصة النظري والمعنوي منه في طريق الزوال بسبب انعدام التدوين والكتابة والإهمال في منطقة كانت غنية بهذا التراث الشعبي.

حكاية الشاب الفقير والسلطان: قال لك واحد اليوم كان شاب فقير يدور* حذا* جنان على طرف واد، وكان ذاك الشاب شخص أمين وصادق، وهو يتمشى لقي حبة رومان في وسط الواد، قال هذي الحبة نتاع الرومان بلاك* نتاع صاحب الجنان، وماكانش هذا الشاب يعرف بلي هذا الجنان نتاع السلطان، قعد يسول على مول الجنان باش يعطيه الحبة نتاع الرومان، قالوا له الجنان نتاع السلطان، مشى قاصد السلطان.

*لقد دوت هذه الحكايات الشعبية من خلال مقابلي مع والشيخ والعجائز

وهو خايف يعاقبه، ربما يقول السلطان للشاب رائد خواتنها من الجنان، طلب الشاب يدخل على السلطان، قالوا حراس السلطان للسلطان واحد راه باغي* يدخل عليك، قال ليهم السلطان خلوه* يدخل، دخل الشاب على السلطان، وقال للسلطان سيدي راني* لقيت حبة رمان طايحة* في الوادي، وكى قالوا لي بلي* الجنان نتاع سيدي السلطان هذا هو جيت قاصدك، باه نعطيه لك، قال له السلطان ن شرط عليك شرط إذا بغيتني* نشد* عليك حبة الرومان، قال الشاب للسلطان سيدي واش* هو الشرط، قال له السلطان عندي بنت عمية عمرها* ماشفت، وزحافة عمرها ما مشات، وطرشة عمرها ما سمعت، إذا تزوجت ندي عليك حبة الرومان، ولا متزوجهاش راني نعاقبك على حق لي مشيت الجنان، قعد الشاب الفقير يخمم، وقال له السلطان عندك فهار تفكر في الأمر، ورد عليّ الخبر، اليوم الآخر جا الشاب الفقير، وقال للسلطان نتزوجها، زوجها له السلطان، وقال له أرواح* في الليل أدي مرتك، وعندما جا في الليل، قالي مرته صحيحة وجميلة، هدر معها هدرت معاه، تشوف وتسمع، اسنغرب الشاب، جا الشاب يوم آخر على السلطان وقال له: سيدي كيفاه قتلي بنتي عمية وطرشة وزحافة، رد عليه السلطان، وقال له: أنت إنسان أمين وصادق، وصريح، بغيت نزوج بنتي لمثلك.

* يدور: معناه يتجول، * حذى: بالقرب من، أو بمحاذاة البستان * بلاك: ربما، باغي: معناه يريد مقابلتك؟، * خلوه: أتركه

يدخل، راني: معناه إنني لقيت. * طايحة: معناها قد سقطت على سطح الأرض، * بلي: أي

* بغيتني نشد: إذا أردت أن أخذ حبة الرومان*

واش: معناها ماهو* عمرها: لم يسبق لها

* ورد علي: معناه أن يخبر السلطان في أقرب وقت ممكن.

الفصل الثاني:

العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية في مجتمع

بني عامر وحميان البدوي التقليدي

المبحث الأول: العادات والتقاليد

1- مفهوم العادات والتقاليد والفرق بينهما

2- عادات الطعام وأدابه

3- الحمل والوحم والولادة وتسمية المولود

4- لباس وحمل المولود والرضاعة والفطام

5- طقوس الختان

6- طقوس الزفاف

7- طقوس الوفاة

المبحث الثاني: المعتقدات الشعبية

1- الجان والجن

2- السحر

3- الأرواح

1- العادات والتقاليد: يتفق علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع أن المجتمع البدوي التقليدي يتميز بخاصية التعلق بالموثوثات الشعبية التي كانت تنتقل من جيل إلى جيل، بل أكثر من هذا فهو يرفض أي شكل من أشكال انتهاك بعاداته، وتقاليد ومعتقداته الشعبية، فهو مجتمع أكثر التصاقاً بثقافته التقليدية⁽¹⁾. وقبل إبراز عادات وتقاليد المجتمع العامري والحمياني البدوي التقليدي، لابد من تحديد مفهوم العادات والتقاليد. تمثل العادات والتقاليد شكلاً من أشكال الضبط الاجتماعي⁽²⁾.

1-1 مفهوم العادات: هي مجموعة من أنماط السلوك ظهرت في المجتمع أو الجماعة بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر سلوكها وأوضاعها، وهي تمثل ضرورة اجتماعية، وتستمد قوتها من هذه الضرورة⁽³⁾. لذلك يصعب على الأفراد الخروج على مقتضياتها والتزاماتها، ويقابل الخارج عليها بمعارضة كبار السن والفتات المحافظة في المجتمع والتي تميل إلى عدم تغيير العادات التي تعودت عليها في الماضي يخضع الأفراد لتلك العادات بصورة شبه آلية والخضوع للعادات مفيد للمجتمع فهي تساعد على تماسكه وقوته وتحقيق التجانس بين تصرفات أفرادها. تمتاز العادات بشعبيتها وباتساع نطاق تطبيقها لأنها راسخة في تراثهم الاجتماعي القديم، ومن هنا يقابل للعادات بالسخرية والاحتقار، وأحياناً تستخدم الوسائل العنيفة لإجبار المخالف على احترام العادات، لشدة تعلق المجتمع بها يجعل تغييرها من الأمور الصعبة⁽⁴⁾.

(1) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 317 - د. محمد السويدي: بدو الطوارق - ص 34

(2) د. إبراهيم العسل: الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع - ط 1 - المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت 1997 - ص 38 - دة سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 49-50

(3) دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 200

(4) د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع - نظريات وتطبيقات - دار النهضة العربية بيروت - 1985 - 77 د. إبراهيم

العسل: المرجع السابق - ص 50 - د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 317

1-2 مفهوم التقاليد: فهي مجموعة من قواعد السلوك الخاصة بطبقة معينة أو طائفة أو بيئة محلية محدودة النطاق، وهي تتكون عن طريق الرضى والاتفاق الجماعي على أهميتها، ولذلك فهي تستمد قوتها من قوة الجماعة التي تتمسك بها (1)، وهي ذات قوة إلزامية، ويدافع أفراد الجماعة عن تقاليدهم، وقد يحدث أن يعاقبوا المخالف بالقتل (2). وهذا واضح في جرائم الشرف في بعض القرى العربية، فإنه يتعرض للقتل من قبل أهله لمخالفته تقاليد العائلة أو القرية، كما يلاحظ أن كل طبقة اجتماعية تتميز بمجموعة من التقاليد فيما يتعلق باحتفالاتها وأثاثها وملبسها، ونظم الزواج المتبع (3).

1-3 الفرق بين العادات والتقاليد: يتمثل في أن العادات عامة تنتشر في جميع أعضاء المجتمع بصورة متشابهة، أما التقاليد فهي خاصة بفئة أو طائفة، أو جزء من المجتمع وليس كله، وفي الواقع كثيرا ما يخلط الباحثون بينهما ولا يفرقون بين العادات والتقاليد خاصة وأنها مرتبطتان بالأعمال، من هنا كانت التقاليد من عوامل الضبط الاجتماعي (4)، تتمثل العادات في آداب الطعام لكن هنالك عادات اجتماعية ضارة بالمجتمع، وتمنع تقدمه كمنع البنات من تلقي العلم ومعالجة المرضى بالشعوذة وغيرها.

2- عادات الطعام وأدابه: ذكر ابن صاحب الصلاة عن بعض المأكولات التي كانت تتناولها القبائل العربية بشيء من الترفيه خلال استعراض الخليفة الموحي لها بعد وفودها من إفريقيا للاشتراك في الحرب بالأندلس واحتفاله بها (5).

(1) د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع - نظريات وتطبيقات - ص 77 - د. إبراهيم العسل: المرجع السابق - ص 50

(2) د. سهير: المرجع السابق - ص 200

(3) د. إبراهيم العسل: المرجع السابق - ص 51

(4) نفسه: ص 51

(5) ينظر إلى: المن بالامامة - ص 55 و 174 و 433

فسيها لك على شراب الرب* الممزوج بالماء تشرب وتطرب(1)، كانت عادات الطعام في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي يغلب عليها التقشف، وخامات الطعام مما هو متاح لهذه البيئة الطبيعية بمواردها، والاكتفاء بما تنتجه أنعامهم من حليب ولبن ولحوم. كان مجتمع بنو عامر وحميان يتغذى على اللبن والتمر وكان إعتمادهم عليه كوجبة أساسية، وعلى حليب الشاة والماعز والإبل ومن منتجات الألبان كالسمن* والزبدة* واللبن والشنين* والكيليلة* اللبن المجفف والجبن واللبى*، والرُب وعلى خبز الشعير والقمح كالملة* والمطلوع* والملوي* والحرشة والرفيس* والمسمن والتشيشة والزريزي* بعد طحنه بمطحنة حجرية يدوية إذا ماتوفر لديهم من الحبوب، وعلى لحوم الغنم والجمال، وصيد الأرانب وأحيانا على لحم الذئب، وفي ما يخص أكل لحم الذئب كان هناك مثل شعبي يتردد "الذئب حلال الذئب حرام الترك أحسن"، ومن خلال التطور التاريخي، وما يستنتج من نظرية العمران البدوي عند ابن خلدون أن العرب البدو كانوا في غنى عن أهل التل وحبوبه، لتعودهم على حياة التقشف(2)، وربما كان بنو عامر وحميان يحصلون على القمح والشعير من خلال تجارة القوافل خلال العهد الزياني، في القرن الثامن الهجري من أسواق الشمال من منطقة وهران وسيدي بلعباس وتلمسان، والتمر من أسواق الجنوب من توات وقورارة، وتافيلالت أثناء رحلة الشتاء والصيف(3)، أو كانوا يكتفون بما تنتجه منطقتهم من حبوب بسبب ممارستهم للزراعة البعلية أو الرعوية.

* الرب: الخمر من عصير العنب، وقد كان شربه معهودا أول الأمر بالمغرب لشدة برودة الجبال، لكن الموحدين لم يلبثوا أن انتبهوا إلى أن مفعوله لا يختلف عن مفعول الخمر الحرام، فأصدروا الأوامر بمنعه، وهكذا فبعد أن كان الرب يقدم في الاحتفالات الرسمية، وبعد أن كان يباع بمكان خاص بمدينة مراكش باب الرب حرم في سائر أطراف المملكة سنة 580هـ. ينظر إلى ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة -ص 433- مؤلف مجهول: الاستبصار -ص 211

(1) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة -ص 55 و 174

(2) د. صلاح مصطفى القوال: علم الاجتماع البدوي -ص 317

ويذهب كستللو بالقول: "... إن اقتصاد المجتمعات البدوية ليس مستقلاً، فرغم أن المنتجات الحيوانية هي المصدر الرئيسي لمعيشتهم إلا أن القمح والشعير هو السلعة التي يحتاجونها لذلك يتعين عليهم الحصول عليها عن طريق التبادل مع المنتجات المحلية..." (1)، وهذا عكس ما ذكره ابن خلدون أن العرب البدو كانوا في غنى عن غيرهم، وعن حبوب التلول في بقوله: "والسبب في ذلك أنهم أكثر بدابة من سائر الأمم، وأبعد مجالا في القفر، وأغنى عن حاجات التلول وحبوبها لاعتمادهم الشظف وخشونة العيش، فاستغنوا عن غيرهم" (2) ويبدو أن بني عامر وحميان كقبيلة عربية بدوية كانت تتغذى على من الانتاج الحيواني.

3- الحمل والوحم: كان الحمل في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي من الأمور السعيدة التي كان ينتظرها الجميع، وبرغم ذلك فعندما تشعر الزوجة بحملها، لا تعلن ذلك لأحد بل تخفيه حتى عن أقرب الناس لها (3)، ففي مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي كانت الزوجة لا تبوح بحملها حتى لزوجها، ويعتبر ذلك من الحياء المطلوب في المرأة، وحتى إذا أرادت أن تكشف عن حملها، فهي لا تتكلم إلا بعد مرور ثلاثة شهور أو أربعة أشهر على الأقل، حتى لا تتهم بعدم التعقل أو عدم الحياء (4)، فكثيرا ما يبقى سر الحمل مجهولا حتى يكشفه تضخم البطن أو الوحم، وهو ما يصاحب الحمل كالقيء مثلاً. والحامل لا تعامل معاملة خاصة من قبل أهلها أو زوجها، بل تقوم بالأعمال المطلوبة منها بالكامل دون تدمير ولا تكاسل مهما كان العمل شاقا، وكانت المرأة تحطب

(1) ينظر إلى: علم الاجتماع الحضري - التمدن في الشرق الأوسط - ترجمة د. أبو بكر قادور - د. هاني يحيى نصري - دار القلم -

بيروت - 1977 - ص 27

(2) ينظر إلى المقدمة - ص 87

(3) دة. سهير عبدالعزیز: المرجع السابق - 199

(4) نفسه: ص 200

أي تجمع الحطب، وتقوم بكل الأعمال المطلوبة منها حتى يفاجئها المخاض كما كانت لا تتبع نظاماً معيناً من حيث المأكّل أو المشرب طوال فترة الحمل، فهي تأكل مثلها مثل الجميع. أما الوحم وهي كلمة تطلق على الحالة الصحية التي تكون فيها المرأة في بداية حملها (1)، وفي مجتمع بني عامر وحميان كانت الحامل تشعر بميل نحو أكل أشياء غريبة.

3-ب الولادة وتسمية المولود: كانت الولادة في مجتمع بني عامر وحميان بسيطة للغاية، ولا تحتاج إلى متخصصين، فإذا كانت المرأة أحست بالام الولادة، تطلب إحدى قريباتها خاصة الكبار في السن، فتقوم هذه القرية بتحضير كمية من الرمال، لتجلس المرأة أثناء وضعها على هذه الرمال وتساعدها قريباتها على إتمام الولادة بنفسها (2)، وبعد نزول المولود تقوم إحدى السيدات بربط السرة، وقطعها بأي سكين حاد وكما أفادت إحدى العجوزات أن المشي والحركة بالنسبة للحامل قديماً كانت تسهل لها الولادة، وتساعد على عدم حدوث مغص بعد الولادة، فإذا كان المولود ذكراً أظهرت النساء الفرحة، وإذا كانت الولودة فتاة، تبارك النساء بسلامة الواضعة، وقيامها بسلامة وخلاصها من الأوجاع. وبعد الولادة تغتسل الأم (3).

أما تسمية الطفل، ويطلق عليها "السما" وإطلاق الاسم في الغالب يكون من حق الأب فهو الذي يختار للمولود اسمه، وأحياناً من الأم وكانت الأسماء التي تطلق على الذكر أسماء الأجداد أو الأنبياء والرسل، وأحياناً أسماء غريبة، أما أسماء الإناث على الجدات أو زوجات الرسل والأنبياء، وأحياناً أسماء غريبة، وكان يحتفل بالمولود خاصة الذكر. وعلى

(1) د. محمد السويدي: بدو الطوارق - ص 101 - دة. سهير عبدالعزيز: الاستمرار والتغير - ص 200

(2) دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 200

(3) نفسه: ص 200

الأب ذبح التميمة، فهي عادة مرتبطة بالشرعية الإسلامية وهي العقيدة (1)، ويسدعي لها الأقارب والجيران، ويكون ذلك يوم السابع، وفي هذا يحضر الأهل لمباركة. ويهنيء الجميع بسلامة الأم إذا كانت المولودة أنثى، وإذا كان المولود ذكراً يدعون الجميع للمولود بالبقاء والصحة، فتقال بعض الكلمات التي تعطي هذا المعنى مثل: الله يكبره، ويطول في عمره. وبعد تسمية المولود إذا كان ذكراً يؤذن له في أذنه (2).

4- لباس وحمل المولود والرضاعة والقطام:

4-1- لباس المولود: لم يكن هناك لباس محدد، فالمولود يلف بإي خرق أو قماش، ويمهد وهناك اعتقاد ينم ويتوقف عن البكاء (3)، إذا مهد وذلك بربط الطفل بشريط طويل من عند الأكتاف، ويلتف الشريط حول الأذرع ثم الوسط، حتى يترل على الفخذين فيربطهما معاً، ثم عند القدمين من أسفل يربطهما مسوياً، والغرض من ذلك سهولة حمل الطفل دون أن يصبه أذى، هذا بالإضافة إلى ضمان استقامة ساقَي الطفل وذراعيه، وعموده الفقري.

4-2- الرضاعة: كانت المرأة في مجتمع بني عامر وحميان تغذي مولودها من ثديها، وكانت تتفادى أن ترضعه امرأة أخرى كي لا يشترك في الرضاع مع بنت أخرى، فيصبحان محرمين في الزواج، وكذلك خشية من حدوث مشاكل عند الكبر والزواج، وأحياناً كانت المرأة العامرية والحمانية البدوية تعطي لجارتها الطفل لترضعه، وتعرف من أرضعت ولدها، ولا يزوجون من رضعوا مع بعض خاصة وأن الزواج كان يتم غالباً من الأقارب.

4-3- ج القطام: ترضع الأم طفلها حولين، ولا يفطم قبل ذلك، إلا إذا حملت أمه (4). فإنها

(1) دة. سهير عبدالعزيز: الاستمرار والتغير - ص 200

(2) نفسه: ص 202 - الطفولة القروية - مقالة - من موقع

أنترنت: file:///Documents%20Nouvelles;p1sur3

(3) دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 205 - الطفولة القروية - ص 01

(4) نفسه: ص 205 - الطفولة القروية - ص 02

تضطر إلى فطامه، حتى لا يرضع الطفل لبن الحامل، وعند الفطام تأخذ الأم قطعاً من الصبرة وتضعها في الماء وتمسح على ثديها بهذا المر، قبل أن ترضع الطفل، فإذا طلب الطفل الثدي مكنته، فيحس بطعم المرارة فيلفظه ويكي (1)، وهكذا حتى يكسره الثدي، فتعطيه البديل التمر واللبن، وأحياناً كانت تحاول الأم إخافة الطفل من شيء مما كان الغول أو حيوان، كي يبتعد عنه ويرضى بالبديل (2). وكان المولود الذكر وحتى الأنثى الصغيرة في مجتمع بني عامر وحميان لا يخلق شعره قبل أن ينهي سنة كاملة وعندما يكمل سنة كاملة، كان يخلق شعر الطفل ذكراً كان أو أنثى أما طريقة الحلاقة أن يترك جزء من شعره في مقدمة الرأس، وجزء من شعره على يمين رأسه، وتسمى بالقطاية.

5- طقوس * الختان: الختان هو سنة من سنن الإسلام، ولذلك كان مجتمع الدراسة يلتزم بختان الذكور، أم الإناث فلا تجرى لمن هذه العملية إطلاقاً (3) وتسمى بالطهارة، ويختن الطفل عادة بعد بلوغه السنة الثانية أو الثالثة من عمره، ويقوم به المطهر، وكانت عملية تم عادة في الصباح الباكر، فكان الطفل يتم ختانه بطريقة تقليدية، حيث يجلس في مكان به رمل، ويمسكه والده في العادة حتى لا يتحرك، وتجرى العملية بواسطة موس أو سكين حاد غير معقم، كثيراً ما ألحق ضرراً بالطفل (4).

(1) دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 207

(2) الطفولة القروية: ص 03

* الطقوس: تعبر الرموز غالباً عن القيم والمعتقدات، التي تدعم بين الحين والآخر عن طريق الطقوس، ومثال ذلك أن كل مجتمع يحاول أن ينمي نسق قيمه ومعتقداته عن طريق شعارات متعددة، قديعير الأدياء والفنانون والمثالون وغيرهم بطرق متعددة من الكلمة المسموعة إلى الكلمة المكتوبة إلى الصورة أو التمثال، وتقام الحفلات والطقوس بين حين وآخر لتعميق هذه القيم والمعتقدات في مناسبات متعددة تمجيداً وإقراراً لها في النفوس، ولهذا تعتبر الطقوس والحفلات وسائل هامة للمحافظة على

النظام الاجتماعي. ينظر إلى: دعم محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع - ص 77

(3) دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 207

(4) الطفولة القروية: ص 03 - دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 207

وكانوا يشغلون الطفل فيقال له: شوف في السما. ثم كان الميختن يقوم بقطع الجزء الزائد في الطفل وعندما ينتهي الميختن من عملية الختان، كان الميختن يأخذ مبلغ يسير من المسال حسب الحال، أو أي شيء عيني (1)، ترغرد النساء فرحاً بالطفل الذي تجاوز عقبة صعبة في حياته، ثم تبدأ أسرته في تحضير حفلة الختان حيث تتوافد على خيمته أعضاء الأسرة وتقام الوليمة بذبح شاة.

6- طقوس الزفاف: لم تكن تقاليد القبيلة تسمح بأن يلتقي الشاب المخطوبة بخطيبها إلا ليلة الزفاف، ولم يسمح لها بالخروج إلا عند الضرورة القصوى، وفي حالة خروجها ينبغي أن يرافقها أحد المحارم (2)؛ لأن خروجها من البيت بمفردها هو عار على الأسرة وانتهاك لشرفها ومن ثمة توجه كافة الجهود للحيلولة دون قيام العلاقات الغرامية بين الفتيات والشبان الذين يخضعون في أغلب الحالات لقرارات الكبار الحكيمة (3)، قبل أن تنتقل العروسة في مجتمع بني عامر وحميان البدوي كانت أسرة العروس تتأكد من تمسك البنت العروسة بعفتها قبل الزواج حتى نهاية الاتفاق وبعده، وتعتبر أي علاقة اجتماعية تسمح بالاختيار عاملاً يؤدي إلى زيادة احتمالات الشك في سلوك العروس (4)، وجلب العار على الأب والإخوة أكثر من الزوج الذي يستطيع أن يطلقها ليلة الزفاف (5)، وإن لم تكن عذراء أو بعد ذلك، إذا استطاعت الإفلات والهروب، والأخذ بالثأر لدرأ العار بالقتل أو بأي شكل من أشكال العقاب لها، وصاحبها يقع على عاتق الأب والإخوة (6).

(1) دة سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 212

(2) نفسه: ص 212.

(3) د. محمود حسن: الأسرة ومشكلاتها - ص 134-135

(4) نفسه: ص 135 - الطفولة القروية: ص 03

(5) د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع القروي - ص 148

(6) د. محمود حسن: الأسرة ومشكلاتها - ص 135

فهي عرضهم وشرفهم وفي بوادي شمال إفريقية ينبغي أن تظل شخصية الفتاة سرا مغلقا بالنسبة للغرباء على حين يختلف الموقف بالنسبة للذكور في سن الزواج وفي الليلة التي تسبق انتقال البنت إلى خيمة أسرة العريس كان يقام حفلا سواء في خيمة العروسة أو العريس. بالنسبة للعروسة كانت جدة العروس أو أمها تدهن قدميها وكفي يديها بالحناء⁽¹⁾ وكذلك كان يدهن قدمي العريس وكفيه وكانت أمه هي التي تقوم بهذه العملية أو جدته، ويحدد الشخص الذي يقوم برعاية الزوج خلال فترة الزفاف⁽²⁾ ويكون هذا الفرد غالبا من أسرته إما أن يكون ابن عمه أو ابن خاله، ويسمى هذا الفرد بالوزير، ويختار الوزير بناء على اعتبارات منها أن يكون أكثر ثقة وأمانة عند أهل العريس وكذلك من العريس نفسه، وغالبا ما يختار العريس من يرافقه في هذا الزفاف. وفي هذه الليلة تلتقي أسرتا العروسين الهدايا والمساعدات الرمزية⁽³⁾، وفي الصباح تستمر الاحتفالات حتى العصر، وعندئذ تحمل النسوة جهاز العروس البسيط، في موكب من النساء والأطفال إلى خيمة أسرة العريس⁽⁴⁾. حيث يبدأ موكب العروس من خيمة أسرتها راكبة جملا في هودج أو ما يسمى بالعطوش رفقة أمها وجدتها أو خالتها، أو مترجلة إذا كانت الخيام متقاربة. ويسير الموكب حتى يصل إلى خيمة العريس. وفي العشة الزوجية تجتمع بعض النسوة ومعهن الوزيرة، ووظيفتها هيأ العروس نفسيا لعملية فض البكارة⁽⁵⁾، بل تقدم لها بعض التوجيهات والنصائح خاصة وأن العروسة تجهل هذه العملية بحكم صغر سنها، وعندما يعلن بدخول العريس إلى عشته مرفوقا بالوزير الذي

(1) د. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 214

(2) محمود حسن: الأسرة ومشكلاتها - ص. ص 134-135

(3) د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع القروي - ص 148

(4) نفسه: ص 148

(5) محمود حسن: المرجع السابق - ص 135

بأنه يقدّم له نصائح وتوجيهات حول فض البكارة وغالباً ما يكون الوزير يكبره
سناً، وقد سبق له أن تزوج أو أن يكون متزوجاً لأنه يملك الخبرة. وعندما يعلن العريس
بالدخول تغلق سواتير الخيمة. ويقوم الوزير بحراسة عشة العريس حراسة مشددة رفقة
أشقائه العريس، ودخوله هو إيذاناً ببدء عملية فض البكارة، وتبقى النسوة تزغردن وتغني
حتى يعلن الوزير إعلان فض البكارة. وبعد ذلك يخرج العريس فاسحاً الجبال لأهل
العروس بالدخول عند العروسة (1). بعد أن يخطره العريس بذلك، وعند إتمام فض البكارة
تفتح سواتير الخيمة، ويخرج العريس ليلتقي بأقرانه، فيمزحون ويطرون رجولته في فض
البكارة، لأنه قد يحدث أن يضطرب الشاب في لحظة فض البكارة وتدخل الوزيرة وعادة
ما تكون من شقيقات العروسة، وتخرج حاملة منديلاً مخضبا بدم البكارة (2)، وتلوح به
وتزغردن النسوة فرحاً، ويدل هذا المنديل على شرف العروسة وأسرقتها (3)، وتقدم التهاني
أولاً إلى والد العريس وجميع أعضاء الأسرتين خاصة أم العروس وفي حالة العكس تطرد
العروسة في اليوم الموالي حفاظاً على شرف أسرة العريس (4). وتتأثر الفتاة البدوية في
المجتمع الحمياني والعامري بنفس الأنماط، إلا أنها تنفرد بتشعبها بفن التغني بالعروس
والعروسة إبان حفلات الزفاف، وفي غياب الوسائل ترقص النساء على إيقاع الدف
والصحون الذي ينقر بالكف (5). خلاصة القول فإن مسألة الشرف كانت أساسية في
المجتمع بني عامر وحميان العربي البدوي، خاصة فيما يتعلق مسألة العرض التي كانت تتمثل
في العذرية رمزية المرأة البكر، كانت القبائل العربية أحياناً تصل إلى حد الاقتتال.

(1) دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 213 - الطفولة القروية - ص 03

(2) د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع القروي - ص 148

(3) نفسه: ص 148 - دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 213

(4) محمود حسن: المرجع السابق - ص 135

(5) د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع القروي - ص 148

7- طقوس الوفاة: إن العادات المرتبطة بالوفاة في مجتمع بني عامر وحميان كانت تسير وفق الطريقة الشرعية التي أقرها الإسلام، فعندما كانت تحدث الوفاة، تقوم زوجة المتوفي أو أحد أولاده بإعلام أقاربه بالحضور لبيت أهل المتوفي، يقوم بتجهيز الميت أحد الرجال ذوي الخبرة من القبيلة، فيعد تجهيز الميت بغسله وتكفينه بالكفن الشرعي وهو من قماش أبيض عاد، وليس فيه أية مظاهر للرخاء، ولا يرى الميت أثناء تجهيزه سوى أولاده أو المقربون (1) وبعد صلاة الجنازة، ينقل الميت على ظهر الحمار أو الحصان، فهم في حالة الترحال المستمر، ولذلك يحفر للمتوفي حفرة تكون بعيدة إلى حد ما عن مناطق الرعي، أو في مقبرة معلومة إذا كان بدو بنو عامر وحميان في موطن القبيلة أو بجوار جبل، وكان الميت يدفن بطريقة اللحد، وهو حفرة لوضع الميت على شكل سلمتين، بحيث يوضع الميت في الجزء السفلي المنخفض، ثم يوضع فوقه قوالب من الطوب أو الحجارة (2)، ثم يبلل بعض التراب بالماء ليسد بها الفتحات التي حول الطوب المرصوص، ولحم بعضه ببعض، وتحتته يكون الميت راقدًا على جانبه الأيمن في اتجاه القبلة، وبعد أن يتم تلبيس أوسد مابين الطوب أو الحجارة بالتراب فمائها، يوضع التراب فوق ذلك (3)، وبعد الدفن يعود الأهل إلى خيمة المتوفي ليتقبلوا التعازي، وإذا كان للمتوفي زوجة فعليها الحداد أربعة أشهر وعشرة أيام، وتخلع أدوات الزينة، ولا تغير من ملابسها، ولا تتزين إطلاقًا، وتحتفي عن الأعين فترة الحداد، ولا تخاطب أحدًا (4)، وكان يسمى في لغة بني عامر وحميان الرباط، وكان هناك صراخ ونحيب من أهل الميت، وكذلك البكاء حزنا على المفقود.

(1) دة. سهر عبد العزيز: المرجع السابق - ص 228

(2) نفسه: ص 228

(3) نفسه: ص 229

(4) نفسه: ص 229

8- الزي واللباس: كانت بنوعامر وحميان مثل بقية عرب بني زغبة سواسية في لبس المخيط (1)، وربما القوا رداء على ظهورهم والتفوا بازار (2)، وهم يتفاوتون في ذلك بتفاوت المراتب الاجتماعية لا بتفاوت العشائر والقبائل، وكانت العمائم لبس الرأس المألوف عندهم (3). يستخلص مमारواه القلقشندي عن زي العرب في العصر الموحيدي أن الأشياخ والعامّة كانوا على زي واحد لا يمتاز بعضهم على بعض إلا بشيء واحد لا يكاد يظهر ولا يبين وهو صغر العمائم وضيق القماش (4)، كما أنهم يلتزمون تحت أذقانهم بأطراف عمائمهم متأثرين في ذلك بزناطة (5). وذكر ابن صاحب الصلاة في وصفه للملابس التي كان يهديها البلاط الموحيدي للعرب في المناسبات الخاصة سواء عند قدومهم للمبايعة أو التهنة أو للاشتراك في الحرب ضد النصارى في الأندلس فينعم عليهم بالكساء التامة من العمائم والغفائر، والبرانس والأكسية "بأن حصل لكل فارس غفارة* وعمامة وكساء وقبطية* وشقة* وفي موضع آخر يقول: وكسا جميعهم بالقباطي جمع قبطية والقمص والغفائر والعمائم، ويضيف ابن صاحب الصلاة ثم أعطى الكسوات للموحيدين والأشياخ من كل قبيلة ولطلبة الحضر والعرب بأن أعطى كل واحد ستة أثواب وغفارة، وقبطية مبطنة، ومقطعة مهدويين وكساء" (6).

(1) د. محمد غيث: علم الاجتماع القروي - ص 148

(2) الألوسي: بلوغ الإرب في معرفة أخبار العرب - بدون تاريخ - ص 403 - عبد الحميد يونس: المرجع السابق - ص 97

(3) عبد الحميد يونس: نفسه - ص 97

(4) القلقشندي: صبح الأعشى - ج 5 - القاهرة - 1963 - ص. ص. 142-143

(5) مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر - ج 2 - ص 155

* الغفائر: جمع غفارة: كساء يابس فوق آخر

* قبطية: هي الثوب الأبيض الرقيق من الكتان، ربما هي العباءة اليوم.

* شقة: هي عبارة عما شق من الثياب علة شكل مستطيل، وربما هي التي تسمى عند حميان باللغة الفرنسية الجليّة.

(6) ينظر إلى: المن بالإمامة - ص 291 و 437 و 450

يستخلص من النصوص السابقة أن بني عامر وحميان من جملة بني يزيد كان زيههم أيسام الموحدين بالمغرب الأوسط كانت القبطية والقمص والغفائر والعمائم⁽¹⁾. بينما زي الفرسان منهم يزيد الكساء والشقة بدلا من القمص حتى إذا كان الزي من شيوخهم يتكون من ست قطع فاخرة وعمامة وغفارة وقبطية مبطنة ومقطعين مهديين وكساء⁽²⁾، أما زي بني عامر وحميان في عهد الإمارة الزيانية فيتكون من عمائم طويلة قليلة العرض من كتان يعمل فوقها احرامات يلفونها على أكتافهم⁽³⁾. ويبدو أن بني عامر وحميان كان لهم زيا خاصا بالمناسبات كالزواج لونه أبيض إذ يذكر الأنصاري "...أن أبي العباس أحمد بن هيب...بعد توبته، وكان من فرسان العرب وشجعانها ودفع مرة واحدة لانكسار العرب وحده وذلك أنه كان في ذلك اليوم عليه ثياب بيض لكونه يدخل على زوجته في الليلة المقبلة..."⁽⁴⁾. يستخلص من النصوص السابقة أن بني عامر وحميان لا يزالون محافظين على الزي العربي الهلالي وعلى السمات الثقافية التي تميزها، بحيث لا يزال العامري والحمياني يرتدي العمامة التي تسمى في لغة المنطقة بالخواق*، وربما يعود اختيار اللون الأبيض لعاملين هما: العامل الأول اللون الأبيض لكي يعكس حرارة الصيف، أما العامل الثاني وهو محاكاة الرجل العامري والحمياني وتقليده لسلفه بني هلال عندما كانوا يرتدون اللباس الأبيض أيام أفراحهم وأعراسهم ويلفوها على رأسه، وأحيانا يتلثم بسبب العامل الايكولوجي، وهو حدوث الزواجر الرملية وتقليد بربر زناتة وكان شعارهم لبس المخيط في الغالب ولبس العمائم تيجانا على رؤوسهم⁽⁵⁾.

(1) القلقشندي: صبح الأعشى ص 203- ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية ص 160

(2) نفسه: ص 203- ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية- ص 160

(3) نفسه: ص 203- ابن أبي دينار: المؤنس- ص 160

(4) ينظر إلى: معالم الإيمان- ج 4- ص 211- د. مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية- ص 254

(5) مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر- ج 2- ص 155- مصطفى أبو ضيف: نفسه- ص 253

فهم قوم يلفون الليث والأخدع قبل لبسها، ثم يتلثمون بما تحت أذقانهم من فضلتها، وهم عرب المغرب حاكوا بها عمائم زناتة من أمم البربر قبلهم⁽¹⁾. ويبدو من هذه الرواية أن حميان وبني عامر حاكوا في لباسهم بربر زناتة. وعادة ما يوضع أسفل العمامة ما يسمى بالعراقية بالعين المفتوحة وهي عبارة عن غطاء للرأس تسمى بالشاشية، كما أنه يرتدي الحمياني والعامري سروالا فضافضا واسعا من الكتان غالبا ما يكون قصيرا لا يصل إلى الرسغ أو القدمين، بالإضافة إلى السروال يرتدي العامري والحمياني لباسا داخليا، ويضع فوقه لباسا فضافضا يسمى بالعباءة وهي كذلك لباس لونه أبيض يصنع من الكتان، ويلبس فوق العباءة الهدون أو البرنوس أو الخيدوس أو الجلابة. ويحمل الحمياني والعامري العصا والسكين أينما حل، ويقول وات "...ولباس العربي فضفاض ومسترسل لا يعوق الحركة، يوفر للجسم الدفء في الشتاء والرطوبة في الصيف، ويحمي البشرة من البرد والحر على السواء من جفاف الهواء والرمال..."⁽²⁾ وتدل هذه السمة الثقافية على الحياء والوقار، ومرد ذلك أن الرجل العامري والحمياني كان يتجنب ارتداء اللباس الضيق الذي يظهر أعضاء الجسم أمام أفراد أسرته وأمام الجماعة. وهو أيضا تقليدا لأسلافهم بني هلال. ويشرح ابن خلدون أثر العوائد الاجتماعية وشدة وطأها على الناس في حياتهم الاجتماعية، فيقول "...والعوائد منزلة طبيعية أخرى، فإن من أدرك أباه وأكثر أهل بيته يلبسون الحرير واليباج، ويتحلون الذهب في السلاح والمراكب، ويحتجون عن المجالس والصلوات، فلا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك إلى الخشونة في اللباس والزينة..."⁽³⁾

* هو عبارة عن قماش من الكتان لونه أبيض في الغالب طوله ما بين 4م و5م

(1) مبارك بن محمد المليي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج2 - ص155

(2) ينظر إلى البدو - ص17

(3) ينظر إلى المقدمة - ص294 - د. حسن الساعاني: علم الاجتماع الخلدوني - ص184

والزّي والاختلاط بالناس، إذ العوائد حينئذ تمنعه وتقبح عليه مرتكبه، ولو فعله لرمى بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد دفعة، وخشي عليه ذلك وعاقبته في سلطانته⁽¹⁾. كانت المرأة في مجتمع بني عامر وحميان متمسكة بنماذج الزّي التقليدي الموروث، بل كانت تحاكي اللباس الهلالية، وهو لباس محتشم بسبب صرامة التقاليد. لقد ذكر أحد الضباط الفرنسيين الذين زاروا منطقة بني عامر وحميان، وربما قد شاهد عن قرب اللباس الذي كانت ترتديه المرأة العامرية والحميانية البدوي، حيث جاء في قوله: إن المرأة العامرية والحميانية كانت ترتدي قماشاً ناعماً طويل الألياف من الحرير⁽¹⁾، وكانت تتزين بأسوار الساقين والرسغ التي كانت تعرف بالخلخال*، وكذلك أسوار الذراعين، وكانت تضع في كل أصابعها الخواتم، وكانت في رقبتها العتق والعقد المكون من قطع نقدية مرتبة ومنظمة*، وعرق من اللؤلؤ أو الصدف والسيح، وهو نوع من فحم اللينيت شديد الاشتعال، لونه أسود قاتم ومادة المرجان لونها أحمر ومسامير القرنفل، وأزار من الحديد وحلي ومجوهرات⁽²⁾. كانت المرأة العامرية والحميانية ترتدي أيضاً المقرون خاصة النساء اللاتي تجاوزن الستين سنة، وهو عبارة عن لباس رقيق أبيض اللون، وكانت تضع عن التقاء طرفي المقرون ما يسمى بالخلال*. أما المرأة المتزوجة فإنها تضع غطاء أو رداء يسترها كان يسمى بالحوالي وهو عبارة عن غطاء يصنع من الصوف، وكسوة الرأس عند المرأة العربية والنقاب تعين على العين والأنف والأذنين من أذى التراب⁽³⁾.

*الخلخال: هو شكل من أشكال الحلي، كان يوضع في رسغ المرأة البدوية العربية، على شكل دائري كان يصنع عادة من الفضة.

*الخلال: وهو عبارة عن قطعة من الفضة دائرية الشكل

(1) المقدمة-ص 294-د. حسن الساعاتي: المرجع السابق-ص 184

(2) ينظر إلى البدو: ص 17-17 Jacquot Félix: op.cit.p283

(3) Ibid.p283

(4) مونكرمي وات: المرجع السابق-ص 17

وكانت مدة الحداد والتعازي في مجتمع بني عامر وحميان أسبوعاً كاملاً، وكان يأتي جميع الأهل والأقارب للعزاء ولمواساة أهل الميت، ويقولون عبارة "الله يعظم الأجر"، فكان أهل الميت يردون "ما طراً عليك شراً".

ب- المعتقدات الشعبية: ومعناها الاقرار أو التسليم بكل أنتجه الشعب من فولكلور عبر مسيرته التاريخية*. ارتبطت المعتقدات الشعبية بالمجتمعات البدائية والبدوية، فهي تساعد الأفراد على الوصول إلى الوسائل الفعالة من وجهة نظرهم التي تعينهم على التحكم في البيئة والاستعداد لمواجهة بعض الأحداث الطارئة (1). يذهب علماء الأنثروبوجيا والاجتماع أن من خصائص المجتمع البدوي أنه يعتقد بالسحر، بل يسود لدى أعضائه الاعتقاد القوي في الأشياء الغريبة أو المقدسة ومنها الخرافات والأساطير والعادات والتقاليد والأعراف والثقافات الموروثة أو ما يطلق عليها بالموروثات الشعبية (2). فهل كان مجتمع بنو عامر وحميان كمجتمع عربي بدوي تقليدي يؤمن بالمعتقدات الشعبية؟ لقد جاء عن المؤرخين أن عرب البدو تأثرت بمعتقدات الجاهلية في عاداتهم رغم مرور القرون العديدة وبعد المسافة ما بين المنبع بلاد الحجاز والمصب حيث الاستقرار ببلاد المغرب.

ج- الجن أو الجن: عند السؤال عن الجن في مجتمع الدراسة ذكر الجميع على وجود الجن نظراً لذكره في القرآن، في سورة البقرة والأعراف والحجر والكهف وطه والرحمن والجن الذي يلخص سماتهم وطبائعهم، فهم نوع من الخلائق بين الملائكة والشياطين (3)، خلقوا من مارج من نار، لكنهم دون الملائكة لطافة جسم، وذلك لأنهم يأكلون ويشربون.

* ينظر إلى د. صلاح مصطفى: علم الاجتماع البدوي - ص 321

(1) فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية - دار النهضة العربية - بيروت - 1983 - ص 183

(2) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص. ص 317-321

(3) دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 253

ويتناسلون ويموتون يحاسبون ويثابون وإليهم أرسل الأنبياء كما أرسلوا إلى البشر، وإليهم تحدث القرآن، وكانوا من أيام النبي يجلسون من السماء حيث يريدون أن يسترقوا السمع إلى آخر تلك السور القرآنية المفصلة ويأتي المفسرون فيقولون: بأن الجن كانوا هم سكان الأرض قبل آدم عليه السلام (1)، وكان لهم ملوك كثيرون فأجلاهم إبليس إلى أطراف التخوم، كما يقول ابن قتيبة في كتاب المعارف، وأن طمهورث أحد ملوك الفرس حاربهم وحاصرهم في جبل قاف (2). والاعتقاد عندهم أن لكل إنسان قرين من الجن، وأكدوا أن هناك نوعان من الجن: جان مسلم وجان كافر، ومعظم قصصهم كانت على النوع الثاني من الجن وكل ما ذكر عن الجان المسلم أنه يدخل في الإنسان، إذا أؤذي منه مثل دفع الماء الساخن بدون ذكر اسم الله، وهذا علاجه سهل، ويكون عن طريق أخذ بخروجه من الشخص بدون عودة وبدون أذى (3)، أما إذا كان الجان غير مسلم فهو صعب الخروج، ولا ينفع فيه القراءات كالمسلم ولذلك على المعالج أن يقوم بضربه ضربا مبرحا وبالطبع كل هذه الأمور تنفذ في أفسان المسحور، ويظل المعالج يضيق عليه الخناق حتى يخرج من العضو المراد، ولذلك أكد الباحثون على أنهم ينصحون أطفالهم بعدم الصراخ في الأماكن المهجورة أو اللعب في الرماد، أن ذلك يؤذيهم حيث يتواجد الجن في هذه الأماكن، أما الكبار فيذكرون دائما بالبسملة، وأن الجان يتجسد في قط غالبا ما يكون أسود اللون، ومن ثم يأتي تحريم إيذاء القطط عامة ليلا والأسود على وجه الخصوص (4)، يؤمن بنوعامر وحميان بمجتمع القوى الخفية والخوارق، ويرتب المعتقد الشعبي الكائنات غير المرئية مثل الأولياء والجن والملائكة ترتيبا تصاعديا.

(1) التيجاني: رحلة التيجاني - ص. 310-311

(2) أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي - ط3 - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - 1971 - ص 151

(3) دة. سهير عبد العزيز: المرجع السابق - ص 254

(4) أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي - ص 151

ج-الأرواح: كان في اعتقاد مجتمع بني عامر وحميان أنها شيء واسع للغاية، فكان يرى أن الموت نهاية الإنسان على هذه الأرض، وأن روح الميت تصعد إلى خالقها. وإنما كان بنو عامر وحميان يعتقدون أن روح الميت تجوس في بيته بعد وفاته وتزور أبنائه وتسمع وترى وتحزن بما يصيب أهل الميت، وفي مكان الميت، ومن المعتقدات الشعبية كذلك التي كانت سائدة هي أن كلما كان موت الإنسان شاذاً كالقتل، وكل من قضي عليه في ظروف فاجعة، تظل روحه تسكن المكان أو الشيء الذي مات عنده، وكانت تشع القصص وتنسج الحكايات عن تلك الروح (1)، وهي تتكلم كلمات المقتول الأخيرة خاصة عندما يسقط المطر، وتبلل الأرض وتأتي حركاته وتطلق صرخاته (2)، ويطلق على الظاهرة العجيبة والغريبة في مجتمع بني عامر وحميان بزقوقن

د-السحر: ظاهرة اجتماعية موجودة في كثير من المجتمعات، بما في ذلك المجتمعات البدوية، وإن اختلفت طقوسه وممارسوه من مجتمع إلى آخر حسب الظروف الاجتماعية والحضارية التي تسود كل مجتمع على حده، وللسحر ممارسوه الذين يتفرغون له تماماً (3)، أو فقد اعتقدوا في شجر العشر وهو شجر ناعم النبات شديد الخضرة يضرب إلى السواد، ينبت صعداً وله أوراق عظيمة ونور مشرق حسن المنظر لاستجلاب المطر إذا احتبس بضروب من السحر والشعوذة (4)، إذ يعمدون إلى ربط بعض أغصان شجر العشر أو السلع في أذنان وعراقيب البقر، ثم يصعدون بها في الجبل الوعر، ويشعلون فيها النار ويزعمون أن ذلك من أسباب نزول المطر (5).

(1) فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية - ص 183 - دة سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 254

(2) أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي - ص 152

(3) دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 155

(4) د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 262

(5) النيجاني: رحلته - ص 62 - د. مصطفى أبوضيف أحمد: المرجع السابق - ص 262

وكذلك في التأثير السحري لنجم سهيل* وكانوا يزعمون أن سهيلاً والضب كانا رجلين فرضا العشور على الناس والأتاوات، على تجار البر والبحر، فمسحهما الله عقوبة لهما وجعل أحدهما نجماً في السماء والآخر حيواناً على الأرض يذكر التيجاني بقوله "...إنما الغريب من أمر سهيل، وهو صحيح مشاهد أن الإبل ساعة طلوعه تستديره فلا تزال مولية بوجهها عنه مادام طالعا، وإن كانت حين طلوعه مستقبله استدرات من الحين فولته أدبارها، وهذا أمر شائع مستفيض لم أر من أهل الإبل إلا مقرا به مصدقا له... وهم يزعمون إن طلوعه سبب موت الإبل ووقوع الوباء، فلأجل ذلك تكرهه وتستديره... وسألت أعراب زماننا أوائل القرن الثامن الهجري عن هذا الذي يذكر من تأثيره في الإبل فقالوا لا نعلم له تأثيراً، إلا أن طلوعه أمان للإبل المغشوشة من الموت فما لم يموت بالغش قبل طلوعه لا يموت بعده..." (1)، ومن المحتمل أن تكون كراهية الإبل لسهيل تعود إلى قيام العرب بفصل الحوار* من أمهاتها، حتى تغني بذلك ساجعهم بقوله: إذا طلع سهيل برد الليل وخيف السيل وامتنع القيل وكان لأم الحوار الويل (2). وكما تأثرت القبائل العربية بالمغرب الإسلامي بمعتقدات الجاهلية، وعاداتها الذميمة، فقد تأثرت كذلك بصفاتها الحميدة مثل الكرم والشجاعة (3).

*سهيل: نجم كبير ساطع وصهيل هو الاسم الذي أطلقه العرب على عدة نجوم في نصف الكرة الجنوبي، ويستعان به في الاستدلال على جهة الجنوب وهو المعروف عند أهل المغرب (campus)، وقد أطلق المسلمون اسم سهيل على مدينة أندلسية على الساحل الشرقي الإسباني المطل على البحر المتوسط بجوار مريلة؛ لأنه من هناك كان يرى هذا النجم فسميت باسمه في العصر الوسيط وقد كتب سنان بن ثابت بن قرة أبوسعيد الفلكي والطبيب العربي رسالة عنه لشهرته. ينظر إلى التيجاني: رحلة التيجاني - ص 62 - ومادة سهيل في دائرة المعارف الإسلامية.

(1) ينظر إلى رحلة التيجاني - ص 62 - 63

*الحوار: ولد الناقة قبل أن يفصل عنها. ينظر إلى المنجد ص 155

(2) التيجاني: رحلة التيجاني - ص 311 - 314 - القلقشندي: نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب - ص 462

(3) د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 262

ومن أشهر كرماء عرب إفريقية شهوان بن عيسى بن جابر بن قائد بن رافع بن رباب. وكان رئيساً في قومه بعيد الصيت مشهور بالكرم لم يذكر في وقته صنوة، وبعد موته دفن بين قصر صيارو وبئر طشانة بالقرب من قرية تاجورة (1). فصار القبر اسماً علماً لهذه البقعة. وكان العرب في القرن الثامن الهجري إذا نزلوا هناك ولم يكن لهم زاد قاموا على قبره فنادوا: يا شهوان أكرم ضيوفك إيماناً منهم بكراماته واعتقاد فيه فيذكرون أنهم لم يناموا قط (2)، كانت المرأة تعمل السحر لزوجها السحر لكي يظل طوع أمرها، أو لا يتزوج عليها، كما كان البعض يضع السحر عدواناً على الآخرين وككيد بحيث يجعل هذا الإنسان المسحور لا يطيق حياته، ولا يعرف النوم والبعض الآخر كان يستخدم السحر للتفرقة بين الزوج وزوجته لأسباب كيدية (2) يستخدم ولا يزال في علاج الأمراض أو لتحقيق بعض الأغراض كالظفر بقلب الحبيب (3)، أو لإذلال الرجل والسيطرة عليه من طرف المرأة، أو لغيرة امرأة من امرأة أخرى كحسدها من الزواج، أو تفرقة شمل عائلة فوسائله كثيرة ومتعددة. تتنوع العمليات السحرية حسب الغرض المراد تحقيقه، فهناك من يلتجأ إلى المشعوذين، وهناك من يمارس هذه العملية بنفسه باستخدام بعض الأشياء تؤدي إلى الهلوسة، أو فقدان الذاكرة أو الجنون (4)، وكان السحر يوضع ويمارس بطريقة سرية محكمة (1). ويمكن استنباط أسباب ظاهرة السحر في هذه المنطقة أن مردها أن المرأة كانت ذليلة للرجل عبر حقبة زمنية فرضتها تقاليد وقيود نظام القبيلة، وبالتالي فهي التي دفعت بالمرأة ولكي تثبت شخصيتها ووجودها في مثل هذه المجتمعات البدوية التي تؤمن بنظام الأبوة وسلطان الذكورة على الأنوثة، فلجوء المرأة إلى استخدام السحر لغرض فرض مكانتها في المجتمع العامري والحمياني.

(2) التيجاني: رحلة التيجاني - ص 64

(3) تاجورة: قرية بجوار طرابلس. ينظر إلى د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب - ص 263

هـ- الطب الشعبي: إن الحديث عن الطب الشعبي حديث قد ينطوي على قدر من اللبس والغموض حول معنى الطب الشعبي، فالطب الشعبي جزء من المعارف الشعبية التي تكونت عبر أزمنة طويلة، كانت التجربة والاستنتاج هي أساس تطورها، ولقد استمرت لارتباطها بالطبيعة، وبظروف مجتمعية، فهي تستخدم ما هو موجود في البيئة الطبيعية، ومتوفر من أعشاب ونباتات، حيث كان الإنسان والحيوان راحلا من مكان إلى مكان، وأينما يصاب أحد بمرض، فيجد الدواء في أعشاب المروج المجاورة، فيصنع منها الشراب والمراهم (1)*. وهنا قد يأتي الشفاء عن طريق الثقة في قدرة الله، وكما خلق الداء، خلق له الدواء، وعلى الإنسان أن يبحث عنه (2).

ج3-1 مفهوم الطب الشعبي: هو نوع من التداوي الذي يقوم به محترفون لهذه المهنة، أو غير محترفين وهم يرثونه أبا عن جد، مكتسبون للخبرة عن الممارسة، مستخدمون للأعشاب وكبد الحيوانات والدهانات، والمبسم القضيبي الحديد الذي يتم به كي المرضى، وهذا النوع من الطب قديم، وله خطورته، ولكن مازال يمارس وهو في الدرجة الأولى طب وقائي (3)، وكان الطب الشعبي هو الوسيلة الوحيدة المتاحة في منطقة الدراسة ويعتبر الطب الشعبي عنصرا من عناصر المعتقدات الشعبية، فعن طريق الخبرة لدى كبار السن والمتاح في الطبيعة من أعشاب ونباتات والكلي بالناز كانت وسائل التداوي، ويلاحظ أن ابن خلدون قد بين أن الأمراض كانت قليلة في البادية عن الحاضرة في عهده، نظرا لاختلاف الحياة الاجتماعية ومعيشة الناس وعاداتهم في الحاضرة.

(1) دة. سهير عبدالعزيز: الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي - ص 258

* هناك طرق متعددة للعلاج منها الحجامة، ومنها الكلي بالنار، ومنها التداوي بالأعشاب عن طريق الشرب، أو من الظاهر كالليخة، وهناك طرق لاتدخل في هذا التصنيف.

(2) نورة الطياش: الطب الشعبي - ورقة مقدمة من وكالة الرئاسة لكليات البنات في إحياء التراث الشعبي - 1410هـ - ص 2

(3) أمين رويحة: الطب الشعبي - ط 3 - دار القلم - بيروت - 1974 - ص 28

ويعمل ذلك بأن أهل البادية أكثر حركة ورياضة من أهل الحواضر الذين يتميزون بالسكون بقوله: "...أما أهل البدو فمأكلهم قليل في الغالب، والجوع أغلب لقلّة الحبوب، وأما أهويتهم فقليلة العفن لقلّة الرطوبات والعفونات إن كانوا ظواعن، ثم إن الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الخيل أو الصيد أو طلب الحاجات لمهنة أنفسهم في حاجاتهم، فيحسن بذلك كله الهضم ويجود، ويفقد إدخال الطعام على الطعام، فتكون أمزجتهم أصلح وأبعد من الأمراض فتقل حاجتهم إلى الطب في البادية بوجه عام وما ذلك إلا للاستغناء عنه، إذ لو احتيج إليه لوجد لأنه يكون بذلك في البدو معاش يدعو إلى سكنه..." (1). وسوف يتم عرض بعض الأمراض وكيفية علاجه في مجتمع بني عامر وحميان: الحمى وكان يتم مداوئها بواسطة نبات يسمى النوخة، أو الضرور والركام بالزعرتر، وكانت الأمراض الصدرية والسعال والروماتيزم يداوى بأزير الجبل أو البلب وألال وكذلك يستعمل للمرأة الحائض وإذا أصاب المريض الام يداوى بالفيجل، وكان نبات الحرمل يستخدم للأمراض النفسية أي للذي يمسه جان، العرعار لعلاج مرض المعدة وأيضا ملة الشعير لعلاج بعض الأمراض التي تصيب الجهاز الهضمي، أمراض الرأس كالصداع وفتح الشهية وغيرها من الأمراض التي تصيب الجهاز الهضمي. كما كان علاج الأمراض النفسية وحتى الجسمية عن طريق الشعوذة باستخدام التمام لوقاية الفرد من العين الشريرة. حيث يقول ابن خلدون "...وتجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب والأدم من أهل القفار أحسن حالا في جسومهم، فألوانهم أصفى وأبدانهم أنقى، وأشكالهم أتم وأحسن وأخلاقهم أبعد عن الانحراف وأذهانهم أثقف في المعارف والادراكات..." (2).

(1) ينظر إلى: د. حسن الساعدي: علم الاجتماع الخلدوني - ص 184 استخلصت هذه المعلومات من الواقع المعاش، فلا تزال العائلات في المجتمع الحمياني يستخدمون هذه الأعشاب وهذه النباتات الطبيعية في علاج كثير من الأمراض.

(2) ينظر إلى د. ألبير نصري: من مقدمة ابن خلدون - ص 84

الفصل الثالث:

بنوعامر وحمياؤ (دراسة اجتماعية)

المبحث الأول: النظام السياسي

1- نمط الحياة الاجتماعية (البداوة)

2- النظام القبلي

المبحث الثاني: النظام الاجتماعي

1- المكانة الاجتماعية للمرأة

2- التنشئة الاجتماعية

3- نظام الزواج

4- نظام الأسرة

5- القيم الاجتماعية

المبحث الثالث: النظام الاقتصادي

1- الترحال

2- الرعي

3- الإغارة والسلب



1- نمط الحياة الاجتماعية (البداوة): ذكر ابن خلدون في العمران البدوي أن الأجيال تختلف في حياتها نتيجة الاختلاف في ظروفهم المعيشية وأحوالهم، وأن البدو أقدم من الحضرة وأصل التمدن، فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة والتمدن هو غاية للبدوي (1). وتمثل البداوة* عند ابن خلدون الجيل الأول في حياة المجتمعات البشرية، وترتكز في رأيه على ركيزتين أساسيتين، أولاها حاجة الناس إلى التعاون لإشباع احتياجاتهم الضرورية، وثانيهما حاجة الناس إلى الحماية والدفاع عن أنفسهم ضد مخاطر الطبيعة والكائنات الحية الأخرى على حد سواء، ومن هنا كانت أو نشأت القبيلة أول الأشكال الجماعات الاجتماعية التي ضمت بني البشر أو احتوتهم على أساس من العصبية، ووفق تنظيم سياسي واجتماعي صارم (2)، ثم صنف ابن خلدون البدو ووضعهم في مستويات أربعة، فقد صنف بني عامر وحميان ضمن البداوة الجزئية ومن الرحل الذين ليسوا متوحشين بطبيعتهم، وإنما بطبيعة المعاش الذي ينتحلونه. إن البداوة اصطلاح يطلق على فئة من السكان الذين يتميزون بخصائص معينة وسلوك خاص تتحدد ملامحه إلى حد كبير من خلال البيئة المحيطة بهم ولا تسمح تلك البيئة بإقامة حياة سكانية مستقرة (3)، فالبداوة تعني الترحال وعدم الاستقرار في مكان ثابت طوال العام، إذ تضطر بعض الجماعات أو العشائر على أن تغير مناطق إقامتها من آن لآخر أو من فصل لآخر سعيا وراء مصادر الغذاء أو القوت، وسعيا كذلك وراء الرزق (4).

(1) د. ألير نصري نادر: من مقدمة ابن خلدون - ص 82

* البداوة هي نمط الحياة القائم على التنقل والترحال الدائم للإنسان في طلب الرزق أو حول مراكز مؤقتة يتوقف مدى الاستقرار عندها أو حولها على كمية الموارد المعيشية المتاحة من ناحية، وعلى كفاية أو كفاءة الوسائل المستعملة في استغلال أو استثمار تلك الموارد من ناحية أخرى وكذلك على مدى كفاية الأمن الاجتماعي

(2) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 336

(3) نفسه: ص 257

(4) نفسه: ص. ص 337-338

ومنها الرعي أو الزراعة أو التجارة، كما هو الحال في كثير من أقاليم السهول والصحاري(1). إن البداوة مرحلة متميزة من مراحل النمو أو التطور الحضاري للمجتمعات البشرية، هذا التطور الحضاري الذي يتناول بالتغيير عادة جانبين أساسيين هما: الجانب المادي ويشمل ما يستخدمه الإنسان من أدوات وأجهزة وغيرها من عناصر البيئة التي تحيط به، والجانب اللامادي: ويتناول العادات والتقاليد والعرف والقيم، علاوة على ذلك من الأساليب التي تنظم سير الحياة الاجتماعية بأنظمتها المختلفة(2). البداوة سمة من سمات الحياة الاجتماعية في الصحاري نشأت أي البداوة كرد فعل إيجابي لظروف الحياة فيها، وكذلك هي مرحلة حضارية قديمة كانت تمثل حياة الإنسان كله على سطح الأرض منذ نشأته حتى العصر الحجري الحديث(3)، والبداوة الحالية من الناحية الجغرافية عبارة عن حالة ملائمة بشرية بين هؤلاء المتخلفين وبين ظروف البيئة الطبيعية. البداوة لا تعني التجوال بغير هدف عبر الصحاري، بل هي تمثل أقصى نوع من التوافق والتكيف للحياة البشرية مع الطبيعة القاسية. وتشكل البداوة الرعوية أكثر أنماط البداوة سعة وانتشاراً، إلا أن البداوة الرعوية ليست هي نمط البداوة الوحيد حيث توجد إلى جوارها عدة أنماط أخرى(4). لقد بذلت محاولات كثيرة لوضع تصور مبسط. ومن المحاولات ما قام به د. هاجن (E.hagen) عندما وضع نظريته عن التغيير الاجتماعي والتي دعمها بدراسات الحالة فقد حدد مظاهر المجتمع التقليدي(5).

(1) مونكرمي وات: المرجع السابق-ص26

(2) محي الدين صابر: عوامل التغيير الحضاري في نمط الحياة البدوية-القاهرة-1965-ص316-د. محمد السويدي: المرجع

السابق-ص32

(3) د. مصطفى صلاح الفوال: علم الاجتماع البدوي-ص338

(4) د. عبد المجيد مزيان: النظريات الاقتصادية- وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي -دراسة فلسفية واجتماعية-

المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار-الجزائر-200-ص240-مونكرمي وات: البدو-ص18

(5) د. محمد السويدي: المرجع السابق-ص32

في خمس مظاهر* أو معناها السعي من مكان إلى مكان وراء المرعى، فالبدواة إذن تجوال ليس فيه استقرار ورعي قطيع من الأنعام، فالبدواة بهذا المعنى الضيق بدأت في عصر متأخر عن الزرع وتربية الحيوانات المتولية (1). بينما عرف بعض الاجتماعيين البدواة بأنها نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان في طلب الرزق حول مراكز مؤقتة يتوقف مدى الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة فيها من ناحية وعلى كفاية الوسائل الفنية المستعملة في استغلالها من ناحية ثانية، وعلى مدى الأمن الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافر فيها من ناحية ثالثة (2)، أو هي نمط من الحياة يقوم على الارتحال الدائم بين مناطق زراعية ضئيلة المردود، وهي ديناميكية واستجابة لظروف بيئية خاصة أكثر من كونها نمطا للحياة يختلف عن أنماط الحياة المستقرة، وكأها مرحلة وسطى بين مرحلة الجمع والصيد والقنص البدائية ومرحلة الزراعة (3). تسود الجزائر خصوصا هضابها الفسيحة ظاهرة اجتماعية اقتصادية معا ظاهرة البدواة ذلك أن سكان هذه المناطق من القبائل العربية والبربرية لا يستطيعون الاعتماد على موارد الإقليم النازلين به. فيضطرون إلى الترحال انتجاعا للكأ وطلبا للعيش الميسور الذي يتوفر في جهات أخرى أوفر ثراء (4).

* طرق السلوك التي تستمر مع تغير طفيف، وتنتقل من جيل إلى جيل، ثم السلوك المحكوم بالعرف وليس بالقانون والنسق الاجتماعي الذي يؤثر بالتدرج الثابت في العلاقات الاجتماعية الأساسية، وعادة مايكون وضع الفرد في المجتمع موروثا أكثر منه مكتسبا وانخفاض الإنتاجية الاقتصادية. ينظر إلى: بالاندييه جورج: علم الاجتماع - ترجمة د. أحمد الخشاب - مقالة - المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية - العدد 13 - القاهرة - 1973 - ص 73

(1) د. عبد المجيد مزيان: النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون - ص 240 - مونكري وات: البدو - ص 18 - د - مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 292

(3) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 165

(4) ف. ف. كستللو: المرجع السابق - ص 27

وكان ابن خلدون على اتصال ببعض القبائل العربية الساكنة بنجود الصحراء وخصوصا نواحي بسكرة والمشرية والسرسو(1)، وبقيت قبائل الهضاب العليا الغربية الأخرى، وكذلك سكان قصور بني عامر وهي قصور الأطلس الصحراوي الغربي بحكم الظروف السياسية التي سمحت لابن خلدون عندما كان مستشارا للسلطان المريني عبدالعزيز، وأخيه يحيى ابن خلدون كان حاجبا في بلاط بني زيان(2)، وربما كان ابن خلدون يلاحظ عن قرب حياة بني عامر وحميان البدوية، وحياة سكان قصور بني عامر حيث قام ابن خلدون بقراءات كثيرة ومتنوعة يمكن من خلالها من معرفة الكثير من الوقائع والأحوال عن بلاد المغرب التي ولد في إحداها وهي تونس، وعاش وتنقل في بعضها، وألف كتابه في التاريخ في دولة أخرى وهي الجزائر(3) وإذا كان مجتمع بنوعامر وحميان مجتمعا بدويا* رعويا حسب ما جاء عن ابن خلدون فإن بني عامر وحميان ربما كانوا محل مشاهدة ابن خلدون التي اتخذهم كعينة في دراسته، واستخلص من غط معيشتهم نظريته المعروفة في العمران البدوي، وكان بنو عامر وحميان من أهل الظعن المحدود وكان يعيشون على ماهو ضروري(4). في عهد الدولة الزيانية، حيث كانت المنطقة تشكل إقطاعا الذي منحه سلاطين بنوزيان خاصة في عهد أبي موسى الثاني.

(1) د. عبد المجيد مزيان: المرجع السابق ص 240

(2) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 305

* هو ذلك المجتمع الذي يضم العشائر والقبائل وغيرها من الوحدات الاجتماعية القبلية الرحل وأشباه الرحل أو يضم أي المجتمع البدوي تلك المجتمعات البدائية المحلية التي تحيا في العصر الحاضر حياة تقليدية غير مستقرة تتميز بالبساطة وعدم التعقيد فضلا عن تشابك العلاقات والنظم الاجتماعية والأدوار وتعدد وظائفها، وتمثل تلك المجتمعات البدائية حالة حضارية أقل تقدما لو قورنت بحالات حضارية أخرى متقدمة، سواء كانت سالفة أم معاصرة هذا فضلا عن أن البداوة بصورها المتعددة وبمحتواها المادي والبشري، وتعتبر هي حجر الزاوية بالنسبة للمجتمعات القبلية أو العشائرية البدوية. يتظر إلى: د. مصطفى صلاح الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 305

(3) د. حسن الساعاتي: علم الاجتماع الخلدوني - ص 81

(4) د. ألبير نصري نادر: من مقدمة ابن خلدون - ص 103

1- النظام القبلي: يسود البداوة نظام قبلي خاص، فأنحصرت الوحدة في القبيلة* الواحدة، وأحيانا في العشيرة المحجوزة في منطقة معينة واحدة لا تتجاوزها؛ إلا مضطرة عند الانتجاع وراء الماء والكأ إذا فقدوا في منطقتها(1) هل يمكن إطلاق تسمية قبيلة على بني عامر وحميان؟ هل كل مجتمع بدوي ناجع يكون بالضرورة مجتمعا قبليا؟ يرى الباحثون الاجتماعيون أن المجتمع البدوي هو ذلك المجتمع الذي يضم العشائر والقبائل وغيرها من الوحدات الاجتماعية القبلية الرحل وأشباه الرحل(2) هل يمكن القول أن بطون بني عامر وحميان تنتسب إلى جد واحد؟ كانت بطون حميان قبل أن تندمج مع بني عامر تشكل قبيلة تنحدر من جد واحد، حسب ما جاء عن النسابة المؤرخين ولكن بعد أن اندمجوا مع بطون بني عامر، يبدو أنهم فقدوا رابطة القرابة الدموية، وأصبحوا يشكلون قبيلة واحدة مع بني عامر، وأصبحت الرابطة التي تجمع بطون حميان وبطون بني عامر صلة الرحم، كان بنوعامر وحميان يعيشون في نظام قبلي، منذ أن كانوا في الحجاز والشام، حيث كان العنصر السائد هو العنصر البدوي، وقد انتظم هؤلاء البدو في قبائل. ماهي أسباب التجمع القبلي؟ وما هو أساس النظام القبلي؟

* القبيلة: معناها مجموعة بشرية تتكون حول رابطة القرابة، وتنتسب إما حقيقيا أو وهميا لجد واحد، أو معناها تجمع من الناس يقطن إقليما معينا، وتسود بين أفرادها ثقافة مشتركة ولغة واحدة، وإحساس قوي بالتضامن والوحدة، ويستند إلى مجموعة من العواطف الأولية، يعرف وايت هيد(White head) القبيلة بأنها "تجمع كبير أو صغير من الناس يشتغلون إقليما معينا، ويتحدثون نفس اللغة وبينهم علاقات اجتماعية خاصة تعبر عن التجانس الثقافي بينهم". ينظر إلى: د. عبد الحميد مزيان: النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون - ص 263 د. إبراهيم العسل: الأسس النظرية والأساليب - ص 38 - دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 37

(1) نفسه: ص 36

(2) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 165 - كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية - المجلد الأول - نقله إلى العربية د. بدر الدين القاسم - ط 1 - دار الحقيقة للطباعة والنشر - بيروت - 1972 - ص 11

تتجمع الجماعات البدوية في تجمع قبلي نظرا للظروف الطبيعية غير المستقرة وغير المأمونة، ويرى ابن خلدون أن التجمع القبلي في أماكن معينة، إنما هو أمر فرضته الحاجة إلى الاستمرار في الحياة، وأن اجتماعهم هذا لم يكن إلا من أجل التعاون لتحصيل القوت والضروري من أجل البقاء، كما أن اعتمادهم على الحيوانات ومنتجاتها هو الذي حدا بهم إلى سكنى البراري والقفور، حيث يسكنون في بيوت شعر يسهل عليهم نقلها عندما يحل الجذب في مكان، فيرحلون إلى مكان آخر، كما أن الحياة في ظروف قاسية قد وحدت بينهم ودعت إلى نشأة علاقات وصلات قوية فيما بينهم تتمثل في دفع الخطر الذي قد يتعرضون له وصد المعتدي، أو القيام بغارات على مناطق أخرى لتوفير سبل العيش (1). إن أساس النظام القبلي هو الأسرة، وغاية البدوي الكبرى أن يكون أبا لأبناء كثيرين، يستطيع أن يقوى بهم ويعتز إذا كبروا، بحيث يصبحون أسرة كبيرة هو ربها ثم يتزوجون، وتكبر الأسرة، فيصبح الجد الأكبر رئيسا لها، أو شيخا لعشيرة صغيرة تنتمي إليه، وإذا استطاع بفضل كرمه وغناه وشجاعته في الحرب أن يكسب محبة أسر أخرى من أقربائه واحترام أفرادها أصبح شيخا لعشيرة أكبر، ومن هنا فإن النظام القبلي عند البدو هو نظامهم السياسي، فهم قبائل والقبائل تنقسم إلى عشائر، والعشيرة إلى بطون، والبطن إلى أفخاذ، والفخذ إلى أسر حتى تصل إلى العائلة الواحدة ورئيسها (2). إذن تتركز جميع روابط البدو الاجتماعية في الأسرة، وما يتفرع عنها من بيوت وشيجة القربى والقبيلة تؤلف عادة من عدة أهالي قد تحالفت مع بعضها، والبدوي مخلص لعشيرته (3)، ولكنه يدافع عنها باختياره ورضاه، وهو يحترم شيخ العشيرة أو القبيلة.

(1) دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 37

(2) جبرائيل سليمان جبور: البدو والبادية - ص 230

(3) مكى الجميل: البداوة والبدو في البلاد العربية - مركز تنمية المجتمع - سرس الليان - 1962 - ص 53

ولكنه لا يتحمل الاستبداد منه كان بنو عامر وحميان قبل دخولهم إلى المغرب الإسلامي خاضعين لقبيلة زغبة، وبعد أن ازداد عدد هذه القبيلة عند دخولها إلى بلاد المغرب في منتصف القرن الخامس الهجري. بدأت تتفرع إلى قبائل خاصة بعد دخولها إلى المغرب الأوسط (1). فانبثق عنها قبيلة بني عامر ومالك وحصين وعروة ويزيد، وأصبحت حميان تابعة لقبيلة يزيد كانت رئاسة بني يزيد في أولاد لاحق ثم انتقلت إلى أولاد معافي ثم انتهت في بيت سعد بن مالك بن عبد القوي بن عبد الله بن سعد بن محمد بن عبد الله بن مهدي بن يزيد بن عيسى بن زغبة (2)، وكانت الرياسة لبني زغلي من سعد، فكانت لزيان ابن زغلي ثم لأخيه ديفل ثم لأخيهما أبي بكر ثم لابنه ساسي بن أبي بكر ثم لابنه معتوق ابن أبي بكر ثم لموسى ابن عمهم أبي الفضل بن زغلي، ثم لأخيه أحمد بن أبي الفضل ثم لأخيهما علي بن أبي الفضل ثم لأبي الليل بن أبي موسى بن أبي الفضل وهو رئيسهم حتى أواخر القرن الثامن الهجري وخلفه في قومه ابنه يحيى (3)، ويطرح أحد الباحثين سؤالاً وهو لماذا لم يبين ابن خلدون كيف أن البطن يمارس الرئاسة في بني يزيد التي كانت لأولاد لاحق؟ (4) يستخلص من الدراسة التاريخية أن حميان كانت تعيش ضمن تشكيل قبلي يقوده رئيسا يشاركه في ذلك رديفاً، لكل قبيلة من قبائل البدو أسرة تتوارث مشيخة القبيلة، وليست هذه المشيخة للأكبر سناً، وإنما لأكبرهم همة، ولا بد للشيخ أن يمتاز بصفيتين: الشجاعة والكرم، واستخدامه للأسلحة في الحرب إسخداماً جيداً (5). كانت حميان ترى في بني يزيد النسب المتواصل القريب جداً ولذا كان يربطها بفروع بني يزيد

(1) العبر: ج 6-ص 41 - مبارك بن محمد المليي: المرجع السابق - ج 2-ص 190

(2) نفسه: ص 41

(3) نفسه: ص 41

(4) Said Dahmani: les Banu-hilal et le pouvoir dans le Maghreb central-

p149

(5) دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 37

الأخرى الالتحام والاتحاد بينها وبين بني عامر. والسبب في وجود النظام القبلي عند بني عامر حميان يعود إلى صلة الرحم وهي صلة طبيعية في البشر كما يقول ابن خلدون (1)، وتمثل هذه الصلة في النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام خوفاً من يصيبهم ضيم أو هلكة (2)، وبعد انتقال حميان إلى صحراء تلمسان أثناء قيام دولة بني عبدالواد سنة 1236م بعد أن تبعت بني عامر أصبحت خاضعة لرئاسة بني عامر، وكان رئيسهم آنذاك دواد بن هلال بن عطف بن رداد، وعندما تباعد النسب بين حميان وبني عامر حصل بينهما الولاء والحلف، وقد سبق لبني عامر أن ناصر بني يزيد فحصل بينهما تحالفاً، استجدت قبيلة بني يزيد بهم ضد بني رياح وربما قد استنتج ابن خلدون هذا القانون من خلال مشاهدته لهذه العلاقات الاجتماعية بين القبائل العربية الهلالية في المغرب الأوسط حيث يقول ابن خلدون "... وإذا بعد النسب بعض الشيء، فربما تنوسي بعضها، ويبقى منها شهرة يتوهما في نفسه، فتحمل على النصر لذوي نسبه بالأمر المشهور منه، فرارا من الغضاضة التي يتوهما في نفسه من ظلم من هو منسوب إليه بوجه ومن هذا الباب الولاء والحلف إذ نصره كل أحد على أهل ولائه وحلفه للألفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب، وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريب منها..." (3) وهذا ما تعتقد بعض المجموعات المكونة لما يسمى بحميان والتي تتوهم بأنها تنتسب إلى قبيلة حميان مع أن بعضها لا يمت بصلة لها. وبقيت حميان خاضعة لبني عامر إلى غاية انقسام بني عامر وحميان إلى قسمين: قسم هاجر إلى المنطقة التالية خلال عهد بني زيان وقسم بقي مستقرا بصحراء تلمسان.

(1) المقدمة - ص 91 - د. ألير نصري نادر: من مقدمة ابن خلدون - ص 103

(2) ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص 470

(3) ينظر إلى المقدمة - ص 91

ويبدو من خلال الدراسة التاريخية أن بني عامر وحميان كانوا يشكلون قبيلة واحدة تخضع لرئيس واحد، بناء على انتخاب من مجلس القبيلة أو الجماعة مع مراعاة لثروته أو لصفاته الحربية، وكان من حق سلطان الذي تتحالف معه القبيلة إقرار هذا الاختيار أو تغييره حسب ما يتراءى له (1). يحكمه في ذلك مدى إخلاص الزعيم وتفانيه في خدمته وإن كانت حريته هذه تقيد في حالة قوة القبيلة (2). وفي النهاية كانت الصفات هي التي تضمن للرئيس الاستمرار في حكم القبيلة وتوجيهها، والتفات قلوب شبابها حوله مفتونين بفروسيته وقوته مستعدين للتضحية بأرواحهم في سبيله، وهذا لا يمنع القبيلة من تغيير زعيمها وشيخها إذا ما أساء التصرف وعرض مصالحها للخطر (3)، وربما كان لكل قبيلة وكيل يمثل الرئيس وكانت وظيفته تتعلق بجباية الاقطاعات الممنوحة للقبيلة من الدولة أو ماتمكنت القبيلة من وضع يدها عليه، وإن اختارهم كان بعيدا عن التوفيق، ولكل قبيلة كاتب ومفتي أو فريض القبيلة، فالفريض كناية عن المفتي يستفتي في المشاكل بين الأفراد وبعضهم وتقبل أحكامه لما له من قدرة خطابية، وكذا في المشاكل الدينية، وإن كان يفقد الإمام بالشرع والدين (4)، وكذلك لكل قبيلة كاهن، فيصفه ابن خلدون "أرفع هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة لتشتغل به الحواس، ويقوى بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص، فيهجس من قلبه عن تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الأجنبي ما يقذفه على لسانه، فربما يفزع إلى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالإدراك ... " (5). بزعمه، وتمويلها على السائلين وأصحاب

(1) البيان: ج4-ص470

(2) اليجاني: رحلة التيجاني-ص189

(3) نفسه: ص197

(4) البيان-ج4-ص470

(5) ينظر إلى المقدمة-ص.ص100-101

هذا السجع هم المخصوصون باسم الكهان⁽¹⁾ وكما أن الفرد لا يستطيع أن يحيا منفردا عن القبيلة، كذلك كانت القبيلة نفسها لا تقوى على مواجهة أعدائها، فلا بد أن تنطوي تحت لواء حلف أكبر يضم القبائل ذات الأصل الواحد، والتي تدعي الانتساب إلى جد مشترك، وقد تضطر القبائل إلى ذلك وفقا لظروف اقتصادية أو حرية⁽²⁾. وهو عبارة عن ميثاق يتعهدون فيه أن يكونوا صفا واحدا متساندا وينفرون إلى القتال معا⁽³⁾. ويحتملون الديات معا ويأخذون بثارات بعضهم بعضا⁽⁴⁾. ومن أمثلة ذلك تحالف عرب الأثبج وزغبة ورياح وبنوقرة لمقاومة استيلاء الموحدين على إفريقية في 547هـ - 1152م متناسين ما بينهم من ثارات⁽⁵⁾. ولكي يكسب العرب هذا الحلف قوة كانوا يصبغونه بصبغة دينية ليجعلوا صفة مقدسة كأن يعقدوا الحلف عند أحد الشيوخ المشهور لهم بالكرامات، كما كان يعقد عرب الجاهلية أحلافهم عند الكعبة، أو يغمسوا أيديهم بالدم أو الطيب، ثم يتصافحوا بعد ذلك دليلا على التمسك بالحلف⁽⁶⁾. أو يوقدوا نارا ويدعون بالحرمان من خيرها على من ينقض العهد ويحل العقد وكذلك هناك أحلاف صغيرة تقوم بين حين أو قبيلتين بحكم الجوار هدفها تحقيق الأمن والسلام لكل منهما لا يخالف معه إغارة مغير ولا ضياع كبير من الأشياء ولا صغير كتخالف عرب الحاميد والجواري⁽⁷⁾، وبلغ من أهمية الحلف وقديسيته في حياة العرب القبيلة

(1) ينظر إلى المقدمة - ص. 100-101

(2) G.Marçais: les arabes.p20 حسن أحمد حسن: قيام دولة المرابطين - القاهرة - 1957 - ص. 26.

د. عبد الحميد يونس: الهلالية - ص. 86

(3) العبر: ج 6 - ص 20 - الميلي: تاريخ الجزائر - ج 2 - ص. 257-258

(4) ابن الخطيب: نفاضة الجراب - في علالة الاغتراب - نشره أحمد مختار العبادي - القاهرة - 1967 - ص. 305 و 323

(5) القلقشندي: سبح الأعشى - ج 1 - ص 409

(6) العبر: ج 6 - ص 57 - د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب - ص 249

(7) ابن خلدون: المقدمة - ص. 100-101

أن أصبح في بعض الحالات علم على قبيلة المتمسكة به حتى يختلط الأمر على البعض فيطلقون اسم الحلف على الجد المشترك لهذه القبيلة كما حدث في أبي قحافة بين عرب النضر بن عروة وبني عامر وحميان بن زغبة(1)، إذ يزعمون البعض انتسابهم إلى عرب النضر إلى أبي قحافة بينما يقول شيوخهم أنه ليس بأب لهم هو اسم واد كان به حلفهم قديماً(2) وإذا كان ابن خلدون اتخذ من حميان وبني عامر كنموذجاً لنظريته المعروفة بعلم العمران، فإن صاحب علم العمران كان يرى أن حياة البادية كلها مقتصرة على الضروريات(3)، وأن النظام القبلي هو النظام النموذجي للرحل، ولا تظهر مزاياه المجتمعية إلا عند النموذج الذي شاهده ابن خلدون وهو نموذج بني عامر وحميان الذي يعيش على تربية المواشي(4). وتتلخص ميزاته أنه نظام يكون وحدة متماسكة مبنية على القرابة بالانتساب الحقيقي أو الخرافي إلى نفس الجد، وأنه نظام أبوي لأن نفس الجد البعيد الذي تتكون باسمه الوحدة يوجد حتى في الأسرة الحية وتتسع الأسرة إلى الأبناء والأحفاد الذين يعيشون تحت سلطة أب أو جد واحد له هيمنة مادية وروحية على الجميع ويقوم الشيوخ مقام هذا الأب الرئيس(5)، إنه متماسك باسم العصبية في مظهرها الأولي الذي يكاد يكون بيولوجياً، وهي عصبية الدم الواحد من جهة الذكور كالإخوة وأبناءهم والعمومة وأن بعدت وأبناء العمومة.

(1) المقدمة-ص 100-101-د. عبد المجيد مزيان: النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون-ص 264

(2) د. عبد المجيد مزيان: المرجع السابق:ص 264-د. محمد عاطف غيث: علم الاجتماع القروي-ص 130 د. محمد السويدي: بدو الطوارق-ص 34

(3) د. حسن الساعاتي: علم الاجتماع الخلدوني-ص 165-عبد المجيد مزيان-ص 264

(4) موروبرجر: العالم العربي-ص 56-د. عبد المجيد مزيان: النظريات الاقتصادية-ص 265

(5) د. عبد المجيد مزيان: نفسه-ص 265

بينما ترفض دخول الخؤولة في حمة العصبية⁽¹⁾، وأنه مجتمع يعتبر فيه الذكور منذ البلوغ حتى الموت محاربين مجندين باستمرار، وهو مجتمع له أرضه الخاصة محدودة في مناطق جغرافية معينة تسمى أرض القبيلة، وعليها يقع الصراع مع القبائل المجاورة وللقبيلة قيمها الخاصة المتمثلة في النعرة وهي الإسراع للدفاع عن القريب وعن حرمة القبيلة وفي الشجاعة لأنها أساس البقاء في هذا العالم المملوء بالصراعات⁽²⁾، وفي الكرم لأنه يمثل جانبا من التساند والتكافل المجتمعي في الداخل وجانبا من الفخر والتطاول في الخارج، هذا وتنقسم القبيلة في المجموعات الكبيرة إلى أفخاذ وأسر واسعة يحفظ كل منها نسبه وعصبيته ولا يعرف هذا النظام المبني على الرعي نوعا آخر من الملكية الأرضية غير الملكية الجماعية، بينما تملك كل أسرة قطيعها ودوابها وخيامها وأمتعتها⁽³⁾، ويبدو أن هذه الميزات كانت تتوفر في النظام القبلي العامري والحمياني، ويلاحظ أن قبيلة بني عامر وحميان قد اتسعت وتغيرت معالمها في بعض الظروف السياسية إذ اضطر أهلها إلى التغيير، فليس النموذج المذكور سابقا ساكنا، بل يمكن أن بنياته لا تثبت تمام الثبوت، إلا إذا تم تصوره في محيطه العادي وفي ظروفه العادية لحياة الرحيل والتفاعل مع القبائل الأخرى المماثلة⁽⁴⁾. وهل العصبية في النظام القبلي العامري والحمياني أدت إلى تغير هذا المجتمع؟ فالجتماع العامري والحمياني بقي قريبا وتسوده العصبية لكنه لم يرق إلى مستوى تأسيس الملك، لأنه لم يخرج عن حياة الشظف والبدواة، فليس كل العصبية القبيلة التي

(1) مورويبرجر: العالم العربي - ص 55 - د. عبد المجيد مزريان: النظريات الاقتصادية - ص 265

(2) نفسه: ص 55 - د. حسن الساعاتي: علم الاجتماع الخلدوني - ص 170 - كلود كاهن: تاريخ والشعوب الإسلامية - ص 11 -

د. ألبر نصري: من مقدمة ابن خلدون - ص 103

(3) د. ألبر نصري: من مقدمة ابن خلدون - ص 103

(4) ابن خلدون: المقدمة - ص 101 - مورويبرجر: المرجع السابق - ص 55 - د. ألبر نصري: من مقدمة ابن خلدون - ص 103

ترمي إلى الملك يبقى محافظا على معاشه وبنياته مدة طويلة من الزمن(1). إن عرب بني عامر وحميان بما لهم من إحساس بالتفرد وإيمان بالمساواة لا يخضعون بسهولة لقيود السلطة، وقد وصف ابن خلدون بأنهم أقل الناس قدرة على الحكم وأقلهم خضوعا له. ويبدو أن البدو لا تسهل قيادتهم لفرط شعورهم بالعزة، وعدم اعترافهم بأي سلطان، اللهم إذا اتبعوا نبيا فالدين وحده يقلل من كبريائهم، وبكبح من غيرتهم وتنافسهم(2)، وبالرغم من أنه لا بد من لرؤسائهم أن يكونوا قادرين على استعمال القوة لقمع التمرد، إلا أن عليهم في الوقت نفسه أن يلاطفوهم(3)، ويتجنبوا إظهار القوة الذي قد يسبب تمردا يحطم سلطان الرؤساء ووحدة المجموعة كلها، وبالرغم من المساواة فإن المجتمع البدوي لا يلتفت إلى الفرد بل أنه يلحقه بالأسرة وبالوطن والقبيلة، والفرد لا يجد في خضوعه للقبيلة إكراها، إلا حين تحاول السيطرة عليه قوة خارجية من غير قبيلته، ففي هذه الحالة يبدي مقاومة، والقبيلة هي الوحدة الثانية الأكبر بعد الأسرة، وهي مجموعة من البطون المختلفة وهي أقرب الأشياء إلى الحكومة بين البدو(4)، فهي التي ترسم حدود التجوال والترحال، وتوقع المعاهدات مع القبائل الأخرى، وتمارس درجة من درجات السلطان الاجتماعي، وهذا الشكل من أشكال الحكم يتحقق بواسطة رئيس القبيلة ومجلس الشيوخ من البطون المتعددة وشيخ ليس مستبدا(5) بالرغم أنه يملك مقدارا من السلطة داخل نطاق العرف القبلي، وعليه أن يحقق سلطته وفقا لتفسيرات القبيلة التقليدية لمصالحها؛ لأنه ملتزم بالأحداث السابقة التي تعيها الذاكرة،

(1) موررو بيرجر: العالم العربي-ص56-د. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية-ج1-ص96

(2) نفسه:ص56-د. محمد السويدي: بدو الطوارق-ص33

(3) نفسه:ص57-د. غوستاف لوبون: حضارة العرب-ص345

(4) د. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية-ج1-ص.ص96-97

(5) موررو بيرجر: العالم العربي-ص56

وملتزم برأي القبيلة الذي يصدر عن الشيوخ الذي لا بد له أن يراجعهم قبل اتخاذ أي رأي(1)، وتورث رئاسة القبيلة إلى الابن، وإذا لم يكن مرغوبا فيه، تعطى لشخص آخر من أسرة الشيخ، والخصال المطلوبة في رئيس القبيلة هي الشجاعة التي يحكمها الحذر والحكمة، والثروة ليتمكن من إبراز صفة الكرم والسلوك الأبوي نحو رجاله وأن يكون حازما، غير أنه لا بد أن يكون عادلا ورؤوفا والقبيلة والأسرة هما الوسيطتان اللتان تعلمان الطفل، وتدريبان القتيبة على دورهم الاقتصادي، وتمارسان على الفرد السلطة الاجتماعية واسعة(2)، وقوانين هاتين الوسيطتين فضلا عن ذلك ليست مدونة كما هي الحال في المجتمعات المتطورة، على أن السلطة الاجتماعية معروفة، إن أحد الملامح الرئيسية للمجتمع البدوي هو ادعاء الأسرة والقبيلة مسؤوليتهم عن سلوك أفرادهما(3). فالجرائم والإهانات والأخطاء توضع حملا ثقيلًا على كاهل الجماعة التي ينتسب إليها المسيء، والفرد يخضع لإشراف الجماعة المباشر ولنظمتها لأن سلوكه يلزم هذه الجماعة تماما، فإذا ماسرق أحدهم شخصا آخر فإنه يخضع لجماعته لعقاب المجني عليه والقصاص على الأخطاء تفرضه القبيلة نفسها على أفرادها، والقصاص عقابي ويخضع للمساواة، وهذا يعني أنه يهدف إلى تعرض الجاني لما تعرض له المجني عليه إنه يستهدف تطبيقا حرفيا لما جاء في القرآن الكريم العين بالعين والسن بالسن، وبالرغم من أن القصاص موضوع لردع جرائم أخرى، إلا أن وظيفته الأساسية فيما يبدو هي تعويض الضحية بإرضاء نزوعها إلى الانتقام، أو دفع الدية لها فيما يتناسب مع الضرر من مال أسرة الجاني أو قبيلته(4).

(1) موروبر جر: العالم العربي - ص 55

(2) الصغير بن عمار: الفكر العلمي عند ابن خلدون - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - 1981 - ص 34

(3) موروبر جر: العالم العربي - ص 56

(4) نفسه: ص 56

ويذهب بعض الباحثين أن البدو في الصحراء يعيشون في نظام قبلي والوحدة في البادية هي القبيلة، وهي وحدة يربط بينها الدم والعصبية، والقبيلة العربية تخضع لدستور صارم نظمته التقاليد والعرف، وخلاصة هذا الدستور أن يحس الفرد برابطته القبلية ويلتزم بتأييد مصالحها، والعمل لها بكل ما يملك من قوة، وأفراد القبيلة جميعا متضامون فيما تلقى مسؤولية على سيد العشيرة الذي عليه أن يتحمل التبعة، وله من أجل هذا حق الطاعة على أفراد القبيلة، وسيد القبيلة يختار من بين من تجمعت فيه صفات الشجاعة والكرم والحلم (1). وذهب فليكس جاكو إلى القول بأن حميان يتجزأون إلى خمسة عشر أو عشرين فرع صغير أو قبيلة أو عرش وكل قبيلة لها شيخ، يخضع للشيخ الأكبر التي تخضع له كل العشيرة. وكل قبيلة بدوية لها رئيسها الذي يدير شيوخ فروع القبيلة، الذي يسمى بكبير الجماعة، وهؤلاء ينفذون أوامر الرئيس، وكذلك تخضع الجماعة لأوامر شيوخ الفروع أو الدوار (2). يستخلص من أن قبيلة بني عامر وحميان كانت مقسمة إلى عشائر في شكل قبائل أو عروش، وكان عددها خمسة عشر فرعا (3)، ولكن لم يذكر العلاقات التي كانت بتجمع بين هذه الفروع، بل ذهب إلى القول أن كل قبيلة أو عشيرة كانت من الوجهة السياسية تشكل دولة أو حكومة مستقلة عن أخرى والذي كان يجمع هذه العشائر سوى الرابطة الروحية التي كانت تتمثل في قبيلة أولاد سيدي الشيخ التي كانت تقوم بدور اجتماعي هو الفصل في النزاعات، وإصلاح ذات البين بين القبائل، انصهرت حميان ضمن قبيلة بني عامر، وأصبحت جزء لا يتجزأ منها، ونتج عن هذا الاندماج أن تأسست قبيلة واحدة يصعب التمييز بين بني عامر وحميان.

(1) د. مصطفى صلاح الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 165

(2) ينظر إلى: p284. l'expédition du Général cavignac.

(3) Ibid. p284.

3- المركز الاجتماعي للمرأة العامرية والحميانية: أهم مقاصد البدو من الزواج التناسل والتوالد، وهم يعتنون عناية شديدة بانتقاء زوجاتهم من ذوات النسب الشريف البعيد عن كل شائبة، ويفتشون عن سيرة أم الفتاة المخطوبة، ويتخيرون أخوالاً لأولادهم من ذوي السيرة الحسنة (1) إذا كانت المرأة العامرية والحميانية تنتسب إلى عرب بني هلال، فإن المرأة العربية الهلالية كانت لها مكانة في المجتمع الإسلامي العربي (2). وبالتالي فمن الطبيعي أن هذا العرف قد حافظ عليه المجتمع العامري والحمياني وبالتالي تحتل المرأة العامرية والحميانية مكانة في مجتمعتها، ورغم أنها كانت ولا تزال تابعة للرجل وتقيم في كنفه وتحت حمايته وإمرته (3)، حيث ذكر المؤرخون أن المرأة العربية رغم تبعية الرجل إلا أنها كانت بارزة سافرة غير منعزلة، وتشارك في الشؤون العامة للقبيلة، وكانت لها وظائف جماعية كالإستنفار والقتال والحث على تقريع المتخلف عنه والهرب منه والتوفيق بين القبائل وبعضها لمواجهة خطر طاريء (4). وقد تطورت مكانة المرأة العربية الهلالية في بلاد المغرب في أواخر القرن السادس الهجري بحيث أصبحت سيدة جميع ما يتعلق بالبيت أثاثاً ومتاعاً ونحو ذلك، والرجل بمثابة الضيف (5). ولها أن تفعل في البيت ما شاءت من غير اعتراض عليها ولا مراقبة (6). ويذهب الباحثون الاجتماعيون أن المرأة تختص بمكانات أقل من الرجل في غالبية المجتمعات العربية البدوية، وبالتالي تختص بأدوار أقل أهمية من وجهة نظر المجتمع، والسبب في ذلك هو الاختلاف البيولوجي بين الذكر والأنثى (7).

(1) عبد الجبار الراوي: البادية - ط2 - مطبعة العاني - بغداد - 1949 - ص227 - دة. سهر عبد العزيز: المرجع السابق - ص39

(2) د. مصطفى أبوضيف: نفس المرجع السابق - ص245

(3) نفسه: ص245 - د. عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي - ص38

(4) السلاوي: المصدر السابق - ج3 - ص153

(5) مونكرمي وات: البدو ترجمة مصطفى ماهر - دار صادر بيروت 1983 ص83 عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي ص111

(6) محمد بن ماء العينين: الجأش الربيط - ص. ص37-38

(7) دة. سهر عبد العزيز: المرجع السابق - ص39

وقد أعطى المؤرخون بعض الأمثلة عن مكانة المرأة العربية الهلالية في بلاد المغرب خلال القرن السادس ودورها فعندما هزم الرشيد الموحيدي شيوخ عرب الخلط ومثل بقبائلهم في 634هـ — 1237م، وامتلاّت أيدي الجنود والناس من أموالهم، وسيقت النساء والذرية إلى مراكش، حيث إمتلاّت بهم الأسواق من كل عذراء ماتجاوزت قط خدرها وتساوت الحرة العربية والأمة في العبودة سعى أعداؤهم من عرب سفيان وبني جابر عند الخليفة. لوقف هذه المهزلة، ونقلوهم إلى دار الأشراف، حيث قام عرب سفيان وبنو جابر بستمر بنات الخلط والعف عليهن والإحسان إليهن (1). وعندما ثار عرب أولاد أبي الليل على أبي الحسن المريني خلال عزوة إفريقية ركب قتيبة بن حمزة إليهم أي إلى عرب أولاد مهلهل أعدائه ومعه أمه ونساء أولادها (2)، فطارحوا عليهم ورغبوا إليهم في الاجتماع معهم على الخروج على السلطان ومنابدته، فكان أولاد مهلهل إليها مسرعين، فارتحلوا معهم وتوافدت أحياء سليم بني كعب وبني حكم، فترامروا وتصافوا وأهدروا الدماء بينهم وتبايعوا على الموت، وصاروا نفسا واحدا على تباين أغراضهم وفساد ذات بينهم (3) والغالب على الظن أن المرأة العامرية والحميانية كانت تحظى بنفس المكانة التي كانت تتمتع بها العربيات الهلاليات الأخريات في القرن السادس الهجري. لأنها كانت تمثل شرف القبيلة، وكون المرأة العامرية والحميانية كانت تعيش في الخيمة بمعزل عن المدر والمصر كانت تخرج سافرة، تشارك الرجل في كثير من الوظائف منها جلب الماء إذا اقتضت الضرورة لذلك وترعى الغنم وتقوم بالشؤون الخاصة بالخيمة وهي المسؤولة الأولى على تربية الأطفال (4).

(1) محمد بن ماء العينين: الجأش الربيط - ص. 37-38

(2) ابن عذارى: البيان - ج 4 - ص. 154-157

(3) السلاوي: الاستقصا - ج 3 - ص. 159

(4): الوجود الهلالي السليمي - ص. 111

ونساء قبيلة بني هلال يغزلن وينسجن الأقمشة الخشنة، ويقمن بجمع الحطب، وفي بعض الأحيان تقوم المرأة الهلالية بالدفاع والذود عن قبيلتها، والمرأة البدوية تقوم بأعمال البيت كلها وهي التي تجلب الماء وهو عمل شاق وعسير، والمرأة البدوية العربية لها حرمتها، وهي في كثير من الأحيان لا تلبس الحجاب (1). وذكر بعض المؤرخين المستشرقين أن البدويات العربيات هن غالبا سافرات الوجوه، يتزوجن أكثر من مرة في كثير من الحالات بحرية أكثر مما تتمتع به أخواتهن من أهل المدن والواحات، ومن أهم ما تعتني به الأعرابيات حلب الشاة، وصنع الدقيق بمطحنتين يدويتين صغيرتين، وصنع الخبز والطعام وتربية الأطفال وحوك الثياب الصفيقة والبسط والخيام (2)، والبدوي العربي حارب ورعى جماله تبعاً للتقاليد، تاركاً لزوجته رعاية الحيوانات الأخرى. والتزود بالماء وإدارة الخيمة بما في ذلك الأطفال والممتلكات المنقولة الأخرى كالعملة والمجوهرات، وقد أعطت الوظيفة البدوية للمرأة في حياتها في الحرية (3). ويذهب الباحثون الاجتماعيون أنه لا يمكن تحليل البناء الاجتماعي لمجتمع ما دون تحليل الدور الذي تقوم به المرأة في إطار البناء الاجتماعي (4)، فالمرأة العامرية والحميانية كانت تشكل الحارس الثاني للخيمة في غياب الزوج، أو في حالة وفاته والركيزة الأساسية لأن سلطة المرأة في المجتمع العامري والحمياني مستمدة من طبيعة المسائل التي تشرف عليها، وهي معتمدة في نهاية الأمر على سلطة الرجل. إن المرأة عامة تابعة للرجل وعلاقتها به تكون على أساس الطاعة، وتكون تربية الأولاد الذكور من اختصاص المرأة في مرحلة الطفولة.

(1) مونكرمي وات: البدو - ص 83

(2) نفسه: ص 83

(3) د. محمد السويدي: بدو الطوارق - ص 94

(4) عبد الحميد خالدي: الوجود الهلال السليمي - ص 111

4- التنشئة الاجتماعية في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي: قبل

التطرق إلى طبيعة التنشئة الاجتماعية في مجتمع بني عامر وحميان، لابد من تحديد المفهوم.

4-1 مفهوم التنشئة الاجتماعية: هي عملية تلقين وتعليم أفراد المجتمع الواحد منذ الصغر اللغة والعلاقات والنظم والقيم الاجتماعية المتبعة في ذلك المجتمع، تبدأ هذه العملية الاجتماعية منذ ولادة الطفل، حيث تقوم الأسرة بتلقينه نظم المجتمع وقيمه (1)، وفي صباه تلعب جماعات اللعب والمجتمعات المحلية دورها أيضا في تلك العملية الاجتماعية كما أن عملية التنشئة الاجتماعية تستمر بصورة ضعيفة بعد ذلك وتلازم الشخص حتى آخر أيام حياته، يعرف أحمد زكي بدوي التنشئة الاجتماعية "...بأنها العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل والطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم المعيشة في مجتمع ذي ثقافة معينة، ويدخل في ذلك ما يلقيه الآباء والمدرسة والمجتمع للأفراد من لغة ودين وتقاليد وقيم ومعلومات ومهارات..." (2). إن التنشئة الاجتماعية لدى بدو بني عامر وحميان، ربما لا تختلف كثيرا عنها في المجتمعات البدوية العربية الأخرى، إن لرب الأسرة السلطة المطلقة في تربية الصبية، فإذا قام أحدهم بأمر لا يليق، فإن والده يوبخه، وقلما يضربه وخاصة حين يصبح فوق العاشرة من العمر، أو عندما يكون الأب عجوزا، ويحتاج في اعوامه المقبلة إلى من يعيله أو يساعده في شيخوخته (3). ويتردد الصبية الذكور إلى مجالس الرجال، حيث يستمعون

(1) د. إبراهيم العسل: الأسس النظرية والأساليب - ص 60

(2) نفسه: ص 60

* وعن صلاح مصطفى الفوال الذي يقول يجب مراعاة أن كثير من المجتمعات البدوية لا توجد بها مدارس على الإطلاق، بحيث تعتبر عملية التربية والتعليم هي إحدى المسؤوليات المباشرة للأسرة - ينظر إلى: علم الاجتماع البدوي - ص 323

(3) جبرائيل سليمان جبور: البدو والبادية في البلاد العربية - مركز تنمية المجتمع - سرس البان - 1962 - ص 209

إلى أحاديث الرجال، ويكلفون في الوقت نفسه ببعض الأمور المترلية، كالاتفات على الخيل وسقيها(1)، وكان الصبية الذكور يكلفون بالتمرين على الرماية، ومتى بلغ الصبي الرابعة عشر تقريباً، ينتظر منه أن يختبر الغزو، وبعد السادسة عشرة يساهم مع الكبار في الغزو، إذا كان يرغب في ذلك، أو إذا أظهر مقدرة حين يمتحن في غزوته الأولى(2). والبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها البدوي العامري والحمياني تطبع عليه الخصائص العامة لها، كما يحرص البدوي العامري والحمياني على توجيه أولاده وإرشادهم ونقل ثقافة المجتمع لأولاده، وإدخال عادات وتقاليد الجماعة في نفوس أبنائه، حتى لا يتسبب له الأبناء في قول سوء، وحياة البادية صعبة وتحتاج إلى الخشونة والشجاعة والصبر وقوة الاحتمال، ولذلك كان الأب يقسوا على الأبناء أثناء تربيتهم، وعلى الأبناء الاحتمال والطاعة(3)، ومن هنا كانت الأسرة تقوم بمجموعة من الوظائف الجوهرية، وهي كلها وظائف اجتماعية، كما أن هناك تداخلاً وتفاعلاً مع أبنية المجتمع، ولكن نظراً لانعدام المؤسسات الرسمية التي تقوم بنقل التراث والثقافة والتعليم في المجتمعات البدائية الصغيرة(4)، فلذلك تقع على الأسرة المسؤولية الكبرى مثل الوظيفة الاقتصادية والحماية ونقل الثقافة، ويختلف أسلوب التنشئة الاجتماعية حسب الجنس، فالأسلوب الذي يتبع مع الفتى منذ الصغر يختلف عن أسلوب تنشئة الفتاة، كما أن تربية الفتى في سنواته الأولى تكون موكلة إلى الأم، حتى يبلغ سبع سنوات، ثم يتولى الأب تربيته ويربي الفتى منذ طفولته على الخصائص التي يستطيع بها أن يواجه حياة البداوة بكل خشونتها وصعوبة الحياة فيها، فيربي الطفل الذكر على:

(1) جبرائيل سليمان جبور: المرجع السابق - ص 233

(2) دة. سهر عبد العزيز: المرجع السابق - ص 209

(3) جبرائيل سليمان جبور: البدو والبادية - ص 233

(4) دة. سهر عبد العزيز: المرجع السابق - ص 210

أ- الشجاعة حيث يتلقاها الطفل الذكر عن والده وذلك عن طريق خوض تجارب قد تكون قاسية إلا أنها ضرورية لغرس هذه الصفات في الأبناء، كأن يطلب منه الذهاب ليلاً لقضاء طلب، وغذا أبدى شعوراً بالخوف، فإنه يكون عرضة للسخرية والضرب والشتيم والاستهزاء به، وكان الأب يحاول أن يدرب ابنه على الميit خارج إقامتهم في البر(1)، كما كانت الأم تصطحب ولدها معها عند ذهابها لرعي وعمره ست أو سبع سنوات، وتدربه على ذلك، وكان يربي على قوة البأس والخشونة والصلابة، فكلها صفات ضرورية لمواجهة البيئة القاسية التي يعيش فيها، فالضعف والجبن والخوف وغطهار العاطفة من الصفات المنبوذة في هذا المجتمع سواء للفتى أو الفتاة، كذلك يدرب الفتى على القتال واستخدام الأسلحة، وكثيراً ما يعتمد الأب أن يطلق بندقيته في وجود ابنه، فإذا خاف الطفل وبُخ وعوقب حتى يترع الخوف من قلبه؛ لأن الحياة البدوية تستخدم في أحيان كثيرة للسلب والنهب ممن هم أضعف، والاستيلاء على ما يملك الغير*.

ب- احترام الكبير: أول شيء يتعلمه الأبناء من الأم في سنواتهم الست الأولى هو احترام الأكبر منهم سناً، وخاصة كبار السن العجوز تقال على المرأة كبيرة السن، والشيباني على الرجل الكبير في مجتمع بني عامر وحميان، وفي حضور الجد يكون اهتمام الجميع نحو هذا الجد، فلا يصح للصبي أن يلتصق بأبيه، أو يكلمه أو يرد عليه الأب في حضور الجد، ولا بد من تقدير الكبير والاستحياء منه.

ج- الفروسية وحب القتال: عن ركوب الخيل والجمل والحمار من الأساسيات بمجتمع الدراسة، فهو ضروري لتقلهم في البادية، ولذا يعلمونو الطفل ركوبهم منذ الصغر.

(1) دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق-ص211-د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي-ص323

* كانت هناك غارات مستمرة من البدو على الحضر، بخلاف الغارات التي كان يشنها بعضهم على بعض، وما زالت الأسوار والأبراج بالقصور باقية، وكانت تستخدم كعناصر للأمن، وكانت تسمى الغارات في مجتمع الدراسة بالطيحة.

بل كانت الفتاة ايضا تتركب الجمل، وتتعلم ركوبه من الصغر، ليساعدها على أداء بعض مهامها وخاصة في غياب الرجل، وإذا كان الأب لديه فرس تدرّب الطفل على ركوبه، وشجعه والده على ذلك حتى إذا بلغ الثالثة عشر يبدأ في اصطحاب ابنه في غزواته ورحلات الصيد(1)، وإذا خاف الطفل الركوب أو السقوط شجع على أن يعيد الكرة، ويحاول الأب أن يطمئه بأنه لن يصاب بمكروه(2)، وكان ركوب الحمار مستحب في مجتمع الدراسة، فهو يستخدم ل جلب الماء، وللتنقل كما يتدرّب الطفل على أعمال القتال والصيد، ويدرب الأبناء على اقتفاء الأثر، كي يستطيعوا الوصول إلى المكان المراد، وتتبع ماشيته إذا فقدتها في البر، ويعرف الدروب ويسلكها دون أن يضل حتى في الليل، وذلك عن طريق النجوم(3).

د- الصبر: يتعلم الطفل البدوي في مجتمع الدراسة الصبر على العطش وعلى الجوع، إنه لا يأكل قبل الناس، وألا يجلس حتى اخر الناس، وأن يأكل من أمامه، وأن يقلل الوجبة في حالة وجوده عند جماعة غير جماعته(4)، وأن لا يطلب الأكل من أمه أمام أحد، فقد استنتج من خلال الدراسة التاريخية والعادات السائدة في مجتمع بني عامر وحميان تأكل النساء أولاً، ثم تظل البنات والأطفال صابرون حتى ينتهي الكبار من الأكل، وذلك لضمان إكرام الضيف، وتقديراً لكبر السن، ولضيق المكان في بعض الحالات(5).

أما الفتاة: فكان يراعى في اسلوب تنشئتها أن تكون زوجة ناجحة وراعية بيت ماهرة، كما كانت تدرّب على الأعمال التي سوف تناط بها، فالفتاة يدخل في تقييمها.

(1) دة. سهير عبدالعزيز: الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي - ص 211

(2) عبد الجبار الراوي: البادية - ص 228

(3) دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 211

(4) جبرائيل سليمان جبور: المرجع السابق - ص 234

(5) دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 212

عند الزواج بجانب الاعتبارات الأساسية القرابة والأصل وسلوك الأم* وأن تكون راعية بيت ماهرة في أداء أعمالها، فتدربها الأم على الأعمال المنزلية وتصاحبها عند الرعي ونقل الماء، وتعلمها الخطب والغزل(1)، وسلوك الحياء والحشمة وكانت تمنع من التعليم تحت شعار خاطئ، أنها خلقت للإنجاب والقيام بشؤون الخيمة(2)

و- التعليم: فالغالب على الظن كان التعليم منعدماً*، أو ربما كان موجوداً وكان يتم بأسلوب تقليدي وهو مشاركة معلمي القرآن لتدريس أبناء بني عامر وحميان، وربما كان يسمح للطفل العامري والحمياني بتعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي في حدود الاكتفاء. وربما كان وجود التعليم في البوادي خلال القرن الخامس وحتى القرن الثامن الهجري تقليدياً. وإنما الذي كان يسهم حسب الباحثون الاجتماعيون في أداء مهمة التربية والتعليم في المجتمع العربي البدوي هي الأسرة عن طريق ماتقدمه من معارف مختلفة في العديد من المجالات التي تحيط بالجماعات التقليدية(3). بل يذهب الباحثون الاجتماعيون أن من خصائص المجتمع البدوي أنه يتميز ب: أن العمليات المختلفة للضبط الاجتماعي داخل المجتمعات البدوية غير رسمية أو غير تعاقدية، كما النظام الأخلاقي المتعارف عليه لدى أبناء المجتمع البدوي أو المنتمين إليه وغير المكتوب بشكل النظام الأساسي الذي يربط أو يوحد ما بين أفراد المجتمع جميعاً، واكتساب المعارف يعتمد على التجربة وحدها، حيث لا توجد أساسيات نظرية للتربية(4) أو للتنشئة الاجتماعية وللعملية التعليمية بالمفهوم الحديث أو المعاصر للعلم.

*هناك مثل شعبي ألقب القدرة على فهمها تخرج في امها

(1) دة. سهر عبد العزيز: المرجع السابق - ص 212

(2) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 323 - د. محمد السويدي: بدو الطوارق - ص 94

(3) نفسه: ص 323

(4) نفسه: ص 323

كان الطفل في المجتمع البدوي العربي يخضع لقيم وعادات وتقاليده القبلية، وأن لا يخرج عنها. وكانت تربية الأطفال في البادية مؤسسة على مراحل وهي: في سن السابعة يتم تحول مفاجئ عندما يسمح للأولاد بصحبة الرجال وممارسة عملهم، بينما تساعد الفتاة في خدمة الخيمة وفي الثانية عشر يصبحون مراهقين ويستمر إرشاد الأبوين لهم، بينما يتم إعداد الفتى والفتاة للنضج ويشترك الصبيان عندئذ بمجالس الرجال بصفة دائمة (1)، ويتعلمون كيف يسلكون كرجال وبين السادسة عشر والعشرين يتزوج الشباب والشابات، ويفضل أن يتم ذلك بين أبناء العمومة ثم يمارسون بعدها مسؤولية الشخص الكامل النضج وفوق ذلك فالعائلة أو الأسرة تستمر في ممارسة طريقة الحياة ودورها التي ورثتها (2). إن معظم العرب يربون أطفالهم تبعاً لتصورات ثابتة متراكمة منذ عدة عصور، فمثلهم الأعلى في ذلك هو أن ينشئوا على النسق الذي نشأوا هم عليه، أما ميلاد الطفل في المجتمع العربي مناسبة للاحتفالات المبهجة، فإذا كان المولود ذكراً، فالذكور مفضلون كمحافظين على تقاليد الأسرة. وذلك تجسيدا للمثل الحضارية، والاحتياجات الاقتصادية في مجتمع رعوي، ويعيش الأطفال في حضن البالغين وأساساً في حضن نساء الخيمة (3). يتأثر الطفل العامري والحمياني في البادية بنمط القبيلة السوسيو-اقتصادي، وينصهر في عوالمه منذ الصرخة الأولى فيخضع لنظام الأسرة التي هي نواة القبيلة (4). فكيف كانت تتم تربية الطفل العامري والحمياني البدوي؟ إذا كانت تربية الأطفال تهدف إلى اكتساب الفرد طفلاً فمراهقاً فشيخاً سلوكاً ومعايير

(1) مورو بيرجر: العالم العربي اليوم - ص 56

(2) حامد عبد السلام: علم النفس الاجتماعي - ط 3 - عالم الكتاب - القاهرة - 1974 - ص 201 و 206 - د. محمد

السويدي: نفس المرجع السابق - ص 101

(3) مورو بيرجر: المرجع السابق - ص 56-57

(4) الطفولة القروية - ص 02

واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، فإذا كان الطفل ذكراً يرفق بزغردة احتفالاً بالوتد الذي سيشد خيمة السلالة إلى الأرض ويحميها من الوقوع في فخ العرف، المرأة بلا ولاد كيف الخيمة بلا أوتاد⁽¹⁾، وتبقى الطفلة طالع شؤون على الأسر العامرية والحمانية البدوية سيما الثرية والغنية، التي تملك ثروة حيوانية كبيرة، فهي عنصر ثانوي لن يستطيع تأمين استمرارية المحافظة على الثروة الحيوانية، بل تعمل على نقل خيرات الأسرة والقبيلة إلى سلالة أخرى، لعل علاقة لها بالأصل. فكانت أغلب النساء في المجتمع البدوي التقليدي العامري والحماني تولدن القابلة التي تحسب أربعة أصابع وتقطع الحبل السري بموس قد لا تتوفر فيه شروط التعقيم، فهو يشفع للأطفال في التخفيف من هذه الظاهرة. إذ يصعب على الآباء والأمهات تربية أبنائهم بشكل مباشر بناء على سلوكيات وعادات سيئة مغلقة بحشومة، جعلت المجتمع البدوي العامري والحماني التقليدي مغلقاً على نفسه، إذ يحرم على الابن الزوج أن يمسك ابنه بين يديه أمام والده وتمنع الكنة أو زوجة الابن إرضاع وليدها أو نصحه أو التقرير في شؤونه، أو الجلوس مع زوجها في حضور شيخها⁽²⁾، ويفتخر الجد العامري والحماني أحياناً بحفيده فيشجعه على ضرب جلدته، أو مشاكسة الضيوف. وكان الآباء في المجتمع العامري والحماني يدمجون أطفالهم مبكراً في ممارسة رعي الغنم وجمع الحطب وجلب الماء من الإحساء أو الراوية*. ويعد اللعب سلوكاً إرادياً ولا إرادياً لدى الطفل في البادية، لذا وجب توجيه الطفل لأنواع معينة من اللعب، واختيار لعب تناسب عمره الزمني والعقلي من شأنها مساعدته على

(1) الطفولة القروية المغتصبة - ص 01

(2) مورويجر: العالم العربي اليوم - ص 127

* الراوية: ومعناه جلب الماء من الإحساء أو الآبار، التي عادة ما تكون بعيدة عن الخيمة بنحو ثلاث كلم أو أكثر، وكان الطفل الحماني، ولا يزال يستخدم الحمير والبغال لجلب الماء، وكان عدد الحمير يتجاوز حمارين، يضع على ظهرها البراميل الخشبية وكلمة الراوية مشتقة من المورد

تنمية قدراته الذهنية(1)، إلا أن مرحلة اللعب لدى الطفل البدوي في المجتمع العامري والحمياني لا تنفصل عن حياته العملية التي يلجها مبكراً، حيث كان يلعب وهو يحرس الغنم وهو يجمع الحطب أو يسقي الماء، وكذلك على لعب لعباز وهي اللعبة العالمية التي اقتحمت عالم النجومية بأصلها البدوي مثل رياضة المصارعة أو الكاتش، كما تتقاطع لعبة القولف مع لعبة العصا بالبادية عند بني عامر وحميان سواء على مستوى الوسائل أو قوانين اللعبة مع اختلافات بسيطة تقليدية وعصرية(2)، حيث كانت تمارس هذه اللعبة عند بني عامر وحميان في البادية باستعمال العصي التقليدية وقطعة من الكتان دائرية مثل الكرة ومع اتساع الحفر في اللعبة(3) كان بنوعامر وحميان يمارسون لعبة أخرى وهي لعبة المعيزة* والسيق* (ينظر إلى الملاحق ص) وكان الطفل يجد نفسه في المجتمع البدوي العامري والحمياني التقليدي مضطراً لتعلم الرماية ولعبة الشارة مستعملاً المقلاع أو المطحنة للدفاع على نفسه. وفي هذا الموضوع يرى روث بنديكت **R. Benedict** "... أن معظم الجماعات التقليدية تحدد المراهقة من الناحية الاجتماعية، وذلك لأن الحفلات التي تقام لهذا الغرض الهدف منها الاعتراف بشكل من الأشكال بأن الطفل قد بلغ مرحلة جديدة تنسب إليه مسؤوليات لم يعهدها، وهي عملية ذات مظاهر متنوعة... لكي نفهمها علينا أن نهتم بتلك الفترة التي تسمى فترة الانتقال..."(4)

(1) الطفولة القروية المغتصبة - ص 01 - وكذلك من خلال المعطيات المستخلصة من الدراسة الميدانية، التي سجلتها عن طريق المبحوثين من العجائز والشيوخ منطقة النعامة وخاصة من قبيلة حميان.

(2) الطفولة القروية المغتصبة - ص 02

(3) نفسه: ص 02 - د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع القروي - ص 127 (4)

(4) ينظر إلى: ألوان من ثقافات الشعوب - ترجمة محمد الدسوقي وآخرون - لجنة البيان العربي - القاهرة - د. ت. ص 47 - د. محمد السويدي: بدو الطوارق بين الثبات والتغير - ص 103

5- الزواج* في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي: يستخلص من الدراسة التاريخية أن الزواج في مجتمع بني عامر وحميان خلال فترة الدراسة أي من القرن الخامس الهجري إلى غاية القرن الثامن الهجري كان يتم داخل القبيلة ومن خارجها أيضا

5- امفهوم الزواج: هو أساس تكوين الأسرة، يتفق معظم الانثروبولوجيون وعلماء الاجتماع على أن الزواج يستمد أهميته باعتباره مؤسسة اجتماعية، توفر أساسا ثابتا لتكوين الأسرة الزوجية وتنظيمها أما وظائفه الأصلية فتتحدد في سد الحاجات الجنسية للشريكين وإنجاب الأطفال وهي وظيفة ثانوية إذا قيست بالوظيفة الأولى (1)، وعرفه البعض بأنه نظام اجتماعي يحدد العلاقات بين الجنسين، ويعطي الأسرة صفتها الشرعية (2)، بينما عرفه البعض الآخر من الاجتماعيين بأنه العلاقة التي تربط رجلا أو عدة رجال بإمرأة، أو هو نظام اجتماعي يتصف بقدر من الاستمرار، والامتثال للمعايير الاجتماعية، والزواج هو الوسيلة التي تعتمد إليها المجتمع للتنظيم المسائل الجنسية (3)، وتحديد مسؤولية صور التزواج الجنسي بين البالغين، كما أن الزواج هو النظام الأوفر جزاء بالنسبة لمعظم الرجال والنساء خلال الجانب الأكبر من حياتهم، وهنالك معايير اجتماعية أخرى مختلفة تفسر معنى الزواج منها المعيار الاجتماعي التقليدي، وهو ينظر إلى الزواج كظاهرة مقدسة أو نظام إلهي مقدس خلقه الله، وأكدته الشرائع السماوية والكتب المقدسة كأساس للحياة الإنسانية وهذا يعني أن الإنسان ورغباته الشخصية وتطلعاته تكون في المكانة التالية من حيث الأهمية بعد تحقيق متطلبات الأسرة، وتنفيذ الأوامر الإلهية.

(1) د. محمد السويدي: بدو الطوارق - ص 103

(2) د. عبد القادر القصير: الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية - ص. ص 121-122

(3) د. سامية حسن الساعدي: الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي - دار النجاح - بيروت - 1977 - ص. ص 25-26 - محمود

حسن: الأسرة ومشكلاتها - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - 1968 - ص. ص 133-134

ب- الاختيار في الزواج: إن العادات والتقاليد القديمة بمجتمع الدراسة لا تسمح لرجل أن يقوم باختيار زوجته* بنفسه، لا يستطيع الرجل من الناحية النظرية أن يختار خطيبته بإرادته الحرة، لم تكن للشابة أو الشاب المقبل على الزواج حرية اختيار المرأة التي يريد الزواج منها سواء من حيث اختيار العمر أو اللون أو الجمال أو الصفة أو من الجماعة القراية أو البعيدة، كما لا يحق للشاب أو الشابة أن ترفض العريس الذي وافقت عليه الأسرة، بل على الشاب الرضوخ لسلطة الأبوين إذ لن تتاح له فرصة لقاءها ولم تسمح له بروئيتها إلا يوم الزفاف (1). من المعروف أن المجتمعات البدوية التقليدية يقع عبء الاختيار الزوجي على الوالدين، وكان يوكل للوالدين عملية اختيار الزوجة الصالحة، وكانت المبادرة من جانب العائلة، ولا يصح للشاب أن يطلب ذلك علانية، فهم الذين يقررون ذلك، وبعد موافقة العائلة على زواج الشاب، يبدأ الوالدان في اختيار الفتاة ذات السمعة الطيبة، ولكن تأتي بنات العم في المقام الأول، فغالبا كان يتم الاختيار من داخل العائلة، ونادرا ما تختار الفتاة من خارج العائلة، ولكن بشرط ألا تكون في نفس المستوى الاجتماعي أو تشترط كل من الأسرتين وخاصة أسرة الفتاة شرط التكافؤ في المكانة الاجتماعية، حسب الشريعة الإسلامية (2).

* تعتبر مرحلة إختيار كل من المتزوجين لقريته من أهم مراحل تكوين أسس الحياة الزوجية، وأعظمها تأثيرا نظرا لما يترتب عليها من استقرار في الحياة الزوجية، أو عدمه في المستقبل. إن الاختيار للزواج هو الطريقة التي يغير بها الفرد وضعه من أعزب إلى متزوج، وهو ليس عملية اجتماعية حديثة العهد، بل حدث في التاريخ الإنساني كله، وهو سلوك اجتماعي يتضمن فردا ينتقي من بعض عدد من المعروضين، وقد جعلت أعراف المجتمعات وتقاليدها الرجل هو البادئ صراحة في عملية التودد إلى المرأة التي تنتهي بالزواج. لكن هذا لا يفي دور المرأة في تطوير العلاقة، فهي ليست سلبية دائما فيما قد يظن، إن الاختيار للزواج لا يتحدد برغبات الشخص فقط، بل وفق معايير المجتمع أيضا، سواء أكانت هذه المعايير واضحة جلية فيما هو الحال في التحريم والإباحة أو كانت تلك المعايير مستترة فيشكل توقعات أو مرغبات في أن يسير الاختيار للزواج وفق اتجاه معين

(1) دة. سامية حسن الساعاتي: الاختيار للزواج - ص 26

(2) د. عبد القادر القصير: الأسرة المتغيرة - ص 122



ومن ذلك يمكن القول أن الزواج بمجتمع بني عامر وحميان هو ما يطلق عليه بالزواج المرتب، وهذا الزواج المرتب هو نط الزواج السائد قديماً، وهو الذي يرتب من قبل العائلة وعائلة الزوجة، ولا دخل للزوجين فيه، ويسمى بذلك نظراً لقيام أهل الزوجين بترتيبه دون تدخل من جانب الزوج أو الزوجة (1)، حيث تراعي فيه مصالح الأسرة وطموحاتها ومفهوماتها حول الجمال والمال والأخلاق مسترشدة بالتقاليد الموروثة بالإضافة إلى كونه تأسيساً لأسرة جديدة وسيلة (2)، وكذلك يعتبر الحصول على مهر العروس أمراً فوق طاقة الزوج، لأنه لا يملك ثروة مستقلة خاصة به، ويهدف الكبار إلى الاحتفاظ بسلطة اتخاذ القرارات في أيديهم لسببين: الأول هو أن الأسرة العربية من الناحية النظرية كانت تطبق نظام الأسرة المركبة أو الممتدة التي تشمل الزوجين وأبنائهم وبناتهم غير المتزوجات والأبناء المتزوجين وزوجاتهم وأطفالهم. السبب الثاني تبدو من ناحية السلطة السياسية والنفوذ، ويتمثل في علاقة الأسرة بالقبيلة. ولا تعتبر الرابطة بين الزوج والزوجة في أي حلقة من هذه الروابط القرابية الواسعة علاقة أساسية مستقلة، بل رابطة ضعيفة تقضي على أهمية العلاقة بين الزوجين (3)، ويشعر الرجل بالأمن من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية في الوحدة الأسرية الممتدة، أما المرأة تأتي وتذهب تنضم إلى شبكة العلاقات الأسرية أو تخرج منها والعلاقات ترتبط عن طريق شبكة القرابة، ولا تنشأ العلاقة بين الزوج والزوجة، وتؤكد طريقة اختيار الزوجة أهمية الأسرة الممتدة فالزواج يوفر وجود الأنثى التي تساهم في إنجاب عدد كبير من أعضاء الأسرة وينبغي عليها أن تتكيف وتتلاءم مع حياة الأسرة الكبرى وأسلوبها في الحياة، وتشارك في إنتاج الثروة للأسرة عن طريق ما تبذله من عمل بالرغم من ذلك فهي لا تجد لنفسها.

(1) د. سامية حسن الساعاتي: الاختيار للزواج - ص. 26-27

(2) د. سناء الخولي: المدخل إلى علم الاجتماع - ص. 219

بيتا مستقلا لها وزوجها(1) ومن خلال الدراسة التاريخية يمكن استنباط نظام الاختياري الزواج في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي في فترة موضوع الدراسة أن العرف القبلي كان صارما اتجاه الأسرة وعلاقاتها الاجتماعية ولم يكن يسمح بالخروج عنه، وإلا يتعرض الفرد من كلا الجنسين إلى عقوبات معنوية وجسدية، ولذا كان الزواج في قبيلة بني عامر وحميان يصونه العرف*، وفي الوقت نفسه كان العرف يسمح للرجل بتعدد الزوجات لأبعاد اجتماعية، منها الحفاظ على التماسك. ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الخطبة.

3-ج الخطبة: كانت الخطبة في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي تعتبر أولى مراحل الزواج والفترة التمهيدية التي تسبق عقد القران، والخطبة موجودة في جميع المجتمعات وإن اختلفت أشكالها، فنادرا ما يحدث الزواج فجأة أو بلا تمهيد، ويتضمن البناء الاجتماعي لمعظم المجتمعات طريقة تعارف المقبلين على الزواج، تؤكد لهم مجدية العلاقة وضرورة حدوث الزواج، وتحظى الخطبة في المجتمعات بأهمية كبيرة خاصة في المجتمعات العربية، لا تقبل أي علاقة رسمية بين الفتى والفتاة المقبلين على الزواج(2)، وهو الأمر الذي تصبح معه الخطبة الوسيلة الوحيدة المقبولة من الأسر والمجتمع لتعارف الفتى والفتاة. وبذلك اعتبرت الخطبة من مقدمات عقد الزواج عند المسلمين.

*العرف: هو مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي تنشأ أثناء التفاعل الاجتماعي داخل الجماعة، وتنعكس فيما يزاوله الأفراد من أعمال وما يلجأون إليه في كثير من مظاهر سلوكهم الجمعي، ويضطر الأفراد إلى الخضوع لهذه المعتقدات لأنها تستمد قوتها من فكرة الجماعة وعقائدها، فلا ينحرفون عنها إلا في أضيق الحدود، لذلك يلاحظ أن الجميع يسايرون العرف أي ما تعارف عليه أفراد المجتمع من مبادئ، ومن يحاول التعدي على العرف يقابل من الجماعة بعقوبة تتناسب مع قوة العرف وتمسك الأفراد به، والعرف هو القانون غير المكتوب للشعوب البدائية والشعوب القديمة قبل اختراع الكتابة وتقنين العرف في صورة قوانين. ينظر إلى د. إبراهيم العسل: الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع-ص52

(1) فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية- بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية في الجمهورية المتحدة-ص253- نقلا

عن د. سامية الساعاتي- الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي-ص38

(2) د. سناء الخولي: الأسرة والحياة العائلية- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية-1977-ص127

ومعناها أن يطلب رجل يد امرأة تحل له شرعا ليقترن بها (1)، فإذا أجب بالموافقة تمت الخطبة بينهما، وعند المسلمين وعد بالزواج ويوثق هذا الوعد بقراءة الفاتحة، وهي ليست عقدا تترتب عليه آثار والتزامات قانونية (2)، وإن كانت للخطبة عندهم شروط لا بد من توافرها وهذه الشروط هي الآتية: أن تكون المرأة حلا للزواج، بحيث لا تكون المخطوبة محرمة على خاطبها، لا حرمة مؤبدة ولا حرمة مؤقتة، ألا تكون المخطوبة معتدة عن طلاق رجعي، ولا بائن بينونة صغرى أو بينونة كبرى، أما المعتدة عدة وفاة، ففي هذه الحالة يجوز للخاطب إظهار رغبته تعريضا لا تصريحاً مادامت العدة، فقد أباح الشرع الإسلامي خطبة معتدة الوفاة بالتلميح دون خطبة، سواهن من المعتدات مادامت في العدة، فلا سبيل لعودتهما إلى زوجها المتوفي، والسند الشرعي في هذه الإباحة (3) هو قوله تعالى "ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء"*. ألا يسبق الخاطب رجل آخر إلى خطبتها، وتجدر الإشارة إلى أن العادة جرت قديماً بالألا تطول فترة الخطبة وخلالها كان لا يحق للخاطب أن يرى خطيبته ويزورها خصوصاً إذا كانت من خارج جماعته القريبية (4)، وذلك حرصاً على سمعة الفتاة في حال عدول الخاطب عن الخطبة، علماً بأن الشريعة الإسلامية على سبيل المثال قد أباحت تعارف الخطيبين ويتم التعارف (5). بالنظر إلى المخطوبة، وبما أن المرأة المخطوبة تحرم على الخاطب قبل العقد عليها، فلا يجوز أن يخلو بها بلا محرم، وإذا وجد المحرم جازت الرؤية لامتناع وقوع المعصية بحضوره.

(1) فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية - ص 225

(2) د. سامية الساعاتي: الاختيار للزواج - ص 38

(3) د. مصطفى الرافي: نظام الأسرة عند المسلمين والمسيحيين فقها وقضاء - الشركة العالمية للكتاب - بيروت - 1990 - ص. ص 23-24

(4) نفسه: ص. ص 23-24

* سورة البقرة - الآية 235

(5) د. عبد القادر القصير: الأسرة المتغيرة في المدينة العربية - ص 129

وقد روت أحاديث تنهي عن الخلوة بالمرأة مارواه جابر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال "ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يخلو بامرأة ليسمعها ذو محرم، فإن ثالثهما الشيطان" (1).

3- دسن الزواج: عندما كانت تبدأ سمات النضج تظهر على الولد في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي تفكر الأسرة في زواجه وكذلك الحال بالنسبة للبنات، وكان السن المناسب في حالة الولد ما بين 16 و18 سنة، وفي حالة البنت ما بين 12 و14 سنة، وكان الولد صالحاً للزواج عندما يخن صوته وتظهر لحيته، وتكون البنت صالحة للزواج بعد أول حيض لها (2)، وكان لهذا الزواج المبكر القاعدة المرعية، ولم تكن الأسرة في حاجة إلى التفكير في تأخير سن الزواج، ولكن حياة الأسرة الجماعية التي تكفل للفرد أسباب العيش إلى الرغبة في زيادة حجم الأسرة، كانت تؤدي إلى هذا النوع من الزواج المبكر (3). حيث تتم الفاتحة بحضور أب العريس والعروسة بحضور شاهدين عند الطالب، وغالباً ما كان الآباء ينوبون عن أبنائهم أثناء الفاتحة، دون تسجيل تاريخ الزواج عقد القران أو دون عقد كتابي، وكان الطلاق يتم دون الرجوع إلى الطالب بل في حضور الجماعة (4). يتم غالباً بواسطة ما كان يسمى بالجماعة، وطبيعي أنه لم يخطر ببال أحد من أفراد الأسرة أن الاستمرار في زيادة العدد قد تؤدي إلى حالة تعجز الأسرة في إعالة أفرادها، أو تكون سبباً في انخفاض مستوى المعيشة، فالأولاد رزقهم على ربي. إذا كان الأمر يتعلق بالغذاء. فقد كان الزواج في قبيلة بني عامر وحميان يخص صاحب السلطة

(1) د. محمد عجاج الخطيب وآخرون: نظام الأسرة في الإسلام - ط2 - الكويت - 1986 - ص. ص 77-78

(2) د. عبد الحميد لطفي: علم الاجتماع - دار النهضة العربية - القاهرة - 1971 - ص 103 - د. محمد السويدي: بدو الطوارق - 96

(3) رالف لنتون: دراسة الإنسان - ترجمة عبد الملك الناشف - المكتبة العصرية - بيروت - 1964 - ص 231

(4) نفسه: ص 231 - د. محمد السويدي: المرجع السابق - ص 96

في الأسرة بالتشاور مع زوجته(1)، ولم يكن للولد أو البنت حق الشورى في هذه المسائل، أو أن يدري أو يختار، وفي الغالب كانوا يخطبون البنات وهن لازلن أطفالا، وكانت تستخدم عبارة "خلي البنت للولد"، وكانت تتم غالبا مع الجماعة حتى تشهد هذه الجماعة على هذه الخطوبة، وكان يتم الزواج سواء في حضور صاحب السلطة أب البنت أو حتى بعد وفاته، ونفس الشيء يتم مع أب الولد، والعبارة التي تستخدم "رائي اعطيته العاهد، وما تخالفش عليه". وكان المظهر الرئيسي للزواج هو الزواج الداخلي في الأسرة الواحدة أو من الأسر داخل النسق القرابي(2)، متبعة في ذلك المثل الشعبي "زيتنا في بيتنا" امشي مع الطريق اذا دارت و ادي بنت عمك اذابارت". لتفادي ظاهرة العنوسة، وكان الهدف من هذا الزواج هو الحفاظ على الثروة داخل الأسرة، وإبقاء علاقات القرابة داخل القبيلة، ويتم الزواج عادة في فصل الصيف، وكان المهر المقدم لأسرة البنت قليلا إذا تم على المستوى الداخلي، وغالبا مايكون رمزيا، أما إذا تم الزواج على المستوى الخارجي أي خارج الأسرة ذات النسق القرابي، فإن المهر ينبغي أن يتناسب مركز الأسرة الاقتصادي والاجتماعي(3). وكان اختيار البنت للولد من طرف صاحب السلطة أي أبيه منطلقا من عرف متفق عليه(4)، وهو نخير لولدي بنت الخيمة أي البنت ذات النسب والجاه، ونفس الشيء بالنسبة لأب البنت، وكانت الأسرة تتجنب تزويج ولدها ببنت العشة، وكذلك كانت الأسرة تراعي أحوال البنت. وعندما تتم الخطبة لابد أن تظهر العروس خجلا عند ذكر الزواج، وعدم الإهتمام عند ذكر زوجها المقبل.

(1) د. محمد السويدي: بدو الطوارق المرجع السابق ص 99- د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع - ص 145

(2) د. محمد مصطفى الشعبي: علم الاجتماع دار النهضة العربية القاهرة 1974 ص 108- د. عبد الحميد لطفي: علم الاجتماع -

ص 126

(3) د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع القروي - ص 146- مورو بيرجر: العالم العربي - ص 57

(4) مونكرمي وات: البدو - ص 17- د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع القروي - ص 146

والعريس لا يبدي مثل هذا الخجل ولكنه يبدي عدم الاهتمام (1). وكان الزوج لا يسرى زوجته إلا في ليلة الزفاف، بسبب القيم الصارمة التي كانت مفروضة على الجماعة. أما عن أشكال الزواج في مجتمع بني عامر وحميان التقليدي البدوي، قبل معالجة شكل الزواج في مجتمع بني عامر وحميان البدوي، ينبغي طرح السؤال التالي: ماهي أشكال الزواج التي عرفتھا المجتمعات الإنسانية؟ هناك شبه إجماع بين الدارسين في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا على أن تاريخ الزواج الإنساني قد طرح أشكالا أساسية هي: الوحدانية، وتعدد الزوجات وتعدد الأزواج والزواج الجماعي (2). كان الزواج في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي يتم في ظل النظام القرابي بين الأشخاص الذين يشتركون في جد واحد سواء كان الجد قريبا أو بعيدا، والجد المشترك قديكون من ناحية الأب أو الأم، وقد تكون صلة القرابة كبير بين أولاد وبنات العم، وبنات الخال، وأولاد الخالة والعمة وبناتهما، وكذلك العمات والخالات وأولاد الأخ، وأولاد الأخ، أما الأقارب الذين يشتركون في جد واحد أبعد من جيلين أو ثلاث أجيال، فتكون درجة القرابة أقل، ويكون تأثيرها ضعيفا، وقد جرى العرف على أن الزواج من ابنة العم والأنساء هو الزواج المفضل حتى أن ابن العم كان يعتبر ذلك حقا من حقوقه، ويستطيع منع زواج ابنة عمه من غيره (3)، وتعلل ظاهرة تفضيل الزواج من الأقارب، وخاصة بابنة العم لأسباب كثيرة منها على سبيل التمثيل: العلم بأخلاق الفتاة، إن الولد يشعر بدرجة عالية من الاطمئنان وعندما يزوج ابنته بابن أخيه أو ابن أخته

(1) د. عبدالقادر القصير: الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية - دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري - ط1

دار النهضة العربية - بيروت 1999 - ص 129

(2) نفسه: ص 129 - أمينة شفيق: زواج الأقارب في الأسرة العربية - مقالة - مجلة العربي - العدد 405 - وزارة الإعلام بدولة الكويت - أوت - 1992 - ص 163

(3) دة. سناء الخولي: الأسرة والحياة العائلية - ص 127 - دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 212

لأن ابن العم أو ابن العمّة سيحافظ عليها أكثر من الغريب، أنه أكثر ضماناً وتجنباً للطلاق في حالة عدم الانسجام وكثرة المشكلات الزوجية، أو عند إصابة الزوجة بمرض وعدم ولادتها، فالزواج يعتبر أنه مسؤول عنها، القرية أصبر على ريب الزمن، وأن ولدها يجيء كريماً كما بطبع أهله وأقاربه. إنه الوسيلة للمحافظة على وشائج القرى وبقاء الروابط الدموية⁽¹⁾، حيث يشعروهم ذلك بالوحدة، وإذا لم يتزوج الرجل بقريبته يبعد من أقاربه في المستقبل، ثم قلة المهر الذي يطلبه أهل الفتاة⁽²⁾، وكان الزواج في الأسر العامرية والحميانية يهدف من زواج الأقارب إلى تركيز الثروة وعدم بعثتها في حالة الأسر الغنية يحقق هذا النوع من الزواج الاحتفاظ بالثروة داخل الأسرة سواء كانت حركة الثروة أموالاً إنتاجية⁽³⁾، أو مالا سائلاً أو مالا تجارياً. كانت الأسرة العامرية والحميانية بشكل عام تعيش في دائرة علاقات ضيقة غير مترامية، حيث لا تتسع فرص التقاء الشباب أو تعرفهم بفتيات في سن الزواج، في هذه الحالات تدور العلاقات في إطار الأسرة الضيقة، ولا تصل إلى حدود المجتمع الكبير، فقيماً لم تتح للفتاة في المجتمع العامري والحمياني التقليدي البدوي فرص الاختلاط العام، وكانت تعيش في دائرة شبه مغلقة، وفي إطار هذه الدائرة لم يكن يتوفر لها من فرص الزواج إلا في حدود الأقارب، كذلك لم تسمح العادات والتقاليد والقيم التقليدية الصارمة للأسرة العامرية والحميانية للفتاة بتكوين أو إنشاء علاقات واسعة بين الشباب من الجنسين تلك العلاقات التي تتيح فرص اللقاءات العادية التي يتم فيها الحديث والتفاهم، فالأسرة العامرية والحميانية لا تزال تحتفظ بوجود موانع كثيرة للقاء الشباب.

(1) أمينة شفيق: المرجع السابق - ص 163

(2) د. عبد القادر القصير: المرجع السابق - ص 130

(3) د. محمد مصطفى الشعيبي: المرجع السابق - ص 108

(4) د. محمد الخطيب وآخرون: نظام الأسرة في الإسلام - ص 77-78

لذا يلاحظ أن الأبناء والبنات لا يتعرفون إلا بأقاربهم الذين تتاح لهم فرص الحديث معهم، والحوار بينهم، ثم اللقاءات في المناسبات، وتستمر هذه اللقاءات وتتكون إلى أن تقود إلى الزواج من الأقارب (1). وتلي ابنة العم في التفضيل القريبات من بنات العمّة، لأن السلطة كانت بيد الأب، وبالتالي كان الأب يفضل ابنة الأخ والأخت عن غيرها، ولكن هذا الإجراء لم يكن قاعدة عامة، ثم تأتي في الدرجة الثانية ابنة الخال والحالة، وذلك لأسباب نفسها التي تضمنها الزواج بابنة العم، ويقف الزواج عموماً بينات العم أو بنات العمّة عند رغبة الأب، أما الزواج بينات الأخوال والخالات فمنوط برغبة الأم التي تفضل تزويج ابنتها بابنة أخيها أو ابنة أختها، بدلاً من ابنة عمه أو عمته (2) والسبب في المجتمع العامري والحمياني البدوي التقليدي، أن عادة ماتكون العلاقات بين الأم وأخت زوجها علاقة اجتماعية ضعيفة، ويولي الزواج بالقريبات بالفتيات اللواتي يقطن الدوار. ومن خلال الدراسة الميدانية التي قمت بها، وبعد إجراء مقابلة مع كبار السن من الجيل الثالث، توصلت إلى نتائج أن الزواج من ابنة العم كان يفوق 60%، ومن ابنة العمّة حوالي 20%، ومن ابنة الخال 10%، ومن ابنة الحالة 05%، ومن الدوار 03%، ومن خارج الأقارب 02% فما هو شكل الزواج في مجتمع حميان وبني عامر؟ كان الغرض من الزواج في المجتمع العامري والحمياني البدوي يميل إلى زيادة حجم الأسرة، لأن الزيادة في الحجم كانت لها أهمية اجتماعية واقتصادية في نفس الوقت، وكثرة عدد أعضائها في حد ذاته مثل أعلى بصرف النظر عن مركزه الاقتصادي (3). مع ملاحظة أن النشاط الرعوي والعزلة كانت تتطلب الزيادة في عدد أفراد الأسرة (4).

(1) د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع القروي - ص 145

(2) د. عبدالقادر القصير: المرجع السابق - ص 130

(3) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 320

(4) دة. سهير عبدالعزيز: المرجع السابق - ص 212

وهذه الزيادة كانت نتيجة مباشرة لنظام الزواج (1)، ولهذا كان الزواج في مجتمع بني عامر وحميان البدوي هو العامل الوحيد في زيادة عدد أعضاء الأسرة، وهو نتيجة لطبيعة الأسرة التي كانت تقوم على اعتبارات اجتماعية ودينية وأهداف اقتصادية، كان المجتمع العامري والحمياني يتميز بتعدد الزوجات وذلك في حدود الشريعة الإسلامية، ويلاحظ أن نظام تعدد الزوجات كان أمراً طبيعياً، ويذهب أحد الضباط الفرنسيين الذي عاشوا في المجتمع العامري والحمياني البدوي التقليدي أن سبب تعدد الزوجات في المجتمع العامري والحمياني، يعود إلى تعويض النوعية بالكمية (2)، وربما كان يقصد أن العامري والحمياني كان يريد اختيار الجمال على حساب القيم والأخلاق التي كانت سائدة في المجتمع العامري والحمياني البدوي، واحتمالا أن هذا الضابط لم يكن يعرف جيداً أسس البناء الاجتماعي في المجتمعات البدوية التقليدية، فالشباب أو الشابة لم تكن لها حرية اختيار الزوج وأن الزوجة العامرية والحميانية الشابة كانت في كثير من الأحيان ترتبط بزوج إلا بوعده الذي يقودها على الأقل مرة في حياتها (3). إن ظاهرة تعدد الزوجات عند قبيلة بني عامر وحميان كانت خاصية من خصائص المجتمع، بل كانت ظاهرة التعدد تقتصر على الأغنياء والأثرياء، لأنجاب عدد ممكن من الأولاد للقيام بأمور الخيمة، والنشاط الرعوي، والحالة التي يعدد فيها الرجل الفقير الزواج هي حالة واحدة إذا كانت المرأة الأولى عاقماً. وخلاصة القول أن الزواج في قبيلة بني عامر وحميان يتميز بتعدد الزوجات مع العلم أن الأسرة البدوية العامرية والحميانية كانت تتميز بتزويج بناتها في إطار النظام القرابي (4)، الذي يعبره عنه المثل الشعبي القائل خيرنا مانعطوه لغيرنا.

(1) دة. سناء الخولي: المدخل إلى علم الاجتماع ص 214-د. السيد عبدالعاطي السيد: أسس علم الاجتماع - ص 304

(2) Jaquot Félix: op.cit.p288

Ibid :p288(3)

(4) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 320

4- الأسرة في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي: قبل تحديد شكل الأسرة في المجتمع العامري والحمياني البدوي التقليدي، ووظائفها والمركز والدور، تعتبر الأسرة من أهم المؤسسات الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي للمجتمع، ليس لاصطلاح الأسرة تعريف ومعنى واضحان يتفق عليهما العلماء، لهذا تعددت تعريفات الأسرة بتعدد العلماء واتجاهاتهم النظرية والفكرية (1)

4- مفهوم الأسرة: الأسرة في اللغة هي الدرع الحصين وأهل الرجل وعشيرته، ويطلق على الجماعة التي يربطها أمر مشترك وجمعها أسر، وجاء في معجم علم الاجتماع أن الأسرة هي عبارة عن جماعة من الأفراد يرتبطون معا بروابط الزواج والدم والتبني ويتفاعلون معا، وقد يتم هذا التفاعل بين الزوج والزوجة وبين الأب والأم وبين الأب والأم والأبناء، ويتكون منهم جميعا وحدة اجتماعية تتميز بخصائص معينة (2)، أو أن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني، وتقوم على مقتضيات التي يرتضيها العقل الجمعي والقواعد التي تقرها المجتمعات المختلفة (3). وذهب عالم الاجتماع الفرنسي هنري مندراس (Henri Mondras) إلى أن ليس للأسرة معنى واضح في اللغة الفرنسية حيث يشير هذا المصطلح إلى الأشخاص الأب والأم والأبناء المرتبطين معا بروابط الدم، فإنه يعني بكلمة أسرة الأشخاص الذين يعيشون معا في منزل واحد، ويلاحظ أن تعريف هنري للأسرة اقتصر على الأسرة النووية، أو معنى كلمة أسرة من الناحية السوسولوجية معيشة رجل وامرأة أو أكثر معا على أساس الدخول في علاقات جنسية يقرها المجتمع (4). وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات اجتماعية،

(1) د. سناء الخولي: المدخل إلى علم الاجتماع - ص 214 - د.

(2) د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع القروي - ص 145

(3) د. مصطفى الحشاش: دراسات في الاجتماع العائلي - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - 1985 - ص 294

(4) د. عبد القادر القصير: الأسرة المتغيرة - ص 133

ورعاية الأطفال الذين يأتون نتيجة لهذه العلاقات؛ والأسرة هي جماعة تقوم على العلاقات الجنسية بشرط أن تكون محدودة ودائمة تكفي لإعالة الأطفال وتربيتهم⁽¹⁾. تختلف الأسرة في البدو عنها في الريف والحضر، وإن كانت أقرب إلى الأسرة الريفية، في طبيعتها وخصائصها ووظائفها، وذلك لاختلاف البيئة والظروف الاقتصادية والثقافية والحضارية، وتتضح هذه الفروق في الاعتبارات التالية: نوع العمل ومحيط العمل والمهارات، فميدان الأسرة الريفية أو البدوية البيت أو الخيمة والرعي⁽³⁾. ماهو شكل الأسرة الذي كان سائدا في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي؟ من خلال الدراسة التاريخية يستنتج أن شكل الأسرة الذي كان سائدا هو الأسرة الممتدة بسبب طبيعة النظام السياسي الذي كان موجودا في فترة موضوع الدراسة، وهو النظام القبلي الذي لم يكن فيه للفرد استقلالية اقتصادية.

4-ب مفهوم الأسرة الممتدة: يعرف علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع الأسرة الممتدة أو المركبة أو المتصلة، هي الجماعة الاجتماعية التي تتكون من عدد من الأسر المرتبطة سواء كانت النسبة فيها إلى الرجل أو المرأة، ويقيمون في مسكن واحد، وتتميز هذه الأسرة بعلاقات القرابة من الدرجة الأولى⁽⁴⁾. ولكن الأشكال التاريخية والمعاصرة للتنظيم الأسري جعلت من المناسب أن يضاف إلى كلمة أسرة صفة تحدد شكلها، فيطلق مصطلح الأسرة الممتدة على الجماعة التي تتكون من عدد من الأسر المرتبطة التي تقيم في مسكن واحد، وهي لا تختلف كثيرا عن الأسرة المركبة أو الأسرة المتصلة.

(1) د. عبد القادر القصير: الأسرة المتغيرة - ص 133 - د. محمود عودة: أسس علم الاجتماع - دار النهضة العربية للنشر والتوزيع

بيروت - بدون تاريخ - ص 92

(2) نفسه: ص 33 - د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع القروي - دار المعارف - 1967 - ص 145

(3) د. مصطفى الخشاب: دراسات في الاجتماع العائلي - ص 294

(4) د. سناء الخولي: المدخل إلى علم الاجتماع - ص 202

ونظراً لأن اللغة العربية أغنى من اللغات الأخرى في مصطلحات القرابة، فإنها تستخدم كلمة أسرة (Famille) لتشير بها إلى الجماعة المكونة من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين الذين يقيمون معاً في مسكن واحد⁽¹⁾، أو هي الجماعة التي تتكون من الزوج والزوجة وأولادهما الذكور والإناث غير المتزوجين والمتزوجين وأبنائهم وغيرهم من الأقارب من الدرجة الأولى كالعم والعمة والأرامل والجد والجدة الذين يقيمون في نفس المسكن ويعيشون حياة اجتماعية واقتصادية واحدة تحت إشراف رئيس الأسرة⁽²⁾، وإذا كانت الأسرة الممتدة هي الوحدة الأساسية في المجتمع البدوي التقليدي⁽³⁾، كانت الأسرة الممتدة في مجتمع بني عامر وحميان النسبة فيها من جهة الأب، وكانت حياة الفرد العامري والحمياني تدور في إطار هذه الأسرة.

4-ج وظائف الأسرة: كانت الوظيفة التي تقوم بها الأسرة في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي هي إنجاب الأبناء الشرعيين في إطار جو من العلاقات المرتكزة على المحبة والتعاون بين أعضاء تلك الأسرة كما كانت تقوم بدور التدريب الاجتماعي لأفرادها وسلوكهم الاجتماعي، وحياتهم الاجتماعية داخلها وخارجها، وفي تنظيمها لشؤون الحياة الاقتصادية التي يكون النشاط فيها للرعي والإنتاج الحيواني قبل انتقالها إلى النشاط الإزدواجي الرعوي والزراعي وأسلوب العمل والمعيشة الجمعيان.

4-د المركز والدور: يستخلص من الدراسة التاريخية ومن خلال نظرية العمران عند ابن خلدون أن المجتمع العامري والحمياني البدوي التقليدي كان يتميز بالبساطة

(1) د. محمود عودة: أسس علم الاجتماع - ص 92 - د. السيد عبد العاطي السيد: أسس علم الاجتماع - ص 304.
ينظر إلى دراسات في علم الاجتماع القروي - ص 130 - د. عبد القادر القصير: الأسرة المتغيرة - ص 133 - محمود حسن: الأسرة ومشكلاتها - ص 92

(2) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 323

(3) د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع القروي - ص 130 - د. محمد السويدي: بدو الطوارق - ص 33

وعدم التعقيد وبتقسيم المراكز والأدوار حيث كان ينقسم أعضاء هذا المجتمع وفقاً لهذا المعيار إلى آباء وأمهات وأبناء وبنات وإخوة وأخوات وأعمام وعمات وأخوال وخالات وأجداد وجدات وأحفاد وحفيدات (1)

4-د1 مركز ودور الأب: كانت له صفة الشيخ أو الرئيس المستقل ويلاحظ أن السلطة في أسرة بني عامر وحميان ترتبط بالسن، ومن أبرز مهام الأب توجيه الذكور عندما يصبحون كباراً (2). ثم يقوم بتنظيم العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للأسرة مع غيرها من الأسر، كما يتولى فض المنازعات سواء تلك التي تقوم بين الأسرة نفسها أو بينهم وبين الآخرين (3). فالرجل داخل المجتمع العامري والحمياني البدوي التقليدي يشرف على شؤون الأسرة الاجتماعية المتصلة بضبط العلاقات بين مكوناتها المختلفة وبينها والأسر الأخرى، فهو من الناحية النظرية مسؤول عن تدريب الأولاد اجتماعياً ومراقبة سلوكهم الاجتماعي وتقسيم العمل بينهم والعمل على تزويجهم، أما السلطة الاقتصادية فهي في الغالب تدور حول الإنتاج الحيواني والعمليات المتصلة به فالأب هو صاحب الكلمة النهائية، وكانت له الحرية التامة في اختيار نوعية المواشي والخيول والإبل، وعددها وطبيعة امتلاكها، وتكون خبرته في النشاط الرعوي التي ورثها عن الأجداد (4) ذات معول كبير في توجيه العمل، لأن السلطة في المجالين الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع البدوي التقليدي واحدة إلا أن لها مظهران؛

(1) نفسه: ص 131 - مونكرمي وات: البدو - ص 18 - د. غوستاف لوبون: حضارة العرب - ص 345

(2) د. محمد السويدي: بدو الطوارق - ص 34

(3) وعند عبد الحميد لطفي نقلا عن أحمد عيسى يميز المجتمع البدوي بخمس خصائص هي الاعتماد في المعيشة على الطبيعة إلى أقصى حد ممكن، والارتباط بنظام معين للقرابة، والاعتقاد بالسحر والجهل أو شعو الأمية بأنماطها المختلفة ينظر إلى الأنثروبولوجية الاجتماعية - دار المعارف - القاهرة - 1968 - ص 87-88

(4) د. صلاح مصطفى القوال: علم الاجتماع البدوي - ص 322

أحدهما عام والآخر خاص، فالمظهر العام يكون من اختصاص الرجل، والمظهر الخاص من اختصاص المرأة، ولا يعني ذلك ازدواجا في السلطة داخل الأسرة.(1) وانعدام التخصص لعدم وجود نظام تقسيم العمل حيث يؤدي أفراد المجتمع البدوي الأعمال المنوط بهم، كما يشبعون حاجاتهم ويدافعون عن أنفسهم ضد الغير وضد الطبيعة في تكامل وارتباط وتعاون شبه آلي(2) وكقاعدة تزدد مسؤولية الولد في المجتمع العامري والحمياني كلما تقدمت به السن، وتكون زوجته هي صاحبة السلطة في حدودها أيضا، حتى لو تقدمت بالأب السن فإنه يبقى صاحب السلطة شكليا، ولكنه يشرك معه أكبر أولاده الذي يمارس سلطات والده فعلا، وعند ذلك يتمتع بما يتمتع به والده من طاعة واحترام فإذا توفي الوالد يظل الابن الأكبر صاحب السلطة يشرك والدته عن طريق المشورة(3)،

4-2 تعدد الزوجات: إذا كان الرجل العامري والحمياني متزوجا من أكثر من زوجة فإن زوجته الأولى خصوصا إذا كانت أكثر الزوجات إنجابا تكون لها السلطة على الزوجات الأخريات وعلى زوجات أولادها وزوجات الأولاد الآخرين من الزوجات الأخريات لأن هذه الزوجة هي التي بني عليها القنطاس أو ساس الخيمة كما هو معروف في عرف بني عامر وحميان، وتسمى الزوجات الثانية والثالثة بالضرات وفي بعض الأحيان يتعذر على الزوجة الأولى أن تمسك بسلطة الخيمة في يدها، عندما يشتد الخلاف بين الزوجات وهذا نادرا ما كان يحدث الأمر الذي قد يهدد تضامن الأسرة، ولهذا يلجأ الزوج إلى تقسيم الأعمال المنزلية، وإعطاء كل زوجة سلطة في حدود هذا التقسيم، وللسلطة الأسرية عدة نتائج منها احترام السلطة(4)،

(1) د. محمد عاطف غيث: المرجع السابق - ص 119

(2) نفسه: ص 120

(3) نفسه: ص 130

(4) ينظر إلى علم الاجتماع القروي - ص 130

ماهي طبيعة العلاقات الاجتماعية* داخل الأسرة في مجتمع بني عامر وحميان البدوي؟ لم يشير علماء الاجتماع إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة داخل المجتمع البدوي، وإنما اكتفى هؤلاء بالقول أن السلطة بيد الأب أو الجد أو الرئيس، وأن المرأة تابعة للرجل، وجميع الأفراد تابعون لسلطة الأب أو الجد، دون أن يتم التفصيل في إبراز نوع العلاقات الاجتماعية بين الإخوة فيما بينهم والأبناء والأم فيه فالأصغر يحترم الأكبر، حتى تصل إلى الأب الأكبر صاحب السلطة الذي يتمتع بأكبر قسط من الاحترام(1)، وهذه القاعدة كان معموها به في مجتمع بني عامر وحميان، فكان الصغار من الأبناء يحترمون الجد والجددة والأب والأم والأخ الأكبر سنا سواء كان متزوجا أو غير متزوج ولايتلفظون أمامه بكلام أو يدخنون أمام الأخ الأكبر سنا، وهذه القاعدة مرعية أيضا عند الإناث فتتمتع الأم الكبرى بطاعة جميع الزوجات والبنات لها خاصة إذا تقدم بها السن، ولا يقتصر احترام السن على الأسرة فقط بل أن يتعلم أن الكبار عامة(2)، بحيث الطفل إذا مر على جماعة أو التقى بشخص أكبر منه سنا يسلم عليه فوق رأسه مستخدما كلمة عمي، وخاصة من الأسر الأخرى في العشيرة التي ينتمي إليها، ويكون الموقف إزاءهم مماثلا للموقف إزاء الكبار في أسرته، فالشاب لا ينبغي له أن يجلس مع من يفوقهم سنا، وإذا حدث وجلس لا يتكلم بل يسمع فقط..

*العلاقات الاجتماعية: هي الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد والمجتمع، وهي تنشأ من طبيعة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع، وتعتبر العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد في مجتمع ما نتيجة تفاعلهم مع بعضهم البعض من أهم ضرورات الحياة، وتنوع إلى العلاقات الاجتماعية الجوارية والأسرية، التي يقصد بها تلك العلاقات التي تقوم بين أدوار الزوج والزوجة والأبناء ويقصد بها أيضا طبيعة الاتصالات والتفاعلات التي تقع بين أعضاء الأسرة ومن ذلك التي تقع بين الزوج والزوجة وبين الأبناء أنفسهم. ينظر إلى: العلاقات الاجتماعية - من موقع

أنترنت 4-2-p2 http://www.alhadijah.com/page6.html

(1) د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع القروي - ص 133

(2) د. عبد الحميد لطفي: علم الاجتماع - ص 120 - د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع القروي - ص 13

كما لا يحق له أن يعلق على أحاديثهم في وجوده مع رفقاته، ثم احترام المركز في دائرة القرابة أي أن الذين يحتلون في الأسر مركزا متشابها يكون لهم نوع السلطة على من هم أصغر منهم، وإذا حدث أن لفت أحد نظر شاب من غير أسرته إلى شيء معين، ولم يمتثل فإنه يلاقي عقابا من الكبار في أسرته، أو قد يوقع عليه العقاب مباشرة من صاحب هذا المركز دون الرجوع إلى أسرته (1)، ومثل هذا السلوك في دائرة القرابة، ولا يلقي اعتراضا من أحد بل هو من نماذج السلوك المرحب بها، والتي تفهم في حدود الحقوق القرابية. ومن نتائج السلطة الأسرية كذلك سيادة الذكر في المجتمع العامري والحمياني البدوي، فممارسة النشاط الرعوي أو ما تسمى في لغة حميان بالسرحة واختيار المراعي المناسبة، أو إقرار تاريخ الارتحال أو الإشراف على الرعاة المأجورين يقوم به الرجال، وهو عمل شاق الذي لا يقوى عليه غيرهم وبالتالي فإن لهم السيادة، والمرأة تقوم بدور ثانوي، ولهذا تحتل مركزا أدنى ووجودها مستمد من وجود الرجل، ولهذا فإن احترامها وطاعتها حق له وواجب عليها (2). دون أن تقابله واجبات من الرجل نحوها ومثلها الأعلى أن تظل تخدم الرجل وتطيعه وتلتزم رضاه دون أن تتوقع منه شيئا (3). ثم شؤون الأسرة من اختصاص المسؤولين فيها، بحيث لا يحق لأي عضو في الأسرة أن يتدخل لا بالموافقة ولا بالاعتراض على شيء؛ لأن الكبار يعرفون أكثر وهم أقدر على التصرف نتيجة لخبرتهم (4) فالمثل الشعبي السائد في قبيلة حميان عن الولد الذي يريد أن يتحمل

(1) د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع القروي - ص 133

(2) Gast Marceau: Matériaux pour une étude de l'organisation sociale chez les Kel-Ahggar-in libyca - Alger centre algérien recherche anthropologiques préhistoriques et ethnographiques-t22-1974-p179

(3) د. محمد السويدي: بدو الطوارق - ص 101 - د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع القروي - ص 134

(4) وجيه الدين أحمد: تنظيم الأسرة في عالم غير منظم - ترجمة د. عباس محمود عوض - بحث في المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية -

مركز مطبوعات اليونيسكو - العدد 19 - السنة الخامسة - القاهرة - 1975 - ص 21

المسؤولية لأول مرة يقول ما يعمرها حتى يخليها سبع مرات. وكذلك نتيجة لمركزهم فإذا كان الأمر يتعلق بخلاف داخلي يجب أن يظل داخليا في حدود الأسرة (1) ولا يحق لأحد أن يتحدث في هذه المسائل مع الغير، وأن يفشي سر الخلاف الداخلي لغيره، بل عليه بالكتمان ويحرص الجميع على ذلك، وحرصهم دليل على تضامن الأسرة من ناحية وعلى انفراد الكبار بالسلطة فيها من ناحية أخرى (2). وعلى أساس نظام السلطة تتحدد في الأسرة العامرية والحميانية البدوية تتحدد العلاقات الاجتماعية داخلها، ويتعين أيضا اتجاه العلاقات الخارجية، ويلاحظ في قبيلة بني عامر وحميان أن الأطفال يكونون في مراحل حياتهم الأولى أكثر حرية في التعبير عن رغباتهم في إظهار دوافعهم، وتظل حريتهم تتقيد كلما أصبحوا يكبرون في السن حتى تصبح الرغبات الفردية والتأكيد عليها مظهرا سيئا من مظاهر الشخصية ولهذا كان من أهداف التنشئة الاجتماعية في الوسط الأسري العامري والحمياني خلق الشخصية الإنطوائية، فالفرد كفرد في هذا الوسط لا قيمة له إلا في الأسرة وقيمه التي يقرها المجتمع البدوي هي القيم الأسرية، فهو يعمل من أجل الأسرة، ويتزوج من أجل الأسرة، وينجب من أجل الأسرة، ولهذا كانت شخصية الأسرة هي التي تحدد نماذج سلوكه، وتعين له ما هو مسموح به وما هو ممنوع عليه واستمرار التأكيد على قيم الجماعة*.

(1) د. محمد عاطف غيث: علم الاجتماع القروي - ص 134

(2) د. غوستاف لوبون: حضارة العرب - ص 345-180. cit. p180 Gast Marceaux: op.

* لقد ذهب صلاح مصطفى الفوال أن النظام الأخلاقي المتعارف عليه لدى كل أبناء المجتمع البدوي أو المنتمين إليه، وغير المكتوب بشكل النظام الأساسي الذي يربط أو يوحد ما بين أفراد المجتمع جميعا، وينشأ الشعور الفردي أو الشعور الجمعي بالصواب أو الخطأ من جذور أو أصول جماعية لا شعورية وكتيجة للضمير الجمعي أو المسؤولية الجماعية. ينظر إلى علم الاجتماع البدوي - ص 320.

فالتعبير الفردي عن السرور أو الحزن يقابل بالسخرية والتهكم، فسرور الفرد أو حزنه هو سرور الأسرة أو حزنها، أي لا معنى للفرح أو الحزن ضمن هذه النماذج والقيم في المجتمع البدوي (1)، وبمعنى آخر يتصف سلوك الفرد دائماً بالإحجام، ولهذا ليس من السهل أن تعرف حقيقة ما يجري في ذهن البدوي العامري والحمياني دون معرفة نموذج الأسرة التي ينتمي إليها، وتبدو آثار هذا كله في العلاقات الداخلية بين الزوج والزوجة، وبينهما وبين الأولاد بعضهم مع بعض، وتمتد هذه العلاقات إلى زوجات الأبناء وكل من يقيمون في الخيمة، فهو يتبع سيرة أبيه وجده (2) وكذلك تحدد العلاقة بين الزوج والزوجة على أساس معين، فالزوج لابد أن يظهر البرود والمبالاة والاستخفاف بآرائها وعدم الاستماع إليها (3). أما الزوجة فعليها أن تخدم زوجها وتحترمه وتطيعه ولا ترد الإهانة، أي يجب أن تقبل كل مظهر سلوكه نحوها دون مناقشة أو اعتراض، كما يجب أن يظهر ميلهما أحدهما للآخر علناً حتى لا تأخذ الغيرة بأمره (4)، ومن الأمور التي تعيب الرجل أن يكون لزوجته نفوذ أو تأثير عليه من أي نوع، فمعيشة زوجة شابة مثلاً داخل الأسرة وفي وجود الحماية تسبب لها مصاعب كثيرة وغالباً ما تنشأ خلافات متعددة بينهما (5)، تحاول أن تقصصها على زوجها أثناء انفرادهما ليلاً وكقاعدة يستمع الزوج ولكنه يظهر عدم الاهتمام لأنه لا يملك في وجود السلطة الأبوية (6) أن يعترض على تصرفات

(1) د. محمد عاطف غيث: المرجع السابق - ص 134 - محمود حسن: الأسرة ومشكلاتها - ص 56 - مورو بير جر: العالم العربي - ص 56

(2) د. محمد عاطف غيث: المرجع السابق - ص 134 - مورو بير جر: العالم العربي - ص 57

(3) بنديكت روث: ألوان من ثقافات الشعوب - ص 47 - علي عبدالواحد وافي: الأسرة والمجتمع - القاهرة -

1948 ص 129 و 137

(4) علي عبدالواحد وافي: الأسرة والمجتمع - ص 129 - د. عبدالحميد لطفي: علم الاجتماع - ص 119

(5) محمود حسن: الأسرة ومشكلاتها - ص 134 - وجبة الدين أحمد: تنظيم الأسرة في عالم غير منتظم - ص 21

(6) د. محمد عاطف غيث: علم الاجتماع القروي - ص 135

والدته(6)، حتى لو اقتنع بأن زوجته على صواب وفي بعض الأحيان يمنع زوجته من ذكر شيء له ويعاملها بقسوة إن عادت على ذكر، أي شيء يتعلق بوالدته، وفي هذه الحالة تلجأ الزوجة إلى أساليب مختلفة، وأهمها الامتناع عن الاتصال الجنسي أو التمارض أو هجر دار الأسرة إذا كانت من أسرة أخرى(1)، كما أن الأم الكبرى إذا كان لها عدد من الأبناء المتزوجين فإن معاملتها للزوجات تختلف فتحظى زوجة الابن الأكبر في أغلب الأحيان بثقتها وتميزها عن بقية الزوجات، الأمر الذي يؤدي باستمرار إلى مزيد من الخلافات، ولكن القاعدة أن يقل احتكاك الأم الكبرى بزوجات أبنائها بعد مرور عدة سنوات على زواجهن وخصوصاً بعد إنجابهن(2)، ويرتفع قدر المرأة في الخيمة كلما أنجبت ذكورا أكثر من الإناث، وقد تلجأ الأم إذا كانت زوجة ابنها صعبة المراس إلى إغرائه بالزواج مرة أخرى، وفي كثير من الأحيان تفلح في هذا وتتولى إقناع الأب بذلك. وطالما أن الأمر يتعلق بمزيد من الأولاد. فإن الأب يرحب دائما وقد لوحظ أن في الأسرة التي يكون للأب فيها أكثر من زوجة تقل مشاكل زوجات الأبناء مع أمهات أزواجهن، ويرجع هذا إلى تعدد السلطة المنزلية. في أغلب الأحيان وتحرص الحموات على رضا زوجات الأبناء ليكن في صفهن في محيط الأسرة. وتظهر الزوجة في أوائل أيام الزواج جهلا بمسائل الجنس. وتقاوم الزوج إذا أراد الاتصال بها ويظل موقفها من زوجها في الاتصال الجنسي يتصف بمظهر الإحجام فترة تطول أو تقصر ثم تتخذ الأمور بينهما مجراها الطبيعي بعد ذلك، ونظرا للمعيشة المشتركة في الأسرة العامرية والحماينية، يندر أن يتم الاتصال بين الرجل وزوجته أو أي مظهر من مظاهر التودد.

(1) Fair:ed-dictionnryof sociology-New-york-1940-p114 د. محمد عاطف غيث: اعلم

الاجتماع القروي-ص135

(2) نفسه-ص142-مورو بيرجر: العالم العربي-ص57 Gast Marceaux:op.Cit.p181-Maciver and

page: society-london-1953-p238

أثناء النهار بل كل هذا يتم ليلاً وفي سكون تام(1). وتعرف الأسرة دون أن يعلق أحد أعضائها بهذا الاتصال، إذا تبين أن الزوجين استحما في الصباح(2)، وفي الغالب يستحم الرجل في الخلاء أو في العشة، أما المرأة فإنها تستحم في العشة المخصصة للنوم، ويلاحظ أن المرأة لم تكن تعرف كثيراً عن أمور الجنس، ولم تكن تهتم به إلى الحد الذي يشغلها، بل الكلام في موضوع الجنس كان من بين الممنوعات(3)، وكانت المرأة العامرية والحميانية تعيش حياتها ولا تعرف عن الإشباع الجنسي، ولكن الرجل كان أكثر دراية منها في مسائل الجنس، وبصفة عامة يمكن القول أن التحدث كثيراً في مسائل الجنس بين الرجال والنساء على السواء كان أمراً غير مرغوب فيه(4) كانت تقوم الأسرة في المجتمع العامري والحمياني كأي مجتمع بدوي على التعاون والصراع فكان التعاون هو القاعدة التي تقوم عليها الحياة الأسرية يراقب صاحب السلطة تحقيق التعاون على أكمل الوجه، كما أن التعاون بدوره يقوم على مسؤولية جميع أعضاء الأسرة المشتركين في الإنتاج الحيواني، وهذا المظهر التعاوني للإنتاج يفترض أن يبذل الفرد أقصى مجهود(5)، ويظهر التعاون على مستويين الأول العمل معاً ككل في كل عملية من العمليات الرعوية، والثاني تقسيم هذه العمليات دون تخصيص بين الأفراد، وفي الغالب يتولى صاحب السلطة الأسرية تقسيم هذا العمل ويقوم به الأفراد دون مناقشة(6)؛ وأوقد يعمدون من تلقاء أنفسهم إلى مثل هذا التوزيع، ولا يتدخل الأب الأكبر إلا لتحقيق التناسق.

(1) د. علي عبد الواحد وافي: الأسرة والمجتمع - ص 129 - د. محمد عاطف غيث: علم الاجتماع القروي - ص 142

(2) د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع (نظريات ودراسات) - دار النهضة العربية - بيروت 1985. ص. 189

(3) نفسه ص. 189

(4) د. محمود عودة : أسس علم الاجتماع - دار النهضة العربية - بيروت 1985 ص. 206. 207

(5) د. علي عبد الواحد وافي : الأسرة والمجتمع . ص. 129

(6) د. محمد الغريب عبدالكريم: ظاهرة التريف - قراءات في علم الاجتماع الريفي 1990. ص. 3

ولكن أحيانا ينشأ اختلاف يتحول إلى صراع على تقسيم العمل أو على طريقته، ولكنه غالبا ما يزول بسرعة، عند تدخل صاحب السلطة، أما الخلاف المتري خصوصا بين الزوجات والأم الكبرى أو بين الزوجات، وأزواجهن فإنه يتخذ أحيانا مظهرا حادا يطول خصوصا أن صاحب السلطة يترك لزوجته حسم مثل هذه الخلافات (1)، ولذلك فإن إعادة العلاقات في الخيمة تقتضي في كثير من الحالات تدخل الأب الأكبر، ولكن المظهر التعاوني للأسرة العامرية والحميانية يبقى هو المظهر المميز لها، والصراع الذي يحدث يمثل حالات عارضة أو مؤقتة، وعندما تبدأ مرحلة تحمل المسؤوليات تتحدد علاقة أعضاء الأسرة على أساس السن والجنس (2)، أما قبل ذلك فتكون بين كبار السن والأطفال غير محددة على هذا الأساس، بل هي في جوهرها علاقة مزاح متبادلة، أما علاقة السن والجنس فإنها تقوم في المحل الأول على الفصل بين الذكور والإناث، وفي المحل الثاني على بين فئات السن المختلفة في ضوء الفصل الأول، وتكون العلاقة بين فئة السن الواحدة علاقة شخصية أو مباشرة، ولكنها تتخذ طابعا غير شخصي وغير مباشر، كلما تم الصعود من حيث العمر إلى فئات أكبر (3). وعلى أساس فكرة سيادة الذكر في المجتمع العامري والحمياني فإن الإناث بصفة عامة يحترمن ويخدمن الذكور، وهذا ينطبق على الزوجات، فالزوجة لا تخدم زوجها وحده، بل تخدم إخوته المتزوجين وغير المتزوجين أيضا، وفي داخل الجنس الواحد تتدرج السلطة على أساس السن، فالبنت تطيع أختها الكبرى، والولد يطيع أخاه الأكبر وهكذا، ويحدث أحيانا أن يكون للإبن الأكبر سنا من أحد إخوته أو هدد منهم، ويسبب ذلك مضايقات كثيرة (4).

(1) د. صلاح مصطفى الفوال : البداوة العربية والتنمية - ط1 مكتبة القاهرة الحديثة 1967 ص. 64

(2) دة. سهير عبدالعزيز : الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي - ص. 39 - د. محمد الغريب عبد الكريم: المرجع السابق ص 03

(3) د. محمد عاطف غيث: دراسات في علم الاجتماع - ص 189

(4) د. صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية - ص 64

ومع أن المركز القرابي يراعي في العلاقات العائلية فالعم لا بد أن يعامل مثل معاملة الأب، إلا أنه في هذه الحالة يتدرج تحت فئة السن الخاصة به من حيث العلاقات الشخصية والمباشرة المتوازية بي أعضائها(1)، وتقوم السلطة الأسرية بدور المنظم لهذه العلاقات جميعا ومراعاة امتدادها في الحدود التقليدية بها. أما علاقات المزاج، فإنها تدور في النسق القرابي؛ لأن امتدادها خارج العشيرة يسبب مشاكل كثيرة قد تصل في بعض الأحيان إلى درجة التقاتل، ويلاحظ أنها لا توجد إلا بصورة محدودة داخل الأسرة الواحدة بين فئات السن المختلفة ماعدا تلك التي توجد بين الكبار والصغار، ولكنها تظهر بوضوح بين أعضاء الأسر المختلفة(2)، وهي تكون متبادلة بين فئات السن الواحد وغير متبادلة غالبا بين فئات السن المختلفة(3)، فالشبان في المجتمع الحمياني والعامري يتبادلون معا صنوف المزاج خاصة عندما يتم اللقاء في المورد أو في الرعي أو في المناسبات كالأعراس ولكن عند اختلاف فئة السن فإن الأكبر هو الذي يبدأ بالمزاج ويستمر دون أن يرد عليه الأصغر، وإذا كان الأمر يتعلق بالزوجات، فالمزاج معهن على هذا النحو مسموح به طالما ينتمين إلى النسق القرابي للعشيرة(4)، ولكنه ممنوع إذا كن من ينتمين إلى عشيرة أخرى، وعلاقات المزاج لا تشمل صاحب السلطة، بل إن وجوده يوقف مظاهرا لمزاج فورا، ومن ناحية أخرى ينذر أن يتدخل أصحاب السلطة في العائلات في علاقات المزاج وكقاعدة يقل المزاج كلما كبر الفرد في السن(5)، ولكن هذا لا ينطبق مزاحهم مع الأطفال، أما موضوعات المزاج فقد تتعلق بالمظهر والمهارة. والضيافة والكرم

(1) د. سهير عبدالعزيز محمد يوسف : المرجع السابق -ص. 35.34

(2) د. محمد عاطف غيث : دراسة في علم الاجتماع. ص. 198

(3) د. صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية ص. 165

(4) نفسه ص. 165 - د. محمد الغريب عبدالكريم : ظاهرة الترييف - ص. 13

(5) د. محمد عاطف عيث: دراسات في علم الاجتماع - ص. 198

وتعدد الزوجات والإنجاب، وفي هذه الحالة تكون العلاقات المزاحية ذات اتجاه أخوي. ولكنها إذا تناولت مسائل يعتبرها الفرد ماسة بسمعة العائلة أو قيمها أو رجولة الذكر أو أنوثة الأنثى، فإنها تكون ذات اتجاه عدواني، الأمر الذي قد يترتب عليه في حالة تساوي السن الاشتباك في معركة (1)، وفي حالة عدم تساوي السن، يبلغ الأصغر سناً الأسرة بمضمون الاعتداء المزاحي وعلاقات المزاح قد تكون مباشرة وغير مباشرة، ففي الحالة الأولى يكون الطرفان فردين أو جماعتين على مرأى ومسمع كل من الآخر وهذه تكون بين أعضاء النسق الواحد غالباً وفي الحالة الثانية يكون أحد الطرفين موجود ولا بد أن تكون جماعة والطرف الآخر غير موجود، ولذلك لا يتعين أن يكون المزاح متعلقاً بأعضاء النسق القرابي (2)، فقد يتعداه إلى الأنساق الأخرى. وعلاقة المزاح هذه تكشف في بعض الأحيان في بعض نواحيها عن القيم الأسرية البدوية بصفة عامة، وتؤدي دوراً مهماً في الضبط الاجتماعي، ذلك لأن موضوعات المزاح إذا نظر إليها ككل تكشف عن نماذج السلوك التقليدي الذي يكون الخروج أو الانحراف عنه منقصة، كما أنها تبرز النقائص بحيث يسرع الفرد إلى مراجعة موقفه العودة إلى نموذج الشخصية المألوفة ومثال ذلك أن انقياد الزوج للزوجة أمر لا تقره التقاليد ويعتبر عيباً في الرجل، وانتقاصاً من قدره بين الرجال، ولهذا كانت الإشارة إلى الانقياد في المزاح تنبيهاً للزوج وسخرية منه في نفس الوقت، الأمر الذي معه المزاح في هذه الحالة نوعاً من العقاب الاجتماعي. وخلاصة القول أن العلاقات الاجتماعية في المجتمع العامري والحمياني البدوي كان إلى عهد قريب متمسكة بهذه القيم الاجتماعية.

(1) د. محمد عاطف غيث: المرجع السابق - ص 143 - Radcliff Brown: structure and function in primitive society - london - 1956 - p70

(2) د. محمد عاطف غيث: المرجع السابق - ص 143 - د. محمد السويدي: بدو الطوارق - ص 103

(3) نفسه: ص 143 - مورو بيير ج: المرجع السابق - ص 58

3- القيم الاجتماعية في مجتمع حميان وبني عامر البدوي التقليدي: القيم

الاجتماعية هي مجموعة من المبادئ أو العقائد يؤمن بها غالبية أفراد المجتمع، ويعتقدون أنها الأفضل لتحقيق غايات اجتماعية محددة، ويؤمنون كذلك بضرورة احترامها في العلاقات الاجتماعية المختلفة، ويمكن تقسيم القيم الاجتماعية إلى عدة أقسام وفق الأساسين التاليين أساس المنبع وقوة الإلزام، فعلى أساس المنبع الذي تصدر عنه إلى: قيم دينية وهي المبادئ والعقائد التي ينص الدين على ضرورة احترامها في المواقف الاجتماعية المختلفة، وعندما تسيطر القيم الدينية على النظم الاجتماعية في مجتمع ما يطلق عليه اصطلاحاً مجتمع متدين أو جماعة متدينة، ومن أهم القيم الدينية المحبة والإخاء والصدق والعبادة والإيثار، وإتقان العمل والإحسان وغيرها. أما القيم الأخلاقية وهي التي تنتمي إلى مبادئ الأخلاق غير مرتبطة بالدين، وإنما مبادئ أخلاقية عامة، تتميز القيم الأخلاقية بأنها نابعة عن الضمير الجمعي، وليس من دين معين، مثل تعاليم حكماء الصين على سبيل التمثيل كونفوشيوس، ويدخل في القيم الأخلاقية كل القيم الشعبية التي تنص على احترامها العادات والتقاليد والأعراف، الصدق والمساواة والتسامح والعدالة والشجاعة⁽¹⁾. تتمثل القيم في مجتمع بني عامر وحميان البدوي في الجود والشجاعة وعزة النفس وحفظ العهد والاعتراف بالجميل، والتمدح بالغارة وإبادة الضيم، وكانت أخلاقهم أخلاق أسلافهم أعراب بني هلال وهي أخلاق الجاهلية بما فيها من حسنات وسيئات، وبغض الصنائع والحرف ومعارفهم هي معارف الجاهلية من عناية بالأنساب، وكل ما يتصل بحياتهم البدوية، وقد تأثروا بالبربر، فنبذ القاطنون بالنواحي الخصبة حياة الغارة والفتن، وحي فيهم الشعور الديني، ولم يعرف عنهم إغارة الكافر أو الاستعانة به⁽²⁾.

(1) د. إبراهيم العسل: المرجع السابق - ص 47

(2) مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج 2 - ص 190

سداد المسعودي أسباب البداوة العربية وقيمها ضمن حديثه عن خطيب العرب عند كسرى وهو يعلل اختيار قومه للبداوة، حيث قال المسعودي "وذكر الهيثم بن عدي والشرقي بن النطافي وغيرهما من الإخباريين أنه وفد على كسرى أنوششروان بعض خطباء العرب، فسأله كسرى عن شأن العرب وسكنائها البر واختيارها البدو، وعن خلائقهم، قال أنوششروان لكسرى عن أخلاق العرب البدو: العز والشرق والمكارم وقرى الضيف"⁽¹⁾. وإذمام الجار وإجارة الخائف وأداء الحملات، وبذل المسح في المكرمات، وهم سراة الليل وليوث الغيل، وعمار البر وأنس القفر، ألفوا القناعة وشغفوا الفراعة لهم الأخذ بالتأثر والأنفة من العار والحماية للذمار، قال كسرى: لقد وضعت عن هذا الجليل كزما ونبلا، وما أولانا بإنجاح وفادتكم فيهم⁽²⁾، فتخبرت العرب في البر نزلا منها مشات ومنها مصايف: فمنهم المنجد والتهامي، فالمنجد منهم هم الذين سكنوا أرض نجد، والتهامي هم الذين سكنوا أرض قمامة، ومنهم من سكن أغوار الأرض كغور غزة من أرض الشام من بلاد فلسطين والأردن ومن سكن منهم لحم أو جذام⁽³⁾. يبدو من خلال اللقاء الذي تم بين كسرى وأنوششروان من خطباء العرب يمكن إدراك أسباب البداوة العربية وخصائصها⁽⁴⁾، بل شكلت شخصية العربي البدوي بكثير من الصفات منها الكرم والشرف وحماية الجار وإجارة الخائف والشجاعة والقناعة وحب القتال والأخذ بالتأثر والأنفة من العار وحماية الديار⁽⁵⁾.

(1) ينظر إلى: مروج الذهب - دار التحرير للطبع والنشر - القاهرة - 1967 - ص 276 - د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 26

* قرى الضيف: إكرام الضيف

(2) المسعودي: مروج الذهب - ص 276 - د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 26

(3) نفسه: ص 276 - د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 26

(4) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 28

(5) نفسه: ص 28

هذا فضلا عن شغف البدو الواضح بفصيح الشعر وقمامه، وقد علم التجوال العربي البدوي أنه أليق بالأنفة وأولى العزم من الناس، وعلمه النفور من سكنى المدن والأبنية، لأنه يجلب العار للبدوي ويحد من انطلاقته وتفوقه على من سواه (1). وتوصل العربي البدوي من خلال ترحاله وتجواله وتغييره للمكان، أن الأرض ترضو الانتقال من مكان إلى آخر يمكن للبدوي من اختيار أصلحها، ويتيح أي الانتقال الفرصة للأرض حتى تسترد عافيتها، والأبنية تضر بالصحة العامة لأنها تفسد الهواء والغذاء وتورث العلل والأمراض لكثير من ساكنيها (2). لذلك فضل البدو سكنى البوادي ليكونوا في صحة أحسن وعقل أنضج ولون أنضر. وقرائح أنقى وأمزجة أصفى وفتوة أوضح وشجاعة أصرح. إن العرب يخالطون ولا يختلطون فالعربي صعب الاندماج في غيرة شديد المحافظة إلى درجة قصوى على ذاتيته غيور على عروبتيه، وماتنطوي عليهما من عوائد وأخلاق وسجايا (3)، فتسرى القبائل العربية الكبرى في أرض الجزائر اليوم خصوصا المستقرة بعمالة وهران كبني عامر وحميان وبني هاشم وغيرهم تعيش نفس معيشة التي كانت عليها أسلافها تتخلق بعين الأخلاق التي كانت أخلاق السالفين، وبعبارة أخرى فقد حافظت هذه القبائل على جميع الكليات والجزئيات التي كانت لبني هلال، من حيث اللغة والأخلاق والعادات العقلية والنفسية، فالطفل العربي يمثل الطفل النازح مع أبيه وأمه من الحجاز إلى مصر والراعي العربي هو نفس الراعي الهلالي، والسيد العربي هو نفس السيد العربي الذي كان يقود القبائل الهلالية نحو بلاد المغرب، والمرأة العربية اليوم هي نفس المرأة التي كانت تمثلها الجازية تونس من شهيرات الهلاليات (4).

(1) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 28

(2) أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر - ص 141

(3) نفسه: ص 141

(4) نفسه: ص 142

إلى درجة أنه إذا استقربك المقام في خيمة عامري أو حمياني، أمكنك أن ترى نموذجاً حياً من نماذج العرب الهلاليين كأهم لا يزالون يرعون السائمة بين نجد والحجاز (1). ويذهب أحمد توفيق المدني إلى وصف العربي بقوله "...العربي ذكي إلى درجة مفردة، فصيح طلق اللسان، ولو كان أمياً كريم إلى أقصى حدود الكرم، شجاع إلى درجة الجرأة، فارس يعشق فرسه ويتغنى بذكر محاسنه شريف النفس إلى حد التضحية بماله وذاته في سبيل الشرف، مسلم متين الإسلام، قوي الشقة بالله متواكل أحياناً إلى درجة التفريط والكسل..." (2). وانطلاقاً من نص أحمد توفيق المدني فإن العامري والحمياني كان يتميز بالكرم، فإذا كان شخصاً ماراً بالقرب من خيمته فمباشرة يستضيفه ويدخله إلى خيمته خاصة إذا كان الفرد قال: "ضياف ربي" فإنه يكرمه ويقدم له كل ما يملك دون تردد (3)، ويجب فرسه، ولا يبيعه إلا كرها فهي رأسماله، وهي التي تلد له المهر ويحرص العامري والحمياني على أصالة الخيول التي تنحدر من أصل عربي، وحب ركوب الخيل وضرب الخيام والتجوال والرعي، وذكر ماكس فون إينهام عن قيم العربي البدوي الهلالي بقوله: "...وقبيلة بني هلال تتمسك بالإنسانية والشهامة حتى في حالات الحرب فهم في هذه الحالة لا يقتلون، ولا يعتدون على النساء والضعفاء، بل يقدمون لهم الطعام والشراب، ويدلونهم على الطريق إلى أقرب قرية أمنة، وهم يستأجرون العدو إذا استأجرهم، ويقسمون الهدية بينهم، ولبنو هلال مناقب كثيرة في الكرم والوفاء والإخلاص والنية والصدق والعطاء والتحدي، وهم متسامحون مع الأديان الأخرى ويمتازون بالذكاء، لا يحب الترف، ويقدر العمل..." (4).

(1) أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر - ص 142 - مونكري وات: نفس المرجع السابق، ص. ص 19-20

(2) ينظر إلى كتاب الجزائر - ص 142 - ماكس فون إينهام: المرجع السابق، ص 84

(3) E.Daumas: Mœurs et coutumes. op.cit. p193

(4) ينظر إلى: البدو - ص 84 - عبد الحميد خالدي: المرجع السابق ص 110

ومن المألوف أن يولم الشيخ البدوي العامري والحمياني الولائم الباذخة في خيمة كبيرة وهي الصفات التقليدية التي يجب أن تتوفر في رئيس القبيلة، وفي هذا الشأن ذكر ابن خلدون أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضرة وسببه أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى، كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها، وينطبع فيها من خير وشر (1)

3- النظام الاقتصادي (نمط المعاش): كان النظام الاقتصادي أو نمط المعاش في

مجتمع بني عامر وحميان حسب نظرية ابن خلدون في العمران البدوي يعتمد على:

3-1 الترحال: لعل التنقل سعياً وراء مصادر القوت يشكل السمة الرئيسية أو الأساسية

للحياة في المجتمعات البدوية، فانتقال البدو أو ارتحالهم بقطاعاتهم من الغنم أو الإبل، هذا الارتحال يعرف كنمط بعملية الرعي المتنقل، وهو أبسط أنواع الرعي على الإطلاق، وممارسوه من البدو الرحل الذين يعتمدون بصفة أساسية ومباشرة على الحيوان باختلاف أنواعه (2)، بحيث لا تصبح عملية الترحال وحدها هي المسخرة لخدمة الحيوان بل يتشكل نمط الحياة السائد كله ليكون في خدمة ذلك الحيوان الراعي، لقاء ما يوفره ذلك الحيوان للبدو من إشباع لمعظم احتياجاتهم الضرورية والأساسية، ولا تقتصر هذه الحاجات المشبعة من حيث الكيف على الجوانب الاقتصادية أو المادية (3)، بل يمتد هذا الإشباع حتى يصل إلى الوضعيات والمكانات والأدوار الاجتماعية والصراعات بل وليضم ذلك الإشباع أيضاً الثقل الاجتماعي كله سواء على مستوى الفرد أو الجماعة البدوية، أو كان ذلك على مستوى المجتمع العشائري كله (4).

(1) د. صلاح مصطفى الفوال البداوة العربية والتنمية - ط 1 - مكتبة القاهرة الحديثة - 1967 - ص 164

(2) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 365

(3) نفسه: ص 365 - د. عبد الحميد لطفي: المرجع السابق - ص 78

(4) نفسه: ص 365 - دة. سهير عبدالعزيز محمد يوسف: الاستمرار والتغير - ص 35

ولمعرفة المجتمعات البدوية يكفي أن تعرف أهمية الحيوانات عند هذه المجتمعات فعبارة إيفانز بريتشارد التي وجهها كنصيحة لكل من يريد أن يدرس مجتمع النوير حيث قال "فتش عن البقرة" (1). وفي مجتمع بني عامر بن شافع وحميان يمكن القول "فتش عن الشاة"، فالماشية عندهم هي مصدر الغذاء لبنا ولحما ودما وعظما أحيانا، ومنها الكساء غطاء ورداء، ومنها المأوى خيمة أو بيتا وهي المهر المقبوض، ومنها الدية فضلا عن أنها مصدر الثروة، ومبعث كل فخر، لذلك كله كانت الحيوانات الراعية موضع الاهتمام سواء بالتملك أو بالتطلع أو حتى بمجرد الحديث عنها (2). وليس الحيوان هو السمة الرئيسية للبداوة الرعوية، ولكن توجد إلى جوار الحيوان عدة عوامل جغرافية ومناخية ونباتية كثيرة، قد يمتد تأثيرها حتى يشمل وجود ذلك الحيوان من عدمه. فالمنطقة الصحراوية وشبه صحراوية التي هي كانت محل تجوال بني عامر وحميان، بطبيعة مراعيها الفقيرة تستلزم أو تفرض نوعا معينا من الحيوان الراعي يمكنه بحكم طبيعة تكوينه الجسماني أن يكون ذا مقدرة أو قدرة خاصة على الحياة وسط ظروف الصحراء المناخية والبيئية والنباتية الصعبة (3)، وفقر الحياة النباتية للمراعي لا يفرض فقط نوعا معينا من الحيوان، ولكنه أيضا يحتم رحىلا دائما لكل من الحيوان والراعي، وبما يتطلبه هذا التنقل شبه دائم من خفة في الحركة، فالبدو يضربون خيامهم بالقرب من مناطق الرعي حيث تنطلق القطعان بحثا عن العشب حتى ينضب معينه، في هذه الحالة يلزم أن تكون هناك رحلة رعي جديد لكل من الراعي والحيوان (4). وقد يكون المدى المكاني لهذه الرحلة محدودا أو غير محدود، كأن يتم التجوال في نطاق التجوال العادية للجماعة البدوية،

(1) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 365. ده. سهر عبد العزيز محمد يوسف: الاستمرار والتغير - ص 35

(2) نفسه: ص 366 - د. محمد الغريب عبد الكريم: ظاهرة التريف - 08

(3) د. صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية - ص 164

(4) نفسه: ص 366

أو قد يتم ذلك التجوال بحكم التغيرات المناخية مثلاً، في مناطق أخرى لم تكن مطروحة أو معروفة من قبل بالنسبة لهذه الجماعة البدوية الراعية بالذات، ووفقاً لقواعد وأعراف مرعية من الجميع وخصوصاً إذا كانت مناطق الرعي الجديدة غير مملوكة للجماعية البدوية الراعية أصلاً، أو كانت تقع تحت سيطرة جماعات بدوية أخرى (1). عرف بنوعامر وحميان عدة أنواع من الارتحال نتيجة تغييرها للمكان، فكانت تستقر بنوعامر وحميان عند دخولها إلى إفريقية ما بين طرابلس وقابس في منتصف القرن الخامس الهجري، وربما كان نمط الترحال في هذه المنطقة كان موسمياً في فصل الشتاء والصيف أو كان محدوداً، لأن المؤرخين لم يشيروا إلى طبيعة الحياة البدوية الرعوية عند بني هلال عند دخولهم إلى إفريقية، أما عند دخول بني عامر وحميان، فإن بني عامر عند هجرهم إلى ما بين المسيلة وقبلة تلمسان حسب ما أشار إليه ابن خلدون كانت تقوم بارتحال موسمي ما بين التل ومنطقتها ففي فصل الصيف كانت ترحل إلى التل، وفي فصل الشتاء كانت تعود إلى موطنها (2)، بينما حميان كانت تستقر بمنطقة بلاد حمزة والدهوس (3) وهي منطقة كانت غنية بغطائها النباتي، وبزروعها ربما قد فرضت على حميان نمط رعوي متميز جعلها في غنى عن الترحال، ومن المحتمل أنها عادت إلى حياة الترحال عندما هاجرت إلى صحراء تلمسان في القرن السابع الهجري بسبب فقر المنطقة من العشب والكأ، ويذهب الباحثون الاجتماعيون أن هناك عدة أنماط من الترحال: الترحال العادي الاختياري، وهو ذلك الترحال الذي يتم تحت الظروف العادية (4)، التي اعتادها أو عرفت العشائر الرعوية وفي نطاقها المكاني المعروف لها والذي سبق أن طرقت في توال زمني،

(1) د. مصطفى صلاح الفوال: المرجع السابق - ص 367 - د. محمد الغريب عبد الكريم: ظاهرة التريف - ص 08

(2) العبر: ج 6 - ص 52 - المشرفي: هجة الناظر - ص 26 - مبارك بن محمد الملي: المرجع السابق - ج 2 - ص 178

(3) نفسه: ص 42 - عبد القادر المشرفي: المصدر السابق - ص 26

(4) د. مصطفى صلاح الفوال: المرجع السابق - ص 367

بحسب عشيبه وحشائشه على الخضرة والسطاء⁽¹⁾. فالسؤال الذي يمكن طرحه هل بنوعامر وحميان كانوا يقومون بمثل هذا النمط من الترحال في منطقة صحراء تلمسان خلال تلك الفترة؟ فالغالب على الظن أن بني عامر وحميان كانوا يمارسون مثل هذا النوع من الترحال المحلي العادي الذي يتم على مستوى منطقتهم، وكان يسمى بالتخلاف، أي أن المجتمع العامري والحمياني كان يقوم بترحال جزئي، حيث كان يترك خميته في مكانه الأصلي المعتاد، ويرحل بخيمة صغيرة بمفرده ويترك من ورائه الأسرة وعادة لا يتجاوز هذا الترحال 30 كلم. وأحيانا كان يلجأ إلى الترحال الطارئ أو الاضطراري وذلك عندما تتغير الظروف المناخية أو الطبيعية فجأة⁽²⁾، ولا تجد بنوعامر وحميان كقبيلة بدوية لنفسها مخرجا سوى أن تنخرط في ارتحال سريع يشبه الهجرة هربا من تلك الظروف الطارئة التي واجهتها، وهددت حياتها وحياة قطعانها بالخطر، ويكون هدف الترحال الاضطراري البعيد بعد انتهاء مهمة الهرب من وطأة الظروف الطارئة الصعبة الجديدة حفاظا على حياة الناس والحيوان يكون ذلك الهدف هو العثور على مراعى جديدة يجد بنوعامر وحميان الرحالة في كنفها أسباب الحياة لها ولمواشيها. وفي هذه الحالة قد تعود بنوعامر وحميان البدوية إلى ديارها القديمة، أو قد لا تعود مثل ما حدث لجماعات من بني عامر وحميان التي استقرت بمنطقة تاسالة في القرن الثامن الهجري، ولم تعود إلى صحراء تلمسان، لأن عملية العودة هذه مرهونة بالأسباب التي دفعتها أصلا إلى الهجرة، فلو تغيرت الظروف وعلمت جماعة بنوعامر وحميان البدوية المهاجرة أن مراعيها القديمة قد عادت إليها الحياة. وأصبحت في حالة تفوق من حيث الخصب والنماء حالة مراعيها

(1) د. مصطفى الفوال: المرجع السابق - ص 367 - دة. سهير عبدالعزيز محمد يوسف: المرجع السابق - ص 36

(2) العبر: ج 6 - ص 66 - بغية الرواد - ص. ص. G.Marçais: les arabes - 263 - 265

enberbériedu11siècle papis1913 حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين - القاهرة - 1957 -

الحالية لما يتردد بنوعامر وحميان في العودة إلى ديارهم القديمة(1)، ولا يكون ذلك التصرف بفعل الحرص على القديم والحنين الدائب إلى الماضي وحدهما، وإنما يعود ذلك أيضا وبالدرجة الأولى إلى طبيعة جماعة بني عامر وحميان البدوية الراعية نفسها وسعيها الدائم وراء أسباب الحياة التي لا تكون أو لا توجد إلا حيث يكون الكأ والماء(2). وقد سبق لبني هلال أن مارست نوعا آخر من الترحال، وهو الترحال الموسمي عندما كانت تستقر بشبه الجزيرة العربية في منطقة الطائف ومكة، وهو رحلة الشتاء والصيف التي وردت في القرآن الكريم عن قريش، بحيث كان عرب مكة يرحلون صيفا إلى الشام، وشتاء إلى اليمن، حتى ألفوا القيام بها بصفة دورية مستمرة نظرا لما تسفر عنه الرحلتان من أمان نفسي أو اجتماعي أو غذائي. ولا شك أن بني عامر وحميان كانت تمارس هذا النوع من الترحال خلال استقرارها بصحراء تلمسان في فصل الشتاء، وهو فصل العودة إلى الوطن الأصلي وفي فصل الصيف كانت الهجرة إلى التل، خاصة وأن هذا النمط من الترحال مرتبط بفصول السنة أو بفصليهما المتمايزين على وجه الخصوص وهما الشتاء والصيف(3)، وبداية رحلة الشتاء والصيف عند بني عامر وحميان لا ترتبط بأي من الفصلين ارتباطا آليا، وإنما ترتبط بهما أو بأيهما ارتباطا وظيفيا، بمعنى أن هذه الرحلة تبدأ مع بداية الفصل الذي لا تنهيا فيه أسباب الحياة للجماعة البدوية في مسارحها الأصلية. وأما عن أسباب ترحال بدو شمال إفريقية فقد أشار كل من برنار ولاكورا إلا أنها تعود إلى ضرورة المبادلات التجارية من ناحية وحاجة البدو الرحل إلى حبوب التل وقبور الصحراء من ناحية أخرى(4).

(1) د. مصطفى صلاح الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 368

(2) نفسه: ص 368

(3) نفسه: ص 369

(4) ينظر إلى: Les Diverses catégories des nomades.op.cit.p17

بينما يذهب علماء الاجتماع والانثروبولوجيا أن ظاهرة الترحال في البداوة العربية ناتجة عن علاقة البدوي بالطبيعة؛ لأن البيئة الطبيعية تحتم عليه التنقل وعدم الاستقرار في مكان واحد لفترات طويلة، وكذلك التجمع القبلي مادامت الطبيعة غير مستقرة أو مأمونة ومادامت أسباب المعيشة غير متوفرة بما فيه الكفاية (1). فلا أقل أن تتوحد الجماعات في تجمع قبلي تشكل الأسرة فيه أصغر وحداته، ويلاحظ أن الترحال الذي تقوم عليه البداوة هو ترحال كمي. وليس تنقلا نوعيا، بينما التنقل الذي تقوم عليه الهجرة هو في الغالب تنقل نوعي ينتقل به المهاجر من نمط حياة إلى نمط آخر، أو من نوع من العلاقات إلى نوع آخر (2)، إذ تفرض الهجرة في أدنى مستوياتها لونا من الاحتكاك الثقافي الاجتماعي بمجموعة أخرى تقوم فيها حالات الأخذ والعطاء والتكيف بينما نمط البداوة كنمط حياة يدور في أفق ثقافي واحد متماثل؛ لأن المجتمع بمقوماته المادية من البشر ومقوماته الاجتماعية من نظم ينتقل ويرتحل (3). وذهب محي الدين صابر إلى القول: "...بأن التنقل البدوي ليس مقابلا لغويا ولا بديلا اجتماعيا لمعنى عدم الاستقرار، أي يمكن النظر إلى البدو الرحل كمستقرين اجتماعيا؛ لأن هذا النمط من الاستقرار يتضمن في حد ذاته معنى الاستقرار (4). ماهي أسباب الترحال عند قبيلة بني عامر وحميان؟ كان بنوعامر وحميان يقومون برحلتين في السنة رحلة الشتاء وهي العودة إلى مواطنهم ورحلة الصيف نحو التل، فإذا أقبل الصيف اشتد الحر في الجهات الهضبية أو شبه صحراوية

(1) Blanguernon claud:le Hoggar-Edition Arthard-Paris-1965-p173-د. محمد

السويدي: بدو الطوارق-ص 34

Blanguernon:op.cit.p174(2)

(3) د. محي الدين صابر: عوامل التغير الحضاري في نمط الحياة البدوية-بحث في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية-رعاية البدو

وتحضيرهم وتوطينهم -القاهرة-1965-ص 319

(4) نفسه: ص 319

وجف العشب وقل الماء فلا يجد السكان مفرا من شد الرحال صوب الشمال حيث يتوفر المطر ويطيب المرعى وتيسر الحياة⁽¹⁾ فإذا جاء الخريف وأوشكت الأمطار أن تندى بطاح الهضاب بالمطر المنبت للكأ عادت جموع المهاجرين مرة أخرى إلى ديارها لقضاء الشتاء⁽²⁾. وبعد أن نقل يغمراسن عرب بني عامر وحميان إلى ضواحي تلمسان ليكونوا حاجزا بين عرب المعقل استقروا ولكنهم اضطروا للتقلب في قفار صحاري تلمسان جنوبا في الشتاء، واللجوء إلى التل في الربيع والصيف بسبب أنعامهم⁽³⁾، وكذلك تعود عرب بنوعبيد من المعقل القيام برحلة الشتاء بناجعتهم إلى قصور توات وبودة، وتمنطيت بالصحراء، وربما شاركهم في بعض الأوقات عرب بني عامر وحميان من بني يزيد الذين يكتفون من التوغل في الصحراء عند تيكورارين لا يزيدون⁽⁴⁾. وبلغت رحلتهم من الشهرة حتى تعود التجار الوافدون من الأمصار والتلول أن يرافقوهم إلى مشاتهم، ثم يزيدون إلى السودان⁽⁵⁾. وهذه الحركة المستمرة ويعود سبب الترحال إلى قلة وسائل الإنتاج الزراعي والصناعي التي كانت محدودة في منطقة صحراء تلمسان وتعرض المراعي إلى الجفاف، ولذا أمعن بنوعامر وحميان في طلب الارتحال وساعدهم على ذلك انتشار استخدام الإبل والخيول، ويذهب بعض المؤرخين أن سبب وجود ظاهرة الترحال عند البدو يعود إلى طبيعة تكوين المجتمع البدوي الذي لا يتعلق كثيرا أو يرتبط بالأرض على عكس سكان البيئات السهلية.

(1) د. مصطفى صلاح الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 368

(2) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب - نشر دوسلان - الجزائر - 1911 - ص 145 - حسن أحمد محمود: قيام دولة

المرابطين ص 24 - د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: القبائل العربية ص 324

(3) ينظر إلى: lesarabesenbéberie; du 11^{siècle}; paris 1913; p42

(4) عبد المجيد مزيان: المرجع السابق - ص 240 د. إبراهيم مياسي: من تاريخ ثورات أولاد سيدي الشيخ - ص 195

(5) العبر: ج 6 - ص 66

وذكر جورج مارسية في هذا الموضوع أن المجتمع الذي يشتد التناحر فيه بين السكان وتكثر الهجرات وتثور الفتن وتنتشر الإغارات لا يتعلق السكان بالأرض على الصور التي نجدها في البيئات السهلية، ولا يدافع الناس عن وطن معين يترلون فيه بقدر ما يدافعون عن الأسرة والعشيرة والقبيلة، فأصبحت القبيلة محور الحياة في المجتمع (1)، ويبدو أن جورج مارسية لا يعرف جيدا طبيعة البدو في الجزائر، فالبدوي الجزائري له أرضه وهو متعلق بها ويدافع عنها عكس ما يعتقد، فبنو عامر وحميان يقومون بالرحلتين ويعودون إلى موطنهم، وهذا ما يبين التشبث بالأرض والارتباط بها. حيث يقول عبد المجيد مزيان "... أن مشاهدة ابن خلدون اقتضت على نوع واحد من الرحل المربين للإبل، وقلما يقتصر هؤلاء الرحل على تربية الإبل وحدها، إذ يجمعون بينها وبين تربية المواشي في غالب الأحيان، وكانت هذه الرحلة لا تتعدى 500 كلم عكس بدو الطوارق والرقيبات التي تتعدى رحلتهم 1000 كلم ويلاحظ بصورة عامة أنه كلما قل عدد الماشية التي تملكها الجماعات البدوية، كلما زادت المسافات التي يقطعونها في ترحالهم..." (2). وأن حياة الترحال عندهم من الرحيل المحدود في السهول الضيقة والمنظم حسب الفصول، ولا يتعدى رحلتين في غالب الأحيان وهو رحيل خاص بالسكان المعتمدين على تربية الشاة (3).

2-الرعي: إن الرعي عملية أو نظام يندرج تحت نمطين رئيسيين، والرعي إما أن يكون متنقلا أو رعيا مستقرا، والترحال عملية بما تحتويه من سعي دائم وراء العشب والماء يشكل الحد الفاصل بين كلا النمطين، بمعنى أن الاختلاف بين كليهما اختلاف كمي (4).

(1) د. مصطفى أبوضيف أحمد عمر: القبائل العربية - ص 324

(2) ينظر إلى النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون - ص 240

(3) د. صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية - ص 375

(4) نفسه ص 375

وليس كـيفيا لأن الرعي كـهـاف موجود ومتوافر لدى النمطين، وحتى ثقافة الرعي وتنظيماته وتأثيراته على الحياة الاجتماعية لكل من النمطين سواء المتنقل منها أو المستقر تكاد أن تكون واحدة بل موحدة بين كليهما (1). فالفرق المميز بينهما يكمن في الدرجة وليس في النوع، حيث تسعى الجماعة البدوية في ظل الرعي المتنقل إلى الماء والكأ أينما وُجد وهي أي الجماعة البدوية الرعوية في سبيل ذلك تجوب الصحراء باستمرار وترتبط فترة إقامتها بأرض ما بقدرة هذه الأرض على الوفاء باحتياجاتها فضلا عن احتياجات مواشيتها من الماء والعشب (2). أما الرعي المستقر فهو يعني أن الجماعة البدوية قد وجدت لها مصرا آمنا للماء والعشب، فاستقرت حوله وفي نطاق مكاني ما، هو حتما ضمن النطاق الصحراوي الأم (3)، ولكن بالنسبة لبني عامر وحميان فهي صحراء تلمسان، التي تختلف من حيث الجانب الطبيعي والمناخي عن الصحراء الكبرى. وغالبا ما يكون استقرار بني عامر وحميان حول مصدر من مصادر المياه الثابتة كأن يكون ذلك المصدر بئرا أو عينا أو وادا أو مشرعا من الماء، ولو بشكل ضمني على تسمية النطاق المكاني المعين الذي يتمتع بنوع من الاستقرار المائي اتفق على تسميته بعقلة السندان، ولهذا السبب يطلق على الرعي المستقر نسبيا بالرعي الهضبي دلالة على أنه لا يقوم أصلا أو لا ينهض أساسا إلا بين أحضان مكان ما مميز في صحراء تلمسان (4). فما هو نوع الرعي الذي تمارسه قبيلة بنوعامر وحميان؟ يقسم الاقتصاديون النشاط الرعوي إلى ثلاث أنواع: الرعي التقليدي المتنقل، والرعي التجاري الحديث. تعتمد قبيلة بنوعامر وحميان على الرعي

(1) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 374 - إدريس خيضر: التفكير الاجتماعي عند ابن خلدون وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1992 - ص 120

(2) د. صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي - ص 374 - إدريس خيضر: التفكير الاجتماعي - ص 120

(3) نفسه: ص 375

(4) نفسه: ص 375

التقليدي المتنقل بسبب وجودها في إقليم فقير في أعشابه، ويصعب قيام الزراعة فيه لنقص الأمطار وقصر فصل النمو الناتج عن شدة البرودة، يتميز مجتمع حميان وبنوعامر بالرعي وتنقله المستمر مع قطعانه سعياً وراء الكأ⁽¹⁾، وإنتاجه لا يدخل ضمن النشاط الاقتصادي الشامل، إلا في صورة محدودة مثل إنتاج الصوف أو الجلود أو الألبان ويشير الاقتصاديون أن الرعي التقليدي يقتصر على العالم القديم، بينما يسود الرعي التجاري في العالم الجديد⁽²⁾، وتعيش جماعات الرعي المتنقل مثل بني عامروحميان في خيام وتنقل في مجموعات قبلية وراء العشب والماء في هجرات فعلية⁽³⁾. ذكر برنار Augustin Bernard ولاكورا (N.Lacroix) عن ظاهرة الترحال عند حميان فقال: "...تملك حميان عددا كبيرا من رؤوس الأغنام والخيول والإبل، كانت تجوب بها في جزء من الشط الشرقي والغربي، وترتحل بقطعانها في فصل الخريف إلى وادي الناموس حيث وجود المراعي والعشب والحرارة المعتدلة، وعندما تبدأ درجة الحرارة في الارتفاع في فصل الربيع، وتجف مياه الأمطار السطحية والتي تسمى عند حميان بالغدير في المناطق الصحراوية، تنتقل قبيلة حميان بقطعانها إلى القليعة. إذا كان الاستقرار يعني تنظيم وسائل الحياة، والبدوي يرحل من مرعى إلى مرعى آخر... وهو ليس جديداً على المكان الذي ينزل به وعلى هذا يكون مجال الاستقرار عند البدوي هو المجال الاقتصادي الذي يمارس فيه حياته الاجتماعية والاقتصادية كاملة..."⁽⁴⁾. ويبدو أن علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية قد أهملوا في دراساتهم أن البدوي أثناء ترحاله من مكان إلى مكان آخر

(1) د. عبد الحميد لطفي: المرجع السابق - ص 78

(2) نفسه: ص 78

(3) ينظر إلى: 1906 p38 Bsto les diverses catégories des nomades t25et26

(4) د. محي الدين صابر: عوامل التغير الحضاري - ص 319

ليس معناه أنه يعيش في عزلة عن المجتمع الحضري، فهو في احتكاك مع مجتمعات القرى والمدن لأن ظاهرة التسوق والمبادلات التجارية كانت تفرض عليه التنقل إلى القرية والمدينة وبالتالي، فالبدوي يكتسب من خلال تفاعله مع مجتمع القرى والمدن ثقافة المجتمع القروي أو الحضري، والترحال يسمح للبدوي أيضا بتنوع المجتمعات القروية والحضرية، فعلى سبيل المثال كانت قبيلة بنوعامر وحميان عندما ترحل إلى أطراف الصحراء كانت تتفاعل مع مجتمع قصور الصحراء، ولا شك أن لهذه المجتمعات ثقافة، وعندما كانت تنتقل إلى التل كانت تحتك بمجتمع قرى ومدن التل. وحسب ماجاء في مصادر الضباط الفرنسيين أن بني عامر وحميان في ترحالهم كانوا يصلون إلى حدود منطقة فلات (Falat) (1). ويذهب محمد السويدي "... أن هناك ظاهرة تستحق الدراسة والمقارنة وهي ظاهرة الترحال والتنقل عند القبائل البدوية في شمال الصحراء الجزائرية، ذلك أن بدو شمال الصحراء يكون ترحالهم وتنقلهم جماعيا وشاملا من إنسان وحيوان وخيام أي أن التنقل يشمل كل شيء دون ترك شيء وراءهم بالرغم من أن لهم بلدية خاصة بهم وحدود إدارية (2). كان العامري والحمياني يحيا تحت ظروف قاسية يستخلص رزقه بالجهد والعرق، كانت تكفل له في النهاية الحياة، دون أن يكون هناك نظام لتقسيم العمل بين الأفراد؛ لأنه كان يعيش في مجتمع قبلي، وكان العامري والحمياني البدوي في ممارسته هذه الحرف التي كانت تركز على أساس الاستفادة من الإنتاج الطبيعي دون تدخل كبير في طرق الإنتاج (3)، وعلى كل فالحرف التي كان يمارسها العامري والحمياني البدوي هي حرف تقليدية متوارثة.

(1) ذكر جاكو فليكس أن حميان تقضي فصل الشتاء في منطقتها، وترتحل في فصل الربيع إلى الواحات الجنوبية، وإلى منطقة

القور في فصل الصيف والخريف. ينظر إلى: Expédition du Général cavignac. op.cit. p265

(2) ينظر إلى بدو الطوارق - ص 34

(3) د. محي الدين صابر: عوامل التغير الحضاري - ص 319

حتى يكون خفيفة الحركة والتنقل والترحال. وهذا ما جعل بنو عامر وحميان يقتسمون على الترحال الحدود المسافة بسبب كثرة قطعانهم. وقد بقي كثير من قبائل هذه النواحي يعيش على الأحوال الاقتصادية حتى أواسط القرن التاسع عشر الميلادي مثل بني عامر وحميان تعيش على حياة الترحال (1).

3-3 الإغارة والسلب: كانت تمثل الإغارة والسلب عند أغلب القبائل البدوية التقليدية جزء من الحياة الاقتصادية، وهي الغارات التي كان يشنها المحاربون على قبائل بعيدة عن موطنهم خصوصاً في فترات القحط والجاعات التي كانت تتعرض لها مواطنهم، فقد كانوا يقطعون لتنفيذ الغارة مئات من الكيلومترات في الذهاب والإياب، بحيث تستغرق الغارة كاملة عدة أشهر (2)، مع أن عملية الغارة نفسها لا تستغرق أكثر من دقائق. تنقسم الغارة عادة إلى قسمين: الغارة قصيرة المدى، والغارة بعيدة المدى، ففي النوع الأول يقوم عدد محدود من الأفراد بالترصد لقافلة آتية من بعيد، ثم يفاجئونها وخلال دقائق يجمعون سلاحها ومؤونها وحيواناتها، ثم يفرون بسرعة، ومثل هذه الغارات المحدودة لا تصل إلى مستوى النشاط النظامي للقبيلة (3)، وإنما تبقى على مستوى الأفراد. أما الغارة البعيدة المدى فتحتل مكاناً في النظام الاجتماعي للمجتمع القبلي البدوي، يشير ابن خلدون أن الحصول على الرزق وكسبه كان يتم عن طريق الإغارة والنهب والسلب أو عن طريق الجباية أو المغرم بقوله "... ثم إن تحصيل الرزق وكسبه إما أن يكون بأخذه من يد الغير وانتزاعه بالاعتداء عليه، وعلى قانون متعارف ويسمى مغرماً أو جباية..." (3)، ومن ثم يمكن استنباط بعض الأمثلة من خلال التطور

(1) د. عبد المجيد مزيان: النظريات الاقتصادية - ص 240

(2) د. محمد السويدي: بدو الظوايق - ص 34

(3) ينظر إلى المقدمة - ص 87 - ألبير نصري نادر: من مقدمة ابن خلدون - ص 103 - الصغير بن عمار: الفكر العلمي عند ابن

خلدون - ص 95

التاريخي لقبائل بني زغبة بالمغرب الأوسط ذلك الإغارة التي شنّها الدواودة من بني رياح على بني يزيد في بلاد حمزة في القرن السابع الهجري (1)، والإغارة التي شنّها عرب المعقل على زغبة في الصحراء قبل هجرهم إلى التل في القرن الثامن الهجري. والإغارة التي قام بها بنوعامر وحميان على عرب سويد على الحدود المرينية بوطاط وكرسيف وبلاد ملوية أثناء مرافقتهم لأبي جهو موسى الثاني سنة 759هـ - 1358م، وغنموا الإبل والمال (2)، والإغارة التي تعرضها بنوعامر وحميان من طرف عرب سويد أثناء الغزو المريني للمغرب الأوسط، والتي خلقت تدمير قصور بني عامر ونهبها سنة 770هـ - 1368م (3)، ثم الإغارة التي شنّها خالد بن عامر وقومه على عرب سويد التي أدت إلى تدمير أوطان عرب الحرث وأولاد عريف، وحطموا زرعها ونهبوا مخازنها، وخربوا قلعة بني سلامة (4)، وتعرض بنوعامر وحميان للإغارة من طرف ذوي عبيد الله، وذلك بعد أن أسند المرينيون أثناء غزو الحسن المريني لتلمسان سنة 772هـ - 1370م مهمة غزو قصور جنوب وجدة (5) أما فيما يتعلق بالحماية أو المغرم فهناك أمثلة كثيرة منها المغرم أو الحماية التي فرضها بنوعامر على بني يزيد التي تنتسب إليهم حميان، والتي كانت تتمثل في ألف غرارة من الزرع، كان يدفعها بنويزيد كل سنة وسبب ذلك أن بني عامر حالفوا بني يزيد على استرجاع الدهوس من بني رياح ومن الأمثلة كذلك أن فرضت عرب المعقل مغرما على من بقي من بني زغبة في الصحراء كان يتمثل في الإبل البكر وكان ذلك في القرن الثامن الهجري (6).

(1) العبر: ج 6-ص 41-42-51-مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ص 199-د. مصطفى أحمد

عمر أبوضيف: القبائل العربية في المغرب-ص 166 و 230-266

(2) بغية الرواد-ج 2-ص 23-24-د. عبد الحميد حاجيات: أبو جهو موسى الزياني-ص 87

(3) العبر: ج 7-ص 132-133-د. مصطفى أحمد عمر أبوضيف: المرجع السابق-ص 159

(4) نفسه: ج 6-ص 61-د. مصطفى أحمد أبوضيف: نفسه-ص 165

(5) نفسه: ج 7-ص 131

(6) نفسه: ج 6-ص 40-د. مصطفى أحمد أبوضيف: المرجع السابق-ص 155

ولم يشير المؤرخون إن كان بنوعامر وحميان يفرضون أتاوات على القوافل التي كانت تمر بأراضيها، ويضيف ابن خلدون أن نمط المعاش لبدو بني عامر وحميان، كان يعتمد على الصيد "إما الحصول عليه عن طريق صيد الحيوانات البرية، أو من الحيوانات الداجنة باستغلال إنتاجها" (1). ويذهب صلاح مصطفى الفوال بالقول "...أن فسي المجتمعات الرعوية يعتمد الناس خلالها اعتمادا كلياً على حيواناتهم سواء كان هذا الاعتماد مباشراً أم غير مباشر الأمر الذي أدى إلى تحكم كل من حاجات الحيوانات ومنتجاتها في نمط الحياة السائد لدى الجماعات الرعوية..." (2). وكان من الطبيعي أن تهم القبائل العربية بأنعامها، فهي لا تستطيع أن تستغنى عنها في جميع التصارييف، ولم يبالغ المؤرخ عندما قال: أنهم كانوا بمثابة الطفيلين على أنعامهم (3). ورغم أن العرب عملت للحصول على الحبوب والأدم من التلول إلا أن ذلك لم يصادفه النجاح بصفة مستمرة، وبالتالي فقد اعتمدوا بصفة أساسية على أنعامهم يحصلون منها على الألبان واللحوم خصوصاً أهل القفار منهم، وهذا ما أفاد أبداهم (4) الذي يدر نفعا كاللبن من الأنعام أو من الحبوب أو من الأشجار المثمرة، ويسمى هذا كله فلحا ويبين ابن خلدون أهم الإنتاج الحيواني، وربما يكون هذا من أوجه الكسب عند البدو الرحل من حليب الشاة والماعز والإبل (5). وربما كان ابن خلدون قد عاين مجتمع بني عامر وحميان ولاحظ نمط معيشة هؤلاء البدو الرحل الذين كانوا يعتمدون في غذائهم ولباسهم على ما هو ضروري فكان بنوعامر وحميان يتغذون على لحوم الغنم والماعز.

(1) ينظر إلى المقدمة-ص 87

(2) ينظر إلى: علم الاجتماع البدوي-ص 305

(3) عبد الحميد يونس: الهلالية-ص. ص 88-89

(4) المقدمة-ص 87-د. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية-ص 258

(5) المقدمة-ص 87-د. حسن الساعدي: علم الاجتماع الخلدوني-ص 90

الدولة الزيانية وكذلك في إحيائها وفي تدعيم قواتها العسكرية، خاصة في عهد أبي حمو موسى الثاني ولو أن دورهم لم يظهر بشكل واضح بسبب هيمنة بني عامر على النشاط العسكري والسياسي والاقتصادي والثقافي، إلى غاية زوال الإمارة الزيانية، وقد استفادت حميان من الإقطاعات التي منحها الدولة الزيانية لبني عامر في صحراء تلمسان وفي الأرياف ولم يقتصر دور بنو عامر وحميان على النشاط العسكري والسياسي فقط، بل ساهموا كذلك في النشاط الاقتصادي والثقافي.

ب- من الجانب الاقتصادي: ساهم بنو عامر وحميان في النشاط الاقتصادي في دولة بني زيان، باعتبار أن منطقتهم كانت إقليمًا تابعًا للإمارة الزيانية في تنمية الثروة الحيوانية خاصة الأغنام، وتربية الخيول والإبل، وفي تجارة القوافل التي كانت من العوامل التي أدت إلى تقوية اقتصاد الإمارة، وأيضًا في تزويد أسواقها التجارية بما كانت تحتاجه من صوف ووبر ومشتقات الألبان واللحوم، ورؤوس الماشية، وكذلك في دفع الضريبة لتعزيز ميزانيتها

ج - الجانب الثقافي: ساهم بنو عامر وحميان في نشر اللغة العربية بين قبائل زناتة في إمارة بني زيان، وفي الوقت نفسه تأثر بنو عامر وحميان باللغة الزناتية وبعادات وتقاليدها قبائل زناتة التي تفاعلت معها داخل إقليم الإمارة. كذلك استطاع بنو عامر وحميان من نشر الموروث الشعبي الهلالي، وعاداتهم وتقاليدهم العربية البدوية بين القبائل الزناتية المستقرة بمنطقة صحراء تلمسان وقصور بني عامر من فنون تقليدية كصناعة الخيمة وأدوات الطبخ وأفرشة صوفية وملابس وأدب شعبي من شعر ملحون وحكايات شعبية والأمثال والألغاز

د- الجانب الاجتماعي: تمكن بنو عامر وحميان من نشر نمط الحياة الاجتماعية البدوية العربية؛ كالبدواسة والنظام القبلي والنظم الاجتماعية كالزواج والأسرة والقيم الاجتماعية، والحياة الاقتصادية ومناشطها كالرعي والترحال والإغارة والسلب.

الملاحق:

- 1- نماذج من القصائد الشعرية
- 2- نماذج من الأمثال الشعبية
- 3- نماذج من الألغاز الشعبية
- 4- الخرائط
- 5- الجداول
- 6- المصطلحات

1- التعريف بأبي حمو الثاني وظروف وصوله إلى السلطة في إمارة بني

زيان*: يتصل نسبه بمؤسس دولة بني عبدالوادر يغمراسن بن زيان، فهو أبو حمو موسى بن أبي يعقوب يوسف بن عبدالرحمن بن يحيى بن يغمراسن ولد أبو حمو موسى بالأندلس في مدينة غرناطة سنة 723هـ وفي تلك السنة عاد به أبوه إلى تلمسان باستدعاء من السلطان أبي تاشفين الأول، ونشأ في تلمسان مثل غيره من أبناء الأمراء، فعرف حياة البلاط وما تشتمل عليه من أهمة وترف، ودرس على أشهر العلماء، فنال من العلم حظاً وافراً مكنه من تحصيل مبادئ العربية والعلوم الدينية، ولما تم استيلاء المرينيين لتلمسان سنة 737هـ كان عمره آنذاك أربعة عشر سنة، عرف آلام الاغتراب بفاس صحبة أبيه وكثير من أبناء قبيلته، وقضى قسطاً من وافر من شبابه هناك، وقد ذكر ابن الأحرر في كتابه روضة النسرين أنه أدرك أبا حمو بفاس وهو يسكن بها في عين أصليتن يتعيش برد الفك للمكفوفين وذلك في دولة المولى أبي الحسن المريني. وقد يكون ذلك في آخر مقام أبي حمو أي حوالي سنة 745هـ إلى 750هـ. فالمصادر التاريخية لا تذكر تاريخ مغادرة أبي حمو لفاس، ورجوعه إلى المغرب الأوسط، والظاهر أنه قدم منها إلى تلمسان مع أبيه وابن عمه أبي زيان بن أبي سعيد في أوائل سنة 750هـ، واستقر أبو حمو مع أبيه بندرومة، وعاش هناك بعيداً عن كل نشاط سياسي مقتفياً سيرة أبيه في السكون والدعة وتزوج في هذه الأثناء، فولد له ابن بندرومة سنة 752هـ سماه أباتاشفين، وهو أكبر أبنائه، وقد استقر أبو حمو ووالده بندرومة. وتركهما لتلمسان فإن عبدالرحمن بن خلدون وأخوه يحيى ذكرا أن ذلك كان لرغبة والده أبي يعقوب في الزهد عن الدنيا وملذاتها.

* ينظر إلى: أبي حمو موسى الزياني - ص 74 - بوزيان الدراجي: نظام الحكم في دولة بني عبدالوادر - ص 204 روضة النسرين - مطبوعات القصر الملكي - الرباط - 1962 - ص 58 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني: ص 72 - د. عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى - ص 74

*التعريف بمصطفى بن إبراهيم: شاعر شعبي معروف في الغرب الجزائري، عاش في القرن التاسع عشر الميلادي، ولد حوالي 1800م بقرية بوجبهة ناحية سفيزف، درس القرآن والفقه والتوحيد والحديث، وتزوج بابنة موظف في الإدارة التركية، ثم شغل منصبا في الإدارة أيام الحكم التركي، وفي عهد الاحتلال الفرنسي كان مصطفى بن إبراهيم قاضيا بمسقط رأسه، ثم قائدا على أولاد سليمان، وهم بطون من قبيلة بني عامر، وكانوا قاطنين في أماكن مختلفة من ناحية سفيزف، وعظم شأنه فعرف عزة الحكام واستطاع بفضل ما كان يدره عليه منصبه الجديد من المال، أن يعيش حياة اللهو والطرب في أوقات الفراغ، ثم نقل من هذا المنصب إلى الضاية وهناك بدأ يذوق آلام الفراق والحزن إلى مسقط رأسه وأصدقائه، واضطر يوما إلى مغادرة الجزائر والتوجه إلى فاس، حيث قضى خمس سنوات، وزاد في تحسره على وطنه أثناء مقامه بفاس، ثم عاد إلى الجزائر، وتمكن من الحصول على منصبه القديم بين أولاد سليمان، ولم تطل مسؤوليته هذه، فتوفي سنة 1867م.

*التعريف بالشيخ رمضان بن عاشور: من مواليد 1944/12/09 بقرية البيوض لم يسبق له أن دخل المدرسة بسبب ظروف الاستعمار الفرنسي التي حرمت أبناء الجزائر من التعليم وعاش معظم حياته في البادية، ومع ذلك يملك موهبة في قرص الشعر الملحون، ويمتاز بثقافة بدوية واسعة، استعنت به في كثير من المسائل التي تتعلق بالحياة الاجتماعية البدوية، ينتسب إلى أولاد سرور الغرابة، وهو بطن من بطون حميان الغرابة، فرع الجنبه، انتقل من حياة البداوة إلى حياة الحاضرة والاستقرار وهو يعيش حاليا بالمشربية يمارس النشاط التجاري، وله عدة مشاركات سواء على المستوى المحلي أو الوطني، ونال عدة شهادات شرفية نظير مجهوداته في إحياء التراث الشعبي والحفاظ عليه خاصة في الشعر الشعبي أو الملحون، تعبر معظم قصائده عن الواقع المعاش والظروف التاريخية والسياسية المحلية منها والوطنية.

هدية رقم (1)

ماشين خبر ادركني زاد العذاب
أكواني كي خلاف في دليلي وطاب
قالوا لي بن قادي مشى للحد التراب
ماعظم هذا الغمرة تشيب إلى شباب
هول قلبي منحوس خير مافيه
قلبي مصهود شهيد واش يبيري
عمرك مابقي لك ماتوافيه
والي بحبه كيفي أفنى ترشيه

فراش (1)

ماشين خبر دركني وكثر محاييني
حين سمعت هلكني وحرك اسفايني
محنتي بالمثني ابغيتك أتسالييني
احبابي غدروني الموت عراتني
راني راني راني انوح باعياني
لعارم والبرني فنا وافناوني
ضره طحن طحني زاد احزان
في قلبي زيلفني قدات نيران
ياسايل تعذرني تذوق الأمحان
لا من جا عزاني في موت الاخوان
أعلى فرقوني وجوه الاحسان
هذا حد زماني في السعد ماكان

هدية (2)

هذا حد زماني انوح باعياني
الجميل الغاني لا حيله وين غاب
خير خير من الناس فايق على العراب
آه على بوجمعة نساها شيخه وغاب
سلف الجود مشى مع مواليه
احيا وسخا والنور سر كاسيه
غصن فاصل السعد غرني فيه
ابراهيم الشرقي الغرب كاليه

فراش (2)

من يفهم في أقوالي أرقيب لا فعالي
ويخبر بالحوالي الكل ومسايلي
ياويلي ياويلي السعد كي خاب لي
الاول مع التالي القيل والقال
ويخبر بدليل فتوح وقفال
في الخلّة وخليلي سواد وكحال

انخمم في حالي الظن كي خاب لي
ونميز في احوالي وليق ما طاب لي
باخس والاعالي عييت نحتال
واحد ما يحلى لي يجي على البال

هدة (3)

واحد ما يحلى لي يجي حديثه صواب
الاكن وعدالله هاك لي اكتاب
بعد ان يحلف الايمان مانتقيه
واش بقى لي غيره حبيب نلبيه
لونهدر باسراري تشوف عجب العجاب
ازلوجت بلادات في الجبال الصعاب
تسمح غربة الغرب شفت مافيه
شدة ورخا والله تاكل عليه

فراش (3)

بفضل مولاي ادريس دروجهي نفيس
جدول لي تخميس حاطه بالنكيس
وجلبت عقول تغيس مادارت الكداس
شيخي مولى تفليس طايعة كل فاس
نمشي مشي التنكيس لي ماني حريص
وعفست الناس عفسين

خضعت لي لصاص

في البربر لي تانيس جايل بلا ونيس
نظري تحت التدميس

غاض بحر النعاس

برياسة وتهنديس نقبض الطير قيس
كم علقت نواقيس في عقول الخسيس
لو يتعلى تفريس لابدم المراس
تعرف إلى حبيس في حديثه احساس

هدة (4)

ياصبري فحول الدعوج كحل الهداب
سهسه عظمي ورشى فنيت والمخ ذات
بعد ان نحزن عامين مانكافيه
ميراحجايا ذا الغنج راه كاويه
إلى قوى الامحان زادها والكراب
بين قادي بحر الجود والسخاله
ياخونى يا حزني عليه سيد الرقاب
ما بقي لي محبوب غيره نجيه

فراش (4)

ماباقي لي ملقى الانزيد الشقا
 ماني اهل الدلقة تجوق اجواقه
 ماني م الحماقه فخاخهم خارقه
 لي صنعة دقيقة امن العقل راقه
 م اهل الجود اش بقي مشاوا برفاقه
 اشيوخ الزندقة اذكاهم سارقه
 حين امشات الرفقا عقبك لديارها
 بحرفها تترقى اذلال سيادها
 ملقاهم مشقة الناس بطباعها
 بظرافة وحذاقة الله لي هابها
 من خبرهم نستقي ننشق رياحها
 مافيهم ش التقى تبيع لورادها (1)

1- نماذج من الشعر الشعبي عند حميان التي لم يسبق نشره:

قصيدة الشيخ رمضان بن عاشور* عن عكاظية الفروسية بالنعامة*
 أول حفلة في النعامة للفرس
 الاصاله والنيف والصدق وليمان*
 نشكر المسؤولين قاموا باحتفال
 الكلمة والصدق والعز وليمان
 نفرح بالضيوف في أرض الفرسان
 أحنا رجال النيف ونحب الاوطان
 والكافري بلادنا معنده شان
 حررنا بالجهاد من القوم الكفار
 ولاجيت الاصل في الصحري مازال
 ورجال البارود من كل ولاية
 حوس* تعرف من اعظم الرجال
 يبقى في التاريخ نجمة ضواية
 كارمين الضيف ناسك رحالة
 والرجال الزايرين من كل ولاية
 ماننسوش حكام شينين الحالة
 ماننسوش شهيد مات ولا جاني
 والآخر اليوم موجود احذانا*
 الخيمة والريف والشعر هوانا

(1) رابع بونار: قصيدة ماشين خبر ادركني لمصطفى بن إبراهيم -مقالة- مجلة آمال-ص 127

*ليمان: معناه الإيمان.

*أحذانا: بجوارنا غلم: معناه الغنم

*حوس: البحث

نفرحوا بالضيوف صيد
كاسبين الخيل وغلم * للشوفان
ناقة وجمل زايدة تولد حيران
هذا كسب بلادنا غالية الشان
جابوا الاستقلال ماتوا فيه رجال
نطلب من ربي على البهجة مزال
قصيدة ثانية من الشعر الملحون عن حميان والفرس (*):

يا عودي * واش بيك غادرت المرسوم *
ربيت وحظيت مثلي تتكلم
وماني داري نبذلك والله احكم
راني حاير واش نكسب بالحر
طلبوا لي المحال وانا نحشم
كنت مونس بيك قدام المرسوم
كنت نطل عليك عني تتكلم
ونصيد الغزلان في الصحرى والتل
وعشقتني لبنات فوقك يالفحل
ومنهم الغزالة صافية تتبسم
بين الشفة يباين قنديل يشعل
والخد احمر خوخ في الغرب نمثل

وهديت العديان تستشفى بيا
وتشوف الفتاة ترغوي * بيا
ونزلت الأقدار مريت * عليا
مشيت نساوم في خيول العكليا
بقيت نقارع فيك صبحه وعشية
عندي فيك الخير ورجال قويا
وتصبح بالخير قدام العدايا
لحمر بودينار طبع المشرية
بنت الغرب والى شرقية
والنسى ضراف وحدة فضية
نتكلم بلطاف طفلة هدية
والعينين غزال طفلة عربية

* عودي: حصاني أو فرسي

* المرسوم: وهو مكان الذي يربط فيه الحصان أو الفرس

* ترغوي: معناه تقوم بحركات غير عادية

* صاحب هذه القصة هو الشيخ رمضان بن عاشور

والحاجب مكتوب تحت جبين ظهر
والسالف ريش نعام يبان كحل
هذا حدي عليك ياالحمر نصبر
قصيدة شعرية شعبية ثالثة: *

نبد بسم الله هو ليعلم
صلى الله على النبي حتى ينعم
رجال الله ما خطاؤ * حتى مرسوم
خلوني في حالتي راني عادم
جيت نداوي في الضراري زدت الهم
من كثرة لهماوم وليت النخمم
هذا قول صحيح مانيشي واهم

القصيدة الشعرية الأولى: الصلاة على الرسول

يامولاتا يا مصيف
جينا لك أصحاب السيف
يامولاتا يادبار
نجني من صهد النار
بامولاتا يامجيب
وانت عالم مافالغيب
يامولاتا يرحمان

وانايا عبدك ضعيف
محمد والأنبية
يا عزيز يا جبار
محمد تشفع فيا
من غيرك ما كان طبيب
تغفر لي مولاي
وانت داري بالإنسان

* هذه القصيدة دونتها عن حيان الشراقة وبالتحديد من بلدية بوقطب، صاحبها عثمان محمد

* مررت: غادرت وذهبت عني

* خطاؤ: معناه موجودين في كل مكان * يشوف: ينظر

* مو حال: معناه لأعتقد أنك ستعود

محمد سيد رقية

وأنت عالم ما في الغيم

هو نوري وهنائي

اسمك في قلبي موجود

هو فتح الهدايا

خلق كل المخلوقات

تحت الشمس الضوايا

نابت فيها كل ثمار

رجيت للناس سعاي

يبقى غير الحي يدوم

أنا والناس معاي

راحت نسمتها ومشات

هي طبي ودوايا

والدنيا تمسي وادور

ينطق باصوات قوية

تاتي ماجا في المكتوب

حسابة ولاستي

خبرني كيفاش تقول

عمالي بين يدي

لا تاتي نفسك بهلال

جبناك سيد الشجعان

يامولانا يا حكيم

جبناك صفة لكريم

يامولانا يامعبود

ذكراك عند لي مسعود

ربي مول السموات

وامطاره صبت واصحات

ارمي عينك للأشجار

طلعت من قوة لمطار

أرمي عينك للنجوم

رحمتنا ويدان تعوم

أرمي عينك للشوفات

والعبادة والصلاة

ولداينادم يا مغرور

تلقى ماليك القبور

زلداينادم يا مغلوب

تلقى عمالك مطلوب

ولد اينام يامشغول

والصلاة على الرسول

دير التكل على مولاك

هذا الدنيا ماتبطاش
ماتقدر تخدم حيا
قوم طريقك مسويا
نزلت من عند الجراد
حاضر سبحة وعشية
فاجي قلبي مالقمام
توفيلي هذا المنية
خفيلي مشيت لقدام
نفسى عندك هدية
نتمنى وانقول آمين
محمد يشفع فيا
هذه عادة الاجداد
نتحول من ذا الدنيا
وين تقود العبد يسير
دايم في الملك انتاي
وانت عالم في كل مكان
نمشي بايمان قوية
يامول الملك ولفراق

يابونادم لا تنساش
وانت ظالم ما تدراش
ريح الدنيا وين هداك
المكتوبلك في الزيادة
ولي درته بالعداد
يامولانا ياقسام
نتمنى انشوف المقام
يا ربي حي الدوام
وانهار يتموليام
نحمد رب العالمين
والصلاة على الأمين
نحمد ربي كيماراد
من بعد المال ولولاد
يامولانا ياقدير
وحدك ماعندك امير
يامولانا ياحنان
يوم القوة والميزان
يامولانا يارزاق

يوم نوذي لوصاي
يامول الملك الوثيق

نجنى يوم تضياق
يامولانا ياحقيق

تجعل عمالي شقيق
ياسعدي راني يديت
واسقيت عمالي واسعيت
الحكيم المدبير
ندي بياني وانسير
مولانا مول المرسول
جابه وصايا للرسول
القصيدة الثانية:

حاشمتك توصل العرب
وطن الصحوان والرطب
وفي الدريكت سبق غيمها
رعدي غيمها أركب
تطحن في المرت كي الرعد
وتحرك شربونها اثبق
تتسقم طول وتنجد
شط الديبون* والحطب
قيس الوحدة توصل لبوقطب
فرسان وسلاحها بروق
كل نوبة* وطحت في كرب*

حاذق لطيار يانيلى*
حاشمتك توصل الصحاري
خذ القهوة وبات ساري
حس الموتور كي الجمالي
تحزمت وأعطت للصحاري
شعلت نيرانها خواني
تعواج وتقول وين راني
خلطنا لشطنا موالى
تبسط في البلاص هاني
وطن الميعاد والمشالي*
وطن المرحول والعشاري*

*ميلودي بوبكر ولد بوبكر من مواليد منطقة الشط الشرقي وينتسب إلى الخريصات وهم دراقاة الغرابة من حيان الشراقة بدون عنوان يمدحها فيها الرسول (صلع) تحتوي هذه القصيدة على مئة واثنى عشر بيتا.
*يانيلى:القطار *المشالي:المكان الخاص بلعبة البارود*العشاري:الإبل *نوبة:مرة واحدة*الكرب:الربوة

المشاوي والمصاوير على لعمد

وسرج القربسون* والذهب

والصحرا ريحها اهدم*

وليت على الجبي انرد

ليام يدور وتنقلب

مخصوص نيظ الحطب

ماهيش الخدمة لي ترد

تصبح غير ربيب يب

دواوير مبيحة* قبالي

عودات يحجل* التوالي

نبكي نبكي على أوطاني

راني مهموم على أوطاني

لاتزهى ولاتقول غني

وليت نكوس* في الدوالي

خدمة ماهي هاوية لي

كولون تشايكا قبالي

القصيدة الثالثة:

وفي ليلة خطبوا كاملة تهزت لعباد

وجميع ضرب فيهم نيف عبالله مناد

وراه ثم مخمرة دولة لفراد

وسوحر من ثم وخوذ على أوتاد

وتلقى لي بوشريط ساكن في الوديان

والله ماصلي على النبي ضرب الصياد

خلاو فريسها مزروطة في كل بلاد

وخلت الآثار من ساعة الأجداد

ويعطيني ربي نها في الجيش مرصاد

أخطب الماصر ومول المدينة

تونس والشام والجزائر وقسنطينة

ومن الغرب الطويل زيد الملوية

وحتى في تندوف كاين قسمية

وتمشي لي مع جبال القبلية

يضرِبها للعين وتجي مطوية

زوايا الاحرار والعمور والهاشمية

وسلامي حتى على أولاد المشرية

يامن صاب لي حفر بتساعية

* صاحب هذه القصيدة الشعرية الشعبية هو عثمان محمد الملقب ببوشافة من مواليد 1878م بقرية بوقطب، ينتسب إلى درافة

الغرابية التي تنتسب إلى حيان الشراقة، عاش حياة الشظف والبدو، توفي بمسقط رأسه.

* مبيحة: معناها منتشرة ومترامية الأطراف* يحجل: معناه الفرس التي لها علامة بيضاء فوق الحافر* القربسون: وهو الشيء الذي

يوضع فوق السرج، ويسمى بالعامية الصطارة* نكوس: معناها يتجول بدون هدف أو غرض

2- مجموعة من الأمثال الشعبية المتداولة عند حميان :

- لما تاكل انت واياه في مايدة ولاتدي منه فايده خلطته غير زايده
- وقية خوف خير من قنطار محبة
- اللي احشم منك خاف منك
- الحرمة كلخ غير نشاوط بها تنقرض
- جات ليتيمة تفرح مالقائش مطرح
- في زهوك لابسة شكاراة وفي حزنك واش تلبسي
- فارس وحده ما ينوض عجاجة
- لعنده القمح يتسلف الدقيق
- ادي في ورد في المال شريك
- يقول سقي واحد يقول الزاك
- قطرة على قطرة تصير غدير
- اللي جا وجاب ليه الترحاب
- خلي من عشاك لغداك باش تناقر عداك
- عيشة لما يناقر ساهلة
- لما عنده قلب يموت سمين
- لوكان الجراد يعيش نمشي للخلي ونطيش
- اللي ناض لك بجهة نوض له بزواج
- الثمرة تولي دين
- ليا حبيبك عسل ما تلحسهش قاع
- حط يدك على قلبك ولضرك ضر صاحبك
- قالوا الوعدة في فاس قال هات العكاز

- الخيمة الكبيرة بالجود والصبر ماهوش بالصوف والشعر
- راعي للجزرة ولو كان هي قدرة
- الواطي واطي لو كان قلاته ذهب
- اللي نتخالو به نقولوه ظاهر
- الخيمة نسا والشنة يابسة
- خيمة الخزار ماتكبر
- السلالة سلالة والعرق جباد
- بط النسا بالنسا وبط الابل بالعصا
- شافونا ندخنوا حسبونا نتسخنوا
- انده الجايحة دبر عليك
- كرش فايشة ولا كرش عايشة
- كبر الشدة قبال لاعدة
- الذراع الوافي مايحفي
- الخبزة بنت ولماشبع يزيد
- شر الرقعة مولى للترعة
- مايهدر في السوق غير المصفوق
- القمرة طالعة والكلاب تتنابح
- نطلق مافي يدي وانتبع مافي الغار
- لوكان ولدي يسعى نرسله مع خواله
- لما يعرف الاخرة يعقب لدار
- خبار الطعام يعطوه الفضلة

-الرجال تكسب والجياح تحسب

-الكلمة كي الرصاصة إلى خرجت ماتولي

-كل خيط مكتوب على لباسه

-دير للحي وين يتكسل والميت وين يتغسل

-دير مديرت لبدا والموت غدا

3- بعض الأغاز الشعبية المتداولة عند حميان:

- لا تحزن لو كان في قلب الحجرة، ولا تفرح لو كان مع لعياد تسير، انا بعيني شفت

اليابسة ولت خضرة، وأنا بعيني شفت الناشفة ولت غدير

-العربي ماذيته لسانه

-يالي تبركشي من ياكله بو غريبة مات

- هذا لدا وهذا لعديا

-هبرة ياهبرة ومانظن عليك تبرا

-هذك بخايف منها بك خلف

-النهار بعينه والليل بوذنيه

المصطلحات الواردة في البحث:

أنواع اللعب:

المعيزة: ونوع من الألعاب التقليدية عند بدو بني عامروحميان، ولا تزال تمارس هذه اللعبة اليوم. وهي عبارة عن حفر صغيرة تتشكل من التراب، تتكون من ثلاث صفوف أو أربعة عدد الحفر في الصف الواحد اثني عشر حفرة، وتتلأ الحفر الجانبية، بكورات بقايا الغنم أو المعز، ثم يبدأ اللعب بنقل الكورة الأولى من الصف الأول إلى الثاني، وإذا ما حصل أن بلغ أحد من اللاعبين إلى صف الثاني لمعلب الأول، معناه الانتصار.

السيق: وهي تشبه لعبة المعيزة ولكن تختلف عنها في استخدام قطع من اللوح وعددا أربعة، وترفع بكاملها إلى أعلى ويتركها اللاعب تسقط، فإذا سقطت كاملة في الاتجاه المعاكس، يسمى ذلك بديار الأربعة، وإذا سقطت ثلاث قطع في اتجاه يسمى ذلك بديار الثلاثة وهذه اللعبة مرفقة بحوض، وهو عبارة عن حفرتكون من ثلاثة صفوف، توضع القطع الحجرية في الصفوف الجانبية، ويبدأ اللاعب في تحريكها حسب طبيعة قطع اللوح.

أهم النباتات:

السونغا: هي نبات طبيعي، ينمو بالهضاب العليا الغربية، يشبه الحلفاء ولكن الفرق بينهما أن الحلفاء تتميز بجذور طويلة، وأوراقها قصيرة لوفا خضراء وبها كان يعرف اتجاه القبلة فعندما يجدها الرجل الحمياني في الصباح مع طواع الشمس مائلة ويابسة في اتجاه القبلة، بينما السونغا تتميز بجذور قصيرة، وأوراقها طويلة يميل لوفا إلى الإصفرار

أنواع المأكولات الشعبية البدوية:

الترفاس: هو نوع من أنواع الفطريات ينمو من تلقاء نفسه في فصل الربيع، يشبه البطاطا في شكله طعمه لذيذ، يستهلك بكثرة في منطقة النعامة.

الزريزي: يعتبر من المأكولات الشعبية، يصنع من الكيلة أي من اللبن المجفف والتمر والسمن، طعمه لذيذ، يحضر خاصة إذا كان هناك ضيوف

الرفيس: يعتبر هو الآخر نوع من المأكولات الشعبية، يصنع من السميد والتمر والسمن، ويتم تحضيره في المناسبات المختلفة، ويعد من المأكولات المفضلة عند حميان.

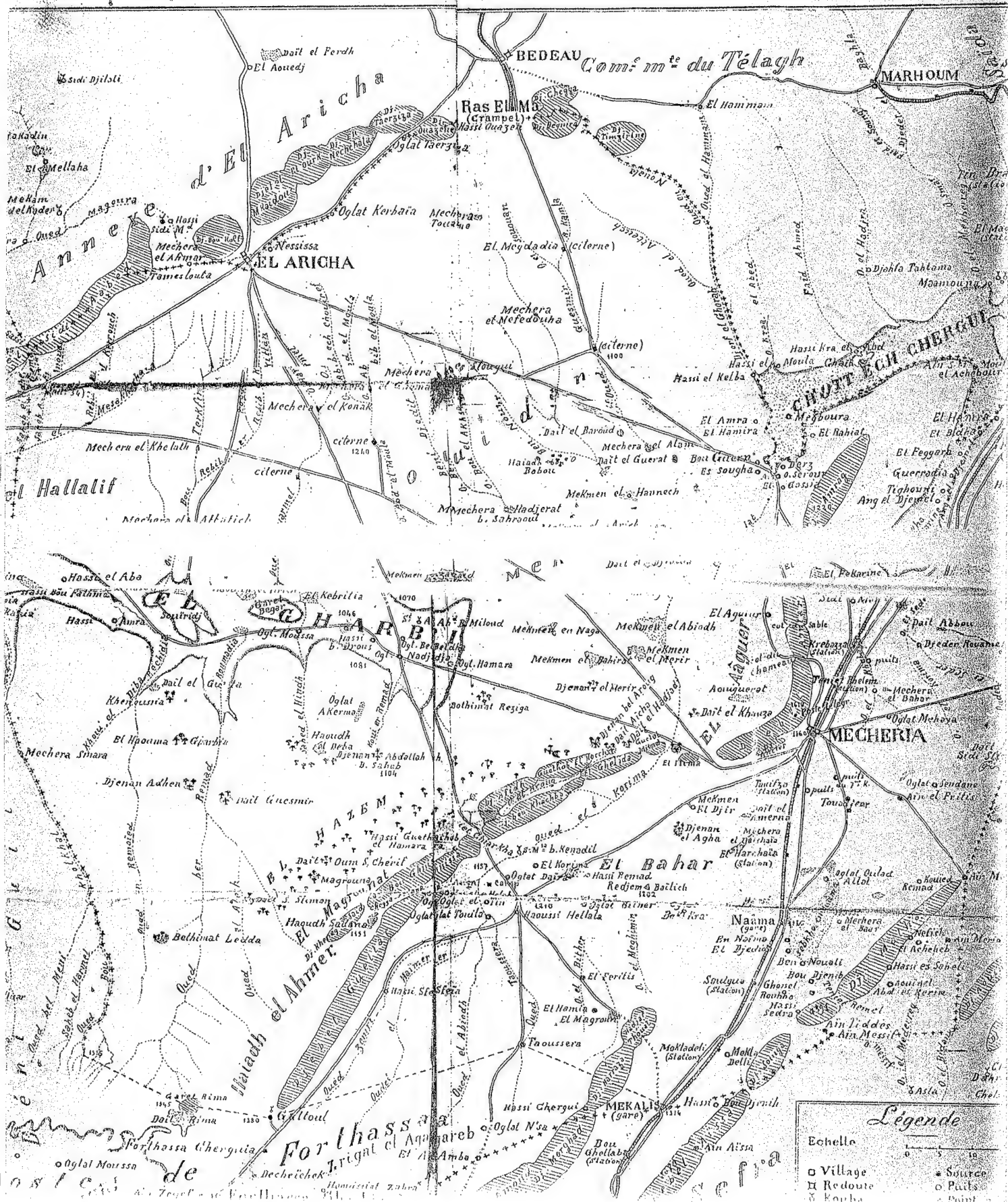
الملوي: هو شكل من أشكال الخبز، ولكن يتميز بالهشاشة، بسبب استخدام الزيت مع العجين، ويشبه ما يسمى عند أهل الجزائر العاصمة بالحاجب، ويتم تناول الملوي خاصة في المساء مع الشاي أو مع القهوة ويحضر كذلك للضيف.

CERCLE DE MÉCHÉRIA

1915

et d'Arch. d'Oran. — 1^{er} trim. 1916.

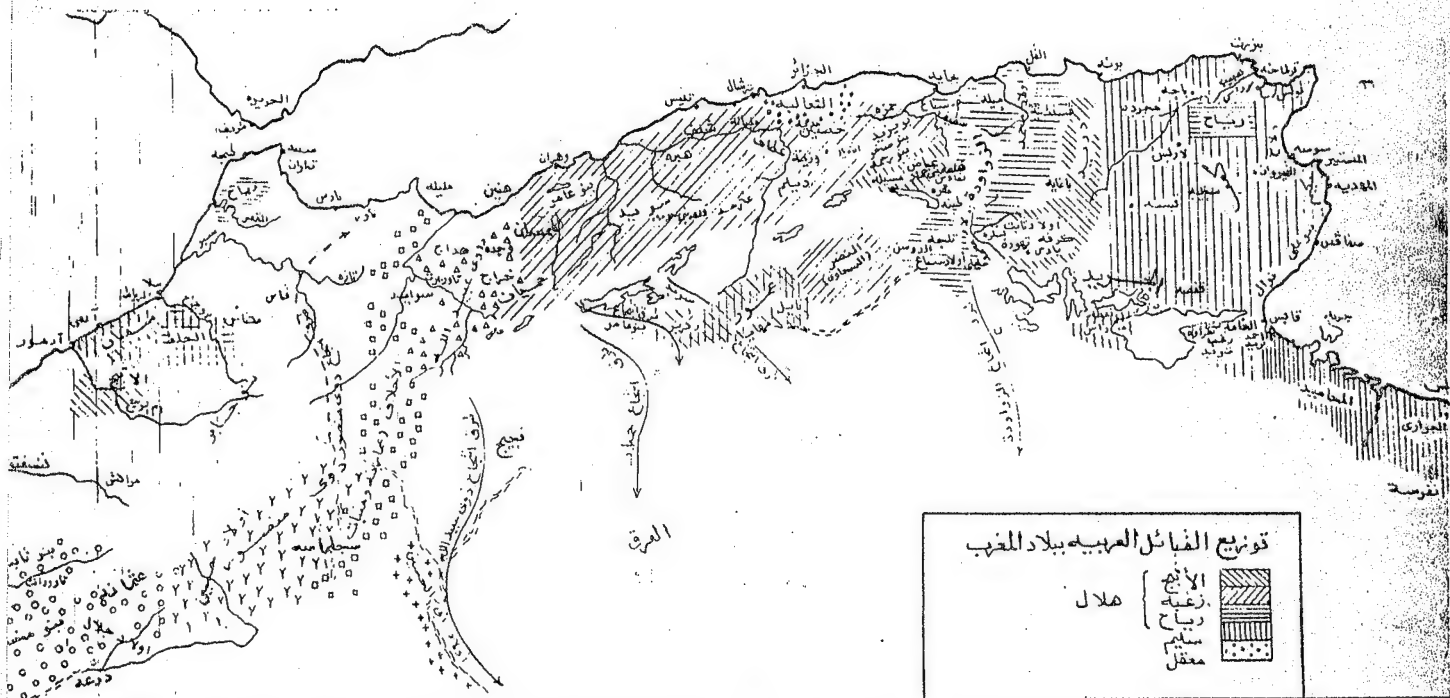
Noël, Carte 2



الخريطة (ن. 14) : الوطن الجغرافي لمدينة

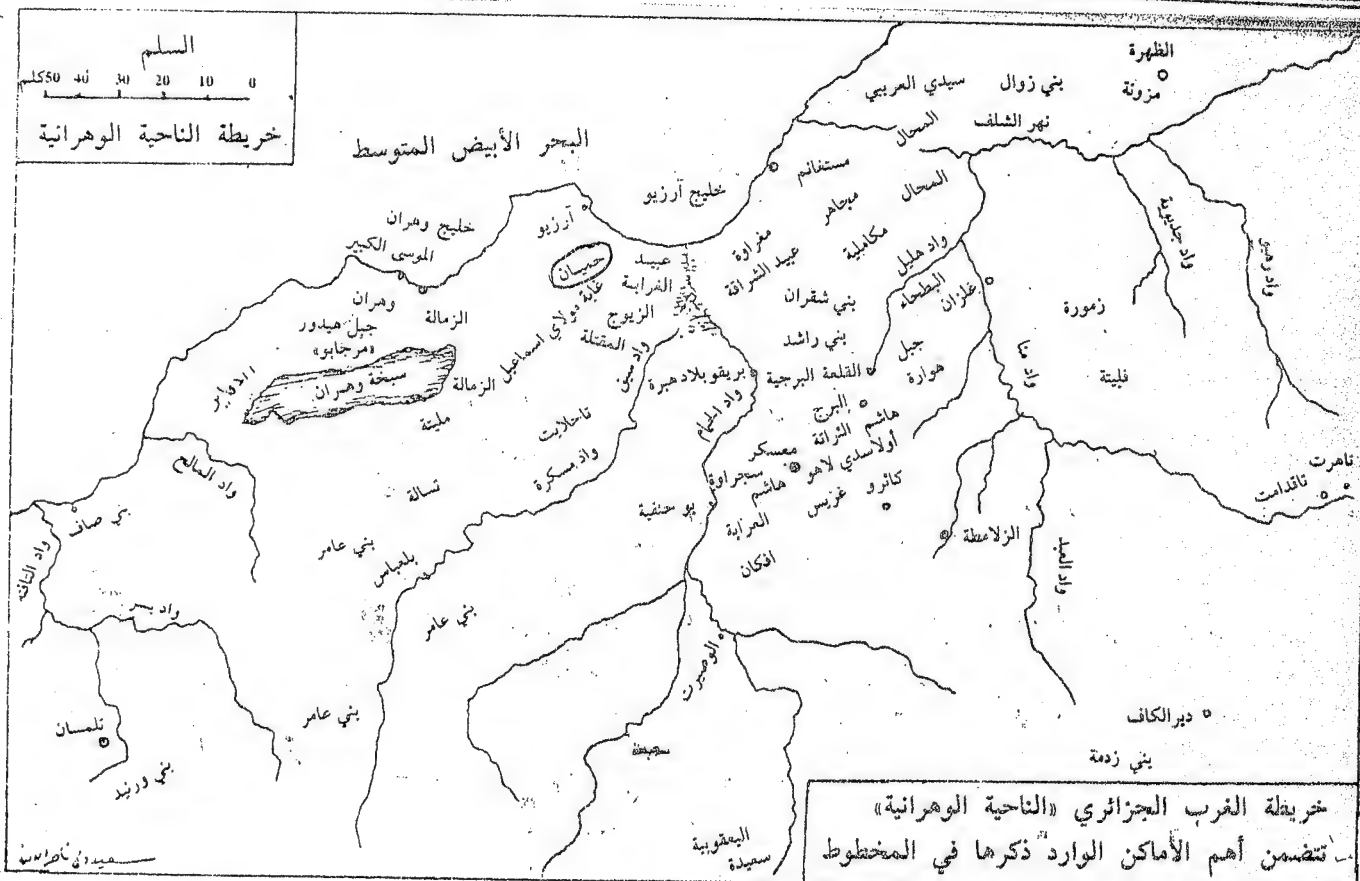
المصدر : Noël : documents pour

Association pour l'Étude de l'Algérie



المصدر: د. مصطفى أحمد خير أبو صبيح
التفصيل العربي في المغرب
ص 354 -

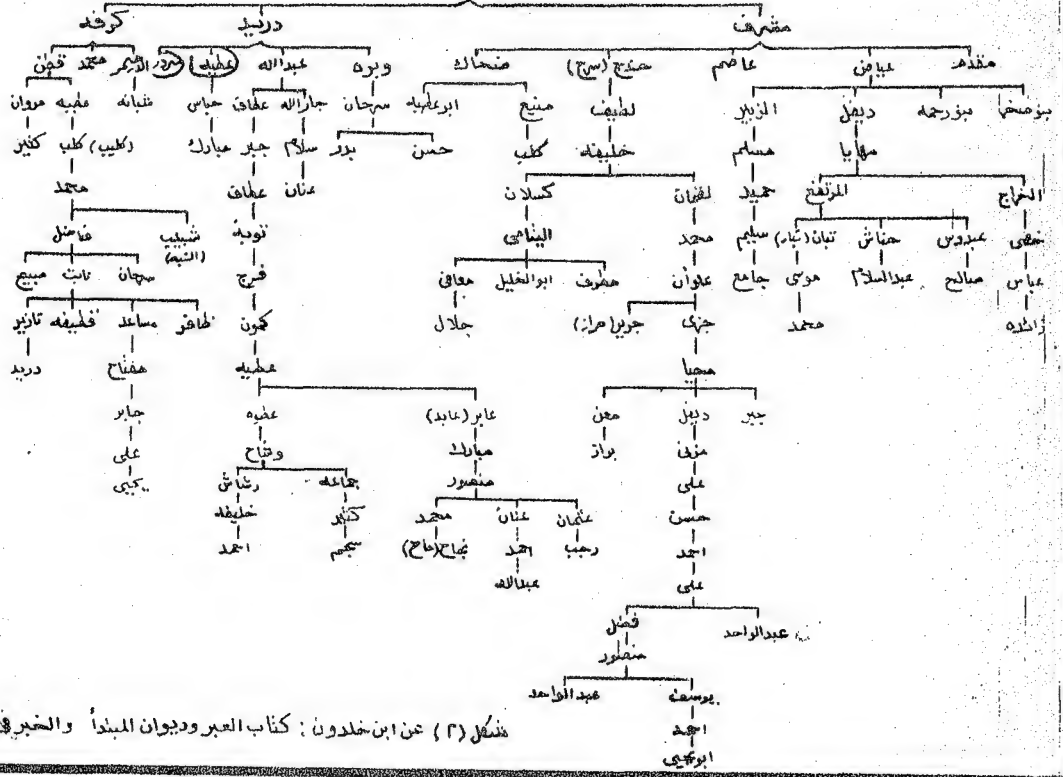
خرائطه حتى (لا)
توزيع التفاح العربي
بلاد المغرب



المصدر: شيد الرحمن الشكر
القول الأوسط ص 48

خزينة رقم (ش ١٤)
موجود في حيّان في القرن (١٥٨)

الأشجار

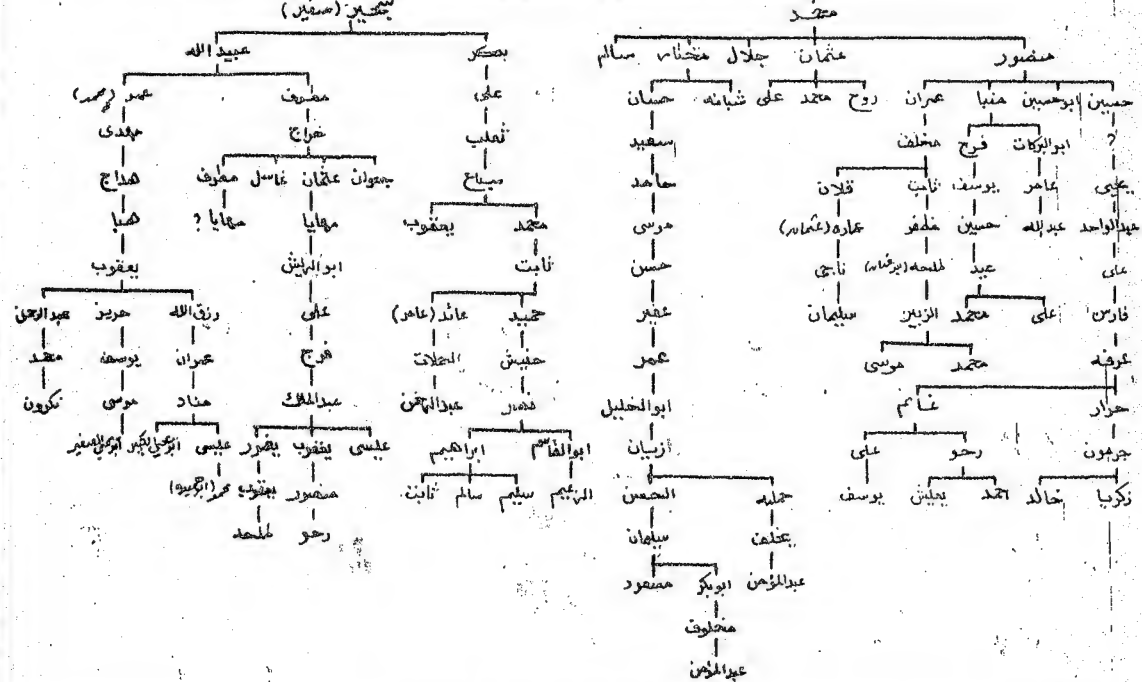


الجدول (رتم ١٣)

نسب أولاد سرور وعطية

المصدر: د. مصطفى أبو صهيبة
القبائل العربية في العراق
ص ٣٥٢

المعقل



الجدول رتم ١٤

نسب المعقل

المصدر: د. مصطفى أبو صهيبة
القبائل العربية في العراق
ص ٣٥٨



hebreu ovín dans une mise en défilé

طوبه : بلودج حيان
وترتيب المواشي
وتنظيم التربة الحياتية



المصدر : Ethnographie
à Wilaya de Naâma
04

الفهارس

- 1- فهرس الأعلام والأماكن والمدن
- 2- فهرس المصادر والمراجع
- 3- فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام والقبائل

حرف "ا"

ابن أبي دينار: 90-127-131

ابن برغوث: 221-224

ابن خلدون: 01-02 - 08-09-10-13-14-15-16-18-19-24-28-29-37-

39-44-53-54-60-70-107-108-111-118-119-121-122-124-

125-126-138-139-140-145-151-152-165-166-167-168-173-

176-177-180-181-188-199-208-212-213-231-235

ابن صاحب الصلاة: 151-154

ابن عذارى: 108-141

أبوبكر: 16-22-23-53-62-86-90

ابن الأثير: 103-107-108-132-134-135-138-147-160

ابن مردنيش: 154-155

أبو إسحاق: 196-199-213-215-233

أبو حمزة: 55-61-175-176-198-200-210-211-212-213-214-215-

216-217-219-220-221-222-223-224-225-226-227-228-229-

231-232-233-234-235-236-237

أبو الحسن المريني: 74-170-201-202-203-204-205-206-207-208-211-

222

أبو الفضل: 24-89

أبو القاسم كرم: 63-120-121-122

أبو تاشفين: 193-202-203-206-211-212-226-227-236

أبو ثابت: 200-207-208-209-210-212-213-217

أبو حفص: 144-154-155-161-163-172-175

أبو ربيعة: 18-19-27-28

أبورزيان محمد: 174-197-212-227-228-229-230-231-232-233-234-

235

أبورزيان بن أبي سعيد: 201-212-236-237

أبوزيد: 29-161-164-170

أبوسالم المريبي: 226-227-228

أبو عبيد الله البكري: 04-120

أبو عبد الله محمد: 169-175

أبو علي الحسن: 93-218

أبوسعيد عثمان: 154-195-196-197-200-201-207-209-210-213-217

أبوسعيد التستري: 83-84

أبومنصور صدقة: 83-84

أبو عنان: 206-207-208-209-210-214-217-218-219-220-221-222

أبوعقوب المنصور: 152-154-158-161-162-163-164-166-169-172-212

أبوعقوب يوسف: 153-154-158-159-160

أحمد: 23-39-48-68-74-75

أحمد الجاسر: 30-54

أحمد توفيق المدني: 14-26

أغواط كسال: 47-48

الأثيج: 29-39-45-58-59-75-96-127-134-136-137-140-146-150-

152-155-160-168-185

الأدارسة: 62-74-75-164-174

أولاد أحمد: 40-52-77

أولاد تومي: 40-46-48-77

أولاد جرير: 50-56-57-69

- أولاد حسين: 236-237
 أولاد خليف: 40-44
 أولاد سباع: 216-220
 أولاد سرور: 40-46-51-58-59
 أولاد سعدة: 68-69
 أولاد سعيد: 47-183
 أولاد سيد الشيخ: 34-35-39-52-54-62-63-64-65
 أولاد مبارك: 40-46-47-48-49-51-56
 أولاد محمد: 43-68-69
 أولاد معافي: 22-23-53
 أولاد معروف: 51-199
 أولاد مسعود: 40-46-48-52
 أولاد منصوره: 40-43
 أولاد لاحق: 22-23-53
 أولاد عامر: 42-56
 أولاد عبدالله: 58-59
 أولاد عبدالملك: 72-73
 أولاد عمر: 44-174
 أولاد علي: 42-51-52-204
 أولاد عطية: 45-58-59
 أولاد عيسى: 72-183-192
 أولاد رجال: 52-56
 أولاد فارس: 40-46-47-76
 أولاد ميمون: 53-183-204-206

إسماعيل: 45-31-17

إسماعيل العربي: 168-101

إيف لاكوست: 120-119

حرف "ب"

بربر: 197-62-29-09-08

بسايس: 69-68

بنو أمية: 125-75

بنو العباس: 90-86-84-80-79

بنو بادين: 186-183-166-165-159

بنو حفص: 218-215-214-212-197-196-194-187-185-184-181-178

بنو خراسان: 150-141

بنو يزيد: 172-170-169-167-166-164-159-158-152-140-77-53-01

235-234-233

بنو هلال: 97-96-94-93-86-85-83-81-80-79-78-29-19-14-13-12

-112-111-109-108-107-106-105-104-103-102-101-99-98

-129-127-126-123-122-121-120-119-118-117-116-114-113

-147-146-140-139-138-137-136-135-134-133-132-131-130

204-173-172-163-158-153-152-151-150-149-148

بنو كرز: 53-21

بنو موسى: 53-21

بنو سعد: 53-22

بنو مرين: 185-184-183-180-178-176-173-165-158-74-73-66-61

-207-206-204-203-202-201-199-197-196-194-193-187-186

-221-220-219-218-217-216-215-214-213-212-211-210-209

237-236-235-231-229-228-227-226-225-224

بنو مطهر: 174-187

بنو عقبة: 40-46-47-48-58

بنو علي: 26-41-174

بنو غيل: 34-43

بنو زغلي: 15-16-17

بنو زيري: 79-86-96-100-102-103-104-106-109-110-113-114-

116-121-123-124-125-126-130-134-138-144-147

بنو سليم: 60-71-80-93-96-99-118-119-120-123-135-137-152-

160-162-164-170-171

بنو عامر: 01-06-08-11-13-14-17-18-21-23-25-26-32-33-41-42-

44-45-46-53-54-58-59-60-61-62-65-72-74-75-77-78-173-

176-182-184-185-186-187-188-189-190-191-192-193-194-

195-197-198-199-200-201-202-203-204-205-206-207-208-

209-210-211-216-217-219-220-221-222-223-224-225-226-

227-228-229-230-231-232-234-235-237

بنو عمر: 26-28-75

بنو يعقوب: 18-25-201-202

بنو زيان: 23-61-66-176-203-211-222-223-227-229-235

بنو حماد: 102-104-105-106-129-130-132-134-140-145-147-150-

159

بنو حميد: 18-25-26

بنو راشد: 165-173-178-187

بنو شافع: 18-26

بنو شقارة: 18-26

بنو مطرف: 18-26-40-41-44-45-56-58

بنو عبد الله: 89-28

بنو عبد الواد: 73-74-165-169-173-174-175-176-178-179-180-181-
182-183-184-186-187-188-189-190-191-192-193-194-195-
196-197-200-201-202-203-204-205-206-207-208-211-213-
214-220-222-225-230-234-236-237

بنو عقيل: 26-18

بنو غانصة: 59-99-139-140-151-152-158-159-161-162-163-165-
166-167-169-170-172-173-175-177-178-179-180-181-182-183-184-186-187-188-189-190-191-192-193-194-195-
196-197-200-201-202-203-204-205-206-207-208-211-213-214-220-222-225-230-234-236-237

بنو يفرن: 131-130-128

حرف "ت"

تميم: 109-112-133-134-135-136-137-138-139-140-141-143-
تو جين: 165-173-183-184-185-186-187-193-196

حرف "ج"

جامع بن دهمان: 143-142-113

جاكو فليكس: 39-12

جابر: 179-178-30

جدام: 63-23-16

جرهم: 31-17

جعفر بن علي: 130-129

جشم: 163-160-154-153-151-146-127-96-39-29

جورج مارسية: 118-98

جوش بن عبدالعزيز: 146-145

جهيل أبو النصر: 121-120

حرف "ح"

حسين مؤنس: 146-95

حـ: 01-02-06-08-11-12-13-14-15-16-17-18-19-21-23-25-
 26-27-32-33-34-35-36-37-38-39-40-41-42-44-47-53-55-56-
 58-59-60-61-62-64-70-74-77-78-79-80-82-84-85-86-88-96-
 97-99-100-101-108-111-112-113-127-128-132-136-139-
 140-143-146-147-151-152-155-158-159-164-165-166-167-
 168-169-170-172-173-177-182-184-185-186-187-188-189-
 190-191-192-193-194-195-197-198-200-201-202-203-204-
 205-207-208-209-210-217-219-220-221-222-223-224-225-
 226-227-228-229-230-231-232-233-234-235-236-237

حصين: 18-19-27-184-207-

حمو بن ومليل: 113-114-140-141-142

حيقون: 46-47

حرف "خ"

خراج: 72-73

خلاخيل: 43-52

حرف "د"

داود بن هلال: 26-189-198-199

دريد: 45-58-59-99

ديفل: 17-23-150

حرف "ذ"

ذوي حسان: 71-185

ذوي منيع: 48-51

ذوي عبيد الله: 71-74-184-228-229

حرف "ر"

رباب: 204-26

ربيعة: 71-59-32-29-28

رشيد بورويبة: 128

رياح: 103-102-101-99-96-93-86-82-81-75-42-39-28-27-19

-143-142-141-140-138-137-135-127-113-112-111-108-104

-221-214-171-170-164-160-155-154-153-152-151-148-146

222

روجار: 148-84-02

رزين: 70-68-65-54-53

حرف "ز"

زغبة: 55-53-44-41-39-29-28-27-25-23-22-21-19-18-14-01

-100-99-97-96-93-88-85-84-82-81-80-79-78-77-75-69-56

-141-140-139-137-136-135-133-132-128-113-112-111-108

-166-165-164-158-155-154-153-152-151-147-146-142-142

-202-194-192-191-188-187-186-185-184-182-181-168-167

235-222-204

زغب: 161-152-146-128-112

زناتة: 111-110-109-108-106-101-99-98-71-69-62-61-29-09

-138-137-136-134-132-131-130-129-128-127-125-123-117

-199-197-196-187-186-185-182-177-175-172-168-165-150

-222

زغلي: 24-23-22

زواوة: 235-230-169-167

زياد: 68-65-54-53

زيان: 179-176-174-26-24-17

حرف "س"

سام: 30-31

ساسى: 06-17-23

سجاعة: 47-48-51

سعد: 22-23-50-62

سعيد: 26-48-183-199-204

سعيد بن داود: 200-220

سفيان: 29-61-185

سويد: 77-166-184-192-193-194-195-197-201-204-207-208-

209-210-219-221-222-223-224-229

سليمان بن داود: 57-66-70-202-216

حرف "ش"

شافع: 55-58-183

شداد: 26-28

حرف "ص"

صعصة: 22-28

صغير بن عامر: 71-203-204-206-209-216-218-219-221-224-225-

229

صنهاجة: 29-61-101-102-106-107-108-109-110-116-117-123-

124-125-126-127-128-129-131-132-134-136-137-138-143-

145-147-159-167

حرف "ع"

عامر بن إبراهيم: 22-27-28-29-30-55-68-69-75-200-201-202-203-

225

عبدالله: 22-26-27-28-49-62-63-75-1

عبد الله بن عبدالمؤمن: 149-150

عبدالله العروي: 120-121

عبدالعزیز: 78-79

عبدالقادر: 11-21-34-37-38-39-66-67

عبدالمؤمن بن علي: 144-145-146-147-148-149-150-151-152-153-

156-159-177-178

عبدالرحمان: 22-49-50-53-63-204

عبيدالله بن مسلم: 71-72-227-228-229-230-231-232-233-234

عثمان بن سعيد: 26-49-50-62-63-72-155-179-181-183-200-201-

202-219

عثمان بن يغمراسن: 198-199-229

عدنان: 12-17-28-31-32-33-60

عدي: 29-96-111-127-134-136-137-141-151-168

علي: 24-30-44-45-50-69-146

عرب: 03-04-09-13-31-33-111-134-138-144-146-149-153-159-

160-161-164-166-169-170-173-185-197

عطاف: 26-193

عروة: 18-19-27

عكرمة: 15-23-28-40-41-42-43-53-54-58-65-68

عقبة: 13-14-15-16-19-23-41-55

عبس: 19-39-53-69

عمر القودودي: 75-86-173-226

عمر بن مهدي: 192-193

عون: 68-69

عوف: 128-161

عيسى: 10-11-12-19-23-27-41-55-63-66-183

عنتر بن طراد: 183-192

عريف بن يحيى: 183-184-207-208-193-200-201-203-204

حرف "غ"

غناغة: 52-69

حرف "ف"

فراحدة: 40-46-48

حرف "ق"

قحطان: 16-31-32-33-60

قرة: 59-75-94-146

قراقوش: 160-172

قضاة: 71-184

قراطة: 79-80

قيس عيلان: 28-32-150

حرف "ك"

كتامة: 61-144

كسكاس: 46-47-48

حرف "ل"

لسان الدين بن الخطيب: 180-181

لتونة: 153-160-179

الدواودة: 171-196-214-215-216-217-218-220

الحسن: 60-179

الحسن بن علي: 145

- الجعافرة: 70-44-43
- الخلط: 185-61-29
- الديالم: 207-204-193
- الطاهر الزاوي: 143-142
- المزاري: 216-214-175
- الناصر: 172-171-170-158-157-156-54-07
- الناصر بن علناس: 142-139-138-137-136-135-134-133-132-113
- البكاكرة: 45-44-40
- الحسن الوزاني: 31-26
- الحساسنة: 183-70
- الخير بن محمد: 130-129
- الطرافي: 56-47-41-36
- المقان: 58-56-49-46-40
- المستنصر: 104-103-99-95-94-93-92-91-88-84-83-82
- القائم أبو جعفر: 89-88
- القائد بن حماد: 134-133-106-104
- القائد بن ميمون: 142-141-110
- القطيط: 56-44
- العاصم: 185-59
- العمور: 75-62-61-47-35-06
- الغياثرة: 58-52-46-41
- الرشيد: 184-182-180
- السندان: 58-50-49-46-42-41-40-21
- الشيخ: 70-57

الشيخ: 70-57

المراجعة: 69-53-21

المعز لدين الله: 129-86

المعز بن باديس: 86-88-89-90-91-92-93-94-96-97-98-100-101-102-

103-104-105-106-107-108-109-110-111-112-114-115-117-

123-125-133-134-135-141-147

المعز المغراوي: 136-137

الرزائية: 15-36-43-62-67-68-69

النورمان: 116-144

الحشنة: 22-53

اليازوري: 83-90-91-92-93-94-95-96-98-105-140

حرف "م"

مالك: 22-23-27-53-71-183-184

محرز: 64-146-150

محمد: 11-12-15-18-26-49-50-54-63-66-71-72-90-149-183-

217-220

محمد بن تافراكين: 213-214

محمد مبارك الملي: 98-198-199

مدافع بن علال: 150

مرة: 22-75

مسعود بن عبدالرحمان: 225-226

مصاب: 165-173

مقتوف: 49-50

- معقل: 29-39-62-70-71-72-169-172-184-186-187-188-189-194-
209-224-225-227
- معمر بلعالية: 41-52-53-65-66-68
- معرف بن رباب: 26-189
- مغاولية: 40-51-52
- مغنية: 34-37
- مغراوة: 08-128-130-131-178-185-186-196-209-210-216-229-
230
- موسى بن علي: 23-43-75-203
- موسى بن أبي الفضل: 205
- موشة: 43-55-57
- مضر: 28-32
- منصور: 28-72-99
- مهدي: 22-53-183-192-193
- مهايا: 34-43-47-73
- ميمون بن عثمان: 183
- مؤنس بن يحيى: 99-101-102-103-104-105-107-112
- حرف "ن"
- نوال: 36-38-39-40-53-143-160-168
- نهيك: 27-28-42-44-59
- حرف "هـ"
- هداج: 72-73
- هلال: 21-26-27-28-30-31-32-42-59-68-69-70-71-193
- هوازن: 28-32

حرف "و"

ونزمار: 210-207-208-206-184

حرف "ي"

يحي بن داود: 213-210-183-48-42-30

يحي بن خلدون: 213-212-210-209-190-180-174

يحي بن العزيز: 147-145

يحي بن غانية: 170-163

يعقوب بن عبدالحق: 203-185-72-27-26

يغمراسن: 184-183-182-181-180-179-174-172-169-25-18-01

185-186-188-190-191-192-194-195-196-197-198-199-201

220-204

يوسف بن مهدي: 199-183-151-86

يزيد: 78-55-42-41-39-27-25-24-23-22-21-19

فهرس الأماكن والمدن

حرف "أ"

أربوات: 176-70-68-66-41-15

إشبيلية: 156-155-154-153-144

أشير: 161-129

أفلو: 168-48

أفريقية: 92-91-89-88-86-84-75-71-59-58-31-29-27-23-03-02

93-94-95-96-97-98-99-100-101-103-104-107-111-112-113

114-115-116-120-123-125-127-128-129-131-133-134-135

137-140-142-143-144-146-147-148-149-151-152-153-158

160-161-162-163-164-166-168-170-171-172-178-195-206

208-212-213-214-215-217-220-222

أقورت: 49-50

أنقاد: 44-69-73

إيسلي: 34-209

حرف "ب"

باجة: 99-102-104-112-139-144-145-146-147-151-152

بجاية: 01-03-14-64-144-148-158-159-160-161-167-169-170-

171-195-196-198-199-202-210-212-213

باغاية: 130

برقة: 02-04-08-94-95-96-98-99-102-122-127-150-152-163-207-

بسكرة: 59-76-129-130-139-168-207-208

بشار: 08-43-48-50-69

بنو حسن: 158-167

بني ونيف: 70

بوسمغون: 34-68-176

بونة: 59-139

حرف "ت"

تافيالالت: 50-71

تاهرت: 08-48-121-129-130

تبسة: 139-168-215

تسالة: 46-54-55-202

تلمسان: 01-05-06-08-09-25-26-37-38-40-50-55-58-61-64-65-

72-73-74-78-128-130-150-152-159-165-167-169-170-174-

175-176-177-178-179-180-182-184-185-188-190-191-192-

196-197-198-199-202-203-204-205-207-208-209-210-211-

212-214-215-217-218-219-220-221-222-224-225-226-227-

228-229-231-232-233-234-235

توات: 49-50-61-72-177

توزر: 161-166-215

تونس: 02-14-21-46-53-64-65-112-113-133-139-141-143-150-

161-162-163-166-170-171-181-210-213-214

تيكورارين: 26-72

تيوت: 11-12-34-49-75-77-177

حرف "ح"

حمزة: 01-25-55-158-167

حرف "د"

دبدو: 45-51

حرف "ر"

رأس الماء: 06-11

حرف "س"

سلا: 04-144-149-153

سبية: 132-136-138-139-168

سجلماصة: 130-207-209

سطيف: 146-147-148-149-151-152

سعيدة: 43-44-47-55-70-178

سيدي بلعباس: 08-54

سيفسيفة: 11-12-34

حرف "ش"

شلف: 182-214

حرف "ص"

صبرة: 03-110 صفاقس: 112-140-141-142

صقلية: 02-84

حرف "ط"

طبنة: 08-130-138

طرابلس: 01-02-03-27-99-112-127-128-132-139-140-143-147-

152-164-165-168-171-175

حرف "ع"

عناية: 41-42-214

عين سيدي ملوك: 47-48-51

عين الصفراء: 10-12-34-47-52-77-168-176

حرف "غ"

غرداية: 168-173

غرناطة: 65-211

حرف "ف"

فاس: 04-08-41-51-59-137-145-149-164-170-211

فزان: 02-172

فقيق: 13-34-42-46-47-51-65-66-73-75-173-177

حرف "ق"

قابس: 01-27-99-100-111-112-113-128-132-139-141-142-143-

150-163-164-166-168-170-171

قرطبة: 144-153-154

قفصة: 122-150-161-162-163-166-214

قسنطينة: 59-99-137-139-145-161-170-214

قورارة: 42-45-48-49-50

حرف "ل"

لحمر: 50-69

الأبيض سيد الشيخ: 55-65-67

الأريس: 137-150

الأنسدلس: 65-75-116-131-144-151-152-153-154-155-157-158-

160-163-167-169-211

البيوض: 15-51

البيض: 08-36-41-42-43-44-47-48-51-64-69-77-176-177

الدهوس: 01-14-55-167

الجزائر: 02-06-33-34-38-41-45-65-72-145-160-210-212-213

الجريد: 163-214

الحجاز: 29-30-31-40-64-78-79-80-84-103-161

الزباب: 08-76-139-168-175

الساقية الحمراء: 11-43-44-45-47-48-53

الساورة: 52-69

السودان: 02-06-72

السوس: 04-72-207

السينغال: 02-34

الشام: 23-40-63-78-79-80-84-103

الشلالة: 34-66-75-176

العريشة: 01-06-44-64

القاهرة: 79-82-113-117

القنادسة: 43-52

القـسـيـرـوان: 08-79-90-92-99-102-103-104-105-107-108-109-110-
112-120-121-132-134-136-137-139-140-141-142-143-144-
149-162-163-205-206-214

المنصورية: 108-109

النعام: 10-12-158

النيجر: 02-34

المهديـة: 109-110-112-114-116-132-133-134-135-138-141-145-
161-164-170-171
اليمن: 70-71-84-150

حرف "م"

مازونة: 160-210

مراكش: 02-04-45-74-144-145-148-149-150-152-153-157-163-
164-166-169
مرسيه: 155-163

مصاب: 131-166-172-176-177

مكناس: 53-149

ملوية: 71-130-145-173

ملجون: 156

المدينة: 15-23-64

المسيلة: 01-08-128-130-138-165-167-169

المشرية: 04-10-12-36-41-51-54-74-75-168-176

المغرب: 01-02-03-04-06-08-20-24-25-27-29-32-34-37-38-44-
45-47-49-50-51-54-59-60-61-67-69-71-72-74-75-78-84-86-
89-90-92-93-95-98-99-100-101-112-114-116-117-118-119-
120-121-122-123-125-127-129-130-131-132-134-137-138

-163-160-158-153-152-151-148-147-145-144-143-140-139
 -186-185-184-183-182-178-177-173-168-167-166-165-164
 21-211-206-205-204-203-202-201-195-194-193-192

مكة: 64-30-15

مغرار: 75-34

مضر: 83-82-81-80-79-78-64-63-49-29-23-06-04-03-02-01-

160-131-122-115-103-102-99-98-97-96-93-92-86-85

ميورقة: 167-159-151

حرف "ن"

نجد: 31-30

النعامه: 49-46-14

حرف "و"

وادي الناموس: 49-45

وجدة: 182-178-74-72-51-50-43-41-

ورقة: 168-75

وهران: 184-150-12

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر:

- 01- ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس - تحقيق محمد شمام - المكتبة العتيقة - تونس - 1969
- 02- ابن أبي زرع: كتاب الأنيس المغرب بروض القرطاس - فاس - 1973
- 03- ابن الخطيب: تاريخ إسبانيا أو كتاب أعمال الأعلام - تحقيق إ. ليفي بروفنسال - ط2 - دار المكشوف - بيروت - مارس 1956
- 04- ابن الأثير: الكامل في التاريخ - دار صادر - 1979
- ابن الأبار: المقتضب من كتاب تحفة القادم - نشر إبراهيم الأبياري - القاهرة - 1957
- 05- ابن الكلبي: جبهة أنساب العرب - بغداد - 1959 - الأصنام د.م. ن - د.د. ن - د.س. ن
- 06- ابن الأحرار: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان - تقديم وتعليق هاني سلامة - المطبعة الدينية للنشر والتوزيع - الإسكندرية - 2002
- 07- ابن حزم: جبهة أنساب العرب - تحقيق وتعليق عبدالسلام محمد هارون - ط3 - دار المعارف - القاهرة - 1971
- 08- ابن خلدون (عبد الرحمن): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر - ج6 و7 - دار العلم للملايين - بيروت - 1981
- 09- ابن خلدون (يحيى): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدالوادر - تقديم وتحقيق د. عبد الحميد حاجيات - المكتبة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1984
- 10- ابن صاحب الصلاة: المن بالامامة على المستضعفين - نشر عبد الهادي التازي - بيروت - 1964
- 11- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ): كتاب البداية والنهاية - طبعة مكتبة المعارف بيروت - مكتبة النصر - الرياض - 1966
- 12- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس - مراجعة ومراجعة ج.س. كوليات وإيفي بروفنسال ج2 و4 - بيروت - 1980

- 13- ابن عودة المزاري: طلوع سعد السعود- تحقيق د. يحيى بوعزيز- دار الغرب- ط1- بيروت- 1990
- 14- ابن مقديش الصفاقسي: نزهة الأنظار- ج1- طبعية حجرية- تونس- 1321هـ-
- 15- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري المعروف بالسلاوي: كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الدولة المرابطية والموحدية تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري - مطبعة دار الكتاب- الدار البيضاء- 1954
- 16- أبو الفداء: تقويم البلدان- طبعة دوسلان - باريس - 1840
- 17- أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي: القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط- تحقيق وتقديم د. ناصر الدين سعيدوني - ط1- دار الغرب الإسلامي بيروت 1991
- 18- عبد القادر المشرفي: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبانيين بوهرا من الأعراب بني عامر تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم الجزائر- 1943
- 19- الألوسي: بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب- بدون تاريخ
- 20- الأصبخري: كتاب المسالك والممالك- نشر محمد جابر عبدالعال- القاهرة- 1961
- 21- الإدريسي: القارة افريقية وجزيرة الأندلس- تحقيق وتعليق إسماعيل العربي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1983
- 22- البلاذري: أنساب الأشراف- تحقيق د. محمد حميد الله - ج1- دار المعارف - مصر- 1959
- فتوح البلدان - تحقيق رضوان محمد رضوان دار الكتب العلمية- بيروت 1978
- 23- التيجاني: رحلة التيجاني - تحقيق حسن حسني عبدالوهاب- تونس- 1958
- الشريف أبو القاسم الغرناطي: كتاب رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة-
- 24- المقرئزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء- نشر جمال الدين الشيال- القاهرة- 1948
- 25- الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي - ترجمة عن الفرنسية د. محمد حجي، د. محمد الأخضر - ج1 - ط2 - دار الغرب الإسلامي بيروت 1983
- 26- الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية- تونس- 1289هـ-
- 27- القلقشندي: نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب- نشر إبراهيم الأبياري- القاهرة- 1959

- صبح الأعشى في صناعة الانشا-القاهرة-1963
- 28-محمد بن محمد الأندلسي المعروف بالسراج:الجلل السندسية في الأخبار التونسية-تحقيق وتقديم محمد الحبيب-ج1-القسم الرابع-تونس-1970
- 29-موسى بن موسى أبوجو:واسطة السلوك في سياسة الملوك-تونس-1279هـ
- 30-مؤلف مجهول:زهر البستان-مكتبة ريلاندز-مانشستر-رقم283قسم عربي.
- 31-مؤلف مجهول:مفاخر البربر-نشر ليفي بروفنسال-الرباط-1934
- 32-مؤلف مجهول:الاستبصار في عجائب الأمصارنشر وترجمة سعد زغلول الإسكندرية-1958
- 33-ياقوت الحموي:معجم البلدان-مادة إفريقية-القاهرة-1233هـ

ب- المراجع بالعربية:

- 01- إبراهيم مياسي:توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري(1881م-1912م)- مطبعة الرويبة-الجزائر-1996
- 02-ابن يزيد:تاريخ الخلفاء -مؤسسة الرسالة -القاهرة-1979
- 03-د.أبو القاسم سعدالله:تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري(16م-20م)- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1981
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر- القسم الأول-ط2-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر-1981
- الحركة الوطنية الجزائرية-(1860م-1900م)-ج1-ط1-دار الغرب الإسلامي-بيروت - 2000
- 04- أبو الفوز محمد أمين المعروف بالسويدي:سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب -المكتبة العلمية السنة التاسعة من العقد من القرن الثالث عشر الهجري.
- 05-د.أبوضيف مصطفى أحمد عمر:القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر-1982

06- أبو علي الهجري: بلاد الجزيرة- تحقيق أحمد الجاسرود. صالح العلي منشورات داراليمامة
د.س.ن بدون تاريخ

07- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر- المطبعة العربية-الجزائر-1928

08- أحمد حسن الزيات: العرب ومواطنهم وطبقاتهم وقبائلهم المشهورة- ط6 دار المعرفة- بيروت
2004

09- د. أحمد شلي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية- ج1- ط6- مكتبة النهضة
المصرية- القاهرة- 1974.

- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية- ج5- مكتبة النهضة الإسلامية- القاهرة- 1967

10- أحمد صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب - دار الكتاب للطباعة - العراق - 1981

11- أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي ط3- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- 1971

12- أحمد الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا- دار المعارف- مصر- 1963

د. أحمد نعمان: سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجية النفسية- المؤسسة الوطنية
للكتاب- الجزائر- 1988

13- إسماعيل محمود: الحركات العربية في الإسلام- ط1- دار القلم- بيروت 1973

14- إسماعيل العربي: دولة بني حماد- ملوك القلعة وبجاية- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-
الجزائر- 1980

15- إبراهيم بهلول: فن الرقص الشعبي في الجزائر- ترجمة أسماء سيفاوي- ديوان المطبوعات
الجامعية- الجزائر- د.ت.ن

إدريس خيضر: التفكير الاجتماعي عند ابن خلدون وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية- ديوان
المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1992

16- د. السيد عبد العزيز سالم: المغرب العربي الكبير دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية - دار النهضة
العربية- بيروت- 1971

17- العبادي مختار أحمد: في التاريخ العباسي والأندلسي- بيروت- 1968

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس- الإسكندرية- 1962

- 18- ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم- ترجمة عبدالرحمن بدوي- دار الغرب الإسلامي- بيروت 1981
- 19- جوليان أندري شارل: تاريخ إفريقية الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م- تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة- ج2- الدار التونسية للنشر والتوزيع- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1978
- 20- حامد عبدالسلام: علم النفس الاجتماعي- ط3- عالم الكتاب- القاهرة- 1974
- 21- د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب - مكتبة النهضة المصرية- القاهرة - 1974
- انتشار الإسلام في القارة الإفريقية- القاهرة- 1964
- 22- د. حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي- مكتبة العصر الحديث للنشر والتوزيع- بيروت- 1992
- 23- حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تونس- 1373هـ -
-ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيه التونسية- تونس- بدون تاريخ
- 24- د. حسن الساعدي: علم الاجتماع البدوي- ط3- دار المعارف- القاهرة- 1971
- 25- رابح بونار: المغرب العربي- تاريخه وثقافته- ط3- دار الهدى- عين مليلة الجزائر- 2000
- رالف لنتون: دراسة الانسان- ترجمة عبدالمالك الناشف- المكتبة العصرية بيروت- 1964
- 26- د. رشيد بورويبة: تاريخ الدولة الحمادية- الجزائر في التاريخ- المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر - 1984
- روث بنديكت: ألوان من ثقافات الشعوب- ترجمة محمد الدسوقي وآخرون- لجنو البيان العربي- القاهرة- د.ت
- 27- روزلين ليلي قریش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر- 1980
- زهام رودلف: الأمثال العربية القديمة- ترجمة رمضان عبدالتواب- مؤسسة الرسالة- بيروت- 1971
- د. سامية حسن الساعدي: الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي- دار النجاح- بيروت- 1977

- 28- دة. سهير عبدالعزيز محمد: الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي في البادية العربية-دراسة ميدانية في علم الاجتماع البدوي-ط1-دار المعارف-القاهرة-1991
- 29- عاشور سرقة: الرقص والأغاني الشعبية بمنطقة توات-ط1-دار الغرب للنشر والتوزيع - الجزائر-2004
- 30- د. عبدالقادر القصير: الأسرة المتغيرة في المدينة العربية-دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري- ط1-دار النهضة العربية-بيروت-1999
- 31- عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي السليمي في الجزائر-ط هومة-الجزائر-2002
- 32- عبد الرحمان زكي: حركة الإصلاح الديني في غرب إفريقيا-مدريد-1966
- تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقية-القاهرة-1961
- 33- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام-ط4-دار الثقافة-بيروت-1980
- 34- د. عبدالله علي علام: الدولة الموحدة بالمغرب في عهد عبدالمؤمن بن علي-دار المعارف مصر-1971
- 35- عبدالعزيز بن عبدالله: معطيات الحضارة المغربية-المغرب-1957
- 36- د. عبد الحميد حاجيات: تاريخ الجزائر في عهد الموحدين -الجزائر في التاريخ -المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1984
- أبوهم موسى الزياتي -الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر-1982
- صالح عباد: الجزائر خلال العهد التركي-دار هومة-الجزائر-2005
- 37- عبد الحميد بن أشنهو: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر-الجزائر-1974
- 38- د. عبد الحميد لطفي: علم الاجتماع -دار النهضة العربية-بيروت-1981
- 39- د. عبدالحليم عويس: دولة بني حماد -ط1- دار الشروق-بيروت-1980
- 40- د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي ج4-المجلد2-ط1-مكتبة مدبولي القاهرة-1994
- 41- د. عبدالله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث-ط1-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر-1981

- 42- عبد الجبار الراوي: البداية- ط2- بغداد- 1949
- 43- عبد الوهاب منصور: قبائل المغرب- ج1- الرباط- 1968
- 44- د. عبد المالك مرتاض: الألغاز الشعبية الجزائرية في الغرب الجزائري- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1982
- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص المغرب- القاهرة- 1949
- 45- عثمان العكاك: موجز تاريخ الجزائر- مطبعة العرب- تونس- 1925
- 46- عدد من المؤلفين: الوطن العربي- النواة الأولى والامتدادات عبر التاريخ- ط1- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- 2003
- 46- علي بن عبد الرحمن: حلة الفرسان وشعار الشجعان- نشر محمد عبد الغني حسن القاهرة 1949
- علي عبد الواحد وافي: الأسرة والمجتمع- القاهرة- 1948
- 47- عمر كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ج1 و2 ط2 دار العلم للملايين بيروت- 1968
- 48- د. غوستاف لوبون: حضارة العرب - نقله إلى العربية عادل زعيتر - (د.م) (د.ت) (د.ت).
- 49- الصغير بن عمار: الفكر العلمي عند ابن خلدون- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- 1981
- العربي دحو: الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى- ج1- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1989
- 50- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث - ج- تقديم وتصحيح محمد الميلي المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر- 1989
- محمد أحمد باشميل: غزوة حنين- ط3- دار الفكر للطباعة- بيروت- 1983
- 51- محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية المغرب الإسلامي المؤسسة الوطنية للكتاب 1984
- 52- محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين - ط1 - القاهرة - 1964
- 53- محمد بن ماء العينين الادريسي الشنجيطي: الجأش الربيط في النضال عن مغربية شنجييط وعربية المغاربة من مركب وبسيط- القاهرة- 1957

- 54- محمد ثابت الفندي- أحمد الشنتاوي- إبراهيم زكي خورشيد- د. عبد الحميد يونس: دائرة المعارف الإسلامية - المجلد 11- انتشارات جهان- بدون تاريخ
- 55- محمد خير الدين: مذكرات الشيخ محمد خير الدين - ج 1- مطبعة دحلب الجزائر - 1984
- 56- محمد سالم شرف الدين: ملامح المغرب في القرن الخامس الهجري- المؤسسة العربية للكتاب- يغازي- 1999
- 57- محمد سعودي: الوطن العربي- دراسة لملاحة الجغرافية- دار النهضة العربية- بيروت- 1968
- 58- محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر- 1998
- 59- د. محمد السويدي: بدو الطوارق بين الثبات والتغير (دراسة سوسيو- أنثروبولوجية في التغير الاجتماعي)- المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر- 1986
- د. محمد عجاج الخطيب وآخرون: نظام الأسرة في الإسلام- ط 2- الكويت- 1986
- 60- محمد محمود الصياد: معالم جغرافية الوطن العربي- المجلد الأول دار النهضة العربية بيروت 1972
- د. محمد الغريب عبدالكريم: ظاهرة التريف- قراءات في علم الاجتماع الريفي- 1990
- 61- د. محي الدين صابر: عوامل التغير الحضاري وتنمية المجتمع- سرس الليان- مركز تنمية المجتمع في العالم العربي- 1962
- 62- مجمع الأمثال للميداني: تعريف المثل- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- القاهرة- 1955
- 63- مونكرمي وات: البدو- ترجمة لجنة دائرة المعارف الإسلامية - إبراهيم خورشيد ود. عبد الحميد يونس وحسن عثمان - دار الكتاب اللبناني - 1981
- 64- محمود كامل: الدولة العربية الكبرى - ط 1- دار المعارف - مصر (د. ت)
- 65- د. مصطفى الخشاب: دراسات في علم الاجتماع العائلي- دار النهضة العربية- بيروت- 1985
- 66- دة. نبيلة إبراهيم: من قصصنا الشعبية من الرومانسية إلى الواقعية- ط 1- دار العودة- بيروت- 1974
- أشكال التعبير في الأدب الشعبي- ط 3- دار المعارف- القاهرة- 1981
- 67- د. يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر ج 2 ط 1 دار الغرب الإسلامي بيروت - 1995

الإهداء

التشكر

مقدمة

ا-ب-ت-ث-ج-ح-خ-د-ذ-ر

مدخل: لمحة جغرافية عن صحراء تلمسان موطن حميان..... 19

1-الباب الأول: الدراسة التاريخية..... 35

حميان من جملة بني زغبة بن هلال

ومراحل هجرتهما من صعيد مصر إلى صحراء تلمسان.....

الفصل الأول: نسب حميان وبنو عامر..... 37

المبحث الأول: النسابة المؤرخين العرب..... 42

المبحث الثاني: كتابات الضباط الفرنسيين..... 56

المبحث الثالث: المصادر الشفاهية..... 75

الفصل الثاني: هجرة حميان من جملة بني زغبة

إلى إفريقية سنة 442هـ - 1049م..... 101

المبحث الأول: ظروف حميان من جملة بني زغبة في صعيد مصر..... 103

المبحث الثاني: أسباب هجرة حميان من صعيد مصر إلى إفريقية..... 110

المبحث الثالث: موقف إمارة بني زيري من حميان..... 124

الفصل الثالث: حميان من جملة بني زغبة في إفريقية

من سنة 422هـ - 1049م إلى 580هـ - 1185م..... 130

المبحث الأول: معركة حيدران وموقف حميان منها..... 131

المبحث الثاني: موقف حميان من زناتة إفريقية والمغرب الأوسط..... 152

المبحث الثالث: علاقة حميان بالدولة الحمادية وموقفهم من معركة سببية..... 157

- المبحث الرابع: النزاع بين زغبة ورياح..... 165
- الفصل الرابع: هجرة حميان من جملة بني زغبة
- إلى المغرب الأوسط سنة 580هـ - 1184م..... 169
- المبحث الأول توسع الدولة الموحدية في إفريقية
- وموقف حميان منها..... 170
- المبحث الثاني: دور حميان من جملة بني يزيد بن زغبة
- العسكري في الدولة الوحيدة..... 178
- المبحث الثالث: علاقة حميان من جملة بني زغبة
- ببني بادين وموقفهم من بني غانية..... 192
- الفصل الخامس: هجرة بنو عامر وحميان ودورهم في إمارة بني زيان..... 206
- المبحث الأول: لحة تاريخية عن بني عبدالود..... 207
- المبحث الثاني: أسباب استدعاء يغمراسن بني عامر وحميان..... 220
- المبحث الثالث: دور بنو عامر وحميان في دولة بني عبدالود الزيرية
- (633هـ - 792هـ - 1236م - 191م)..... 229
- أ- دور بنو عامر وحميان العسكري والسياسي
- ما بين 633هـ - 760هـ (1236م - 1359)
- ب- دور بنو عامر وحميان السياسي والعسكري في عهد أبي حمو موسى الثاني
- ما بين 760هـ - 792هـ (1359م - 1390م)..... 243
- الفصل السادس: دور بنو عامر وحميان الاقتصادي وثقافي في المغرب الأوسط..... 293
- المبحث الأول: دور بنو عامر وحميان الاقتصادي..... 294
- المبحث الثاني: دور بنو عامر وحميان الثقافي..... 301

2-الباب الثاني: الدراسة الثقافية:

- 306..... الموروث الشعبي عند بني عامر وحميان
- 307..... الفصل الأول: الفنون التقليدية والأدب الشعبي
- المبحث الأول: تعريف الموروث الشعبي
- 308..... وأنواع الفنون التقليدية عند بني عامر وحميان
- 320..... أ-فن صناعة فليج الخيمة.
- 326..... ب-فن صناعة الأفرشة والملابس (الجنة-الهدون-الخيدوس)
- 330..... ج-فن صناعة العطوش والراحلة
- 331..... د-أدوات الطبخ ووسائل التخزين.
- 337..... المبحث الثاني: الأدب الشعبي عند حميان وبني عامر.
- 339..... 1-الألغاز الشعبية.
- 345..... ب-الأمثال الشعبية.
- 359..... ج-الرقص والغناء.
- 345..... د-الشعر الشعبي.
- 375..... و-الحكاية الشعبية.

الفصل الثاني: العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية

- 387..... في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي.
- 388..... المبحث الأول: العادات والتقاليد.
- 388..... 1-مفهوم العادات والتقاليد والفرق بينهما.

437.....	3- الزواج في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي
448.....	4- الأسرة في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي
462.....	5- القيم الاجتماعية في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي
466.....	المبحث الثالث: النظام الاقتصادي (نخط المعاش)
466.....	1- الترحال
473.....	2- الرعي
477.....	3- الاغارة والسلب
480.....	خاتمة
482	الملاحق
483.....	1- التعريف بأبي حمو موسى الثاني وبعض الشعراء
485	مجموعة من القصائد الشعرية
.....	2- مجموعة من الأمثال الشعبية والأقوال المأثورة
.....	3- المصطلحات الواردة في البحث
.....	4- خريطة خاصة بتضاريس موطن حميان وبني عامر
.....	5- خريطة خاصة بتوزيع بني عامر وحميان
.....	6- جدول خاص بنسب بني عامر وحميان
	الفهارس:
499	فهرس الأعلام
513.....	فهرس الأماكن والمدن
513.....	قائمة المصادر والمراجع
532	فهرس الموضوع